

# مَجَلَّة

# الدِّراساتِ العِلميةِ

مجلة علمية دورية محكمة

## عناوين الأبحاث:

- الوظيفية الدعوية للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجاً.
- اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله - بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه وخطامته.
- مفهوم الريحية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تفرغها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية 2030م.
- الرجاء ودور الدعاة في مواجهته.
- جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة في بعض المراكز الإسلامية (بريطانيا، مدريد، برلين).
- مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين "دراسة تحليلية".
- الحسية الوفاة للمملكة العربية السعودية جاحة كورونا.
- منحج أهل السنة في التعامل مع الولاة.

## مجلة

# الدراسات الدعوية

مجلة علمية دورية محكمة

العدد الثاني عشر

ربيع الآخر ١٤٤٢هـ

### المراسلات:

تتم المراسلات باسم رئيس هيئة تحرير المجلة على العناوين التالية:

المملكة العربية السعودية ص ب ٤٨٤٧ - الرياض ١١٤١٢

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٦

هاتف: ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٣

بريد الجمعية الإلكتروني:

[baserah@imamu.edu.sa](mailto:baserah@imamu.edu.sa)

المشرف العام

د. أحمد بن علي بن عبدالله الخليلي

رئيس مجلس الإدارة

رئيس التحرير

أ.د. حمد بن ناصر بن عبدالرحمن العمار

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. سلطان بن عمر الحصين

أ.د. عبدالله بن إبراهيم الطويل

أ.د. سليمان بن قاسم العيد

أ.د. علي بن أحمد الأحمد

أمين المجلة

د. وليد بن عبدالله بن علي العثمان

إيداع: ٩٢٤ / ١٤٢٩

ردمك: ٣٨٨٤ - ١٦٥٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## قواعد النشر

أولاً: يشترط في البحث الذي ينشر في المجلة ما يلي:

- ١- أن يكون البحث متخصصاً في الدعوة والحسبة والدراسات الإسلامية المعاصرة.
- ٢- أن يكون متمسكاً بالأصالة وسلامة الاتجاه.
- ٣- أن يكون البحث دقيقاً في التوثيق والتخريج.
- ٤- أن تتحقق فيه السلامة اللغوية.
- ٥- أن تكتب الآيات بالرسم العثماني.
- ٦- أن يكون ملتزماً بعلامات الترقيم المتعارف عليها.
- ٧- أن لا يكون قد سبق نشره أو قدم للنشر لجهة أخرى.
- ٨- أن لا يكون مستقلاً من بحث أو رسالة نال بها الباحث درجة علمية.

ثانياً: أن تكون الهوامش والمصادر على النحو التالي:

- ١- توضع هوامش كل صفحة أسفلها على حدة.
- ٢- تثبت المصادر والمراجع في قائمة في آخر البحث مع استيفاء معلوماتها، مثال:  
معالم الدعوة، عبد الوهاب بن لطف الديلمي ط ١ (جدة، دار المجتمع،  
١٤٠٦هـ).

٣- توضع نماذج من صور المخطوط إن وجد في المكان المناسب.

ثالثاً: عند ورود أعلام أجنبية في متن البحث تكتب بحروف عربية، وتكتب بين

قوسين بحروف لاتينية.

رابعاً: يشترط عند تقديم البحث ما يلي:

- ١- أن يقدم الباحث طلباً لرئيس تحرير المجلة بنشر بحثه، والتزاماً بعدم نشره إلا بعد موافقة  
خطية من هيئة تحرير المجلة.
- ٢- يقدم الباحث خمس نسخ من البحث يتضمن ملخصاً باللغتين (العربية-  
والإنجليزية) بحدود (٢٥٠) كلمة.



- ٣- أن لا تزيد صفحات البحث عن (٦٠) صفحة مقاس (A4).
- ٤- أن يكون البحث مكتوباً على برنامج (Word Microsoft) متوافق مع الإصدارات الحديثة، وأن يكون حجم خط متن البحث مقاس ١٦، وحجم خط الإحالات في الهامش بحجم ١٤ Traditional Arabic.
- ٥- أن يترك مسافة قدرها (٤,٥) سم على كل جانب من صفحة (A4) وكذلك (٥) سم من أعلى وأسفل الصفحة، لتكون الكتابة على مساحة قدرها (٢٠×١٢) سم بما في ذلك رقم الصفحة الذي يكون في وسط أسفل الصفحة.
- خامساً: يتم تحكيم البحوث المقدمة للنشر في المجلة من قبل اثنين على الأقل من المتخصصين، على أن يقوم الباحث بإيداع مبلغ (٢٠٠٠) ألفي ريال في حساب الجمعية).
- سادساً: يلتزم الباحث بتقديم البحث الذي يجتاز التحكيم وبعد إجراء التعديلات إن وجدت على قرص حاسوبي، وإرساله بالبريد الإلكتروني.
- سابعاً: لاتعاد البحوث إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- ثامناً: يعطى الباحث خمس نسخ من عدد المجلة الذي تم نشر بحثه فيه.
- تنبيه: الأبحاث الواردة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها.

## مقدمة العدد

الحمد لله حمدا يليق بجلال الله وعظمته، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وإمام  
الدعاة والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

لقد شرف الله سبحانه الدعوة وأهلها والمشتغلين بها، كيف لا وهم يسعون جهدهم  
في دلالة الناس إلى رب الناس، وسوقهم إلى الفضيلة بالحسنى كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ  
قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

وكما قال تعالى: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ  
وَجَدِلْ لَهُم بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وإن من الأمور الفاضلة في مجال الدعوة: استثمار ميدان تأصيل علوم الدعوة  
وربطها بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل وابتناقها منهما وعدم الحيدة عنهما قيد  
أتملة.

وقد أخذت مجلة الدراسات الدعوية التابعة للجمعية السعودية للدراسات الدعوية  
على عاتقها السير في هذا الاتجاه بأبحاثها المحكمة مراعية النشر وفق أصول البحث  
العلمي.

وبفضل الله تعالى فقد اشتمل هذا العدد (الثاني عشر) على الأبحاث العلمية الآتية:

١. الوظيفة الدعوية للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها

"الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجاً"

٢. اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

- رحمه الله — بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه وكلماته
٣. مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.
٤. الإرجاف ودور الدعاة في مواجهته.
٥. جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية (بريطانيا، مدريد، برلين).
٦. مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين "دراسة تحليلية".
٧. الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا.
٨. منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة.
- نسأل الله أن تكون هذه الأبحاث العلمية لبنة في البناء العلمي للمجتمع على أساس من العلم والبرّ والتقوى.
- وبهذه المناسبة فإننا نثيب بالعلماء والباحثين والمختصين تناول الموضوعات الرئيسة في مجال الدعوة في أبحاثهم ونشرها عبر هذا المنفذ من خلال بريد الجمعية الإلكتروني [baserah@imamu.edu.sa](mailto:baserah@imamu.edu.sa)، وتقديم الجديد النافع،، وعلى طريق العلم والبحث والفضل نتواصل ونتواصل...

**رئيس هيئة التحرير**  
**أ. د. حمد بن ناصر العمار**

## البحث رقم (١)

الوظيفية الدعوية للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها  
"الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجاً"

إعداد

د. علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي

الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة



## المقدمة

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويصبرون بنور الله تعالى أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم ضال تائه قد هلوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين<sup>(١)</sup> والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وخاتماً للأنبياء والمرسلين، وهادياً ومبشراً ونذيراً في آخر الأزمان إلى يوم الدين، ومبعوثاً بالرسالة العظمى الخالدة الخاتمة للناس أجمعين، الصالحة لكل زمان ومكان، حتى تقوم الساعة، ويحشر الناس لرب العالمين وبعده..

فبظهور النبي ﷺ ورسالة الإسلام أضاء الله جل وعلا في هذه الأرض مصابيح الخير والضيء التي لن تنطفأ حتى تقوم الساعة، فقد تخفت أحياناً وتضعف، وتقوى في أحيان أخرى وتسطع، لكن هذه الأمة المحمدية ورسالتها لا تزول ولا تحول، ثابتة على صراط الله المستقيم الذي أنعم الله به عليهم، من بين كل الديانات السماوية والأمم السابقة؛ فليست والله الحمد أمة مغضوب عليها كـ (اليهود) ولا ضالة كـ (النصرى) فاخترهم الله عز وجل لرسالته الخاتمة، واختار منهم خاتم الأنبياء ﷺ، وفي هذا يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(١) الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة، ابن القيم ٩٢٧/٣.

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾  
 فالترام الأمة المحمدية بالإسلام وثباتها عليه واستمرارها في تجديده والدعوة إليه منحها هذه  
 (الخيرية) وجعلها النموذج الأفضل الذي أراده الله تعالى وأكرمه، كما أنّ هذه الخيرية  
 مرهونة باستمرارها على المنهج الذي رسمه الله لها، فمتى ما تخلت أو انخرقت عن دينها  
 ورسالتها فقدت هذه الخيرية، وتخلفت عن بقية الأمم، فالضمان الوحيد لها في الاستمرار  
 والعزة والبقاء وعدم السقوط والزوال؛ هو ثباتها واستمرارها متمسكة بكتاب الله وسنة  
 رسول الله ﷺ كما قال الفاروق رضي الله عنه فقال: (نحن أمة أعزنا الله بالإسلام، فإن  
 ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) (٢).

وهذه الخيرية والأفضلية دعوى قديمة (٣)، بين الأمم وأصحاب الديانات السماوية؛  
 فاليهود والنصرى قد ادعوا أنهم الأفضل والأكمل بين البشر، وأن غيرهم من الأمم  
 لا شيء كما قال الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ  
 النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) انظر: البداية والنهاية، ابن كثير ٥٥/٤.

(٣) فاليهود مثلاً يعتقدون أنهم الأفضل ويحتجون على المسلمين بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْعُوا  
 نِعْمَتِي الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، وليس في هذه، الآية: تفضيل لهم كما  
 يزعمون، وإنما هو تذكير لهم بفترة سابقة كانوا فيها أفضل العالمين عندما كانوا ملتزمين بمنهج الله  
 ثابتين عليه، لكن لما تنكبوا الصراط السوي، وسرت فيهم العلل، واختل سلوكهم، وحرّفوا الكلم  
 عن مواضعه، وسفكوا الدماء، واتبعوا الشهوات والأهواء حتى عرفوا والعياذ بالله بقتلة الأنبياء،  
 وخونة اليهود، فقلوا تلك الأفضلية ونقلها الله منهم إلى الأمة المحمدية.

قُولُهُمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ<sup>(١)</sup>، بل بالغ بعضه هؤلاء اليهود والنصرى في ذلك حتى ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>، بل تماحوا في المبالغة فادعوا أن الجنة خاصة لهم ومقصورة عليهم دون البقية: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣)</sup>، حتى بلغت بهم الوقاحة منتهاها وطلبوا غيرهم بأن يصبحوا يهودًا أو نصرى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٤)</sup>، فاختار الله الأمة المحمدية واصطفها، وقيض الله لها بعد نبيها ﷺ من الاتباع والدعاة والمصلحين من شرفهم بحمل الأمانة، واختلهم بلا انقطاع في كل زمان لتجديد الدين وإحيائه؛ ويكفيهم ما خصهم الله تعالى به أنهم ورثة الأنبياء؛ الذين يكتب الله الخير على أيديهم، ويظهرون للناس في وقت الحاجة إليهم، إذا تكاثرت الفتن ورق

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ١٨.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٥.



الدين واختلطت المفاهيم وهذا فضل من الله واصطفاء يخص الله به من يشاء وهو خاص بهذه الأمة المحمدية الخاتمة؛ أن أتباعها ودعاتها يقومون مقام الأنبياء<sup>(١)</sup>.

وهؤلاء الدعاة والمصلحون في هذه الأمة المحمدية سلسلة مياكة متواصلة بدأت بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ومستمرة بأمر الله تعالى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والمتأخرون منهم يقتفون سنن وطريقة المتقدمين فلا يغيرون ولا يبدلون، يسيرون على منهج سلفهم هذه الأمة الصالح رضي الله عنهم لأنهم المعين الصافي الذي منه يستقون معالم تجديد الدعوة، والسير بها إلى ما يجهه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال، وهذا الضمان مقرر أن نجات أهل آخر الزمان سيكون وفق ما كان عليه سلفهم الصالح في أول الزمان؛ كما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمته الله: (لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)<sup>(٢)</sup>.

وهذا البذل والجهد والتجديد من المتأخرين حاجة ملحة وضرورية تؤكد بقاء الدين وخلوده وحفظ الله تعالى له وضمان نصرته على مر الأزمان رغم كل ما يتعرض له من هجوم وتشكيك وضعف وحروب ومؤامرات آناء الليل وأطراف النهار، ولذلك كان فضل الله تعالى على هذه الأمة بما أخبر به ﷺ من حديث الأئمة المجددون وظهورهم عن أبي

(١) لأنه في الأمم السابقة كانت بنو إسرائيل تسوسها الأنبياء، كلما مات نبي خلفه نبي آخر، ثم جاءت الأمة المحمدية الخاتمة فجعل الله من خصائصها ومناقبها أن العلماء فيها هم ورثة الأنبياء ويقومون بلورهم فيجدوا لهذه الأمة أمر دينها كلما تراكت عليه البدع والمحدثات كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها"، كما سيأتي تفصيله لاحقا بإذن الله تعالى.

(٢) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٦٢/٢.

هزيمة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (( إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها ))<sup>(١)</sup>، فالحاجة اليوم مائة إلى دراسة سير هؤلاء المجددين من الدعاة والمصلحين من المتقدمين والمتأخرين، ليتيقن الداعية أن هذا السند المتصل المتين لم ينقطع ولن ينقطع، وليقف الداعية على حقيقة دعواتهم وكيف اختلهم الله ووفقههم وسددهم؛ فهم ورثة الأنبياء الذين تحملوا رفع راية البلاغ والإصلاح والتصحيح من بعده ﷺ على هديه ووفق منهجه.

وجاءت هذه الورقات في هذه الدراسة في ذكر المتأخرين من هؤلاء الدعاة والمصلحين المجددين، وخصت الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية وأعلامها كنموذج مهم لهذه الفترة التلخيصية المهمة من عمر الأمة، ليكون عنوان البحث بإذن الله تعالى: "مكانة الدعاة والمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجاً".

ويشتمل هذا البحث المختصر على مقدمة وثلاثة فصول جاءت على النحو التالي:

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، انظر: عون المعبود، العظيم آبادي ٢٣١/١١ وصححه

## المبحث الأول

### في تجديد الدعوة واستمراريتها ودوامها وأنها لا تنقطع

أولاً: في معنى التجديد لغة واصطلاحاً:

**التجديد في اللغة:** مأخوذ من جَدَّد الشيء، إذا صَيَّرَه جديداً، يقال: تجدد الشيء صار جديداً، واستجده أي صيره جديداً، وتجديد الشيء: إرجاعه إلى الحالة الأولى التي كان عليها في استقامته وقوة أمره ويقابل الجديد الرث، والرثاثة: انحلال أجزاء الشيء وإشرافه على الاضمحلال، والتجديد فيه طلبٌ واستدعاءٌ إذ التاء للطلب، فيكون تجديد الشيء يعني طلب جَدِّته بالسعي والتوسل إلى ما يجعله جديداً، والجديد نقيض الخلق والبلى، وضد القديم، ويُقال لليل والنهار: الجديدان؛ لأنهما لا يبيلان أبداً، ومن معاني التجديد في اللغة: التعظيم والإجلال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾<sup>(١)</sup>، أي: عظيمته وجلاله وغناه، ومن معانيه كذلك الوسطية، ويقولون: جادة الطريق؛ أي: سواء الطريق ووسطه<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا ندرک أنَّ التجديد لا يعني بحال الإتيان بجديد منقطع عما كان عليه الأمر أولاً، ولكن يعني: أنَّ الشيء المُجدَّد قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً، وللناس به عهد، وأنَّ هذا الشيء أتت عليه الأيام، فأصابه البلى وصار قديماً حَلَقاً، وأنَّ ذلك الشيء قد أُعيد إلى مثل الحالة الأولى التي كان عليها قبل أن يبلى وَيَخْلُق؛ فالتجديد إذا لا يستلزم

(١) سورة الجن، الآية: ٣.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة جدد ١٠٦/٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة

جدد ١١٤/١، والموسوعة الفقهية الكويتية ١١٥/١٠.

إقامة شيء جديد على أنقاض القديم، ولا يعني رفض القديم كله بحسبان نفود صلاحه، وأنه صار سلباً غير نافع يجب إلغؤه والإتيان بجديد مغاير منقطع عنه أصلاً ووصفاً؛ فحقيقة التجديد: هي إعادة الأمر إلى ما كان عليه أولاً، وهو نوع من الإجلال لذلك الأمر والتعظيم له، على خلاف ما يعتقد كثير من سامعي هذا المصطلح ومُطْلقيه<sup>(١)</sup>.

**والتجديد في الاصطلاح:** تنوعت تعريفات الباحثين فيه ولكنهم متفقون على أنه: إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات، قال في مجالس الأثرار: (والمراد من تجديد الدين للأمة إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاها، وقال فيه: ولا يعلم ذلك المجدد إلا بغلبة الظن ممن عاصره من العلماء بقرائن أحواله والانتفاع بعلمه؛ إذ المجدد للدين لا بد أن يكون عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة ناصراً للسنة، قاطعاً للبدعة وأن يعم علمه أهل زمانه)<sup>(٢)</sup>، وقيل أنّ التجديد هو: (إحياء لما انهدم وتنمية له، وتطوير للوسائل والخبرات الحديثة؛ حتى تخدم ذلك الميراث الحضري الذي يُراد إحيؤه وتجديده، لربط ماضي الأمة بحاضرها؛ حتى تتمكن من مسايرة عصرها دون أن تتخلى عن تراثها الذي تركز عليه في مواجهتها للتحديات الحضرية المعاصرة)<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مفهوم تجديد الدين، محمد سعيد بسطامي ص ١٤، ط/١، دار الدعوة، الكويت:

١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

(٢) سنن أبي داود مع عون المعبود، العظيم آبادي ٣٩١/١١.

(٣) فلسفة التجديد الإسلامي، محمد زرمان ص ٢٢، ط/دار الصحوة، ط ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

ويقول الطاهر بن عاشور رحمته الله في هذا السياق أن: (التجديد الديني يبدأ تحقيقه بإصلاح الدنيا، إما من جهة التفكير الديني الراجع إلى إدراك حقائق الدين كما هي، وإما من جهة العمل الديني الراجع إلى إصلاح الأعمال، وإما من جهة تأييد سلطانه)<sup>(١)</sup>، فليس معنى تجديد الدين إذاً تبديله أو تغييره، وإنما معناه كما قال عباس حسني محمد: (إعادته إلى أصله وتنقيته من الأدران والأباطيل التي قد تعلق به بسبب أهواء البشر على مر العصور و "إعادة الدين إلى أصله" ليس معناه الابتعاد عن عصره الذي يعيش فيه، وإنما معناه الحكم على العصر الحديث طبقاً لشرعية الله تعالى بعد تنقيتها من الأدران والأوهام التي يحاول بعضهم إلحاقها بها)<sup>(٢)</sup>، ومن خلال هذه التعريفات للتجديد نلاحظ أموراً مهمة<sup>(٣)</sup>:

- أن هذا التجديد هو تنقية للدين مما يلحقه على مر السنين من أمور تخالفه وتخالف ما جاء عن الله جل وعلا وعن الرسول صلوات الله عليه وتخالف منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

- أن هذا التجديد فيه تعاطي ومواجهة للمتغيرات والمستحدثات التي تظهر في كل عصر لبيان حكم الله تعالى فيها، وفق كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلوات الله عليه منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم.

(١) تحقیقات وأفكار في القرآن والسنة، محمد الطاهر ابن عاشور ص ١١٢، ط/الشركة التونسية للتوزيع، تونس: ١٤٠٦هـ.

(٢) الفقه الإسلامي، حسني محمد عباس ص ١٧، ط/دار الثقافة، الإسكندرية: ١٩٦٧م.

(٣) التجديد في الفقه الإسلامي، محمد أحمد الطوايبي ص ٩١ - ١١١ بتصرف، ط:

١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

- أن هذا التجديد بمعناه المقبول شرعا لا يعني أبداً التخلص من القديم أو محاولة هدمه بل الاحتفاظ به وتزيميم ما بلى منه وإدخال التحسين عليه.
- أن هذا التجديد ليس هو استخفاف بكل قديم، وفتح الأبواب لكل جديد بدعوى أن الجديد دائما يمثل الرقي والتقدم، والقديم يمثل التخلف والانحطاط، فهذه دعوى مرفوضة.

### ثانيا: في تجديد الدعوة واستمراريتها ودوامها وأنها لا تنقطع:

بدأت الدعوة المحمدية لهذه الأمة المرضية على يد نبينا محمد ﷺ آخر الأنبياء والمرسلين وخاتمهم، وبدأت غريبة ضعيفة منبوذة، حتى أظهرها الله على الدين كله، وما رتكت بيت وبر ولا مدر إلا دخلته، فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فأتم الله به النعمة، وأكمل به الدين، ونشر العدل والخير في أرجاء المعمورة، حتى أعلن في آخر المطاف وعلى الملأ الأشهاد في خطبة حجة الوداع؛ تمام هذا الدين، واكتمال هذه الرسالة، وأنها صالحة لكل زمان ومكان كما في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup> يقول الامام ابن كثير رحمته الله في تفسيره عند هذه الآية: (هذه أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء وبعثه

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.

إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف<sup>(١)</sup>.

وقد طمأن النبي ﷺ أمته جمعاء؛ أن دين الله محفوظ وغالب، وشريعة الإسلام دائمة وخالدة؛ رغم كل مذكره ﷺ من ما ستعرض له هذه الأمة الخاتمة من أحداث ومتغيرات وفتن ورقة في الدين وحصول الغربة والضعف والانكسار، وخاصة في آخر الزمان، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء))<sup>(٢)</sup>، لكنه ﷺ بشر في الوقت نفسه بأن العاقبة للمتقين، وأن هذا الدين يضعف ولكنه لا يزول، وينكسر لكنه لا يفنى، وأن هذه الأمة ثابتة باقية لا تهلك حتى تقوم الساعة، فعن ثوبان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إن الله زوى لي الأرض فأريت مشرقها ومغربها... وفيه، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم علواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال يا محمد: إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، أن لا أسلط عليهم علواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم...))<sup>(٣)</sup>.

وسئلت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة: ما معنى حديث النبي ﷺ: ((سألت ربي عز وجل ثلاث خصال، فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلكنا بما

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢٦/٣.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً، وأنه يآرز بين المسجدين، رقم ١٤٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم

أهلك به الأمم فأعطانيها، فسألت ربي عز وجل أن لا يظهر علينا عدوًا من غيرنا فأعطانيها، فسألت ربي أن لا يلبسنا شيئا فمنعنيها)) فكانت الإجابة: الحديث رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي واللفظ له، ورواه مسلم من حديث ثوبان رضي الله عنه، ومعنى الحديث: أن النبي ﷺ سأل ربه عز وجل ثلاث مسائل لأمته: الأولى: ألا يهلكهم بما أهلك به الأمم من الغرق والريح والرجفة وإلقاء الحجارة من السماء وغير ذلك من أنواع العذاب العظيم العام. والثانية: عدم ظهور عدو عليهم من غيرهم فيستبيح بيضتهم. والثالثة: عدم لبسهم شيئا، واللبس الاختلاط والاختلاف بالأهواء، والشيع: جمع شيعة وهي الفرقة. وقد أخبر النبي ﷺ أن ربه عز وجل تفضل عليه واستجاب له في الأوليين ومنعه الثالثة؛ لحكمة يعلمها تبارك وتعالى<sup>(١)</sup>.

والذي يصيب بعض المسلمين اليوم من قتل وتشريد وضعف وتسلط لا يتعارض مع هذا الحديث لأن المقصود أن جماعة المسلمين بعمومها؛ لا تستباح بالكلية، ولا تهلك بقحط يعمها جميعا، بل وقوع الاستباحة والقحط إن حصل فإنما يكون جرای وفي نواحي، ولا تعم به البلوى فهذه الأمة لا تستأصل شأفتها جملة بل يبقى فيها من يثبتهم الله ويتجدد الأمر على أيديهم كما قال ﷺ: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضربهم من خذلهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))<sup>(٢)</sup>، ولا تعارض بين الأمرين كما ذكر العلماء في الجمع بين حديث حصول الغيبة، وبين حديث وجود الطائفة من

(١) مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية، المجلد الحادي والعشرون، قسم العقيدة فتوى معنى:

"سألت ربي عز وجل ثلاث خصال.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، رقم ١٩٢٠.



الأمة المنصورة الظاهرة على الحق<sup>(١)</sup> ومن خلال فقه تلك النصوص وفهمها ندرک بيقين أنّ هذه الدعوة المحمّديّة الخاتمة متجددة ومستمرة ودائمة لا تنقطع؛ وهذا الاستمرار والديمومة وعدم الانقطاع لا تتحقق إلا من خلال العلماء العاملين والدعاة المصلحين المجددين الذين يُحيون الدين في الأمة، كما بشر بذلك النبي ﷺ .

فالنبي محمد ﷺ هو آخر الأنبياء وخاتمهم كما جاء ذلك صريحاً في قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> ويؤكد هذا المعنى ماجاء في السنة النبوية المطهرة في قوله ﷺ: ((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين))<sup>(٣)</sup>.

(١) كما ذكر الإمام ابن باز رحمه الله فقال: "لا منافاة بينهما: فالأول ظاهر من الواقع. وتماحه: فسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء، وفي رواية لغير مسلم: يحيون ما أمات الناس من سنتي، وفي رواية أخرى: الذين يصلحون ما أفسد الناس، والحديث الثاني يدل على بقاء الإصلاح والدعوة والعلم والتعليم، وفيه بشارة أن هنالك طائفة لا تزال ظاهرة على الحق، فالغوبة لا تنافي الطائفة، ولا يلزم أن تكون بمكان واحد، والحق لا بد من بقائه حتى يحوج الدجال، وحتى تأتي الرياح. ثم إن هذه الغوبة قد ترداد في مصر من الأمصار وتقل في مصر آخر.."، كتاب: فتاوى إسلامية جمع وترتيب: محمد المسند ٤/١٣٦ مجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز ٢٥/١٠٣.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: خاتم النبيين، رقم ٣٥٣٥ ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، رقم ٢٢٨٦.

وفي حديث استخلاف علي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما خرج ﷺ إلى تبوك واستخلفه فقال له علي: (أتخلفني في الصبيان والنساء؟) فقال ﷺ: ((ألا ترضى أن تكون مني بمزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))<sup>(١)</sup> فناسب أن يظهر بعده من أمته من يقوم بلور الدعوة والتبليغ وإقامة الحججة على الناس بداية من الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة<sup>(٢)</sup> ونهاية بمهدي آخر الزمان<sup>(٣)</sup> لتتأكد بهذه السلسلة المتصلة الإسناد

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم ٣٧٠٦ وأخرجه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم ٢٤٠٤.

(٢) وهم: الصديق أبي بكر، والفاروق عمر بن الخطاب، وذي النورين عثمان بن عفان، وأبي السبطين علي بن أبي طالب رضي الله عنهم والخلفاء الراشدون هو مصطلح يشير للخلفاء الأربعة الأوائل الذين تعاقبوا على أمرة المسلمين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بما تُعرف بالخلافة الراشدة، التي دامت ٣٠ عاما وهي الحقبة التاريخية من عمر هذه الأمة، والتي مارأى الترخيص أجل منها ولا أكثر عدلاً ورخاء بعد تحكيم النبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) وسئل الشيخ عبد العزيز بن باز عن المهدي وظهره فقال: "المهدي المنتظر صحيح، وسوف يقع في آخر الزمان قرب خروج الدجال، وقبل نزول عيسى عند اختلاف بين الناس، = فيخرج المهدي ويبيع، ويقوم العدل في الناس سبع سنوات أو تسع سنوات، ويتزل في وقته عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، هذا جاءت به الأحاديث الكثيرة، أما المهدي الذي يدعيه الرافضة فهذا لا أصل له، مهدي الشيعة الرافضة صاحب السرداب هذا لا أصل له عند أهل العلم، بل هو خرافة لا أساس لها ولا صحة لها، أما المهدي المنتظر الذي جاءت به الأحاديث الصحيحة، وهو من بيت النبي ﷺ، من أولاد فاطمة رضي الله عنها، وهو سمي النبي ﷺ محمد وأبوه عبد الله، فهذا حق، وجاءت به الأحاديث الصحيحة، وسيقع في آخر الزمان، ويحصل بسبب

حقيقة الاستمرارية والصلاحية لكل زمان ومكان شرعا وعقلا<sup>(١)</sup> وليتأكد بذلك أيضا أنّ هذه هي الأمة الوسط الشهداء على الأمم جميعا، وأن دينها هو الدين والرسالة السماوية الخاتمة؛ التي لا يقبل الله غيرها كما جاء ذلك صريحا في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

خروجه وبيعته مصالح للمسلمين، من إقامة العدل، ونشر الشريعة، وإزالة الظلم عن الناس، وجاء في الحديث: أنها تملأ الأرض عدلا بعدما ملئت جورا في زمانه وأنه يخرج عند وجود الفتنة بين الناس واختلاف على إثر موت الخليفة القائم، فيبايعه أهل الإيمان والعدل؛ لما يظهر لهم فيه من الخير والاستقامة، وأنه من بيت النبوة انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ رحمه الله.

(١) أما دليل العقل فهو أننا إذا سلّمنا أن رسالة الإسلام رسالة عامة للناس جميعا، وأنها باقية وصالحة لكل زمان ومكان، وأن النصوص محدودة والحادثات لا محدودة؛ فبالضرورة لا مقر لك من إقرار فوضية التجديد آلة محتمة لاستكشاف حكم الله في هذه الحوادث.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

## المبحث الثاني

## مفهوم المتأخرين من الدعاة والمصلحين والمقصود بهم

المقصود بالمتأخرين في البحث هنا؛ كل من جاء بعد القرون المفضلة الثلاثة الأولى من أهل العلم والفضل والدعوة والإصلاح، وقد اصطلح البعض على تسميتهم بـ (المجّددين) والمجددون جمع مجّدد وأصله من الكلمة (جدد) وأصل كلمة التجديد في اللغة من (الجِدَّة) بالكسر ضد البلى، ومعنى التجديد: إعادة الشيء إلى وضعه قبل أن يصيبه البلى أو الخلق، أو إعادته إلى وجهه الصحيح، وهذا المعنى يمكن أن يوصف به تجديد الدين في الاصطلاح كما سبق التفصيل فيه<sup>(١)</sup>.

وللباحثين اعتبارات ومعايير مختلفة؛ في تحديد المقصود بالمتأخرين، والمعيار الذي اخترته هذه الدراسة؛ للتمييز بين المتقدمين والمتأخرين هو اعتبار الزمن وهو رأس سنة ثلاثمائة من الهجرة، فكل من جاء بعدها؛ فإنّه من المتأخرين ليكون المقصود بهم هنا: (كل من جاء بعد المتقدمين من أصحاب القرون المفضلة الثلاثة الأولى، إلى يومنا هذا) ومن خصائص هذا الدين؛ التي مّيزه الله تعالى بها على غيره من الديانات؛ أنه دين صالح لكل زمان ومكان، رغم ما قد يظهر على أهله وأتباعه من ضعف أو انحراف بين الفينة والأخرى، ولكن مع ذلك يبقى، وتبقى طائفة من أتباعه على الحق ظاهرين مادامت السموات والأرضين؛ فإذا انعدموا واختفوا؛ لم يكن للحياة معنى، ولذلك لا

(١) في فقرة معنى التجديد لغة واصطلاحاً، وانظر للزيادة: لسان العرب، لابن منظور، مادة جدد ١٠٦/٣، والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مادة جدد ١١٤/١، والموسوعة الفقهية الكويتية

يجلوا زمان من وجود تلك الطائفة المنصورة الموفقة للحق، الثابتة عليه، ولا يزال أولئك العلماء الربانيين والدعاة المصلحين والأئمة المجددين؛ الذين تخر بهم الأمة عبر العصور وفي سائر الأمصار، ممن أشار لهم الصادق المصطفى عليه السلام في غير ما موضع، ومن ذلك قوله عليه السلام: ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم؛ حتى يأتي أمر الله وهم كذلك))<sup>(١)</sup>.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: قوله لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين، رقم ١٩٢٠.

## المبحث الثالث

## الأئمة المجددون والمقصود بهم وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها))<sup>(١)</sup>، والمقصود بالأئمة المجددين في الحديث أولئك الذين يقومون بواجب الدعوة إلى الله وتجديدها وتأسيس قضاياها وخطواتها؛ تأصيلًا شرعيًا وفق كتاب الله وسنة الرسول ﷺ رغبة منهم في: (إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات...) <sup>(٢)</sup>، والمجدد: (يبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسب أهل البدعة ويذلهم)<sup>(٣)</sup>، والتجديد يحصل على حين فترة وضعف في الأمة، فيسخر الله لها؛ من يجمع أمرها، ويحفظ كلمتها، ويعلي العلم والعمل وبذلك لا ينقطع سندها عن الوحي، والتأصيل والمشروعية، وهؤلاء هم ورثة النبوة<sup>(٤)</sup>.

وقد وقع مصداق ما أخبر به النبي ﷺ ولازال المجددون يظهرون في هذه الأمة

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الملاحم، باب: ما يذكر في قرن المائة، رقم ٤٢٩١، وصححه الألباني في

صحيح أبي داود ٢٣/٣.

(٢) انظر: عون المعبود، العظيم آبادي ٢٣١/١١.

(٣) انظر: فيض القدير، محمد عبد الرؤوف المنلوي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٤م، ٣٥٧/٢.

(٤) قال الإمام ابن حجر عند حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء"، "هم أهل

العلم، ووجود هؤلاء العلماء في عصور عدم الاضطرار إليهم منة من الله تعالى على الأمة لتحسين حالها، ووجودهم في حالة اضطرار الأمة عصمة من الله، ولطف بها، لإنقاذها من التهلكة،

ومساعدة لها على حمل الرسالة الخاتمة"، انظر: فتح الباري ٢٦٠/١٣.

الولود وفي كل مرحلة من مراحلها، كلما دبّ الضعف والفتور فيها مع طول العهد ومرور الأيام لأنه لما كان من طباع البشر أن يضعف تأثير الوحي في قلوبهم بطول الأمد على عهد النبوة، فيفسقوا عن أوامر الله وتشريعاته، وينصرفوا إلى ما يستجد من تشريعات شياطين الإنس والجن، كانت نعمة الله عليهم، وحمایته لهم، بأن يحيي قلوبهم، ويجدد عهدهم بأمر ربه؛ ويبعث فيهم بعد عصر النبوة العلماء المجددون، والأئمة المصلحون، والدعاة الصادقون، لأنهم الورثة الشرعيون للأنبياء والمرسلين، فيقومون بإصلاح ما فسد، وإقامة للحجة، وإبقاء للناس على المحجة؛ إلى أن يقضي الله أمره: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾<sup>(١)</sup> وهؤلاء المجددون، ماضون على مَرِّ الزمن؛ إلى أن يرث الأرض ومن عليها، ولا يشترط أن يكون المجدد واحدا في القرن، بل قد يتعدد المجددون؛ ويكون في القرن الواحد أكثر من مجدّد، وهو يعمّ الأمة جميعها بلون استثناء؛ كما ذهب جمهور أهل العلم إلى ذلك<sup>(٢)</sup>.

وعليه — (يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقية، ومحدث، ومفسر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد، وافتراقهم في أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد، وأن يكونوا في بعض دون

(١) سورة النساء، الآية: ١٦٥.

(٢) انظر في ذلك: بذل المجهود، الشيخ خليل أحمد السهارة نفوري ٢٠٢/١٧، وفيض القدير، المناوي

٣٥٧/٢، وعون المعبود، العظيم آبادي ٢٣٢/١١ وغيرها.

بعض منه<sup>(١)</sup>، وهذا التجديد؛ لا ينقطع أبداً حتى تقوم الساعة<sup>(٢)</sup>، وهو من خصوصيات هذه الأمة المحمدية، ومن نعم الله تعالى عليها، فإنه يُقيض لها في كل فترة من الزمن؛ من أهل العلم والدعوة والجهاد، من يحمل هذه الأمانة، ويبلغ الرسالة، وكما قال الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله؛ في خطبة كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية: (الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل؛ بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصّبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويصّرون بكتاب الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من تائه ضالٍ قد هلوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم؛ ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقلوا ألوية البدعة وأطلقوا عنان الفتنة)<sup>(٣)</sup>.

(١) فتح الباري، ابن حجر ٢٩٥/١٣.

(٢) ومن حسن الظن بالله، ومن عقيدة المسلم المسلم الثابتة أنّ العاقبة للمتقين، وأنّ دين الله محفوظ، وهذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، وتبقى فيها البقية الباقية والطائفة المنصورة، وكلما فترت ودبّ فيها الضعف، أظهر الله فيه ومنها من يعيدها للجادة ويصلح ما اعوج ويجد للناس أمر دينهم، فقد ظنّ البعض أن الإسلام قد انتهى بانتقال النبي صلى الله عليه وسلم للرفيق الأعلى، أو بعد وفاة الصديق رضي الله عنه، أو باستشهاد عمر رضي الله عنه، أو بفتنة مقتل عثمان رضي الله عنه أو بطي صفحة الخلفاء الأربعة الراشدين رضي الله عنهم أو انتهى بانتهاج بالدول المتعاقبة بعد ذلك، وغلبة المستعمر والصليبيين فنقول وبلسان الواثق، أنّ الدين دين الله، وهذا الإسلام باقٍ ومتجدد ومحفوظ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن القيم ٩٢٧/٣.



ولقد مَرَّت الدعوة إلى الله تعالى، وواقع المسلمين، في بعض الفترات بابتلاءات ومحن، خَفَّت فيها صوت الحقِّ، ودخل اليأس في قلوب المؤمنين، وظنَّ البعض أنّ الإسلام قد قُضي عليه، وما يلبث الأمر طويلاً، حتى يقبض الله للأمة ويهبها لها من يعيد لها مجدها؛ وفق علم شرعيّ، ومنهج نبويّ، ينشر السنة، ويجرب الجهل والبدعة، ومن أبرز مواصفات من يُكرمه الله تعالى بذلك؛ ما يلي<sup>(١)</sup>:

- ١- العلم الشرعي القائم على الكتاب والسنة النبوية المطهرة.
  - ٢- العمل الموافق الصواب على هدي وبصيرة باتباع دون ابتلاع.
  - ٣- مراعاة الأولويات في الدعوة فالأصول قبل كل شيء والعقيدة أولاً.
  - ٤- استخدام الوسائل والأساليب الدعوية المشروعة فالغاية لا تبرر الوسيلة.
  - ٥- الصبر على تبعات الدعوة وتكاليفها.
- وبمثل هذه الأصول الخمسة وغيرها يصبح هؤلاء المجددون أئمة يقتضى بهم ويستدل بأفعالهم وتظهر آثارهم في الدعوة والإصلاح، لأنَّ العبرة بظهور الحقِّ والدين، وهم النقلة الموثوقون له، لأنَّ الحقَّ لا يعرف دون وسطاء من الأنبياء أو ورثة الأنبياء، من العلماء المجددين؛ وأعيان الطائفة المنصورة؛ المصترون فيها، والمجددون لأمرها، وهم الذين يجب ممن يجب على الأمة اتباعهم، والأخذ عنهم، (فإنَّ العصرَ إذا كان فيه عرْفٌ بالسنة داع إليها فهو الحجة وهو الإجماع، وهو السواد الأعظم، وهو سبيل المؤمنين التي من فرقها واتبع سواها وواه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً)<sup>(٢)</sup> بشرط أن يكونوا من

(١) انظر: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، د. عبد الله محمد المطوع ص ٢٤ وما بعدها بتصرف.

(٢) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم ٧٠/١.

المعروفين والمشهود لهم لأنّ (العالم إذا لم يشهد له العلماء فهو في الحكم باقٍ على الأصل من عدم العلم، حتى يشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم)<sup>(١)</sup>.

وعلى مقدمة هؤلاء المجددين الثقات من المتأخرين بعد القرون الثلاثة المفضلة هم الإمامين الجليلين الذين طرت بسمعتهم إلكابان<sup>(٢)</sup>، قديما شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني رحمهما الله<sup>(٣)</sup> وحديثنا شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب التميمي رحمهما الله وقبلهما وبينهما وبعدهما خلّقت كثير، فسلسلة المجددين في هذه الأمة لا تنقطع بإذن الله تعالى، وبإخبار من رسول الله صلّى الله عليه وآله.

(١) الاعتصام، الشاطبي ٧٣٨/٢.

(٢) والشيخ العلامة صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء كتاب: بعنوان: ممن مشاهير المجددين في الإسلام "ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب"، والكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بلون بيانات، وعدد الأجزاء: ١.

(٣) هو الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي، المولود سنة ١١١٥هـ نشأ في بيت علم، فوالده من علماء البلاد وقضاتها، وجدته الشيخ سليمان كان مفتي البلاد، حفظ القرآن وطلب العلم قبل العاشرة، وعني بكتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم وكان لهما الأثر الكبير في تكوينه، رحل في طلب العلم، وله مؤلفاته المشهورة، وقد أثرت دعوته الإصلاحية وعم خيرها البلاد الإسلامية في فترة كان العالم أحوج ما يكون إليها، وتوفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ انظر: علماء نجد خلال ستة قرون، الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن البسام ١٠٤/١، ط/١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة: ١٣٩٨هـ، والإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته الشيخ ابن باز وغيرهما.

## الفصل الثاني

### الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية مكانتها وأهميتها عند المتأخرين

#### المبحث الأول

#### الجزيرة العربية خصائصها ومكانتها المتميزة وأهميتها للدعوة

الله سبحانه وتعالى له الحكمة البالغة<sup>(١)</sup>، في المفاضلة والاختيار بين الأزمان والبلدان وسائر المخلوقات، والجزيرة العربية هذه البقعة من الأرض؛ لها مكانتها وخصوصيتها التي لا تخفى، كما أن لها دورها الريادي والقيادي بين سائر البلدان والأماكن، الدور الذي بدأ ببعثة النبي ﷺ وإرساله فيها وحوها، ولن ينتهي هذا الدور وتلك المكانة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، كما أن لها فضائل وخصائص تميزت بها عن غيرها من الأماكن والبلدان، ولها أسماء متعددة وكثيرة، أبرزها ماظهر في النصوص الشرعية ك: (جزيرة العرب، وأرض العرب) وهما اسمان وردت بهما السنة النبوية، كما في قوله ﷺ: ((لأخرجن اليهود والنصرى من جزيرة العرب حتى لا دُع فيها إلا مسلمًا))<sup>(٢)</sup>، وجاء في حديث آخر

(١) يقول الإمام ابن القيم الجوزية: "وإذا تأملت أحوال هذا الخلق رأيت هذا الاختيار والتخصيص فيه دألاً على ربوبيته تعالى ووحدانيته، وكمال حكمته وعلمه وقدرته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو فلا شريك له يخلق كخلقه، ويختار كاختياره ويدبر كتدبيره، فهذا الاختيار والتدبير، والتخصيص المشهود أثره في هذا العالم من أعظم آيات ربوبيته وأكبر شواهد وحدانيته وصفات كماله وصدق رسله"، انظر: زاد المعاد، ابن القيم ٤٢/١.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: إخراج اليهود والنصرى من جزيرة العرب، رقم

عنه عليه السلام: ((لا يبقين دينان في أرض العرب))<sup>(١)</sup>، ومن أسمائها أيضًا: بلاد العرب<sup>(٢)</sup>.

**والمقصود بجزيرة العرب عند علماء اللغة:** جاء في لسان العرب: (الجزيرة: أرض ينجزر عنها المد وجزيرة العرب: ما بين عدن أبين إلى أطوار الشام، وقيل إلى أقصى اليمن في الطول، وأما في العرض فمن جدة وما والاها من شاطئ البحر إلى ريف العراق، وقيل: ما بين حفر أبي موسى<sup>(٣)</sup>، إلى أقصى تهامة في الطول، وأما العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السملوة<sup>(٤)</sup>، وكل هذه المواضع إنما سميت بذلك لأن بحر فارس وبحر الحبش ودجلة والفرات قد أحاط بها... وهي أرض العرب ومعدنها)<sup>(٥)</sup>، وعرف الفيروز آبادي جزيرة العرب بأنها: (ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام، ثم دجلة والفرات، أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولًا، ومن جدة إلى أطراف ريف العراق عرضًا)<sup>(٦)</sup>.

### والمقصود بجزيرة العرب عند علماء البلدان وأهل الاختصاص:

قال ياقوت الحموي رحمته الله: (اختلف في تحديدها، وأحسن ما قيل فيها ما ذكره أبو المنذر هشام بن السائب مستندًا إلى ابن عباس، قال: اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة

(١) أخرجه مالك، كتاب: الجامع، باب: ماجاء في إجماع اليهود من المدينة، رقم ١٦٢١ وصححه

الألباني في صحيح الجامع، رقم ٤٦١.

(٢) معجم البلدان، لياقوت الحموي ١٣٧/٢، وللأصفهاني كتاب باسم (بلاد العرب) من منشورات دار اليمامة.

(٣) والمراد بها حفر الباطن المدينة المعروفة اليوم.

(٤) السملوة: أرض صحراوية تقع غربي العراق، ويبرين: هي الإحساء المعروفة اليوم.

(٥) انظر: لسان العرب، ابن منظور، باب: الرء فصل الجيم مادة جزر ١٣٣/٤.

(٦) انظر: القاموس المحيط، لفيروز آبادي، باب: الرء فصل الجيم، مادة جزر ٤٠٤/١.

أقسام قال: "وإنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة الأنهار والبحار بها من جميع أقطرها وأطرافها فصلوا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر...": قال: فصلت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب في أشعلها وأخبرها: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن<sup>(١)</sup>، وذكر الأصمعي أنها: ( جزيرة العرب أربعة أقسام: اليمن، ونجد، والحجاز، والغور وهي تهامة)<sup>(٢)</sup>، وجاء فتح البلري: (قال الخليل بن أحمد: سميت جزيرة العرب لأن بحر فارس وبحر الحبشة والفرات ودجلة أحاطت بها وهي أرض العرب ومعدنها، وقال الأصمعي: هي ما لم يبلغه ملك فارس من أقصى عدن إلى ريف العراق طولاً ومن جدة وما والاها من الساحل إلى أطراف الشام عرضاً)<sup>(٣)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (جزيرة العرب هي من بحر القلزم (البحر الأحمر) إلى بحر البصرة (الخليج العربي) ومن أقصى حنجر باليمن إلى أوائل الشام، بحيث كانت تدخل اليمن في درهم، ولا تدخل الشام فيها. وفي هذه الأرض كانت العرب حين البعث وقبله، فلما جاء الإسلام وفتحت الأمصار سكنوا - العرب - سائر البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب وإلى سواحل الشام وأرمينية)<sup>(٤)</sup>، وبناء على هذه التعريف اللغوية وتعريف المتخصصين فإن الجزيرة العربية هي البقعة من الأرض والمنطقة الواقعة في قلب العالم ووكرة والتي يحدها شمالاً بلاد الشام والعراق وجنوباً بحر اليمن المعروف ببحر العرب وشرقاً بحر البصرة المعروف بالخليج العربي وغرباً بحر القلزم المسمى بالبحر الأحمر؛ فهي شبه جزيرة تحيط بها المياه من ثلاث جهات، وتقع فيها هذه الأيام

(١) انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي ١٣٧/٢.

(٢) انظر: المرجع السابق ١٣٨/٢.

(٣) انظر: فتح البلري، ابن حجر ١٤١/١٢.

(٤) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية ص ١٦٦.

دول الخليج وبلاد اليمن، فالمكون الأساسي والأكبر والأقرب للتوصيف الحقيقي لها هي دولة: (المملكة العربية السعودية) حرسها الله بمكوناتها المختلفة في الحجاز ونجد وبلاد هجر والشمال والجنوب<sup>(١)</sup>.

وللجزيرة العربية خصائصها الكثيرة والمتنوعة والتميزة ومن أبرزها<sup>(٢)</sup> :

١- أنها اختيار الله سبحانه وتعالى لتكون أرض النبوات ومنطلق الدعوات ومهد الإسلام ومنطلق الرسالة المحمدية الخاتمة وعاصمتها الأولى وقاعدتها التي انطلقت منها إلى أرجاء المعمورة: فاختيار الله تعالى نوعاً من الأصطفاء دون سائر البقاع والبلدان، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (ومن هذا اختياره سبحانه وتعالى من الأماكن والبلاد

(١) وهذا من فضل الله على أهل هذه البلاد "المملكة العربية السعودية"، أعزها الله بالإسلام وحفظها من كل مكروه، وأدامها قاعدة صلبة للدعوة المحمدية والرسالة والسمولية، وأبقاها الله ذخراً للإسلام والمسلمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

(٢) حتى وصل التميز بكثرة ما صنف فيها دون ما صنف عن مقدساتها وبلداتها، ومن المصنفات المنفردة عن هذه الجزيرة العربية على اختلاف مقاصد المؤلفين: جزيرة العرب للأصمعي، يذكره من ترجم له، جزيرة العرب مهد الحضرة الإنسانية، لمحمد معروف الدواليبي، مرآة جزيرة العرب، لأبي أيوب صبري باشا، جغرافية جزيرة العرب، لعمر رضا كحالة، رحلات في شبه جزيرة العرب، لجون لويس بوكهات، جزيرة العرب قبل الإسلام، وهان الدين دلو، تليخ جزيرة العرب القديم وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، عبدالله العثيمين، جزيرة العرب: مصير أرض وأمة، لمحمد ولد داداه، شبه جزيرة العرب، لمحمود شاكر، أرض المعجزات: رحلة في جزيرة العرب، لعائشة عبدالرحمن، جزيرة العرب في العصر الحديث، لصلاح العقاد، الجزيرة العربية: موطن العرب ومهد الإسلام، مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب في القرن العشرين، لحافظ وهبة، مشاهداتي في جزيرة العرب، لأحمد حسين، اكتشاف جزيرة العرب: خمسة قرون من الحضرة والعلم، جاكليين بيرين، ترجمة قلري قلججي.

خيرها وأشرفها وهي البلد الحرام فإنه سبحانه وتعالى اختاره لنبيه ﷺ وجعله مناسك لعباده وأوجب عليهم الإتيان إليه من القرب والبعد من كل فج عميق، فلا يدخلونه إلا متواضعين خاشعين متذللين كاشفي رؤوسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا. وجعله حرمًا آمنًا لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر صيده ولا يختلى خلاه ولا تلتقط لقطته... فلو لم يكن البلد الأمين خير بلاده وأحبها إليه ومختاره من البلاد لما جعل عرساتها مناسك لعباده فرض عليهم قصدها. وجعل ذلك من أكد فروض الإسلام وأقسم به في كتابه العزيز في موضعين<sup>(١)</sup>.

وتاريخ هذه الجزيرة العربية حافل بالرسول والرسالات فهي مهد الرسالات السماوية الأولى، فبعد أن نجي الله تبارك وتعالى نبيه نوحًا ومن معه في السفينة وأغرق الذين كذبوه من قومه بالطوفان، ذل الذين ءامنوا من السفينة يعبدون الله تعالى وحده ويعلمون الأرض، وكثرت ذرية نوح الذين كانوا على دين آبائهم الإسلام، وكانوا يعبدون الله تعالى وحده ولا يشركون به شيئًا، ثم بعد أن طال الزمن عاد الفساد والجهل وانتشر، ورجع بعض الناس إلى الإشراف بالله وعبادة غيره، فبعث الله على أرض هذه الجزيرة العربية نبي الله هود عليه السلام وكانت رسالته: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُوْدُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فظهر في الأحقاف في صحرائها الجنوبية هود ﷺ: ﴿وَإِذْ كُنَّا أَهْلًا عَادِ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ التَّنْذِرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وفي شمالها في ديار الحجر كانت نبي الله صالح

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم ٤٦/١.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٢١.

ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد جعل الله تعالى عدداً من الأنبياء يأتون إلى جزيرة العرب، ويوروثها وتهفوا قلوبهم إليها كما أشار النبي ﷺ لذلك لما كان حاجاً مر بثنية من الثنايا قال: (ما هذه الثنية)؟ قالوا: هذه ثنية كذاو كذا فقال ﷺ: ((كأني أنظر إلى موسى على جبل أحمر خطامه ليف له جوار في التلبية) ثم مضى فمر ﷺ في موضع آخر فسأل عنه، فأخبر، فقال ﷺ: (كأني أرى أخي يونس له جوار في التلبية))<sup>(٢)</sup>.

ثم بدأت معالم هذا اللور القيادي والريادي للجزيرة العربية تظهر بظهور إبراهيم الخليل عليه السلام الذي جاءه أمر الله تعالى له بالتوجه إليها، وإلى واد غير ذي زرع، وإسكان بعض ذريته بها، لتكون مكة أم القرى بعد ذلك مأرز الإسلام ومهد الرسالة الخاتمة الباقية إلى قيام الساعة: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، ليكون ذلك المكان الطاهر المقدس كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> ف— ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهُدًى وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٠.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم ١٦٦.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٩٦.



الأرضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>(١)</sup> وترعرعت في هذا الوادي المبرك رسالة نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿وَأذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا<sup>(٢)</sup>﴾ وحقق الله تعالى دعوة خليله إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام إذ قالوا: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(٣)</sup>﴾، فخلد الله النبوة في هذه الجزيرة العربية بالنبي الخاتم محمد ﷺ المبعوث من ولد إسماعيل عليه السلام، لتكون أرضها بداية الخير ونهايته للعالمين.

٢- أنها تضم أعظم البقاع وتحتضن أشرف الأماكن في الأرض (الحرمين الشريفين) مكة والمدينة، كما أن فيها البقاع المشرفة عند جميع المسلمين بل عند جميع الديانات السماوية الصحيحة السابقة المرتبطة بمناسك شعيرة الحج: ففي هذه البقاع الطاهرة المقدسة ولد خير البشر، وعاش وبعث، وهاجر وتنقل بين بلدانها: يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: (وليس على وجه الأرض بقعة يجب على كل قادر السعي إليها والطواف بالبيت الذي فيها، وليس على وجه الأرض موضع يشرع تقبيله واستلامه وتحط الخطايا والأوزار فيه غير الحجر الأسود وإلاكن اليماني، وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الأمين فجذبه

(١) سورة المائدة، الآية: ٩٧.

(٢) سورة مريم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.

للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد)<sup>(١)</sup>، فلقد اختار الله جريرة العرب وجعلها قبلة المسلمين، يتوجهون إليها في اليوم واللييلة خمس مرات: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾<sup>(٢)</sup>.

ووجه ﷺ المسلمين بالإتيان إليها، وقصدها أولاً بأول، والتردد عليها حتى يبقى القلب متعلقاً به، والجسد حاضراً فيها وقبل ذلك وبعده الوجهة إليها أياً كان موقع المسلم كما قال ﷺ: ((تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما تنفي النار خبث الحديد والذهب والفضة))<sup>(٣)</sup>، وحفظ الله هذه الجريرة العربية وحماها من الفتن، فقال ﷺ: (ما من بلد إلا ويسكنه الدجال إلا مكة والمدينة... يجعل الله تعالى على كل نقب من أنقابها جنداً من الملائكة في أيديهم السيوف ملتبهة يجرسونها) وأهلك الله كل من أردتها وأراد أهلها بسوء كما حصل لأبرهة وجنوده لما أرادوا تدنيسها وهدم الكعبة فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ. أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضَلِيلٍ. وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ. تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ. فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾<sup>(٤)</sup>،

(١) انظر: زاد المعاد، ابن القيم ٤٦/١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: الحج، باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة، رقم ٨١٠ وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٤٢٦/١. وأخرجه النسائي، كتاب: مناسك الحج، باب: فضل

المتابعة بين الحج والعمرة، رقم ٢٦٣١ وصححه الألباني في صحيح النسائي ٢٤٠/٢.

(٤) سورة الفيل كاملة.

وكذلك فعل الله تعالى قبلها وبين ليلة وضحاها بعاد قوم نبي الله هود عليه السلام، لما عتوا وتجبروا وأرادوا في هذه البلاد الفساد: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ. إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ. الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(٢)</sup>، أقسم الله تعالى في هذه الآيات الثلاثة من سورة التين بالمواضع الثلاثة المشرفة التي احتضنت أكبر الرسالات السماوية، ففي الآية الأولى: (التين والزيتون) إشارة بلاد الشام وفلسطين حيث رسالة نبي الله كلمته عيسى عليه الصلاة والسلام، وفي الآية الثانية: (طور سينين) إشارة للجبل المذكور في أرض سيناء الذي كلم الله عنده نبيه وكليمه موسى عليه السلام، وفي الآية الثالثة: (وهذا البلد الأمين) إشارة إلى أم القرى مكة بيت الله الحرام وقبلة المسلمين؛ التي بعث منها وفيها سيد ولد آدم خاتم الأنبياء المرسلين محمد ﷺ رحمة الله للعالمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (فإن إشرافه من ساعير هو ظهور نوره بالمسيح كما أن مجيئه من طور سيناء هو ظهور نوره بموسى واستعلانه من جبال فلان هو ظهور نوره بمحمد ﷺ وبهذه الأماكن الثلاثة أقسم الله في القرآن بقوله: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ. وَطُورِ سِينِينَ. وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾<sup>(٣)</sup> فبلد التين والزيتون هي الأراضي المقدسة التي بعث الله تعالى منها المسيح وكان بها أنبياء بني إسرائيل، وأسري بمحمد ﷺ إليها، وظهرت بها نبوته، وطور سينين المكان الذي كلم الله فيه موسى بن عمران وهذا البلد الأمين هو بلد

(١) سورة الفجر، الآيات: ٦-٨.

(٢) سورة التين، الآيات: ١-٣.

(٣) سورة التين، الآيات: ١-٣.

مكة التي بعث الله منه محمدا ﷺ وأزل عليه القرآن<sup>(١)</sup>.

ويقول القاضي عياض رحمه الله تعالى **وَكُذِّبَتْ** ومبينا عظمة هذه البقاع وشرفها وزيتها وذاكرا طرفا يسيرا من ما أكرمها الله وخصها به: (وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسييح، واشتملت تربتها على سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر، مدارس آيات ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة وأين فاض عباؤها ومواطن مهبط الرسالة، وأول أرض مس جلد المصطفى ترابها، أن تعظم عرصاتها وتنسم نفحاتها)<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - أنها في شريعة الإسلام بلد وأرض خاصة بالإسلام وأهله قاصرة عليهم

لا يجتمع فيها دينان، ولا يستقر فيها الكفار منها بدأ الإيمان وإليها يَأرُزُ: فالجزيرة العربية هي مأرز الإيمان ومأوى المؤمنين كما قال رحمه الله: ((إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يَأرُزُ إلى ما بين المسجدين كما تَأرُزُ الحية إلى جحرها))<sup>(٣)</sup>، وقال رحمه الله: ((إن الإيمان ليَأرُزُ إلى المدينة كما تَأرُزُ الحية إلى جحرها))<sup>(٤)</sup>.

يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى: (هذه الجزيرة حرم الإسلام فهي معلمه

(١) انظر: الجواب الصحيح، شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٣٣/٣.

(٢) انظر: الشفا بتعريف المصطفى، القاضي عياض ٦٢٢/٢.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يَأرُزُ بين المسجدين، رقم ١٤٦.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل المدينة، باب: الإيمان يَأرُزُ إلى المدينة، رقم ١٧٧٧.

الأول ودله الأولى، قصة الديار الإسلامية وعاصمتها، وقاعدة لها على مر العصور وكر الدهور، منها تفيض أنوار النبوة الماحية لظلمات الجاهلية، ولذلك جاءت المنح المحمدية في صحيح السنة بما لهذه الجزيرة من خصائص وأحكام لتبقى هذه المنطقة قاعدة الإسلام دائماً كما كانت قاعدته أولاً، ومعقل الإيمان آخرًا كما كانت سابقاً<sup>(١)</sup>.

فهذه الجزيرة خالصة وصافية للمؤمنين ولذلك قال ﷺ صراحة: ((لأخرجن اليهود والنصرى من جزيرة العرب حتى لا أَدْع فيها إلا مسلماً))<sup>(٢)</sup>، ونهى ﷺ عن بقاء دينان في جزيرة العرب وأمر في آخر حياته بإخراج اليهود والنصرى منها<sup>(٣)</sup>، كما أنه ﷺ بَسَّر بأن هذه الجزيرة لا تخلو من التوحيد أبداً ولا تجتمع على الشرك معاذ الله فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إن الشيطان أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم))<sup>(٤)</sup>، وهذا حق والله الحمد والمنة منقرر بالنظر في التاريخ، وهو مشاهد إلى يوم الناس هذا، فلم تقع الجزيرة العربية في شرك جماعي يطبق عليها.

يقول الإمام ابن رجب رحمته الله في شرح هذا الحديث: (المراد أن الشيطان يئس أن

(١) انظر: خصائص جزيرة العرب، د. بكر أبو زيد ص ٢٩.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: إخراج اليهود والنصرى من جزيرة العرب، رقم ١٧٦٧.

(٣) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم في مرض موته أن تخرج اليهود والنصرى من جزيرة العرب فأخرجهم عمر رضي الله عنه من المدينة وخيبر وينبع واليمامة ومخالف هذه البلد ولم يخرجهم من الشام بل لما فتح الشام أقر اليهود والنصرى بالأردن وفلسطين وغيرها كما أقرهم بدمشق وغيرها"، انظر: كتابه مجموع الفتاوى ٢٨/٦٣١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينا، رقم ٢٨١٢.

تجتمع الأمة كلها في الجزيرة - على الشرك الأكبر<sup>(١)</sup>، وبذلك يتأكد أنّ الجزيرة العربية كانت ولا تزال وستبقى بإذن<sup>(٢)</sup>.

٣ - أنّ الله مَيَّزَهَا بأن اختار الله لها ولأهلها لغة القرآن الكريم أعظم كتبه وأشرفها وخاتمها اللغة العربية وخص أهلها من العرب بالفضل والمزية<sup>(٣)</sup>: كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ. بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾<sup>(٥)</sup>.

فالجزيرة العربية وأهلها من العرب ولغتهم العربية الفصحى جاء بها خطاب رب

(١) انظر: شرح صحيح البخاري، ابن رجب ٢/٢٤٢.

(٢) يقول الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى أيضًا: "ومن خصائص هذه الجزيرة الملائكة أن الإسلام حين يضطهد في دياره خالجه، فإنه ينحاز إلى هذه الجزيرة ويأوي إليها فيجد كرم الوفادة بعد الغربة وطول المحنة"، انظر: كتابه خصائص جزيرة العرب ص ٣٧.

(٣) قال ابن تيمية رحمه الله: "فإن الذي عليه أهل السنة والجماعة: اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم. وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وإن كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل، وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أفضل نفسا ونسبا وإلا لزم الدور"، انظر: كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ١/١٤٨ ولابن القيم رحمه الله فصل في الدليل على فضل العرب، وللمقدسي مسبوكة الذهب في فضل العرب، وللهيتمي مبلغ الأرب في فخر العرب، اختصره الهيتمي من كتاب: حافظ، لحافظ العراقي.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢.

(٥) سورة الشعراء، الآيات: ١٩٣-١٩٥.

العالمين إلى جميع المكلفين كما قال تعالى: ﴿وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>، يقول القرطبي عند هذه الآية: ( يعني القرآن شرف لك ولقومك من قريش إذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم ونظيره: (لقد أزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) أي شرفكم فالقرآن نزل بلسان قريش وإياهم خاطب فاحتاج أهل اللغات كلها إلى لسانهم كل من آمن صاروا عيالاً عليهم لأن أهل كل لغة احتاجوا إلى أن يأخذوه من لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الأمر والنهي وجميع ما فيه من الأنبياء فشرفوا بذلك على سائر أهل اللغات ولذلك سمي عربياً)<sup>(٢)</sup>. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: (إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة) الحديث، وقال الترمذي: (هذا حديث صحيح، وهذا يقتضي أن إسماعيل وذريته صفوة ولد إبراهيم، فيقتضي أنهم أفضل من ولد إسحاق، ومعلوم أن ولد إسحاق الذين هم بنو إسرائيل أفضل العجم، لما فيهم من النبوة والكتاب، فمتى ثبت الفضل على هؤلاء فعلى غيرهم بطريق الأولى)<sup>(٣)</sup>، ومن هنا كان هذا التشريف للعرب والعربية، هو تكليف لأهل الجزيرة؛ منطلق الدعوة ومآرز الإيمان؛ أن يقوموا بواجب تبليغ رسالة الإسلام، فقد آتاهم الله ما لم يؤت أحدًا من العالمين، وفضلهم على كثير من المخلوقين: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) انظر: تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩٣/١٦.

(٣) انظر: اقتضاء الصراط المستقيم، شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥٢/١.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٩.

## المبحث الثاني: الدعوة الإصلاحية والمقصود بها وأهميتها عند المتأخرين:

ومن الأمور المقررة عند أهل العلم؛ أنّ لهذه الجريوة العربية من العلم والعلماء والتجديد والمجددين أوفر نصيب عبر الزمان؛ ولقد كان كثير من أهل العلم يجولون بمكة أو بالمدينة، وقل أن تجد عالماً إلا دخل أرضها، وزارها وأقام فيها، ولعل ختام المسك في ذلك هي: (الدعوة الإصلاحية) دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله؛ التي أنعم الله بها على هذه الجريوة، وجَدَّ لها بها دينها.

والمقصود بالدعوة الإصلاحية كما عرفها بعض المتخصصين هي: (تلك الجهود الكبيرة، والأعمال الجليلة؛ التي قام بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله؛ لتصحح الأوضاع الدينيّة الفاسدة، والأحوال الاجتماعية المنحرفة؛ التي كانت سائدة في الجريوة العربية بعامة، وفي وسطها؛ بخاصة إبان القرن الثاني عشر الهجري<sup>(١)</sup>)، وسبب اختيلها دون غيرها علاقتها المباشرة بـأرضنا ووطننا ومنهجنا وكونها نموذج واقعي معاصر والله الحمد يظهر مكانة المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها، من خلال عدد من العلماء والأئمة الذين راعوا في منهجهم السير على نحو ما بدأ به الإمام المجدد؛ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، وسانده في ذلك الإمام محمد بن سعود رحمته الله، وبيان ما كان لتلك الدعوة الإصلاحية؛ من قصب السبق في الدعوة إلى تعالى والتأثير في الجريوة العربية خصوصاً، وعلى العالم الإسلامي عموماً حيث قامت هذه الدعوة المياكة؛ على تجريد التوحيد وحمائته، ونبد الشرك ومحلّته، ونشر الخير والفضيلة، والتي تعاضد الإمامان عليها

(١) انظر: الدعوة الإصلاحية وأعلامها، د. عبدالله محمد المطوع ص ١٠.



وتناصرنا من أجلها؛ فالحق لا بد له من قوة تنصره مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(١)</sup>، واستمرت تلك الدعوة الإصلاحية المياكة وإلى يومنا هذا تسير على هدى وبصيرة، وفقه رشيد، وقيامها على الأصول الشرعية المعتمدة، مع ما خصَّ الله تعالى به علمائها ودعائها من توفيق وتسديد؛ حيث راعوا الفقه والبصيرة في كل مراحل دعوتهم وخطواتها، رغم تفاوت العادات واختلاف الناس في البيئات التي انتشرت فيها الدعوة وفي البقعة الواسعة من الجزيرة العربية - حفظها الله وحرسها من كل مكروه -.

وكانت هذه الدعوة الإصلاحية سبب في إنشاء هذه الدولة الشرعية التي بدأت أول ما بدأت بالدعوة إلى التوحيد وقامت على الكتاب والسنة (ولتبطت بالدين والدعوة لرتباطاً وثيقاً، وظل هذا الارتباط قائماً في كل عهودها، وقد وحدها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود رحمته الله في ظل هذا الرباط الوثيق بين الدولة والدين والدعوة، وتابع خلفوه من بعده الحفاظ على هذه الخصوصية، التي تنفرد بها المملكة بين بلاد العالم الإسلامي كله)<sup>(٢)</sup>، فكان لخصوصية هذه النشأة والارتباط بالدعوة، من أول يوم؛ الفضل في قيام هذا الدولة وانتفاع الإسلام والمسلمين بها، وبمنهجها الشرعي الأصيل؛ القائم على

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٢) انظر: مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن الثركي ص ٧٧، ط/١، وكر البحوث والدراسات بوزارة الشؤون الإسلامية، الرياض:

الكتاب والسنة؛ فلقد نصّ نظام الحكم في مادته الأولى: (المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ) وفي مادته السابعة: (يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة)، وجاء في المادة الثالثة والعشرون من الباب الخامس [الحقوق والواجبات]: (تحمي الدولة عقيدة الإسلام، وتطبق شريعته، وتأمّر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتقوم بواجب الدعوة إلى الله<sup>(١)</sup>).

ولقد قامت هذه البلاد المياكة (المملكة العربية السعودية) كثرة مياكة من ثمار هذه الدعوة الإصلاحية وامتدادها لها، وتعبّرت الأحوال في الجزيرة، فظهرت دولة التوحيد، وقبله المسلمين، وراعية الحرمين الشريفين، والتي لها في قلوب المسلمين المكانة الخاصة (ولا يوجد بلد في العالم عليه من المسؤوليات والاحترام والتقدير والمحبة لدى الشعوب المؤمنة مالهذا البلد؛ لما توفر فيه من خصائص ومميزات وما استقام فيه من عدل واطمئنان بفضل التطبيق الشامل لأحكام الشرع والامتثال لأوامر الله واجتناب نواهيه، وإذا كان الأمر كذلك؛ فهل يستغرب أن يكون الإسلام هو المصدر الوحيد الذي تستمد منه هذه الدولة شرعيتها ومصدر قوتها وتماسك شعبها ومبعث الخير العميم الذي يتفجر في أنحاء أرضها<sup>(٢)</sup>).

(١) انظر: النظام السياسي والدستوري للمملكة العربية السعودية، د. أحمد بن عبد الله بن باز، ط/٢،

مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٩هـ.

(٢) الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، د. صالح بن غانم السدلان ص ٥٩، ط/١،

ولعل من أهم أسباب نجاح هذه الدعوة الإصلاحية؛ هو حرصها على وجود من يؤيدها، ويقف معها ويحميها وينصرها بالقوة والسلطان، وهذا الأمر يستند على سيرة النبي ﷺ وهدية؛ لما كان يعرض نفسه على القبائل ويطلب منهم النصر للدعوة، ويقول لهم: ألا من رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي، وهذا هو منهج الأنبياء قبله فلقد قال الله تعالى على لسان نبي الله لوط عليه الصلاة والسلام:

﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>.

يقول الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمته الله<sup>(٢)</sup> إن بعض الدعاة لم يُقدّر الله لدعواتهم النجاح لأسباب كثيرة منها: عدم تيسير الناصر المساعد لهم، ويوضح رحمته الله تعالى؛ أهمية ارتباط الدعوة والداعية؛ بولاية تنصره، وقوة تسنده وتحميه فيقول: (معلوم أن

(١) سورة هود، الآية: ٨٠.

(٢) هو العالم الزاهد، والفقير الداعية فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن آل باز، ولد في الرياض سنة ١٣٣٠هـ وطلب العلم على كبار علماء زمانه مثل: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية، الذي لازمه في حله وترحاله، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان وغيرهم، تولى التدريس والقضاء، وله جهوده الكبيرة والكثيرة في العلم والدعوة والفتوى، وتقلد مناصب عديدة كرئاسة الإفتاء، وهيئة كبار العلماء، ورئاسة المجلس التأسيسي للرابطة، ورئاسة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتوفي الخميس ٢٧/١/١٤٢٠هـ، وللتفصيل في سيرته انظر: ابن باز بين القرطاس والقلم، نجيب بن محمد الخطيب، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، وعلامة الأمة ابن باز: دراسة في المنهج والعمل، سليمان بن عبدالله الطريم، دار الصميعي، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م وانظر انظر: موقعه على شبكة

الداعي إلى الله عز وجل؛ إذ لم يكن لديه قوة تنصر الحق وتنفضه، فسرعان ماتخو دعوته وتنطفي شهرته، ثم يقل أنصره، ومعلوم ما للسلاح والقوة من الأثر العظيم في نشر الدعوة، وقمع المعترضين ونصر الحق<sup>(١)</sup> ونختم هذا السياق بكلام لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وكذا ذلك بقوله: (الدين الحق لا بد فيه من الكتاب الهادي، والسيف الناصر، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>(٢)</sup> ..<sup>(٣)</sup> . وفي النهاية؛ فإن هذه الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية وأئمتها المجددين، وعلى رأسهم الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله؛ تأتي وبلا منزع على رأس دعوات الإصلاح؛ التي جاءت على منهج مرضي، وقامت بأثر عالمي، ولذلك كثر خصومها، وقد سلمها الله، وجعلها ذخرا للإسلام والمسلمين.

وظهور هذه الدعوة الإصلاحية على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب التيمي رحمته الله تعالى في القرن الثاني عشر الهجري في الجزيرة العربية؛ يبين لنا أنه على طول فترة التلخي، وكلما فترت الأمة ودب فيها الضعف والاضمحلال، قيض الله لهذه الأمة من علمائها ودعاتها المصلحين، منارات هدى شامخة؛ يجردون للأمة أمر دينها، ويعفونها من جديد قوية صلبة؛ بعد طول فترة وضعف، والاقصصار على الدعوة

(١) انظر: الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته، الشيخ ابن باز ص ٤٢.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) انظر: منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية ١/٥٣١.

الإصلاحية على يد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ليس لقلة الإصلاح والمصلحون، بل هم كثيرون على مرّ العصور، وفي مختلف الأنحاء، منهم من عُرف وداع صيته، واشتهر أتباعه، ومنهم من قاموا بواجبهم ونفع الله بهم، ولكن لم يقدر الله لهم ظهورا وشيوعا، ولكن حقهم عند الله تعالى محفوظ، وإن لم يكن التاريخ عرفهم؛ فإن الله أعلم بهم وكفاهم ذلك.

## الفصل الثالث

### معالم من جهود الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية في تجديد الدعوة ونشرها

توطئة:

جاءت سيرة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله، ودعوته الإصلاحية كصفحة مشرقة للدعوة والداعية المسدد، ولذلك كتب الله له القبول ونفع الله بدعوته أرجاء العالم الإسلامي على طوله، والدعوة النافعة هي التي تقوم على منهج رشيد وفقه سديد، يقوم على الكتاب والسنة، ومتابعة سلف هذه الأمة الصالح من الخلفاء الراشدين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ودعوة الشيخ وكتبه ورسائله وجهوده؛ مليئة بما يدل على ذلك، بالإضافة إلى أنّ الشيخ هو أحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية، ومن أكثر العلماء تأثراً بمنهجه ودعوته؛ فهو يسير على خطاه مراعيًا مثل هذه البصيرة في الدعوة إلى الله التي يرى رحمته الله أنّ اتصاف الدعاة إلى الله بالبصيرة في دعوتهم فريضة شرعية، حيث يقول رحمته الله: (المسألة الثالثة: أن البصيرة من الفرائض)<sup>(١)</sup> وستظهر لنا واضحة في معالم التجديد والتسديد.

والمعالم جمع معلم، والمعلم كما قال ابن الأثير رحمته الله هي: (ما جعل علامة للطرق والحدود، مثل أعلام الحرم والمعالم المضروبه عليه، وقيل المعلم الأثر)<sup>(٢)</sup>، وقال صاحب مختار

(١) ويبيّن حفيده الشيخ سليمان قصده بكون البصيرة من الفرائض فيقول: "وجه ذلك أن أتباعه صلى الله عليه وسلم واجب، وليس أتباعه حقًا إلا أهل البصيرة، فمن لم يكن منهم فليس من أتباعه، فيتعين أن البصيرة من الفرائض"، تيسير العزيز الحميد شرح كتاب: التوحيد، الشيخ سليمان بن عبد الله ص ١٢٣، ط/٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ٢٩٢/٣.

الصالح، أنّ المعلم هو: (الأثر يستدل به على الطريق)<sup>(١)</sup>.

والمقصود بالمعالم هنا في هذا الفصل، هو تلك الطرق والعلامات البارزة لهذه الدعوة الإصلاحية المياكة والتي التزم بها مؤسسها وأنشأها عليها، وانطلق بدعوته من خلالها ومراعيها لها، وفق الحدود والضوابط والمنطلقات الشرعية، التي تساعده في نجاح دعوته، مراعيًا ظروف الزمان والمكان والبيئة، واختلاف أحوال المدعوين وما ينفعهم؛ لأنّ (الداعية إلى الله يُخاطب جميع أصناف الناس، فيجب عليه أن يُحدّث كل طائفة من الناس بما هم في حاجة إليه وما ينفعهم)<sup>(٢)</sup>.

أولاً: الدعوة للتوحيد والعناية به قبل كل شيء:

فالتوحيد هو المعلم الأول والأهم؛ الذي يجب تقديمه والعناية به كما فعل الأنبياء عليهم السلام، فكانت الدعوة للتوحيد؛ أول ما بدأوا به دعوة أقوامهم؛ لذلك جاءت عناية الدعوة الإصلاحية دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب بالتوحيد، وتقديم العناية به قبل كل شيء اتباعاً واقتداءً بدعوات الأنبياء والمرسلين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ

(١) مختار الصحاح، أبو بكر الرزي ص ٤٥٢.

(٢) كما يقول أ. د. فضل إلهي بأن: "الداعية إلى الله يُخاطب جميع أصناف الناس، فيجب عليه أن يُحدّث كل طائفة من الناس بما هم في حاجة إليه وما ينفعهم"، انظر: كتابه من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين ص ٦٠، ط/١، مكتبة المعرف، الرياض: ١٤١٧هـ.

حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿١﴾، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢)، يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ: (فكل الرسل الذين من قبل محمد ﷺ مع كتبهم زبدة رسالتهم وأصلها: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة) (٣).

فالعقيدة أولاً وقبل كل شيء، وتقديم التوحيد هو الأصل المقرر الذي اتفقت عليه جميع الرسل، وبدلوا به قبل غيره يقول الدكتور زيد بن عبد الكريم الزيد: (فالدعوة إلى التوحيد هي الخطوة الأولى التي لا يصح تجلوزها إلى غيرها) (٤)، فتقديم التوحيد على غيره؛ هو الأصل المقرر، ونقطة البداية التي اتفقت عليها جميع الرسالات السماوية، وتوحدت عليها كلمة جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام (٥).

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبد الرحمن السعدي، تحقيق:

أ. د. عبدالرحمن بن معلا اللويحق ص ٥٢١.

(٤) انظر: أولويات الدعوة في منهج الأنبياء، د. زيد الزيد ص ٢٦.

(٥) ولذلك قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: "التوحيد هو مفتاح دعوة الرسل، وهو أول ما يدخل

به المرء في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، فهو أول واجب وآخر واجب"، انظر: مدراج

السالكين، ابن القيم ٣/٤٤٣.



يقول الشيخ صالح الفوزان: (من منهج الدعوة إلى الله أن يبدأ بالأهم فالأهم كما هي دعوة الرسل عليهم السلام، فالرسل أول ما يبدؤون بإصلاح العقيدة؛ لأنها هي الأساس فإذا صحت العقيدة اتجهوا إلى إصلاح بقية الأمور؛ فاتجهوا إلى إصلاح المعاملات وإلى إصلاح الأخلاق والسلوك، أما قبل إصلاح العقيدة فلا يمكن أن تكون الدعوة ناجحة؛ لأنها لم تبين على أساس صحيح وكل شيء بني على غير أساس فإنه ينهار ولذلك اتجهت دعوات الرسل عليهم السلام أول ما اتجهت إلى إصلاح العقيدة)<sup>(١)</sup>.

فالدعوة إلى التوحيد؛ هي الثابت المحكم الذي لا يتغير في دعوة النبي ﷺ وأتباعه؛ ولذلك جاءت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله؛ اقتداء بدعوة النبي ﷺ معتنية بـ (التوحيد ومحاربة الشرك) وكان ذلك هو شغله الشاغل، الذي صرف فيه الأوقات، وواجه فيه القريب والبعيد، وألف فيه كتبه ورسائله، وقام بحملاته الدعوية والعملية، ولحقه من جراء الثبات عليه؛ المصادمة والخصومات.

وظهر الإمام المجدد رحمته الله؛ بدعوته للتوحيد في وقت كان أهل نجد خصوصاً والعالم الإسلامي من حولهم يعيش في فترة من الكود والضعف وانتشار البدع والخرافات والشوكيات؛ التي عمت؛ حيث برزت مظاهر الشرك، والتعلق بالقبور، واللجوء إلى غير الله، ففي بلدته العيينة وما حولها؛ كانت القباب والمشاهد وقبور الصحابة والأولياء، والتبرك بالأشجار والأحجار، وفي وسط هذا الظروف والأوضاع المظلمة، والجهل المدقع؛ ظهر هذا المجدد؛ وجعل مهمته الأولى والمقدمة هي الدعوة وبوضوح؛ إلى توحيد الله تعالى وتحقيق الشهادتين، ومحاربة الشرك، مع معرفته المسبقة إلى ما سيلقاه من المعارضة والأذى

(١) من محاضراته: "صفات الداعية الناجح"، انظر: كتابه: محاضرات في العقيدة والدعوة لصالح

والتصلب؛ ولكنه أدرك وللوهلة الأولى، ورغم كل ما كان يتوقعه من مواجهة وصعاب، أن الدعوة للتوحيد لا مسلومة فيها وليست قابلة للتأخير، وسيبادر بإعلانها حتى لو حصل ما حصل<sup>(١)</sup>، ولذلك (كانت جريمة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمته الله هي أنه جهر بدعوة التوحيد، وأكد على الناس اجتناب الشرك وأنجاسه، ودم الأوثان من دون الله، ونهى عن الحلف بغير الله والنذر لغيره، وعبادة القبور بكل تصريح ووضوح؛ فإن كان هذا ذنباً؛ فيجب على كل مسلم أن يرتكبه بكل إخلاص)<sup>(٢)</sup>.

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمته الله: (رَفَعَ محمد بن عبد الوهاب شعار التوحيد، وحق له أن يفعل! فقد وجد نفسه في بيئة تعبد القبور، وتطلب من موتاه ما لا يطلب إلا من الله سبحانه... وقد رأيت بعيني من يقبلون الأعتاب، ويتمسحون بالأبواب، ويجأرون بدعاء فلان أو فلان، كي يفعل كذا وكذا؛ ما هذا الزيف؟ ما الذي أنسى هؤلاء ربه؟ وصرفهم عن النطق باسمه والتعلق به؟ وماذا يروجو العبيد من عبد مثلهم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً؟ إنه لو كان حياً ما ملك لهم شيئاً، فكيف وهو ميت؟)<sup>(٣)</sup>.

وعليه؛ فلقد كان هذا المعلم وهو؛ مسألة التوحيد واضحة وجلية في دعوة الشيخ الإمام المجدد رحمته الله؛ الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية، بل هو الأصل الأول الذي تقوم عليه

(١) ولقد بين حفيده، شرح كتاب: التوحيد الشيخ سليمان بن عبد الله سبب ذلك بقوله: "لأن معرفة معنى هذه الشهادة هو أول واجب على العباد، فكان أول ما يبدأ به في الدعوة"، انظر: كتابه: تيسير العزيز الحميد ص ١٢٣.

(٢) محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه، مسعود النوي ص ١٥٣، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود: ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: مائة سؤال عن الإسلام، الشيخ محمد الغزالي ص ٣١٣، ط/٤، دار ثابت للنشر والتوزيع:

جميع توحّاته، ومراسلاته، ومؤلفاته، وقد بين ﷺ منهجه في الدعوة؛ وبكل وضوح فقال: (أما ما نحن عليه من الدين فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾) وأما مادعوننا الناس إليه فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطاباً لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾، وأما ما نهينا الناس عنه فنهيناهم عن الشرك لذي قال فيه: ﴿إِنَّهُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾، وقوله لنبيه ﷺ على سبيل التعليل؛ وإلا فهو متهو هو وإخوانه عن الشرك: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ ﴿١٥﴾ بل الله فاعبُد وكن من الشَّاكِرِينَ﴾ (١).

ونختم هذا المعلم؛ بهذا النداء الذي أطلقه الإمام الشوكاني؛ وهو أحد معاصريه فقال: (كم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكي لها الإسلام منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصدًا لطلب قضاء الحوائج وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشئوا إليها الرِّحال وتمسحوا بها واستغاثوا، وبالجملة إنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإننا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر

(١) انظر: الدرر السننية، جمع عبد الرحمن بن قاسم ٦٢/١ وما بعدها بتصرف، ط/٢، دار الإفتاء:

الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب الله ويغار حمية للدين الحنيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً... فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أيّ درء للإسلام أشد من الكفر؟! وأيّ بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟! وأيّ مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟! وأيّ منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا؟! (١).

### ثانياً: تقديم سد الذرائع في مسائل العقيدة:

فحماية التوحيد والسنة، والمنافحة عنهما، وإزالة العقبات التي تعترض طريقهما؛ هو مقصد مهم وأصيل؛ ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية؛ لتصون التوحيد؛ فمنعت من كل وسيلة أو طريق يفضي إلى الإخلال به، وسدّت كل ذريعة تؤدي إلى خدشه والانحراف عنه، وللإمام ابن القيم رحمه الله كلاماً نفيساً أكد أهمية هذا المعلم، ويربط بين المقاصد والأسباب والطرق: (لما كانت المقاصد لا يتوصل إليها إلا بأسباب وطرق تفضي إليها؛ كانت طرقها وأسبابها تابعة لها معتبرة بها، فوسائل المحرمات والمعاصي في كراهتها والمنع منها بحسب إفضائها إلى غاياتها وارتباطاتها بها، ووسائل الطاعات والقربات في محبتها والإذن فيها بحسب إفضائها إلى غايتها، فوسيلة المقصود تابعة للمقصود؛ وكلاهما مقصود؛ لكنه مقصود قصد الغايات، وهي مقصودة قصد الوسائل، فإذا حرم الرب تعالى شيئاً وله طرق ووسائل تفضي إليه فإنه يحرمها ويمنع منها، تحقيقاً لتحريمه وتثبيتاً له ومنعاً

(١) نيل الأوطار، الشوكاني ٩٠/٤.

أن يقرب حماه، ولو أباح الوسائل والنرائع المفضية إليه لكان ذلك نقضا للتحريم، وإغراءً للنفوس به، وحكمته تعالى وعلمه يأبي ذلك كل الإباء<sup>(١)</sup>.

ولذلك كانت من معالم دعوة الشيخ رحمته الله؛ حماية جناب التوحيد من كل قاذورات الجاهلية، وكل ما يفضي إلى الشرك، وهو ما يسمى؛ — (سدّ النرائع)<sup>(٢)</sup>، وقد دلت النصوص الشرعية، وأقوال أهل العلم؛ على ذلك، وممن قال به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله وذكر ثلاثين شاهداً تدلل على اعتباره<sup>(٣)</sup>، وتوسع تلميذه الإمام ابن القيم رحمته الله تعالى؛ وذكر تسعة وتسعين دليلاً عليها، ختمها بقوله: (ولنقتصر على هذا العدد من الأمثلة الموافق لأسماء الله الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة، وباب سدّ النرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهى، والأمر نوعان: أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان: أحدهما: ما يكون المنهي عنه مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فصار سدّ النرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين)<sup>(٤)</sup>.

ولذلك جاءت دعوة الشيخ رحمته الله معطية معلم سدّ النرائع المؤدية إلى الشرك في الأقوال والأفعال؛ حقه ومستحقه، ولهذا المعلم في تجديد الدعوة ونشرها اعتبار دقيق ومهم، خاصة في زمن انتشرت فيه الطرق والحيل والوسائل المفضية للشرك بالله، فكانت

(١) إعلام الموقعين، ابن القيم ١٤٧/٣.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والذريعة: ما كان وسيلة وطريقاً إلى الشيء، لكن صلت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت إلى فعل محرم، ولو تجردت عن ذلك الإفضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل: الذريعة: الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة إلى فعل المحرم"، انظر: كتابه: مجموع الفتاوى ٣/ ١٣٩.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٣/ ١٣٨.

(٤) إعلام الموقعين، ابن القيم ٣/ ١٧١.

هذه الدعوة الإصلاحية شامة ظاهرة، وعقبة كؤود؛ أمام كل من تسول له نفسه التعدي على حمى التوحيد، وقد عقد الشيخ رحمته الله بابا في كتاب التوحيد بعنوان: (باب ماجاء في حماية النبي صلوات الله عليه حمى التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك) وأورد فيه من النصوص والمسائل ما يدعو لسدّ الذرائع<sup>(١)</sup>، كما عقد بابا آخر بعنوان: (باب من تبرك بشجر أو حجر أو نحوهما) وقال فيه: المسألة الرابعة عشرة: سدّ الذرائع<sup>(٢)</sup> وتقرير هذه المعلم وهو سدّ باب الذرائع في أبواب التوحيد والمعتقد أمر مهم وملح تميزت به دعوة الشيخ الإمام المجدد رحمته الله، وخاصة في هذه الأزمنة المتأخرة، التي انتشرت فيها المنكرات والبدع والخرافة، وانتشر الجهل، وضعفت الدعوة.

وأختم هذا المعلم المهم بمثال؛ يدل على سدّه للذرائع في مسائل التوحيد والعقيدة، وموقفه الشرعي مثلا من التمام التي تكون من القرآن الكريم، حيث اختلف العلماء فيها، فأجزها فريق ومنعها آخرون سدا للزريعة الوقوع في الشرك ومن هؤلاء الذين منعوها سدّا للزريعة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله حيث يقول في كتابه

(١) ولقد أشار الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ عند تعليقه على هذا الباب، وذكره لحزمة السفر إلى بلاد المشركين، الوجه الخامس: أنّ سدّ الذرائع، وقطع الوسائل من أكبر أصول الدين، وقواعده، وقد رتب العلماء على هذه القاعدة من الأحكام الدينية تحليلا وتحريما مالا يحصى كثرة"، انظر: الدرر السنية ١٥٦/٧.

(٢) انظر: التمهيد لشرح كتاب: التوحيد، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ١٢٢.

التوحيد: (التمائم شيء يعلق على الأولاد؛ يتقون به العين، لكن إذا كان المعلق من القرآن فوخص فيه بعض السلف، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه)<sup>(١)</sup>.

ويعلق شرح كتاب التوحيد بقوله: (وهذا هو الصحيح - أي النهي عن تعليق التمام من القرآن - لوجه ثلاثة نظهر للمتأمل: الأول: عموم النهي ولا مخصوص للعموم، الثاني: سد الزريعة فإنه يفرض إلى تعليق ما ليس كذلك، الثالث: أنه إذا علق فلا بد أن يمتنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك)<sup>(٢)</sup>، وتقديم الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله ودعوته الإصلاحية لسد الذرائع في مسائل العقيدة؛ ومنعه هنا من تعليق التمام؛ حتى لو كانت من القرآن الكريم؛ هو من تمام فقهه ومراعاته لرقعة دين الناس وسرعة تعلقهم بالأموار واختلاط ما هو من القرآن مع ما هو من غير القرآن، فوجع المنع من باب حماية التوحيد وعدم خدشه: (ولا شك أن منع ذلك سد للزريعة الاعتقاد والمحذور، لاسيما في زماننا هذا، فإنه إذا كرهه أكثر الصحابة والتابعين في تلك العصور الشريفة المقدسة، والإيمان في قلوبهم أكبر من الجبال، فلا أن يكره في وقتنا هذا أولى وأجدر بذلك)<sup>(٣)</sup>.

### ثالثا: التمسك بالقرآن والسنة وأتباعهما:

القرآن والسنة؛ هما مصدر التشريع، وبحفظهما؛ يحفظ الله الدين، ولذلك تكفل الله تعالى؛ كلما فترت الأمة وضعفت، وكلما قلت العناية بهما؛ أن يبعث فيها من يجدد

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب: التوحيد، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ ص ١٢٢.

(٢) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ص ١٣٢، ط/١ المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ١٣٩٧هـ.

(٣) معراج القبول، الشيخ حافظ الحكمي ٤٦٩/١، ط/٣، مكتبة ابن رشد: ١٤٠٤هـ.

العهد بهما، ويحيي فيها الدعوة للتمسك والاعتماد عليهما؛ وكان من أواخر من نصر القرآن والسنة ودعا إليهما؛ الإمام المجدد رحمته الله، الذي انتصر لهما في زمنه، والمطلع على مؤلفاته ورسائله يرى اهتمامه وتقديره الكبير لكتاب الله وسنة رسوله صلوات الله عليه من خلال الاستشهاد الدائم بهما، والاعتماد المستمر عليهما، وتدليله في جميع ما يتبنى من آراء أو يرسل من رسائل، أو ما يقوم به من خطب وتوجيهات بهما؛ حتى تكاد بعض مؤلفاته أن تصبح جمعا للنصوص سواء من القرآن أو السنة النبوية، فلقد عقد في كتابه: (أصول الإيمان) فصلا كاملا بعنوان: "الوصية بكتاب الله تعالى"، كما عقد فصلا آخر كاملا؛ بعنوان: "تحريضه صلوات الله عليه على لزوم السنة"، ولذلك أمر الشيخ رحمته الله تعالى أتباعه بألا يكون في قلوبهم أجل من كتاب الله تعالى، كما أن علماء الدعوة كثيرا ما يطلبون من مخالفيهم الإتيان بدليل من القرآن أو السنة تؤيد آراءهم التي ناعوا بها الدعوة.

ولقد بين وبشكل واضح اعتقاده بالقرآن الكريم في رسالته إلى أهل القصيم بقوله: (وأعتقد أن القرآن كلام الله متول غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده نبينا محمد صلوات الله عليه)<sup>(١)</sup>، وكان من دلالات اهتمامه بالسنة النبوية؛ العناية بكتبتها، كما ظهر في اختصره لـ (فتح البلي في شرح صحيح البخاري) واختصره لـ (سيرة الرسول صلوات الله عليه لابن هشام) وجمعه المعروف لكتاب "مجموعة الحديث النجدية" التي ضمنها أمهات النصوص الأحاديث النبوية؛ مثل ماجاء في الأربعين النووية وعمدة الأحكام ونحوها، ومن أهم معالم ودلالات عنايته ودعوته بتقديم القرآن والسنة، وتمسكه بهما، والحرص على اتباعها؛ مايلي:

(١) انظر: الدرر السننية في الأجوبة النجدية ١/١٤١.



١- تبنى الإمام المجدد ودعوته الإصلاحية لمنهج أهل السنة والجماعة ونصرته له، وقيام دعوته عليه، ووقوفه المواقف المشهودة مع كل من خالف منهج أهل السنة والجماعة من أهل البدع والأهواء، حيث كان ذلك واضحا في دعوته العملية، وكتاباته العلمية، مبينا لمعالم هذا المنهج وأصوله وموضوعاته، وواقفا ضد كل من يقلل من شأن السنة وأهلها، حتى عمت الدعوة الأرجاء وانتصر لها القاصي والداني.

٢- عناية الإمام المجدد ودعوته الإصلاحية في مصنفاته وجميع ما كتبه بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، واهتمامه في بيان مكانتهما، واعتماده عليهما في كل ما يفعله ويقول، ولذلك جاءت مصنفاته زاخرة وملينة بنصوص الوحيين، كما هو واضح للعيان، ومهتمة بالدليل والاستشهاد بالمصدرين المهمين الأساسيين الكتاب والسنة، وهذا المعلم بارز فيه، وكتبه شاهد حاضر ومحفوظ على ذلك.

٣- قيام الإمام المجدد ودعوته الإصلاحية بالعناية بكل الصروح والمؤسسات التي تخدم القرآن والسنة وتدعو للتمسك بهما، وتعتني بدراستها وتدريسها، وكل ما نتج عن تلك الدعوة المباركة التي قامت على؛ إعلاء كلام الله تعالى، ورفع راية سنة رسول الله ﷺ، مما هو واضح في مؤسسات هذا البلاد وأشطتها المختلفة في الوزارات والجامعات والجهات ذات العلاقة، أدام الله عرها، والداعين لها، والمنافحين عنها، وأبقاها ذخرا للإسلام والمسلمين، ولنشر كتاب الله وسنة سيّد المرسلين<sup>(١)</sup>.

(١) وآثار هذه الدعوة الإصلاحية في هذا الجانب أكثر من أن تُحصَر، فقد امتدت واستمرت - والله الحمد والمثنة - إلى يوم الناس هذا كما هو واضح في هذه اللوحة، والتي هي ثمرة من ثمرات هذه الدعوة المباركة، فالجامعات الشرعية وما فيها من كليات وأقسام تهتم بالقرآن والسنة وتدعو إليها ومن أبرز الموجود: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والجامعة الإسلامية، وجامعة أم

رابعا: الحرص والاهتمام بوحدة المسلمين واجتماع كلمتهم:

مع أنّ معلم التوحيد لله رب العالمين قبل معلم توحيد الكلمة ومقدم عليها، ومع ذلك فتوحيد المسلمين واجتماع كلمتهم، وتوحيد صفوفهم، والبعد عن كل معالم الفرقة والاختلاف مقصد من أجل المقاصد الشرعية وأسمائها، وهو من الأولويات الثابتة التي دعا لها النبي ﷺ وحرص الصحابة رضوان الله عنهم؛ على تحقيقها فيما بينهم، والخلاف شر مستطير، والاجتماع مطلب كبير؛ جاءت النصوص الشرعية واضحة في الدعوة إليه والنهي عن الفرقة والاختلاف كما قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وكل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتعاون والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر على دفع مضلهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا اجتمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنونها لما فيها من المفسدة<sup>(٢)</sup>.

القرى، بالإضافة إلى جهود وزارة الشؤون الإسلامية، وما تشرف عليه من مساجد ومراكز تهتم بالقرآن والسنة ودراساتها ونشرها والتوعية بها، بالإضافة إلى المؤسسات المتخصصة في القرآن والسنة، الحكومية المدنية منها والعسكرية، بالإضافة إلى المؤسسات الأهلية، والجهود الفردية المتعددة في ذلك.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، عبدالرحمن بن قاسم ٦٢/٢٨.

والأصل الأصيل، والمعلم الأساس الأول الذي قامت عليه الدعوة الإصلاحية في الجيزة العربية؛ دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله؛ هو (توحيد الله تعالى) والذي يتضمن الدعوة إلى وحدة المسلمين، لأن البلاد والعباد كانت بأمر الحاجب لذلك، ولأن أعي اجتماع لا يقوم على كلمة التوحيد فلن تجتمع لأفراده كلمة، وستبقى الخلافات تنخر في جسده، وإن تظاهر أفرادها بالوحدة — (كلمة التوحيد أساس توحيد الكلمة)<sup>(١)</sup>، ولقد كان من معالم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمته الله تقديم الوحدة واجتماع الكلمة، والتحذير من الفرقة، خلافا لما يشيعه خصومها عنها، يقول الشيخ رحمته الله الأصل الثاني من الأصول الستة الواردة في رسالة له باسم: (ستة أصول عظيمة) (الأصل الثاني: أمر الله بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرق فيه، فبين الله هذا بيانا شاقيا تفهمه العوام، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا واختلفوا قبلنا فهلكوا، وذكر أنه أمر المسلمين بالاجتماع في الدين ونهاهم عن التفرق فيه، ويريد وضوحا ما وردت به السنة من العجب العجيب في ذلك، ثم صار الأمر إلى أن الافتراق في أصول الدين وفروعه من العلم والفقهاء في الدين، وصار الأمر بالاجتماع في الدين لا يقوله إلا زنديق أو مجنون)<sup>(٢)</sup>.

(١) وأتت ذكر هذا المعلم في معالم الدعوة الإصلاحية، كوع من الرد على خصوم الدعوة الذين يقولون أنها فُرقت بين المسلمين، وشئت شملهم وأنها جاءت للفرقة لا للوحدة، وهذا غلط بَيِّن، فإنه لا يتصور اجتماع الكلمة، إلا على كلمة سواء هي كلمة التوحيد، أما ما نشاهده اليوم من تجمعات وهمية لا تقوم على أساس راسخ، ومعتقد صحيح، فهي أوهام وسراب، أما الدعوة الإصلاحية المياكة فمنهجها لا يتغير وطريقها واحد أساسه وغايتها: "كلمة التوحيد"، ومقصده وثمرته: "توحيد الكلمة".

(٢) انظر: شرح الأصول الستة، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط/١، دار البصيرة، الإسكندرية.

وقال الشيخ رحمته الله تعالى في بيان مسائل الجاهلية: (الثانية: أنهم - أي أهل الجاهلية - متفوقون في دينهم، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وكذلك في دنياهم ويرون أن ذلك هو الصواب)<sup>(٢)</sup>، وكانت مراعاة الشيخ لوحدة الكلمة واجتماع الصف واضحة في جميع مراحل دعوته وجاءت مؤلفاته ورسائله وأجوبته مليئة بالدعوة لذلك؛ ومن ذلك أنه سؤل رحمته الله عن معنى قول أهل العلم: إن اتفاق الأئمة حجة، واختلافهم رحمة، فمامعنى كون اختلافهم رحمة؟ فأجاب: (قولهم: اختلافهم رحمة: فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾... ولكن روي عن بعض التابعين أنه قال: ما أحسب اختلاف أصحاب الرسول صلوات الله عليهم إلا رحمة للناس، لأنهم لو لم يختلفوا لم يكن رخصة، ومراده شيئاً آخر غير مانحن فيه، ومع هذا فهو قول مستدرک، لأن الصحابة بأنفسهم ذكروا: أن اختلافهم عقوبة وفتنة)، فالسعي إلى توحيد كلمة المسلمين، هدف مهمو كبير؛ والخطوة الأولى لتحقيقه هي أن يبنى على الاعتقاد الصحيح والتوحيد الراسخ، وكل من يريد تحقيق ذلك من غير هذا الوجه فهو مخطئ لأنه يخالف منهج النبي صلوات الله عليه الذي أقام اللولة الإسلامية الأولى في العهد الأول في مكة؛ فبدأ معهم بغرس التوحيد وتثبيت المعتقد؛ ولذلك اجتمعت كلمتهم وتوحدت صفوفهم، وثبتوا على ذلك رغم كل ما

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٢) انظر: مسائل الجاهلية، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

تعرضوا له، ولذلك قام المجتمع المسلم المثالي الأول على الاعتصام بجل الله والاجتماع عليه.

وبفضل الله تعالى ومُنَّته؛ ثم بجهود هذه الدعوة الإصلاحية، توحدت أرجاء الجزيرة العربية المترامية بعد سنوات عجاف من الفرقة والتشتت، وهذا فضل الله (فكلمة التوحيد وحدت الكلمة) وكل ما يقال غير هذا فإنه خلاف للواقع، وصادر من حسنة، وأصحاب أغراض معروفة.

#### خامسا: العناية بتأصيل الفقه الدعوي في التدرج ونحوه:

وقد أصَّل الإمام المجدد رحمته الله؛ لهذا المعلم ولهذا الفقه الدعوي ودعا إليه كما هو واضح في دعوته ومصنفاته، وملسه واقعا في سلوكه ومعاملاته، يقول رحمته الله في كتاب التوحيد عند باب: (الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) ومن فوائده: الحادية عشر: التنبيه على التعليم بالتلويح، الثانية عشرة: البداءة بالأهم فالأهم<sup>(١)</sup>، ويقول عند تفسيره قول تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَانَ﴾ الفائدة السابعة والعشرون: القاعدة التي هي خاصية العقل وهي ارتكاب أدنى الشرين؛ لدفع أعلاهما، وتفويت أدنى الخيرين؛ لتحصيل أعلاهما<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد، الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط/١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٢٣هـ.

(٢) تفسير آيات من القرآن الكريم، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود.

وقال ﷺ في رسالة بعث فيها إلى أهل سددير: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الوهاب إلى من يصل إليه هذا الكتاب من الإخوان، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد فيجري عندكم أمور تجري عندنا من سابق، ونصح إخواننا إذا جرى منها شيء حتى فهموها؛ وسببها أن بعض أهل الدين ينكر منكراً وهو مصيب؛ لكن يخطئ في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الإخوان، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ. وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(١)</sup> ويذكر العلماء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره، فالله الله في العمل بما ذكرت لكم، والتفقه فيه؛ فإنكم إن لم تفعلوا صار إنكواكم مضرة على الدين، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودينه)<sup>(٢)</sup>، ومما يدل على عناية الدعوة الإصلاحية ومؤسسها بفقهاء الدعوة وتأصيله سيره على منهج النبي ﷺ في دعوته ومراعاة خطواته، حيث بدأ بما بدأ به النبي ﷺ؛ وهو دعوة قومه للتوحيد، حيث مكث ﷺ ثلاثة عشر سنة يغرسه وينشره، وعلى تلك الخطى سار المجدد ﷺ، فأقام دعوته على التوحيد، وبدأ به، وجاهد من أجله؛ حتى في كتاباته<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مؤلفات الشيخ، القسم الخامس: الرسائل الشخصية ص ٦١، والدرر السنية ٢٠/٢.

(٢) ويشهد الشيخ مسعود النلوي شهادة الحق، وهو عالم حنفي من الهند لا تربطه بالدعوة، أي رابطة فيقول: "لقد اهتم الشيخ اهتماما بالغاً في جميع كتبه ورسائله بالتوحيد. ومع أن الشيخ

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الاعتصام: الشاطبي، ط/ دار المعرفة، بيروت: ١٤٠٢هـ.
- ٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن القيم، ط/٢، دار الفكر، بيروت: ١٣٩٧هـ.
- ٣- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان: ابن القيم، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٧هـ.
- ٤- اقتضاء الصراط المستقيم: شيخ الإسلام ابن تيمية، ط/٤، مكتبة الرشد، الرياض: ١٤١٤هـ.
- ٥- الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته: الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز، من مطبوعات الإفتاء.
- ٦- الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية: أ. د. صالح بن غانم السدلان، ط/٢، دار بلنسية، الرياض.
- ٧- أولويات الدعوة في منهج الأنبياء: : أ. د. زيد بن عبدالكريم الزيد، ط/١، دار العاصمة، الرياض: ١٤٢٢هـ.
- ٨- البداية والنهاية: ابن كثير، ط/ دار الريان، القاهرة: ١٩٨٨م.
- ٩- بذل المجهود في حل سنن أبي داود، الشيخ خليل أحمد السهلنفوري، ط/١، وكز الشيخ أبي الحسن النلوي للبحوث والدراسات الإسلامية، الهند: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

---

كان يهتم بتصحيح العقائد أكثر من أي شيء آخر، ولكن مع ذلك فله مؤلفات عظيمة في الفقه والسيرة والحديث وغيرها"، انظر: كتابه محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه

- ١٠- تاريخ نجد المسمى: (روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات نوي الإسلام): الشيخ حسين بن غنام، ط/ مصطفى البابي الحلبي، مصر: ١٣٦٨هـ.
- ١١- تحقيقات وأفكار في القرآن والسنة، محمد الطاهر بن عاشور، ط/ الشركة التونسية للتوزيع.
- ١٢- تذكرة الحفاظ: للإمام الذهبي، ط/ دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٩هـ.
- ١٣- تفسير القرآن العظيم: لإمام ابن كثير، ط/ ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: ١٤٢٠هـ
- ١٤- تفسير آيات من القرآن الكريم، الشيخ محمد بن عبد الوهاب من منشورات جامعة الإمام.
- ١٥- التمهيد لشرح كتاب التوحيد: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، ط/ ١، دار التوحيد، الرياض: ١٤٢٣هـ.
- ١٦- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد: سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، ط/ ٣، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٣٩٧هـ.
- ١٧- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن معلا اللويحق، ط/ ١، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت: ١٤٢٣هـ.
- ١٨- الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ط/ دار إحياء التراث، بيروت: ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ١٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: شيخ الإسلام ابن تيمية، ط/ ١، دار العاصمة، الرياض
- ٢٠- الدرر السنية: جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط/ ٢، دار الإفتاء: ١٣٨٥هـ
- ٢١- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، ط/ دار الجيل.



- ٢٢- الدعوة الإصلاحية وأعلامها: عبد الله محمد المطوع، ط/١، الرياض ١٤٢٠هـ.
- ٢٣- زاد المعاد في هدي خير العباد: ابن القيم، ط/١٤، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٠٧هـ.
- ٢٤- سنن أبي داود: الإمام سليمان بن الأشعث السجستاني، ط/ دار الفكر، بيروت.
- ٢٥- سنن الترمذي: الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق الشيخ أحمد شاكر، ط/٢، مصطفى الباي الحلبي، القاهرة: ١٣٩٨هـ.
- ٢٦- شرح الأصول الستة، محمد بن صالح العثيمين، ط/١، دار البصيرة، الإسكندرية.
- ٢٧- شرح صحيح مسلم: الإمام النووي، ط/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٢٨- صحيح الجامع الصغير، الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٣٨٨هـ.
- ٢٩- صحيح سنن الترمذي، للألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت: ١٤٠٧هـ.
- ٣٠- الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة: ابن القيم، ط/٣، دار العاصمة، الرياض: ١٤١٨هـ.
- ٣١- علماء نجد خلال ستة قرون: الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ط/١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة: ١٣٩٨هـ.
- ٣٢- عون المعبود شرح سنن أبي داود: العظيم آبادي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٠هـ.
- ٣٣- فتح البري بشرح صحيح البخاري: الحافظ ابن حجر العسقلاني، ط/١، دار الريان للتراث، القاهرة: ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- ٣٤- فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد: الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ط/١، المكتبة السلفية، المدينة المنورة: ١٣٩٧هـ.
- ٣٥- الفقه الإسلامي، حسني محمد عباس، ط/ دار الثقافة، الإسكندرية: ١٩٦٧م.

- ٣٦- فلسفة التجديد الإسلامي، محمد زرمان، ط/ دار الصحوه: ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- ٣٧- فيض القدير شرح الجامع الصغير: للمنوي، ط/ ٢، دار المعرفة، بيروت: ١٣٩١هـ.
- ٣٨- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين ابن منظور، ط/ دار صادر، بيروت.
- ٣٩- مائة سؤال عن الإسلام: محمد الغزالي، ط/ ٤، دار ثابت للنشر والتوزيع ١٤١٠ هـ.
- ٤٠- مجموع الفتاوى: شيخ الإسلام ابن تيمية، عبد الرحمن بن قاسم، ط/ مكتبة المعرف، الرباط.
- ٤١- محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه، مسعود النوي، ط/ إدرة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ٤٢- مختصر سيرة الرسول ﷺ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ط/ ١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض: ١٤١٨هـ.
- ٤٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ابن القيم، ط/ ١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣هـ.
- ٤٤- مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية: أ. د. عبدالله بن عبد المحسن التركي ط/ ١، من مطبوعات مركز البحوث والدراسات بوزارة الشؤون الإسلامية ١٤١٦هـ.
- ٤٥- مسائل الجاهلية: للشيخ محمد بن عبد الوهاب، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة
- ٤٦- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد: الشيخ حافظ الحكمي ط/ ٣، مكتبة ابن رشد، الرياض: ١٤٠٤هـ.
- ٤٧- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٨- مفهوم تجديد الدين، محمد سعيد بسطامي، ط// ١، دار الدعوة، الكويت: ١٤٠٥هـ.

- ٤٩- من صفات الداعية: مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين: أ. د. فضل إلهي، ط/١، إدلة ترجمان الإسلام، باكستان، الرياض: ١٤١٧هـ.
- ٥٠- من مشاهير المجددين في الإسلام (ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب، أ. د. صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، من منشورات موقع وزارة الأوقاف السعودية بلون بيانات.
- ٥١- منهاج السنة: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمدرشاد سالم، ط/١، مؤسسة قرطبة: ١٤٠٦هـ.
- ٥٢- الموسوعة الفقهية الكويتية: ط/٢، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية، الكويت: ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- ٥٣- النظام السياسي والدستوري للمملكة العربية السعودية، أحمد بن عبد الله بن باز، ط/٢، مطابع دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤١٩هـ.
- ٥٤- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، ط/ دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة بلون.
- ٥٥- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار عليه السلام: الإمام محمد بن علي الشوكاني، ط/ دار الحديث، القاهرة: ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

## البحث رقم (٢)

اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود  
- رحمه الله - بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه وكلماته

إعداد

د. عبدالله بن صالح بن عبدالله العبود

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية



## المقدمة

[إن الحمد لله نحمده ونستعينه]، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، [من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله]، ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١] [أما بعد] <sup>(١)</sup>:

فإن الدعوة إلى الله تعالى مهمة جميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وخير من قام بها وحملها نبينا محمد ﷺ وخلفه في القيام بها خلفاؤه الراشدون، وصحابته الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - فقاموا بالأمانة خير قيام، وتبعهم على ذلك التابعون ومن تبعهم من العلماء الربانيين، والدعاة المصلحين، توارثوا العلم جيلا بعد جيل، وعملوا به؛ ودعوا إليه، ولا يزال هذا التوارث قائما إلى قيام الساعة.

وقد حمل همّ الدعوة إلى الله تعالى خلفاء وملوك على مَرِّ التاريخ فأعادوا للإسلام هيئته

(١) هذه خطبة الحاجة وما بين المعقوفين من صحيح الإمام مسلم ٥٩٣/٢، وما كان من زيادة فتتظر في: سنن الترمذي ٤١٣/٣، وسنن النسائي ٨٩/٦، وسنن أبي داود ٢٣٨/٢؛ ومسند أحمد ٣٩٢/١؛ وسنن ابن ماجه ٦٠٩/١، وسنن الدارمي ١٩١/٢، والمستدرک علی الصحیحین ١٩٩/٢. قلت: وكلهم رووا هذا المعنى سواء كان بزيادة أو نقص أو تغيير في ترتيب الألفاظ: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وسماها بعضهم خطبة الحاجة، وبعضهم تشهّد الحاجة، ثم روى الدارمي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه بعد تلك الآيات الثلاث يتكلم بحاجته.

وجندوا أنفسهم لخدمة الدين وتعظيم شعائره فحفظ الله تعالى ذكرهم في التاريخ، والله تعالى يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

وكان في واقعنا المعاصر من قام بهذه الوظيفة خير قيام، وأسس دولة وملكا يهدف إلى تمكين الإسلام وعز المسلمين حتى أضحى من الشخصيات البارزة في التاريخ الإسلامي، ومن أعظم ملوك المسلمين في العصر الحديث، جمع الله تعالى به الكلمة، وألف الله به قلوب الرعية في شبه الجزيرة العربية، وتجاوز ذلك التأثير خارج سلطانه، ولم يكن أمر هذه المهمة هيناً، أو يسيراً في العصر الحديث بالذات حيث تطلب مواجهة قوى دولية كبرى، ومذاهب وتيارات شتى في الحكم والسلطان - نشأت وظهرت في هذا العصر -، وأثرت في القادة والشعوب، ولكن الله أعانه في تحقيق المراد ويسر له مهمة الإنجاز الكبير من أجل دينه وأمته ورعيته، بعيداً عن كل المؤثرات التي تحد من غاياته، أو تثير لديه الشك في قدرته على تحقيق الأهداف المنشودة.

لقد كانت المؤثرات والأحداث في القرن الرابع عشر، شديدة الوُقع والتأثير في كثير من الحكام المسلمين، ملوكاً وقادة، فغيرت من تفكير بعضهم، وزرعت اليأس في قلوب الكثيرين. فكانت الهجمة كبيرة في هذا القرن على البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب، وهي محنة الاستعمار بما يحمله من خراب للعامر من ديار الإسلام، ومن إفساد للعقول والنفوس بين شعوب الأمة الإسلامية.

وفي هذه الأجواء بذل الملك عبد العزيز رحمه الله جهده في جمع القبائل، والمناطق عوضاً عن التشرذم، والتشتت الذي حرم شبه الجزيرة من سلطة موحدة، تخدم الأمن والإيمان وكافة مصالح أهلها.

ولقد أعاد هذا الملك في القرن الهجري الرابع عشر، سيرة ملوك المسلمين الصالحين وسلطينهم، فقد كان كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ أساس ثقافته منذ بداية حياته، ووجه الأعلان "العظيماني" في الإسلام: القرآن الكريم والسنة النبوية، مقاصده وغاياته، وحكمت الشريعة أعماله وتصرفاته.

ولما تقدم؛ عقدت العزم مستعينا بالله ومتوكلا عليه في بيان اهتمام الملك الإمام عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله من خلال خطبه وأقواله، وقمت بوضع الخطة العلمية لهذا البحث على النحو الآتي:

أولاً: مشكلة الدراسة.

يبدو الخطاب الديني والدعوي في حديث الملك عبد العزيز العام، والخاص ظاهراً، فقد تميز خطابه الديني والدعوي بصدق الكلمة، والحرص على فهم الإسلام وتبليغ رسالته، وإدراك مقاصد الشريعة وأحكامها، وقد كان لديه من فقه الدعوة ما يغيب أحياناً عن بعض الدعاة؛ نظراً لثقافته وتربيته ونشأته النشأة الدينية.

وبالنظر إلى مجمل خطبه، وأحاديثه، ورسائله التي وجهها إلى عامة الناس، أو إلى الخاصة من أبنائه، وأتباعه، وعماله يكشف عن الداعية المسلم الصالح في ثياب ملك، فقد اجتمع له هدي القرآن، وقوة السلطان، وحقق الله له ما أراد من هداية العباد، وتوحيد البلاد، والتمكين في الأرض، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة النور: ٥٥).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (سورة الأنبياء: ١٠٥).

ويمكن تحديد مشكلة الدراسة في هذا الموضوع بالتعرف على اهتمامه بقضايا الدعوة وجهوده فيها من خلال خطبه، حيث تصاغ بالسؤال الرئيس الآتي:

ما أوجه اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية - الملك عبد العزيز - بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه؟



## ثانياً: أسئلة الدراسة.

تحاول الدراسة الحالية الإجابة عن السؤال الرئيس السابق وتندرج تحته الأسئلة الفرعية الآتية:

١. ما السيرة الشخصية للملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-، وما أهم جهوده وأعماله الدعوية؟
٢. ما أهم القضايا الدعوية التي تناولتها خطب الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله؟
٣. ما أهم ملامح عصر الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-، وأثرها في الدعوة إلى الله؟

## ثالثاً: أهمية الدراسة.

تنبع أهمية هذه الدراسة من الجوانب الآتية:

١. الحاجة إلى إبراز اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله تعالى؛ عرفاناً ووفاءً وشكراً وتقديراً له ولجهوده في هذا المجال؛ وليكون أمودجاً يحتذى، وأثراً يقتفى؛ وليعلم أبناء هذا الجيل سبب ما هم فيه من أمن وأمان.
٢. أن مما امتازت به هذه الدولة المباركة أن بيعة ملوكها قامت على الكتاب والسنة، منذ عهد المؤسس إلى اليوم في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (حفظه الله).
٣. أنه يتناول الحديث عن شخصية بارزة لها مكانتها في قلوب المسلمين في جميع أنحاء العالم حيث لعبت دوراً بارزاً ومهماً في تأليف القلوب وجمع الكلمة وخدمة قضايا المسلمين وشؤونهم.
٤. ندرة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، وبخاصة المتعلقة بدراسة القضايا الدعوية في خطب الملك عبد العزيز رحمه الله.
٥. ضرورة توثيق الإنتاج الفكري بشتى الوسائل والأساليب، للحفاظ على مكتسبات الأمة وتراثها، والدخول في مصاف مجتمع المعرفة وصناعة النشر المعلوماتي.

٦. يتوقع أن يستفيد من نتائج هذه الدراسة المؤسسات الدعوية ومراكز البحث العلمي والمكتبات الحكومية والتجارية ودور النشر ومؤسسات الإنتاج الفكري وجميع المهتمين بهذا المجال في بناء خططهم الاستراتيجية.

#### رابعاً: أهداف الدراسة.

تهدف الدراسة الحالية إلى تحقيق الهدف الرئيس الآتي:  
الكشف عن اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه.

وتندرج تحته الأهداف الفرعية الآتية:

١. التعرف على السيرة الشخصية للملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، وأبرز جهوده الدعوية.

٢. الكشف عن أهم ملامح عصر الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله)، وأثرها في الدعوة إلى الله.

٣. إبراز أهم القضايا الدعوية التي تناولتها خطب الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله.

#### خامساً: حدود الدراسة.

تحدد جوانب الدراسة بالآتي:

● الحدود الموضوعية:

تختص الدراسة الحالية في البحث عن الموضوعات الدعوية التي تناولتها خطب الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله).

● الحدود المكانية:

تقتصر الدراسة الحالية في البحث عن اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية بالدعوة إلى الله تعالى.

● الحدود الزمانية:

الفترة الزمنية عهد الملك عبد العزيز آل سعود - رحمه الله - .

## سادساً: مصطلحات الدراسة.

**الدعوة إلى الله:** " حث الناس على الخير، والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"<sup>(١)</sup>.

**خطب الملوك:** نماذج من الخطاب الديني والدعوي لملك المملكة العربية السعودية المؤسس عبد العزيز رحمه الله المراد الحديث عنه ويراعى في تلك النماذج أن تكون من أقوال الملك، وخطاباته في مراحل حياته، وأن تكون من أحاديثه وخطابه العام، وأحاديثه وخطابه لخاصته من الأبناء والجنود والأتباع أو الوافدين عليه، كما يراعى في الاختيار الأماكن التي وجه فيها الملك خطابه الديني والدعوي، والمناسبة التي صدر فيها الخطاب، ذلك أن الملك عبد العزيز رحمه الله كان يدعو إلى الله من خلال ولايته لأمر المسلمين، وإمارته عليهم، ومن خلال موقعه الديني، والسياسي، باعتباره ملكاً للمملكة العربية السعودية، ونتيجة لذلك كانت دعوته غير محدودة في مكان أو مناسبة دينية، ولا كانت بصفة درس يلقي على الناس، ولكن كان يدعو إلى الله في خطابه العام أو الخاص أيا كان موضوع الخطاب، ومناسبته، وعلى اختلاف المكان، وتنوع فئات المخاطبين، وكان موقعه الديني، وموقعه السياسي، يتيح انتشار خطابه الديني والدعوي في كل مكان من شبه الجزيرة، وخارجها، وإلى كل المسلمين في العالم الإسلامي.

## سابعاً: الدراسات السابقة.

كثيرة هي الدراسات التي تطرقت إلى موضوع الدعوة إلى الله تعالى عند ملوك المملكة العربية السعودية وجهودهم، وجهود الدولة في عهدهم، ولم يعثر الباحث على دراسات دعوية من خلال خطب الملك عبد العزيز، إلا أن هناك دراسات عامة لم تتطرق إلى الخطب من المنظور الدعوي، وهذه الدراسات يمكن أن يفيد منها الباحث، وهي على النحو الآتي:

### الدراسة الأولى: دراسة سعود بن عبد العزيز الخلف ١٤٣٣هـ:

بعنوان (معالم الوسطية في أقوال قادة المملكة العربية السعودية، الملك عبد العزيز وسعود وخالد وفهد - رحمهم الله -، وخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه

(١) هداية المرشدين إلى طريق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، دار الاعتصام، ط: ٩، ١٣٩٩هـ. ص ١٧.

قسّم الباحث دراسته إلى خمسة مباحث، تطرّق في المبحث الأول: إلى الوسطية في أقوال الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن - طيب الله ثراه-، وفي المبحث الثاني: الوسطية في أقوال الملك سعود بن عبد العزيز - رحمه الله-، وفي المبحث الثالث: الوسطية في أقوال الملك خالد بن عبد العزيز - رحمه الله -، وفي المبحث الرابع: الوسطية في أقوال الملك فهد - رحمه الله -، وفي المبحث الخامس: الوسطية في أقوال خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز - حفظه الله-.

### الدراسة الثانية: دراسة حامد معاوض الحجيلي ١٤٣٣هـ:

بعنوان (جهود الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهر عن المنكر " رسائله إلى عموم الأمة أممذجا" )<sup>(٢)</sup> ، حيث قسّم الباحث دراسته إلى مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهارس، تناول في المبحث الأول: ترجمة موجزة عن الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود رحمه الله، والمبحث الثاني: رسائل الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود رحمه الله في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبحث الثالث: التحليل العلمي لرسائل الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله آل سعود رحمه الله.

- (١) بحث محكم منشور، ضمن أبحاث ندوة: الوسطية منهج رباني ومطلب إنساني، كرسي الإمام محمد بن عبد الوهاب للوسطية ودراساتها بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- (٢) بحث محكم منشور، ضمن أبحاث مؤتمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمستجدات العصرية، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود لدراسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

## الدراسة الثالثة: عبدالله بن صالح العبود ١٤٣٣ هـ:

بعنوان ( عناية ملوك المملكة العربية السعودية بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر )<sup>(١)</sup> ، تألفت الدراسة من مقدمة وتمهيد وستة مباحث وخاتمة وقائمة بالمراجع وفهرس للموضوعات، تناول المبحث الأول: عناية المؤسس -رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمبحث الثاني: عناية الملك سعود رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبحث الثالث: عناية الملك فيصل رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبحث الرابع: عناية الملك خالد رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبحث الخامس: عناية خادم الحرمين الشريفين الملك فهد رحمه الله بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمبحث السادس: عناية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله -حفظه الله- بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

### التعليق على الدراسات السابقة.

اتفق موضوع الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة من خلال الآتي:

١. تناولت الدراسة الأولى (الخلف)، والثانية (الحجيلي) موضوع أقوال الملوك والأمراء وخطبهم.
٢. كما تناولت الدراسة الثانية (الحجيلي) والثالثة (العبود) موضوعاً من موضوعات الدعوة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. واختلف من حيث:
١. إن الدراسة الأولى (الخلف) تناولت موضوع الوساطية في أقوال الملوك والأمراء وخطبهم، ولم تتناول موضوع الدعوة.

(١) بحث محكم منشور، ضمن أبحاث مؤتمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمستجدات العصرية، كرسي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود لدراسات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢. أما الدراسة الثانية (الحجيلي) والثالثة (العبود) فتناولتا جانباً واحداً فقط من جوانب الدعوة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الدراسة هي أعم منهما.
٣. الشخصيات التي تناولتها الدراسة الثانية (الحجيلي) والدراسة الثالثة (العبود) تختلف عن الدراسة الحالية.
- ثامناً: خطة الدراسة.**

تتكون الدراسة من مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس فنية، وهي كالآتي:

المقدمة: وتشمل على:

أولاً: مشكلة الدراسة.

ثانياً: أسئلة الدراسة.

ثالثاً: أهمية الدراسة.

رابعاً: أهداف الدراسة.

خامساً: حدود الدراسة.

سادساً: مصطلحات الدراسة.

سابعاً: الدراسات السابقة.

ثامناً: خطة الدراسة.

تاسعاً: منهج الدراسة.

**التمهيد: السيرة الشخصية للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله**

.-

**المبحث الأول:** أبرز القضايا الدعوية التي تناولتها أقوال وخطب الملك عبد العزيز آل

سعود رحمه الله وفيه ثلاثة مطالب:

**المطلب الأول:** البلاغ ودعم الدعوة داخل سلطانه.

**المطلب الثاني:** البلاغ ودعم الدعوة خارج سلطانه.

**المطلب الثالث:** الاعتصام بالكتاب والسنة وجمع الكلمة ولم الشمل.

**المبحث الثاني:** أبرز وسائل الدعوة لدى الملك عبد العزيز وعلاقتها بكلماته وفيه ثلاثة

مطالب:

**المطلب الأول:** تحقيقه مرجعية الدعوة.

**المطلب الثاني:** اهتمامه بنشر كتب السلف الصالح واطلاعه عليها ووقفها.

**المطلب الثالث:** الوسائل الإعلامية في عهده.

**المبحث الثالث:** نتائج الكفاح وثمراته.

**الخاتمة:** وتشمل على:

● نتائج الدراسة.

● التوصيات والمقترحات.

**الفهارس:** وتشمل على:

● فهرس الآيات القرآنية.

● فهرس الأحاديث النبوية والآثار.

● فهرس الأعلام.

● فهرس المصادر المراجع.

● فهرس الملاحق.

● فهرس الموضوعات.

**تاسعاً:** منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في الدراسة على منهجين:

**المنهج الوصفي (الوثائقي):** ويراد به "الجمع المتأن والدقيق للسجلات والوثائق المتوافرة

ذات العلاقة بموضوع -مشكلة البحث، ومن ثم التحليل الشامل لمحتوياتها بهدف استنتاج ما

يتصل بمشكلة البحث من أدلة وبراهين تبرهن على إجابة أسئلة البحث " (١) .

**المنهج الوصفي التحليلي:** وهو الذي يصف ما كان ويفسره، ويعمل على تحديد

العلاقات بين الوقائع والممارسات الشائعة والاتجاهات المختلفة عند الجماعات (٢) .

**وسوف يتخذ الباحث الخطوات الآتية في التعامل مع المادة العلمية للدراسة:**

١/ عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها في كتاب الله عز وجل بذكر سورها وأرقامها مع كتابتها بالرسم العثماني.  
٢/ عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية المعتمدة من كتب السنة النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفى الباحث بالعزو إليهما، أو أحدهما؛ لتلقي الأمة أحاديثهما بالقبول، وإن لم يكن فيهما أو في أحدهما فيذكر الباحث ما يقف عليه من أقوال أهل العلم في بيان درجته.

٣/ توثيق النصوص والنقول من مصادرها الأصلية.

٤/ ترجمة الأعلام التي سترد في هذه الدراسة غير المشهورين ترجمة موجزة.

٥/ شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات العلمية الواردة في الدراسة.

٦/ الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٧/ تذييل الدراسة بفهارس فنية على النحو المبين في الخطة.

(١) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، صالح بن حمد العساف، ص ٢٠٦.

(٢) مناهج البحث في التربية وعلم النفس، جابر عبد الحميد جابر، وأحمد خيرى كاظم، القاهرة، دار النهضة

العربية، ١٩٧٨، ص ١٢٦



## التمهيد

### السيرة الشخصية للملك عبد العزيز بن

### عبدالرحمن آل سعود (رحمه الله)

#### اسمه ونسبه:

هو عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود بن مقرن ابن مرخان، ينتهي نسبه إلى بكر بن وائل من ربيعة، واشتهرت عائلته بآل سعود، وآل مقرن (١).

#### مولده:

ولد عبدالعزيز في قصر الإمارة بالرياض سنة ١٢٩٣هـ، الموافق ١٨٧٦م، وفي كنف أمه سارة بنت أحمد السديري، وكانت الأم امرأة قوية ذات حسب ونسب وأخلاق عالية، كشأن النساء ذوات العفاف والدين، كان البيت الذي آوى عبد العزيز في طفولته الباكرة بيتاً يتصف بالورع والتقوى (٢).

#### تعليمه:

عهد به أبوه الإمام عبدالرحمن إلى القاضي عبدالله الخريجي، من علماء الخرج؛ فتعلم مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ سوراً من القرآن الكريم، وقرأه كاملاً على الشيخ محمد بن

---

(١) أحسن القصص (أو سيرة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل السعود)، نظم: خالد ابن محمد الفرج، مخطوط ق: ١٤هـ، برقم: (٨، ٩٥٣)، جامعة الملك سعود-الرياض. ص: ٧؛ صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، ندوة (الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز-رحمه الله- بالرياض ١٤٢٠هـ) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ص: ٣

(٢) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين-بيروت. الطبعة: ١٠، ١٩٩٩م، ص: ١٧؛ والملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (بحث منشور على الشبكة العنكبوتية)، ص: ٣٤

مصبيح، ثم تلقى بعض أصول الفقه والتوحيد على يد الشيخ ابن عبداللطيف في كراسة صغيرة أعدها خصيصاً له (١).

### نشأته:

نشأ الملك عبد العزيز على التقى والورع، ونما جسده كما نما علمه بما تعلمه من معلميه، وما تلقاه من أبيه، وقد كان حاد الذكاء، متوقد الذهن، كما تعلم ركوب الخيل، واستعمال السلاح، وهو في سن الصبا، وفضلاً عن ذلك فقد أحاط بما حوله من ظروف الحياة التي كانت في شدتها، ورأى ما يعالجه أبوه الإمام عبد الرحمن من مشكلاتها، وتعلم على يديه أول دروس السياسة التي يلزم الحكام والأمراء والسلاطين تعلمها وممارستها (٢).  
تنقل الإمام عبدالرحمن والد الملك عبدالعزيز في البادية، وجاور بعض قبائلها، وبدأ عبدالعزيز بألف البادية، ويجاري أبنائها في احتمال مكاره العيش، والصبر على الظم والجوع والتعب وافتراش الأرض والتحاف السماء (٣).

### حياته السياسية وتوليه الملك:

نشأ الملك عبد العزيز بن عبدالرحمن في بيئة ملك ومنعة، وتحت كنف والده الإمام عبدالرحمن آل سعود، ف"منذ نعومة أظفاره وجهه والده إلى مختلف الأمصار والبلدان سفيراً عنه يفاوضهم، ويختبر تقلبات الزمن وصعاب الأمور، ويألف خشونة الحياة، ويختبر تقلبات الزمن وطباع الناس، فذهب في مفاوضات إلى حاكم قطر، وحين فاض العثمانيون والده في الذهاب إلى الكويت كان هو المكلف بنقل أسرته من الدوحة إلى الكويت، وشاهد بنفسه ما حصل بين الإخوة: محمد ومبارك وصباح، حكام الكويت،

(١) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، مرجع سابق، ص: ١٧

(٢) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٣٥

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ١٨-٢٠

وتعلم الكثير عن السياسة والحكم" (١).

وبعد نضال شديد وكفاح قوي ومواقف مشهودة استطاع الملك عبد العزيز استرجاع ملك آبائه في جزيرة العرب، "حيث أدرك أن ما يريد تحقيقه ليس مجرد الرغبة في استعادة ملك الآباء والأجداد فقط، وإنما هو في الواقع تحرك يجب أن يكون من أجل البناء والوحدة، ونشر الأمن والسلام في ربوع المنطقة، وأن هذا لا يكون إلا بالتضحية الواعية، والإرادة القوية، والإيمان الكامل بالله" (٢).

وكان ذلك في ١٣٢٠هـ، الموافق: ١٩٠٢م، بعد أن حرر الرياض من حكم آل الرشيد، واستدعى، والده من الكويت لتولي الإمارة في البلاد؛ فتنازل له والده الإمام عبدالرحمن عن الحكم وتمت البيعة له (٣).

وكان استرداد الرياض عملاً بطوليًا من الملك عبد العزيز، لمعت فيه شخصيته أميرًا عالي المهمة، بعيد الغور، صاحب شجاعة وفداء قلَّ أن يكون له نظير، وقائدًا فذاً ملهمًا يستمد شجاعته وقدراته من ثقته بالله تعالى، وهذه السجايا والخصائص الشخصية للملك، هي التي أهلته بعد استرداد الرياض، لكل الأعمال الجليلة والإنجازات العظيمة في تاريخ العروبة والإسلام، هذه السجايا التي ظهرت في سيرته مع الناس تستحق أن تذكر؛ لأنها سجايا وخصال، وهبها الله للملك عبد العزيز (٤).

ولقد استطاع استرداد الرياض بأقل قدر من الخسائر في الأرواح والممتلكات، فلم يكن يقود جيشًا، ولا كان يواجه جيشًا، وكان من بين عناصر النجاح حكم أبيه السابق

(١) المرجع السابق، ص: ٢١-٢٢

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهبش، مرجع سابق، ص: ٧

(٣) الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، مرجع سابق، ص: ٣٢

(٤) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٦٢.

للرياض، ومقام أسرة آل سعود بين أهلها (١).

### توحيده لجزيرة العرب:

لم يكن استرداد الملك عبد العزيز -رحمه الله- لعاصمة الدولة السعودية هو البداية، ولم يكن انتصاره في الرياض سوى الجولة الأولى في ملحمة امتدت عشرات السنين، وما كان في استطاعة أحد من الناس أن يسبر غور الملك وقت أن تنازل أبوه الإمام عبد الرحمن عن إمارة الرياض، ولعل خصومه قد تنبهوا إلى ظهور أمير قوي يناجزهم على ما تحت أيديهم من البلاد، ومن تحت سلطاتهم من العباد، ولكنهم كانوا عاجزين عن تصور مدى التغيير الذي يمكن أن يحدثه هذا الأمير القوي في شبه الجزيرة العربية (٢).

وظل يرقب عن كثب أطراف البلاد المترامية، وما حل بها من تقطع وتشردم، ونزاعات قبلية، وأطماع سياسية حالة دون استقرار البلاد، وأمنها، إضافة إلى ما حظي به الملك حب الناس له من حوله، وانعطافهم عليهم من كل الجهات، وسوء تقدير خصومه لقوته العسكرية، وحنكته السياسية، ودهائه في الحرب، فاستطاع استعادة غالب منطقة نجد للحكم السعودي، وقضى على نفوذ أكبر أعدائه في تلك المنطقة وهو ابن رشيد.

كما قام -رحمه الله- بإكرام العلماء، وقربهم في مجلسه، وأكرمهم، وعرف لأهل المقامات مكانتهم في قومهم، وامتد نفوذه ليحرر منطقة الأحساء بحنكة وحكمة من أيدي الحامية التركية في عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م).

واجتذب الملك عبد العزيز أهل الأحساء إلى جانبه بتأمينهم في مدينتهم، وكان أعيانهم قد كتبوا للملك عبد العزيز، يطلبون منه ضم الأحساء، لينتهي معاناتهم مما كانوا يعيشونه من مصاعب اقتصادية وسياسية، كما استطاع أن يجتذب أهل القطيف إليه،

(١) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٦٤.

(٢) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٦٤.

فأثرت الحامية التركية الانسحاب (١).

وفي عام ١٣٤٠هـ (١٩٢١م) سلم أهل حائل، وأمريها أمرهم إلى الملك عبدالعزيز بعد أن أمنهم على أرواحهم وأموالهم، وأعراضهم، وكان الحال مشابهاً في منطقة عسير، ونجران، وحيزان جنوب الجزيرة العربية (٢).  
كان الملك عبد العزيز -رحمه الله- ينظر إلى مكة المكرمة والمدينة النبوية، نظرة خاصة، لمكانتهما الدينية.

وكان -رحمه الله- يدرك ضرورة استتباب الأمن في كل شبه الجزيرة، وعلى وجه الخصوص في الحرمين الشريفين، وأهمية بذل الجهد، والطاقة في تيسير سبل الحج، والعمرة، والزيارة، واتخاذ الأسباب التي تعين المسلمين على أداء نسكهم، ويعتبر تحقيق ذلك واجباً دينياً، ونوعاً من أنواع الجهاد في سبيل الله، ويدرك أن أسلافه قد حققوا ذلك، وأن البلاد المقدسة وما جاورها كانت جزءاً غالباً من الدولة السعودية، وأن ضمها إلى الأجزاء الأخرى؛ لتتعم بما نعمت به، مطلب مواطني تلك البلاد، ومطلب المسلمين كافة (٣).

ففي عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) كانت الحجاز والتي تحتضن مدينتي مكة المكرمة، المدينة المنورة المقدستين تحت حكم الملك عبدالعزيز، فأمن ساكنيها، وأبقى على الجهاز الإداري العامل فيها، واجتمع بالعلماء فيها، وبايعوها على السمع والطاعة.

فقام فيهم ووعظهم وحثهم على تقوى الله تعالى، والسعي في مرضاته، واحترام الدماء، والأعراض، والأموال بغير حق شرعي، واتباع منهج الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، وقال مخاطباً لهم: "أبشركم بحول الله وقوته، أن بلد الله الحرام في إقبال وخير، وأمن، وراحة، وإني - إن شاء الله تعالى - سأبذل جهدي فيما يؤمن

(١) تاريخ ملوك آل سعود، للأمير سعود بن هذلول، ص ٩٨ وما بعدها، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ.

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، مرجع سابق، ص، ١٤.

(٣) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٧١-٧٢.

البلاد المقدسة، ويجل الراحة والاطمئنان بها" (١).

حينها تم للملك عبد العزيز لم شمل البلاد، وأصبح يلقب بملك الحجاز ونجد وملحقاتها، حتى عام ١٣٥١هـ، صدر مرسوم ملكي برقم: ٢٧١٦ في ١٧/٥/١٣٥١هـ، بالموافقة على تسمية الدولة باسم (المملكة العربية السعودية) ويلقب ملكها (ملك المملكة العربية السعودية) على أن يكون ذلك اعتباراً من يوم الخميس ٢١/٥/١٣٥١هـ (٢).

### اهتمامه (رحمه الله) بالدعوة والدعاة:

انصهرت سمات الدعوة في الملك عبد العزيز - رحمه الله - فكانت جزءاً من كيانه يحرص عليها منذ تشبعت نفسه بدور أسرته في نصرة الدعوة، وأن كيانه دولتهم لم يرقم إلا على هذه الدعوة الناصرة لدين الله، وقد كان من كلمات الملك فيصل - رحمه الله -:

"البيت السعودي هو بيت دعوة قبل أن يكون بيت ملك" (٣).

"وكانت معرفة الملك عبدالعزيز بالدين وإخلاص للإسلام من الأمور التي جعلته يُعتبر من أعظم قادة المسلمين عبر التاريخ، وكان قادراً على شرح القرآن وتفسيره بطريقة ممتازة مفهومة لدى أبسط رجال البادية وفي اعتقادي أنه قدم للعقيدة الإسلامية خدمة لم يقدم مثلها أي رجل من هذا الزمن" (٤).

كذلك كانت شخصية الملك عبدالعزيز الدعوية، والتي ما زالت آثارها، ومآثرها

(١) بلاغ عام من السلطان عبدالعزيز إلى أهل الحجاز، جريدة أم القرى، العدد ٥٢، بتاريخ:

١٣٤٤/٦/١١هـ. ص: ١. نقلاً عن موقع: مقاتل من الصحراء، الاصدار ١٥،

(http://www.moqatel.com) الملحق رقم: ٢٦، بتاريخ: ١٤/٣/١٤٣٦هـ.

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهب، مرجع سابق، ص: ١٦.

(٣) شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي، ١: ٣٠.

(٤) الملك عبد العزيز والتعليم، عبد الله سعيد أبو راس، وبدر الدين الديب: ط ١، شركة العبيكان، الرياض،

لملوسسة إلى اليوم من خلال خطبه وكلماته التي وثقها عنه من كانوا معه من علماء وكتاب، ومفكرين مسلمين وغير مسلمين.

ولذا يرى المتابع لجميع كلماته ونصائحه التي يرسلها للبلدان، ثم في خطبه في مواسم الحج وفي المناسبات، واهتمامًا كبيرًا بتأصيل هذه الأمور، ووجوب إخلاصها لله سبحانه؛ لأنها سمات عرفها تعليمًا في الصغر، ورسخت في عقله من الأبوين تربية وتعويدًا، ومكنها المجتمع المتدين تطبيقًا، وإنكارًا على من يخطئ في العمل والتصرف.. فاخترت كل ذلك ذاكرته، لبيثها في الآخرين دعوة وتعريفات بحقائق دين الإسلام، ومن التفسير: أدرك ما جاء في كتاب الله سبحانه، وفي المصدر التشريعي الأول في دين الإسلام: من أوامر ونواهي، وما تعنيه شريعة الله، من صفات الداعي إلى دين الله، الحريص على إنقاذ البشرية مما وقعوا فيه من مخالفات لأمر الله، وأمر رسله جميعًا<sup>(١)</sup>، كما سيأتي.

### وفاته (رحمه الله):

توفي الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن -رحمه الله- في يوم الاثنين ١٣٧٣/٣/٢ هـ. في مدينة الطائف، ونقل جثمانه إلى الرياض حيث دفن في مقبرة العود<sup>(٢)</sup>.

(١) السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، محمد بن سعد الشويعر، بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (رحمه الله)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد-الرياض. الطبعة: ١، ١٤٢١هـ. ص ص: (٩٠، ٩٢).

(٢) صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، مرجع سابق، ص، ٢٢.

## المبحث الأول

أبرز القضايا الدعوية التي تناولتها أقوال وخطب الملك عبدالعزيز آل

سعود (رحمه الله)

المطلب الأول: البلاغ ودعم الدعوة داخل سلطانه.

لم يكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً على هذه الأمة فحسب، بل كان واجباً من قبل على الأمم المتقدمة، كما دل على ذلك القرآن الكريم في مواضع كثيرة، من ذلك قوله تعالى: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثار طيبة على الفرد والمجتمع، ومنها على سبيل المثال:-

١- أنه سبب في الخيرية، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وفي هذه الآية مدح هذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به.

٢- أنه سبب في الفلاح لمن قام به، لقوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، والفلاح مترتب على الدعوة الى الخير والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أخص صفات المؤمنين، لقوله سبحانه وتعالى:

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٩.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.



﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١)، فكان من أخص صفات المؤمنين: موالاته بعضهم بعضاً وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك من صفات الإيمان الذي به تستجلب رحمة الله تعالى للداعية والمدعو المستجيب، وفي ذلك أثر محمود على المجتمع المسلم كله، واستمرار للدعوة إلى الله تعالى التي تعتبر أساساً وركناً ركيناً للنجاة من الهلكة والعذاب.

٤ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب للنجاة من الهلاك، فإنما تهلك المجتمعات، ويحق عليها العذاب، إذا كثرت فيها الفساد، وطغى العباد، والأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر هم سبب نجات المجتمع من الهلاك الذي ربما أصابه بسبب الذنوب الحاصلة، وتجاوز حدود الله سبحانه وتعالى بالمعاصي من ارتكاب المحرمات، والإعراض عن الواجبات، وقد ضرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك مثلاً بديعاً حين قال: (مثل القائم على حدود الله، والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذ من فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) (٢).

٥ - الأمر بالمعروف سبب في كسب الأجر الكبير، فمن أمر بصلاة مثلاً كان له مثل أجر من صلاها، ومن أمر بصدقة أو صوم أو حج أو نحو ذلك من الطاعات، الواجبات أو المستحبات، كان له من الأجر مثل أجر من فعلها؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (( من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) صحيح البخاري، للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الشركة، حديث رقم: (٢٤٩٣)، تحقيق:

محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: ١، ١٤٢٢هـ.

غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))<sup>(١)</sup>، "والوعيد في هذا الحديث محمول على من لم يتب من الذنب"<sup>(٢)</sup>

ولذلك كانت "حياة الملك عبد العزيز - رحمه الله - تمثل ملحمة من الكفاح والنضال، خاضها، وقادها الملك الصالح عبد العزيز آل سعود في شبه الجزيرة العربية. لقد كان نضاله كله منذ بدأ في شبابه الباكر تحت راية التوحيد، باعتباره فريضة شرعية، والوحدة باعتبارها هدفاً سياسياً لشبه الجزيرة العربية"<sup>(٣)</sup>.

وخلال أكثر من نصف قرن من حكم الإمام عبد العزيز ارتفعت منارة التوحيد، وقامت الوحدة في المملكة، وعرفت طريقها إلى التقدم والنمو والازدهار في جميع مجالات حياتها، وخلال حياة الملك ترسخت قيم ومبادئ، ما تزال حية في نفوس أبنائه العظام، وما تزال آثارها ماثلة أمام الناس في شبه الجزيرة، وإذا كان الملك عبد العزيز رحمه الله قد نجح في توحيد المملكة تحت راية التوحيد، وأقام مملكة ينظر إليها المسلمون باعتبارها نموذجاً صحيحاً للدولة الإسلامية المعاصرة، فإن ذلك النجاح لم يأت طفرة في حياة الملك عبد العزيز، بل سبقه من الجهد والجهاد ما ينبغي أن يعرف للأجيال الحاضرة، والقادمة من شباب الأمة الإسلامية كلها<sup>(٤)</sup>.

(١) صحيح مسلم ٧٠٥/٢، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، رقم الحديث ١٠١٧.

(٢) ينظر: البخاري مع الفتح ١/١٩٣.

(٣) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، بتصرف يسير، مرجع سابق، ص: ١٠.

(٤) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ١١.

قال فيه العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز (رحمه الله) <sup>(١)</sup>: " وقد من الله على هذه البلاد بدعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه، ومناصرة جد هذه الأسرة الإمام محمد بن سعود رحمه الله لهذه الدعوة، وحصل بذلك من الخير العظيم ونشر العلم والحق، ونشر الهدى، والقضاء على الشرك، وعلى وسائل الشرك، وعلى قمع أنواع الفساد من البدع والضلالات ما يعلمه أهل العلم والإيمان ممن سير هذه الدعوة، وشارك فيها، وناصر أهلها؛ فصارت هذه البلاد مضرب المثل في توحيد الله والإخلاص له، والبعد عن البدع والضلالات، ووسائل الشرك حتى جرى ما جرى من الفتنة المعلومة التي حصل بسببها العدوان على هذه الدعوة وأهلها، ثم جمع الله الشمل على يدي الإمام تركي بن

(١) هو الإمام العالم المجدد عبدالعزيز بن عبدالله ابن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله آل باز ولد في الرياض في ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ، وكان بصيراً في أول طلبه للعلم \_ كما يقول \_ ويقول: ثم أصابني المرض في عيني عام ١٣٤٦هـ فضعف بصري بسبب ذلك ثم ذهب بالكلية في مستهل محرم من عام ١٣٥٠هـ والحمد لله على ذلك. طلب العلم منذ الصغر، وحفظ القرآن قبل البلوغ، وتلقى العلوم الشرعية على جمع من العلماء ومنهم: الشيخ محمد بن عبداللطيف ابن عبدالوهاب، و الشيخ سعد بن حمد بن عتيق، الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ، وغيرهم (رحمهم الله). كان معروفًا بالتقى والمسارة إلى الخيرات وقضاء حوائج الناس بجاهه وماله، وعرف بالمواظبة على الطاعات منذ نعومة أظفاره، وكان شديد التعظيم للسنة، تولى القضاء سنة: ١٣٥٧هـ، ثم التعليم والافتاء فكان المفتي العام للمملكة العربية السعودية في زمانه منذ عام ١٤١٤هـ إلى وفاته في: (١/٢٧/١٤٢٠هـ) رحمه الله، تتلمذ عليه خلق كثير منهم: الشيخ راشد بن صالح بن خنين، الشيخ العلامة عبدالله بن حسن بن قعود، سعد وقاص البخاري. له الكثير من المؤلفات، والدروس والمحاضرات، وساهم في تأسيس العديد من المعاهد والمدارس الشرعية داخل المملكة وخارجها، ودافع عن السنة، ورد على أهل البدع، وناصر أهل الحق في شتى بقاع الأرض (رحمه الله).

انظر: الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله نموذج من الرعيل الأول، عبد المحسن بن حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٢١هـ. وشذرات البلاطين من سير العلماء المعاصرين، أبو الأشبال أحمد سالم المصري، دار الكيان للنشر-الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ. ص: ١١٨.

عبد الله بن محمد بن سعود والد الإمام فيصل بن تركي رحمة الله على الجميع، ثم على يد ابنه فيصل بن تركي، ثم على يد ابن ابنه عبد الله بن فيصل بن تركي ثم حصلت فجوة بعد موت الإمام عبد الله بن فيصل رحمه الله فجاء الله بالملك عبد العزيز ونفع الله به المسلمين، وجمع الله به الكلمة، ورفع به مقام الحق، ونصر به دينه، وأقام به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحصل به من العلم العظيم والنعم الكثيرة، وإقامة العدل، ونصر الحق، ونشر الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ما لا يحصىه إلا الله عز وجل، ثم سار على ذلك أبنائه من بعده في إقامة الحق، ونشر العدل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" (١).

لذا فإن الملك عبدالعزيز ما إن عادة إلى الرياض حتى بدأ في لم شتات الأمة على هدى من كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم، فاستجابت له الأمة، وسار بهم إلى بر الأمان في حركة توحيدية شملت معظمة أجزاء الجزيرة العربية، فتلاقت القيادة والأمة وأثمر ذلك التلاقي قيام دولة ثابتة الأركان شعارها (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ودستورها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما إن تمكن (رحمه الله) من توحيد المملكة حتى بدأ في تأسيس قواعد نهضتها، ورسوخ قيمها، ومبادئها (٢).

لهذا لم يكن غريباً أن تكون كلمات الملك، وتوجيهاته، وخطبه في المناسبات العامة معبرة أصدق تعبير عن شخصيته التي يملؤها الإيمان بالله، والتوكل عليه، والإنابة إليه، وكان الملك لا يتردد في نصح شعبه، وتوجيهه الموعدة إليهم، فقد آتاه الله حظاً وافراً من العلم

(١) بيان حقوق ولاية الأمر على الأمة، من: إملاءات الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله)، الموقع الرسمي لسماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز (رحمه الله)، تاريخ الاسترجاع: ١٤٣٦/٧/٢١هـ. الرابط: (http://www.binbaz.org.sa/node/8647).

(٢) مبادئ وتوجيهات تربوية مستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود، حنان صالح حكيمي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى - كلية التربية ١٤١٨هـ. ص: ١٨

بالدين والدنيا<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك قوله (رحمه الله): فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها أن يتقي الله في سره وعلايته، وأن يحاسب نفسه، هل قام بما أو جب الله عليه وامتنل ما أمر الله به ورسوله، ووقف عند حدوده فلم يتجاوزها، أم هو منقاد مع شهواته وهواه، قد أعطى نفسه هواها، ولم ينهها عن ارتكاب المحرمات، فلو علم أنه موقوف ومسؤول عن جميع أعماله وأوقاله وأحواله؛ لخلا بنفسهن وحاسبها، واتقى الله سبحانه وبجمده، قال تعالى:

﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وهذا لازم لكل واحد بحسب قدرته، فإذا قام به بعض المعينين له سقط عن الباقين، وإذا تركوه أثموا وعوقبوا، فكونوا من تركه على حذر عظيم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفية، ولتأطرنه على الحق أطراً، أو ليوشكن الله أن يعمكم بعداب من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)<sup>(٣)</sup>. فلا صلاح للخاصة والعامة في جميع القرى إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... الخ<sup>(٤)</sup>.

وفي موضع آخر يقول: (إن التناصح ضروري للمسلمين، ولكن يجب على المسلم ان لا ينسى نفسه ليكون لنصحه أثر في القلوب، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾

(١) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٣٨

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٩١/١)، وأبو داود في الملاحم: (٤٣٣٦)، والترمذي في التفسير: (٣٠٤٧)، وابن ماجه في الفتن: (٤٠٠٦) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"،

وقد اختلف في إرساله ووصله، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة، برقم: (١١٠٥).

(٤) مختارات من الخطب الملكية، دارة الملك عبدالعزيز-الرياض. ١٤١٩ هـ. (٢٨/١-٢٩)

وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ فالواجب على المسلم ان يحرص على دينه وعلى نصيحة المسلمين، وأن يقدم الخير على الشر، كل هذا من الله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُ اللَّهُ رَحِيمًا﴾ (٢) والأمان جند من جند الله، والخوف جند من جند الله؛ فالإنسان لا يأمن إلا بأمن الله، ويجب ان تعتقدوا أن ما ترونه من الزمن الآن ليس هو إلا نعمة من الله أنهم بها على المسلمين فيجب علينا أن نشكر الله على هذه المنة الكبرى، والنعمة العظمى، وإن أشد ما يخاف على المسلمين الشرك بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (٣) وإن ذنب الشرك عظيم، وإنه محنة وبلاء، وإنه كفر وليس بعد الكفر ذنب، فيجب أن ينتبه المسلمون... (٤).

ولهذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهم الركائز الدعوية التي قامت عليها دعوة الملك عبدالعزيز آل سعود وأبنائه من بعده إلى يومنا هذا حيث اعتبرت شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة أساسية في الحكم منذ ذلك الوقت، وهذه العناية منبثقة من شعور الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في استتباب الحكم، واستقرار الدولة الناشئة في ذلك الوقت، وتلك الحقبة من الزمن التي كانت فيها جزيرة العرب مضطربة تروج بها القلاقل والفتن من كل ناحية، وصوب كل اتجاه. وتعود أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه فريضة فرضها الله على هذه الأمة، فكان واجبًا لا يسع المسلمين تركه كل بحسب علمه وقدرته.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ١٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ١١٦.

(٤) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٩٥).

قال ابن حزم (رحمه الله): اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد منهم<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك دعوته (رحمه الله) للتحذير من الإلحاد في الدين ومن الخروج على جماعة المسلمين، أو ارتكاب المحاذير الشرعية المختلف، حيث قال في إحدى خطبه: (إن الذي دعاني لجمعكم في هذا المكان هو النصح لكم حتى لا يغتر السفیه، ولا يسترسل في غوايته، وأحذركم من أمرين:

الأول: الإلحاد في الدين والخروج عن الإسلام في هذه البلاد المقدسة، فوالله لا أتساهل في هذا الأمر أبدًا، ومن رأيت منه زيفًا عن العقيدة الإسلامية فليس له من الجزاء إلا الشدة، ومن العقوبة إلا أعظمها.

الثاني: السفهاء الذين يسول لهم الشيطان بعض الأمور المخلة بأمن البلاد وراحتها، فهؤلاء شأني معهم شأن "الديناميت" مع النار<sup>(٢)</sup>.

قال: (يجب أن نعبد الله ونطيعه كي يوفقنا، فعلى كل إنسان أن يحاسب نفسه، فيتجنب المعاصي والمنكرات، ويتبع أوامر الله عزوجل... إن أحب الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم... فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ليسيروا في طريق واحد يوردهم مورد الخير...)<sup>(٣)</sup>.

---

(١) مراتب الإجماع، باب من الإجماع في الاعتقادات، لابن حزم الظاهري، طبع: مكتبة القدسي، ١٣٥٧هـ. ص: ١٧٦.

(٢) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٦٧).

(٣) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٨٦-٨٧).

## المطلب الثاني: البلاغ ودعم الدعوة خارج سلطانه.

أجمعت الأمة على أن الدعوة إلى الله تعالى واجب على المسلمين، وقد تميزت هذه الأمة عن غيرها من الأمم السابقة بأنها أخرجت للعالمين بقصد تحقيق هذه الشريعة الربانية السمحة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

ومن هذا المنطلق، وإحساساً بالمسؤولية الدينية اتجاه أمة محمد صلى الله عليه وسلم فقد سعى الملك عبدالعزيز إلى العمل على أداء هذا الواجب الشرعي من خلال ما وهبه الله من تمكين وسلطة في جزيرة العرب.

من ذلك قوله في لقائه الحجيج بالمسجد الحرام بعد أن حمد الله وأثنى عليه: (وبعد: فإنه سيرنا أن نخطب إخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها من هذا البيت الحرام، في هذا اليوم المبارك، وتناصح وتواصي بالبر والتقوى وندعو الجميع للتمسك بكتاب الله، وإخلاص العبادة له وحده، كما أمرنا ربنا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (٢)، ندعو حجيج بيت الله الحرام لنبذ كل ما يخالف أمر الله، واتباع ما أمر الله تعالى به، كما ندعو المسلمين لأن يجتمعوا بقلوبهم على كلمة الإخلاص، وأن يزيلوا ما بينهم من خلافات، وأن يعتصموا بحبل الله.. (٣).

ولم يقتصر حرصه على نشر هذه الشعيرة داخل البلاد فقط، بل سعى لدعم ونشر هذه الشعيرة في أنحاء العلم، وفي مختلف الدول الإسلامية وغيرها.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٣) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (١٥٠-١٥١).



فقد كان -رحمه الله- مهتمًا بالدعوة إلى الله تعالى بشتى الطرق ومختلف الوسائل المشروعة، وذلك من خلال بيان المنهج الصحيح، والسعي وراء تحقيق أهداف الدعوة إلى الله، وظل يسعى تدعم ونشر الدعوة إلى الله خارج حدود سلطانه، كما ظل حريصًا على إبقاء الدعوة إلى الله فاعلة داخل البلاد وفي مختلف أرجائها.

وفي كلماته - رحمه الله - تبرز ما يخامر عقله، إذ في المؤتمر الإسلامي الذي عقد عام ١٣٤٤ هـ الموافق ١٩٢٥م بمكة في ١٨ جلسة تقريبًا، تحدث الملك عبد العزيز خلاله للوفود بكلمات تدل على أن الدعوة إلى دين الله، وتنقية الإسلام من المنكرات والبدع الدخيلة على تعاليمه، هي هاجسه والمسيطرة على مشاعره، فكان مما قاله لوفد علماء الهند<sup>(١)</sup>: "أعترف أمام الله، وأمام المسلمين، بأني لا أريد إلا العودة إلى دين الله الصحيح القديم الذي جاء به محمد ﷺ البعيد عن العقائد الوثنية، التي ليست من الإسلام في شيء وأن عقائدي هي عقائد أجدادي الأطهار الأتقياء، عاداتنا هي عاداتهم، شعائرنا هي شعائرهم، وأنا نعود في كل شيء لأحكام القرآن الكريم، والسنة المطهرة، ونحاول أن نعيش كما عاش الخلفاء الراشدون، وكل ما نطمح فيه أن يتحد العلماء المسلمون، فيتحد العالم الإسلامي. نريد أن يكون اتحادنا قويا متينًا، وأن يخضع العالم الإسلامي خضوعًا تامًا لأحكام القرآن والسنة"<sup>(٢)</sup>.

إن الملك عبد العزيز كان يستشعر في مسعاه واجبًا دينيًا وخلقياً، كان يمثله سلوكه الشخصي، منذ نعومة أظفاره، في طهارته وورعه وتقاه، فقد كان يرحمه الله قوي الصلة

(١) السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، محمد بن سعد الشويعر، ندوة علمية تحت عنوان "الدعوة في عهد الملك عبد العزيز" انعقدت في الرياض في ٢٣ / ٢ / ١٤٢٠ هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في عام ١٤٢٠هـ، الرياض، ص ٥٨-٥٩.

(٢) الملك الراشد (جلالة الملك المغفور له عبدالعزيز آل سعود)، عبد المنعم الغلامي، عناية: مؤيد الغلامي، دار اللواء، ط: ٢، ١٤٠٠هـ. ص ٥٠.

بِاللَّهِ وَرَبِّكَ لَا يَنَامُ مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلَهُ، وَكَانَ يَقْضِي أَكْثَرَهُ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، يُطَلِّبُ الْعَوْنَ مِنَ اللَّهِ، وَيَسْتَمِدُّ النَّصْرَ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، فِي كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ، وَكَانَ يُؤْمِنُ بِإِيمَانٍ مُطْلَقًا بِأَنَّهُ لَا يَتَوَفَّرُ لِلْعَقِيدَةِ عِزَّةٌ وَانْتِشَارٌ وَخُلُودٌ، إِلَّا فِي ظِلِّ كِيَانِ آمَنٍ مُطْمَئِنٍّ، يَقُومُ عَلَى رِعَايَتِهَا وَتَبْلِيغِهَا، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهَا، وَالدَّفْعَ عَنْهَا (١).

ويتضح ذلك في إحدى خطبه الجامعة بقوله: إنني أعمل جهد الطاقة، في سبيل إعلاء كلمة الله، ورفعته هذا الدين، وإحلال عقيدة السلف، وسنة رسول الله ﷺ وما جاء عن الخلفاء الراشدين مكانها المناسب، وإنني مسلم أحب جمع كلمة الإسلام والمسلمين وليس أحب عندي من أن تجتمع كلمة المسلمين، ويتحد شملهم، ويعلو شأنهم (٢).

(١) السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، محمد بن سعد الشويعر، مرجع سابق، ص: ٦٦.

(٢) المصحف والسيف، محيي الدين القاسبي، دار الناصر للطباعة- الرياض، ط: ٣، ١٤١٨ هـ، ص: ٣٥.

### المطلب الثالث: الاعتصام بالكتاب والسنة وجمع الكلمة ولم الشمل:

سعى الملك عبدالعزيز منذ أن قدم بدأ مسيرته في استرداد ملك أجداده إلى العمل على توحيد الكلمة ولم الشمل، وتوحيد الصف، ونبذ الخلافات التشرذم والتقاطع والتدابير الذي كان يعم القبائل العربية في جزيرة العرب ذلك الوقت.

حيث عمل على جمع كلمة المسلمين على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبين في كثير من المواقف والخطب به أنه لن يكون فلاح ولا نجاح للأمة إلا بالاجتماع على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والسمع والطاعة، ومن ذلك:

١- الدعوة الدائمة في أغلب المناسبات للتمسك بالدين ونبذ الفرقة، والاعتصام بالسنة؛ من قال في بعض خطبه: (الإنسان عليه حقوق وواجبات، والأمر بيد الله، ماشاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وكلُّ بقضاء وقدر، وليس للإنسان في الأشياء حول ولا قوة، وما عليه إلا أن يعمل ولا ينظر إلى أقوال الناس؛ لأن محمد صلى الله عليه وسلم -وهو أفضل الخلق وصفوة الرسل وني الله وحبيبه وخاتم أنبيائه وأفضل أهل السماء والأرض- قد عابوا عليه، ولكن ذلك لم ينفعهم ولم يفدهم شيئاً، فقد نصره الله تعالى، وآواه وأعزه وخذل أعدائه، وإن من طرق الخير اتباع الأخيار، والأخيار هم العلماء العاملين، وهم مغناطيس القلوب متى ما عملوا بما أنزل الله سبحانه وتعالى، وإني أعتمد في جميع أعمال على الله وحده لا شريك له، واعتمد عليه في السر والعلن، والظاهر والباطن، وإن الله مسهل طريقنا. .. وأما نحن فلا عز لنا إلا بالإسلام ولا سلاح لنا إلا بالتمسك به، وإذا أضعننا ضيعنا أنفسنا، وبؤنا بغضب من الله، وإن الذي أريده وأطلبه منكم هو ما ذكرته لكم من التمسك بدين الله، وهذه طريقي التي أسير عليها والتي لايمكن أن أحميد عنها مهما تكلفت، وإني أحب أن أردد عليكم هذا لاعتقادي أنه كالمطر إذا تكرر نزوله على الأرض

أُنبتت وأثمرت نباتها.. (١)

٢- الحث على تعاضد المسلمين وتماسكهم وعدم الاغترار بالحضارة الغربية المادية الزائفة، والعمل بالكتاب والسنة، وترك الاعجاب بدساتير الغرب المتحلة.

حيث يقول في بعض خطبه في هذا الصدد: قال: (لقد جاءنا أشرف الأولين والآخرين النبي الكريم، فنور الله به علينا بكتابه، فكان سراجاً منيراً يهدى الضالين ويرشد الغاوين، ويهدي هذا النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- تمكن العرب من بسط سلطاتهم على الأمصار الشاسعة الواسعة، وعلى نشر نفوذهم في مشارق الأرض ومغاربها بعد أن كانوا وليس لهم من الأمر شيء، والحقيقة أننا لم نكن شيء مذكوراً لولا هذا النبي العربي الكريم -صلى الله عليه وسلم- وهذا الدين الحنيف؛ فالإسلام هو الذي ينقذنا من كل المحن والكوارث، ويجنبنا من عذا الجحيم، ولا يكون المسلم مسلماً إلا باتباع ما جاء عن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين، الذين يفخر بهم كل إنسان، فإذا سار المسلمون على هذا المنهج كان النجاح حليفاً لهم في كل عمل من أعمالهم، أما إذا اختلفت النيات، وتغيرت النفوس، وتظاهر المسلمون بالإسلام- وهم في حقيقة الأمر وباطنة يهملون أوامرهم، ويتبعون مناهيه- فإن الله سبحانه وتعالى ينزل عليهم وابلًا من المحن والمصائب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٢)، إن المسلمين لما انحرفوا عن كتاب الله وسنة رسول صلى الله عليه وسلم سلط الله عليهم التخاذل والشقاق، "فتفرقوا أيدي سباً" فعظمت ذنوبهم وخطاياهم عند الله تعالى، وها نحن نرى الحالة السيئة التي وصل إليها المسلمون عامة والعرب خاصة؛ فالاختلاف والأكاذيب والتخاذل كل ذلك من المسائل التي نهانا الله عن اتيانها، فلم نصنع لذلك، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ

(١) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٦٣-٦٤).

(٢) سورة الرعد، الآية ١١.

فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ<sup>(١)</sup>، فإذا أراد العرب إعادة مجدهم القديم فما عليهم إلا أن يعتصموا بجل الله، وأن يتمسكوا بما أمر الله به، أما ادعاء بأن الأغيار هم سبب هذه الفرقة وهذا التخاذل فما هو بصحيح؛ لأن المسلمين والعرب إذا كانوا على حالة من التعاضد والتكاتف فليس هناك من قوة في مقدورها مهاجمتهم وإذلالهم... يقول المسلمون والعرب أن سبب ضعفنا هو عدم سيرنا في الطريق التي سار عليها الغربيون في تمدنهم وحضارتهم، وأن دساتيرهم -أي الغربيين- وأنظمتهم في الكفيلة بتمدننا وتقويتنا، وهذا من أسخف الأقوال التي لا يزال يثيرها بعض الكتاب والخطباء، ويلوكونها بألسنتهم، ظن هؤلاء الناس أن حرية الغربيين ودساتيرهم كفيلة بإسعاد الناس أكثر مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله، وهذا خطأ فاضح؛ فإن الدين الإسلامي قد كفل المساواة بين كافة المسلمين، وآخى بينهم أكثر مما جاء في الدساتير الغربية، وأية مساواة أعظم من تلك المساواة التي جاء بها الإسلام؟ فلم يجعل فوارق في الحقوق بين الملك والصلعوك، ولم يفضل أحدهم على الآخر إلا بالتقوى، فالمسلمون لا ينقصهم إلا الرجوع إلى عبادة الله وحده، عبادة خالصة لوجه الله تعالى، فإذا عبدنا الله -جل وعلا- حق عبادته زالت الضغائن من قلوبنا، فتوحدت نفوسنا، وسرت روح التأخي والتحابب بيننا...<sup>(٢)</sup>

٣- حث المواطنين والمسلمين جميعاً على التآلف والتحابب ونبذ الأحقاد والضغائن، واستشعار مكانة وعظم الجوار لبيت الله الحرام.

حيث قال في إحدى كلماته ووصاياهم لأهل الحرم: (وأوصيكم بالتحاب، فإنكم جيران بيت الله الحرام، وببلادكم هذه تتضاعف فيها الحسنات..)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٢) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (٧٢-٧٤).

(٣) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (١٠٠-١٠١).

## المبحث الثاني

أبرز وسائل الدعوة لدى الملك عبدالعزيز وعلاقتها بكلماته

المطلب الأول: تحقيق مرجعية<sup>(١)</sup> الدعوة.

لقد كان تحقيق الملك عبد العزيز مرجعية الدعوة إلى الله تعالى، بالرجوع إلى الكتاب والسنة في نفسه رحمه الله أولاً، وفي تأسيسه المملكة العربية السعودية، حتى جعله الله إماماً للجماعة، ومرجعاً للدعوة والدعاة إلى الله على بصيرة، وصارت المملكة كذلك؛ فقد أدرك - رحمه الله - أنه لا بد للدعوة والبناء والعمران الإسلامي من تحقيق المراد الشرعي بالجماعة، أدرك ذلك بما أعطاه الله من تاريخه المجيد في السيادة، وحسن السياسة وتدير

(١) المرجعية في اللغة: مصدر صناعي، كالقومية. وأصله (رجع) والرجوع العود إلى مكان منه البدء، أو تقدير البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً؛ فالرجوع العود، والرجع الإعادة، ومنه عودة الشيء إلى الشيء، أو العودة إلى الحال السابقة، أو المكان، وهذا هو المعنى الأكثر استعمالاً، قال تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [هود: ٤]، وقال عز وجل: ﴿إِنِّي إِلَٰهٌ رَّحِيمٌ﴾ [العلق: ٨]. والرجعى والمرجع والرجوع: مصادر، يقال: رجع إليه رجوعاً ومرجعاً. ورجعى، على وزن فعلى، والرجعى: مصدر، على فعلى، أي الرجوع والمرجع.

وفي الاصطلاح: ما تواضع عليه أهل العلم في استعمالهم لفظ (مرجع) أو (مرجعية) فيأتي بمعنى الأصل الذي يرجع إليه في علم، أو أدب، أو شأن من الشؤون، أو بمعنى الرد إلى المستند والأصل، وبمعنى المعاودة والمخاطبة والجواب.

انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (١٤٠٥هـ)، (١٢٤/٢٠). ومفردات غريب ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، دار القلم-دمشق، الطبعة: ٤، ١٤٣٠هـ. ص: (٣٤٢): وتهذيب اللغة للأزهري ١/ ٣٦٥. مادة (رجع). وتحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبد الله العبود، بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (رحمه الله). ص: ٣٠٥. المرجعية: معناها وأهميتها وأقسامها، سعيد بن ناصر الغامدي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥٠) رجب: ١٤٣١هـ. ص: ٣٧٦.

الملك والرعية، وجودة الرأي والفكر، وبكونه بصيرا بالإسلام مقتنعا بصحة الدعوة السلفية إليه، وقيام آبائه وأجداده بنصره، فأدرك حاجة الأمة إلى تحقيق المرجعية الثابتة للدعوة إلى الله تعالى، بإقامة المراد الشرعي من الجماعة، بتأسيس المملكة العربية السعودية<sup>(١)</sup>.

ويتبين ذبك جليًا من خلال خطبة وكلماته، فمن ذلك قوله -رحمه الله-: " الشريعة كلها خير، وإن الله سبحانه وتعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل ووضع فيها ما أمرهم به وما نهاهم عنه.. والأمر لا يتم إلا بمسألتين:

الأولى: التوفيق.. والتوفيق لا يكون إلا بالله: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨]<sup>(٢)</sup>.  
والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أن يعمل شيئًا.

والثانية: الاجتماع الائتلاف وهذان هما أساس كل شيء ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]<sup>(٣)</sup>.

وكان من توفيق الله له، أن يدرك حاجة الأمة لإقامة مرجعية الدعوة، الجماعة بالمفهوم المراد شرعا، وقد وفقه الله قدرا وكونا، بتأسيس المملكة العربية السعودية وتوحيدها على توحيد الله بالعبادة، وتشبيد بنائها بالعمل الصالح، ولقد من الله تعالى على أهل هذه المملكة العربية السعودية، ملكا وشعبا، بذلك على الخصوص<sup>(٤)</sup>.

ومن ذلك أيضًا لفته الانتباه إلى أن التناصح بين الراعي والرعية ينبغي أن تكون على المنهج الذي بينه الرسول -صلى الله عليه وسلم-: قال (...وأنتم -بارك الله فيكم- تفهمون أن النعمة تمت من جميع الوجوه، وأعظمها نعمت التوحيد، وتحكيم الشريعة، ثم

(١) تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) الرياض: ٢١-٢٤/٢/١٤٢٠هـ. ص: ١٢.

(٢) سورة هود، الآية: ٨٨

(٣) المصحف والسيف، القابسي، مرجع سابق، ص: ٧٩.

(٤) تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق، ص: ٢١.

بعد ذلك ما أعطانا الله - سبحانه تعالى - من صحة في الأبدان والأمن في الأوطان، والرزق الواسع، ونحن اليوم في محل الخوف، والحقيقة أن الخوف الصحيح هو أن نحرص على جميع ما يرضى الله ربنا من أعمال وأقوال باطنة وظاهرة ونصح كما قال -صلى الله عليه وسلم- "الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة" قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "الله وكتابه ورسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم"<sup>(١)</sup>.

وما جاء في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- هو النصيحة الكبرى، من عمل بها نجا، ومن تركها هلك، ثم ما بينه علماء المسلمين حيهم وميتهم من الحق مما ورد في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم)<sup>(٢)</sup>.

وقال أيضا في موطن آخر:

".. وهذا كتاب الله بين أيدينا، وهذا شرع الإسلام نتبعه، أما خوض الرجال فإن كان من جهة الدين واعتراضهم عليه فالحق ما جاء في كتاب الله، والذي يكتم الحق ملعون، وكل أمر خالف الدين متروك، أما عن السلف الصالح من الخلفاء الراشدين أو الأئمة الأربعة المهتدين، فإننا نتبعهم ومن كان عنده غير ذلك يبينه لنا حتى تقوم الحجة، وكل إنسان عنده نصيحة لنا من كتاب أو سنة فنحن مستعدون في جميع الأوقات سواء كانت من كبير أو صغير أو جليل أو حقير، ومن أرادنا على مخالفة شيء من ذلك فلا نقبله أبداً، وقد أمرنا الله أن نتبع شريعة الإسلام، وأن نعص عليها بالنواجذ، ومن غضب علينا لاستمسكنا بديننا فليغضب كما يشاء.." <sup>(٣)</sup>.

ومن المعلوم أنه مهما تحقق للداعي من صحة الدعوة إلى الله تعالى وسلامتها،

(١) سنن الترمذي، الإمام أبو عيسى الترمذي، كتاب البر والصلة، حديث رقم (١٩٢٦)، وقال: حديث

حسن صحيح، والألباني في إرواء الغليل، برقم: (٢٦)، (١/٦٢).

(٢) مختارات من الخطب الملكية، مرجع سابق، ص: (١٥٨-١٦٠).

(٣) المصحف والسيف، القابسي، مرجع سابق، ص ٨٠.



وإخلاص الداعي وبصيرته، لا بد له من تحقق مرجعية قوية في الواقع تحمي الدعوة، وتحافظ على مكتسباتها، وتسند الدعوة إلى الله على بصيرة وتأييدهم، وتفصل في النزاع الذي لا بد من حصوله فيما بينهم، وإلا ضاعت الجهود وفشلت الدعوة، وتفرقت الدعوة؛ فعلى هذا لا بد للدعوة من مرجع، أمير مطاع، وليس من شرطه أن يكون معصوما في كل ما يفعل ويقول، فالعصمة ليست لأحد غير الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>؛ لقول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: " لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بسمع وطاعة " (٢).

وهذه المرجعية هي الجماعة وإمامها بمعناها المراد شرعا من النصوص الشرعية في الخبر عنها في الكتاب والسنة، والحث على لزومها ولزوم إمامها كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم، في صحيحهما، عن حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: ( كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت: فماذا تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت: فإن

(١) تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق، ص: ٣٠٦.  
(٢) وهذا القول مشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رواه الدارمي عن تميم الداري رضي الله عنه قال: " تطاول الناس في البناء في زمن عمر، فقال عمر رضي الله عنه: يا معشر العريب: الأرض، الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة... " سنن الدارمي ١/٦٩، باب في ذهاب العلم، رقم الحديث - ٢٥٧، ط ٢، ١٤١٣ هـ (الطبعة التركية)، كما ورد في الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ، دار الكتاب العربي - بيروت، بتحقيق فواز أحمد زمرلي، وخالد السبع العلمي ١/٩١، رقم الحديث ٢٥١.

لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث الشريف الخبير الصادق بحدوث دعاة كثيرين كثرة غلبت على عصرهم، حتى وصف بالشر بعد الخير تباعا للغالب، في قوله: وهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجاهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، فهم يتلبسون بمظهر الدعوة، ومن صفتهم أنهم أناس من جلدتنا أي ينتمون إلى نسبنا من العرب، ويتكلمون بألسنتنا العربية والإسلامية، ولكنهم في الحقيقة دعاة على أبواب جهنم، من أجاهم قذفوه فيها، وفيه أن العاصم الذي يرجع إليه عند حدوث هؤلاء الدعاة هو لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فلزوم ما عليه جماعة المسلمين وإمامهم، ولو كان الملتزم وحده منفردا باعتزله تلك الفرق، ولو أن يعض على أصل شجرة من شدة الغربة، حتى يدركه الموت وهو على ذلك المنهج؛ لأنه منهج الجماعة وإمامهم<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"<sup>(٣)</sup>.

لهذا "أدرك الملك عبد العزيز - رحمه الله - أنه لا بد للدعوة والبناء والعمران الإسلامي من تحقيق المراد الشرعي بالجماعة، أدرك ذلك بما أعطاه الله من تاريخه المجيد في السيادة، وحسن السياسة وتدبير الملك والرعية، وجودة الرأي والفكر، وبكونه بصيرا

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم: (٦٦٧٣).

(٢) تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق، ص: ٣٠٧.

(٣) المستدرك للحاكم: ٥٥٥/٤. والشرعية للأجري: ١/ ٢٩٩.

بالإسلام مقتنعا بصحة الدعوة السلفية إليه، وقيام آبائه وأجداده بنصره، فأدرك حاجة الأمة إلى تحقيق المرجعية الثابتة للدعوة إلى الله تعالى، بإقامة المراد الشرعي من الجماعة، بتأسيس المملكة العربية السعودية"<sup>(١)</sup>.

---

(١) تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبدالله العبود، مرجع سابق، ص: ٣٠٧.

## المطلب الثاني: اهتمامه بنشر كتب السلف الصالح واطلاعه عليها ووقفها.

كان الملك عبد العزيز من الشخصيات المحبة للقراءة والمطالعة، ولم تشغله أعباء الحكم وشؤون الدولة عن أن يخصص لنفسه وقتاً للقراءة والمطالعة في الكتب، كما أنه كان كثيراً ما ينتقى الكتب المتميزة في موضوعاتها وفي مختلف التخصصات الشرعية، وهذا الأمر بان أثره في ثنايا خطاباته، وخطبه للناس من خلال حثه الرعية على العلم والتعلم. فقد كان (رحمه الله) مولعاً بحب القراءة والمطالعة في أمهات الكتب، ويخصص جزءاً من وقته لذلك في حله وترحاله، وحدث الشيخ يوسف ياسين في "الرحلة الملكية" حين أشار إلى أن السلطان كان ينادي إذا أخذ الركب في السير أحد طلاب العلم من أبناء الشيخ ليقرأ في صحيح مسلم، ثم يقرأ من تاريخ ابن الأثير ما يتعلق بالسير النبوية، ويتكرر هذا الموقف في أثناء الرحلة بقراءة كتاب الترغيب والترهيب، وكتاب الآداب الشرعية لابن مفلح، وهذا يعني أن الملك عبد العزيز (رحمه الله) كان يصطحب معه في سفره مجموعة من الكتب بقصد قراءتها، والافادة منها في قراءة جماعية، وأحياناً قد يتخلى بنفسه للقراءة الفردية، ويمضى الحال على هذا المنوال طوال مدة السير<sup>(١)</sup>.

وعلى الرغم من المهام العظام التي اضطلع بها الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في سبيل توحيد المملكة العربية السعودية وإرساء دعائم الأمن والنهضة الحضارية وانشغاله بذلك، إلا أنه كان على علاقة حميمة ووثيقة بالعلم والعلماء، وكان وثيق الصلة بالقرآن الكريم، وكان له ورد خاص به..، فإذا جاء المساء كانت له جلسة علم ومدارسة، اعتاد فيها أن يسمع من قارئ يقرأ عليه كتب العلم والتاريخ<sup>(٢)</sup>.

(١) عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلعاً ونشراً، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ندوة المكتبات الوقفية في

المملكة (مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة) من ٢٥-٢٧/١/١٤٢٠هـ. ص: ٤

(٢) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية

السعودية، مكتبة الملك عبدالعزيز-المدينة المنورة. من ٢٥-٢٧/١/١٤٢٠هـ. وزارة الشؤون الإسلامية

والأوقاف والدعوة والإرشاد ص: ٢٤.

وكانت الكتب التي تتم قراءتها في مجلس الملك لا تقتصر على فن معين بل كانت متنوعة في مختلف الفنون الشرعية واللغوية والأدبية، وأدى حب الملك للقراءة والاطلاع إلى إعجابه بنفائس الكتب والعمل على طباعتها ونشرها على مؤنثته الخاصة.

كما أنه (رحمه الله) أوقف عددًا كبيرًا من الكتب المخطوطة قبل ظهور الطباعة وانتشارها في المملكة، وبعد انتشار الطباعة اهتم الملك عبد العزيز بنشر كتب العلم إيمانًا منه بأهمية العمل الخيري، وزيادة الوعي الثقافي والديني، والسمو بالفكر الإسلامي، والارتقاء بالحركة العلمية المتنامية في ذلك العهد، وكان لنشأته الدينية الأثر البالغة في انتقاء الكتب النافعة، ونشرها، وجاءت أولى محاولات الطباعة في الهند وفي دلهي، وبومباي على وجه التحديد لوجود ثلة من علماء وأئمة الدعوة السلفية في تلك البلاد، ومن أقدم ما طبع في تلك الفترة: كتاب: روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام لابن غنام، وكتاب: الجواهر المنضدة الحسان (ديوان).

كما استمرت الطباعة بعد ذلك في مصر وكان من أشهر ما طبع في تلك الفترة: تفسير البغوي، والمعني لابن قدامة المقدسي، والشرح الكبير، ومجموعة أخرى من كتب التوحيد والعقيدة<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن الملك عبدالعزيز رحمة طيلة هذه الفترة اهتم اهتمامًا كبيرًا بطباعة كتب السلف، ونشرها، والحث على تعلمها وتعليمها.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) في ختمه لطباعة كتاب (المغني والشرح الكبير) في الفقه المقارن، لابن قدامة المقدسي (رحمه الله): "... ولا يسعنا إلا أن نعود في هذه الخاتمة إلى الثناء على مسدي هذا الخير العظيم إلى الأمة الإسلامية بالأمر بطبعه والانفاق عليه من ماله الخاص به، إمام السنة، ومحى عدل الخلفاء وعلوم الأئمة، مؤسس المملكتين وخادم الحرمين الشريفين عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ملك

(١) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، مرجع سابق، ص: ٢٥.

الحجاز ونجد. .. وكان قد أمرنا أولاً بطبع خمسمائة نسخة منه فقط لتوزيعها على علماء نجد، وأذن لنا أن نطبع منه ما شئنا على حسابنا لأجل نشره في سائر الأمصار..<sup>(١)</sup>.  
ومن خلال اهتمام الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بطباعة ونشر الكتب الإسلامية يتبين أن هذه الكتب كانت منتقاة بعناية واهتمام خاصة إذا عرفنا أن الطباعة في ذلك الوقت كانت مكلفة ومضنية، إضافة إلى ما تتطلبه من جهد ووقت كبيرين، ولعل من أبرز ما تتسم به الكتب المطبوعة في عهد الملك (رحمه الله) ما يلي:

١. التنوع في الموضوعات (العقيدة، التفسير، الحديث وعلومه، الفقه وأصوله، اللغة العربية وآدابها، التاريخ الإسلامي والجغرافيا، الأنساب، وغيرها)  
٢. نشر كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)، وكتب تلامذته، بهدف نشر حقيقة دعوته، والرد على المعادين له<sup>(٢)</sup>.

٣. الاهتمام بنشر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى.  
٤. الاهتمام بكتب المذهب الحنبلي ونشرها والعناية بطباعتها.  
٥. الاهتمام الكبير بكتب العقيدة الإسلامية حيث شكت كتب العقيد بين الكتب التي طبعت على نفقة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) ما نسبته [٥٠ %]<sup>(٣)</sup>.  
ومن أبرز العناوين التي طبعت على نفقة الملك عبد العزيز (رحمه الله) ما يلي<sup>(٤)</sup>:  
١. العقيدة: منهاج السنة لابن تيمية، الصواعق المرسله لابن القيم، شرح الطحاوية

(١) المغني لموفق ابن قدامة المقدسي، ويليه الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد رشيد رضا، طبع: دار المنار-مصر. ١٣٤٧هـ. تصوير دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع: (١٢/٥١٨)  
(٢) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، مرجع سابق، ص: ٥١.  
(٣) عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاقاً ونشرًا، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص: ١٥  
(٤) الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، مرجع سابق، ص: ٥١. وعناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاقاً ونشرًا، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، مرجع سابق، ص: ١٥

- لابن أبي العز، وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في العقيدة.
٢. التفسير: تفسير ابن كثير، وتفسير البغوي.
٣. الحديث: كتاب الزهد وكتاب السنة، للإمام أحمد، شرح تهذيب سنن أبي داود لابن القيم.
٤. الفقه وأصوله: المغني والشرح الكبير لابن قدامة، ومنتهى الإرادات لابن النجار، كشف القناع عن متن الإقناع للبهوتي، وروضة الناظر وجنة المناظر لابن قدامة.
٥. التاريخ: طبقات الحنابلة لأبي يعلى، البداية والنهاية لابن كثير، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام لأبي الطيب المكي.
٦. مجموعة فتاوى ابن تيمية، ومجموع الرسائل والمسائل النجدية.

## المطلب الثالث: الوسائل الإعلامية في عهده.

عمل الملك عبد العزيز (رحمه الله) على استغلال كل وسيلة مشروعة تساعد على نشر الدعوة في الجزيرة العربية، ولاقى في ذلك الكثير من العناء، سواء كان ذلك بإنشاء المدارس والمعاهد، والجامعات، وتشجيع التعليم بشقيه النظامي وغير النظامي، ومن خلال الملتقيات العلمية، والوسائل الإعلامية المتاحة في ذلك الوقت، كذلك من خلال منابر المساجد، والمواسم الدينية كالحج، كما حرص على الاهتمام بنشر الكتب الإسلامية التي تبين العقيدة الصحيحة الصافية، والمنهج القوية لسنة المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بفهم السلف الصالح (رحمهم الله) كما مر.

وكان اهتمام الملك عبد العزيز (رحمه الله) بوسائل الإعلام المتاحة في عصره كبيراً مع ما واجهه من مصاعب حيال استخدامها والاستفادة منها، ومن أهم تلك الوسائل:

## ١ - الخطابة:

فقد كان الإمام الملك عبد العزيز من أولئك الخطباء المفوهين، يتحدث بلغة قريبة لفهوم المجتمع الذي يخاطبه، و"يستشهد بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، ويتمثل بالأشعار، وقصص الأولين، ويورد آراء الحكماء"<sup>(١)</sup>، وكان رجل حكمة وحنكة، كما كان رجل سيف وسلطة "لا يعرف المداهنة ولا الرياء في مخاطبته وأحاديثه، بل يفحم خصمة"<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا فقد كان كلامه العادي مليئاً بالمجازات الذكية، والحكم والأمثال التي تجعل سامعه يود أنه لا يتوقف عن الحديث، وهذا الحديث الجذاب أيّاً كان موضوعه هو

(١) أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، عبدالله العلي المنصور الزامل، المؤسسة التجارية للطباعة،

بيروت-لبنان. الطبعة: ١، ١٣٩٢، ص: ٢٤

(٢) المصدر السابق.



حديث مليء بالمعلومات التي تغني المستمع وتأسره بمدى اتساعها وعمقها وفي كلمته المشهورة للرئيس الأمريكي (روزفلت)<sup>(١)</sup> بعد مقابلته له، قال: فهمت من الملك ابن سعود في عشر دقائق عن القضية الفلسطينية ما تعذر علي فهمه في عشرين سنة<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - التعليم:

الحق أن التعليم في بداياته سار على خطى رائدة، فلم يغفل جوانب التربية، ولم ينهر الرواد الأول بالحضارة الغربية، بل عملوا على التوازن بين التقدم العلمي والدين؛ بتوجيهات من الملك مباشرة، وفي هذا الصدد يقول الملك عبدالعزيز<sup>(٣)</sup>: (يقول كثير من المسلمين:

(١) وُلد روزفلت في الثلاثين من يناير عام ١٨٨٢م، في هايد بارك في نيويورك. وتلقى أول دروسه على يد مدرسين خصوصيين، ثم التحق بجامعة هارفارد (Harvard University)، وتخرج فيها عام ١٩٠٤م. وينحدر فرانكلين ديلاانو روزفلت (Franklin Delano Roosevelt)، من أصل هولندي فرنسي، وهو الرئيس الثاني والثلاثين للولايات المتحدة الأمريكية، وكان ينتمي إلى الحزب الديمقراطي، تولى روزفلت منصب رئيس الولايات المتحدة من تاريخ ٤ مارس ١٩٣٣م إلى ١٢ أبريل ١٩٤٥م وذلك لأنه أعيد انتخابه أربع مرات متتالية، إذ توفي في العام الأول من ولايته الرابعة. ويعده هو أطول الرؤساء الأمريكيين بقاءً في المنصب، ولا يستطيع أحد الآن كسر رقمه القياسي بسبب تعديل دستوري أقر عام ١٩٥١م (التعديل الثاني والعشرون للدستور الأمريكي) (EN) يحدد الفترات الرئاسية بفترتين فقط.

وفي فبراير (شباط) ١٩٤٥م، اجتمع الملك عبد العزيز والرئيس روزفلت على ظهر المدمرة الأميركية «كوينسي»، التي نقلته إلى مؤتمر قمة بالطاء، لإرساء قواعد السلام بعد نهاية الحرب العالمية الثانية. موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٥م. تاريخ الاسترجاع: ١١/٨/١٤٣٦هـ. رابط: <http://ar.wikipedia.org>. وجريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: الثلاثاء ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ ٢٤ مايو ٢٠٠٥م، العدد: ٩٦٧٤.

(٢) مبادئ وتوجيهات تربوية مستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود، حنان صالح حكيمي، مرجع سابق. ص: (٣٠-٣١).

(٣) الملك خالد بن عبدالعزيز (دراسة تاريخية وحضارية)، موقع: قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، بتاريخ: ٦/٦/١٤٣٦هـ، رابط الموقع: (<http://www.kingkhalid.org.sa>).

"يجب أن نتقدم في مضمار المدنية والحضارة، وإن تأخرنا ناشئ عن عدم سيرنا في هذا الطريق"، وهذا ادعاء باطل، فالإسلام قد أمرنا بأخذ ما يفيدنا ويقوينا على شرط ألا يفسد علينا عقائدنا وشيئنا، فإذا أردنا التقدم فيجب أن نتبع الإسلام، وإلا كان الشر كل الشر في اتباع غيره.. إن المدنية الصحيحة هي التقدم والرقي، والتقدم لا يكون إلا بالعلم والعمل..<sup>(١)</sup>.

فقد وجد التعليم من الملك عبدالعزيز (رحمه الله) اهتماماً كبيراً فأسس المدارس بمختلف مراحلها التعليمية كما أسس الكليات، وتم تعيين المدرسين لها في مختلف التخصصات، وتم توفير الكتب الدراسية للطلاب، وجعل التعليم مجانياً للجميع<sup>(٢)</sup>. ويمكن تحديد بداية النمط الثقافي الحديث في المملكة العربية السعودية بتوحيدها وظهور ميزانية ثابتة للبلاد، ففي سنة (١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م) أسس الملك عبدالعزيز آل سعود مديرية المعارف السعودية للقيام بالإشراف على مختلف شؤون التربية والتعليم في البلاد، وظهرت المدارس النظامية الحكومية، وأصبحت جميع مصروفات التعليم للطلاب مجانية تدفعها الدولة تشجيعاً لهم<sup>(٣)</sup>.

كذلك كانت الكتب المدرسية والأدوات الكتابية تقدم للطلاب بدون مقابل، ولا نكون مبالغين إذا قلنا: إن الملك عبدالعزيز وضع كل إمكانيات الدولة وبذل كل غالٍ ورخيص في سبيل نشر العلم ومحو الأمية والقضاء على الجهل والتخلف وتهيئة الشعب،

(١) المصحف والسيوف، القابسي، مرجع سابق، ص: ٩٦-٩٧.

(٢) سيرة الملك عبدالعزيز وملحمة التوحيد، عبداللطيف بن دهيش، (إصدار بمناسبة المئوية) دار الملك عبدالعزيز-الرياض، ١٤١٩م. ص: ١٣.

(٣) مجلة أم القرى، العدد: (٦٦)، بتاريخ: ١٩/٩/١٣٤٤هـ، وزارة المعارف: التوثيق التربوي، نشرة نصف سنوية تصدرها وزارة المعارف، العدد: ٤٠، الرياض، مطابع دار الهلال، ١٤١٩هـ، ص: ٢٠.

بعد أن كان الجهل سائدا في عموم البلاد (١).

وفي ذلك يقول الملك عبدالعزيز: "...إذا نهض العرب مرة أخرى وأخذوا بقسطهم العلمي في سائر العلوم المادية فإنهم لا يأتون ببدعة، بل يعتبرون محيين لعهد أجدادهم الذين ملكوا ناصية العلم حقبة من الزمن وقدموا للإنسان خدمات لا تنكر.."(٢).

و الجدير بالذكر أن انتشار التعليم لم يقتصر في عهد الملك عبدالعزيز على تعليم الأولاد فحسب، بل اهتمت الدولة أيضا بتعليم البنات، فالنساء شقائق الرجال، والمرأة بحاجة إلى تعلم كل ما يلزمها في حياتها، ويهم مجتمعها من أمور دينها ودينها، وبدأ فقد شجعت الدولة قيام المدارس الأهلية للبنات، ورعت القائمة منها، وذلك في كل مدن الحجاز ونجد، والمنطقة الشرقية والشمالية وغيرها، وكان عدد هذه المدارس يزيد عن مائتي مدرسة، ثم تم افتتاح أكثر من إحدى عشرة مدرسة أهلية منها أربع مدارس في مكة المكرمة، وثلاث مدارس في جدة، ومدرستان في الرياض، ومدرسة في الطائف، ومدرسة بالمدينة المنورة (٣).

### ٣ - الإعلام:

تعد الوسائل الإعلامية ذات أثر فعّال في نشر الدعوة إلى الله تعالى، ومن أجل ذلك استثمرت المملكة العربية السعودية تلك الوسائل خير استثمار منذ عهد مؤسسها الملك عبد العزيز -رحمه الله-، فاستخدمت الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية (٤).

ولهذا كان اهتمام الملك عبد العزيز بالإعلام كوسيلة حديثة ومهمة وذات تأثير سريع

(١) الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، محمد الشثري، ص: ٢٣٩.

(٢) جزيرة العرب، حافظ وهبة، ص: ١٢٣.

(٣) تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية عبدالمملك بن عبدالله بن دهبش، (بداياته، مسيرته، حاضره)، (إصدار بمناسبة المئوية) دار الملك عبدالعزيز-الرياض، الطبعة: ١، ١٤١٩ م. ص: ٧٩.

(٤) جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله بن صالح العبود، طبع: عمادة البحث العلمي، ط ٢، الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة. (١/٢١٢-٢١٣).

وتوظيفها في الدعوة إلى الله، ونشر العلم، وتثقيف المجتمع، دليل على الوعي والنظر البعيد الذي تميز به (رحمه الله).

فنجد في الإعلام المقروء أن المملكة العربية السعودية بادرت للاهتمام به وسخرت جزءاً منه لخدمة الدعوة، ومن ذلك تخصيصها بعض المجالات لهذا الهدف، ومن ذلك مجلة الدعوة، ومجلة البحوث الإسلامية، ومجلة الجامعة الإسلامية، ومجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومجلة الرابطة، ومجلة التضامن الإسلامي، وغيرها العديد جداً من المجالات المهمة بشؤون الدعوة<sup>(١)</sup>.

ونجد في الإعلام المسموع وقتها وجود الإذاعة، فقد استهلّت الإذاعة إرسالها في عهد الملك عبد العزيز -رحمه الله- بكلمة منه في ١٣٦٨/١٢/٩هـ، ألقاها نيابة عنه سمو الأمير فيصل -رحمه الله-، واستمرت هذه الإذاعة في بثها بمقدار ٧-١٤ ساعة في الأسبوع مقتصرة على بعض البرامج الإذاعية، التي كان من أبرزها: بث القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ونشرات الأخبار والبرامج الثقافية<sup>(٢)</sup>.

(١) تطور الصحافة في المملكة العربية السعودية، ص: ٢٤٨ وما بعدها.

بدأ تاريخ الإعلام في المملكة العربية السعودية بتاريخ الصحافة حيث أسست أول صحيفة وهي "أم القرى" عام ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م، وبتاريخ الكتاب حيث صدر أول نظام للمطابع والمطبوعات عام ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م وبتطويرها تأسست الإذاعة عام ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م. وتأسس التلفزيون عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م وبعد ذلك أخذت تتوالى سلسلة الإنجازات في مجالات الإعلام الأربعة مستهدفة خدمة المجتمع فكرياً وثقافياً في إطار من الأخلاق القائمة على مثل وقيم الإسلام وآدابه. انظر: موقع قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، مؤلفات (مسار: وزارة الإعلام) الإصدار الأول.

الرابط: <http://www.kingkhalid.org.sa> بتاريخ: ١٢/٨/١٤٣٦هـ

(٢) جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله بن صالح العبود، مرجع سابق: (٢١٢/١-٢١٣).

ومن الأمثلة الحية التي تدل على توجيه وسائل الإعلام لخدمة شعائر الإسلام ما تبثه وزارة الداخلية خلال وسائل الإعلام المختلفة إذا دخل شهر رمضان على التأكيد بوجوب مراعاة حرمة هذه الشعيرة، مجازاة من يفطر علانية بسحنه إلى نهاية شهر رمضان، وإن كان مقيمًا رحل إلى بلده<sup>(١)</sup>.

---

(١) جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الدعوة الإسلامية (ماضيًا حاضرًا)، ص: ١١.

## المبحث الثالث

## نتائج الكفاح وثمراته

بعد توحيد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) للجزيرة العربية كان من أهم نتائج هذا الكفاح المبارك، وثماره أنه عُني (رحمه الله) بكل الوسائل التي تسهم في استقرار البلاد، ورخائها، ومن ذلك:-

١ . دعوته إلى ضرورة التمسك بالعقيد الصحيحة، والتحذير من الشرك والاحاد، ومن ذلك قوله (رحمه الله) في بعض كلماته عن نفسه: (. . أما فإنني أعمل جهد طاقتي في سبيل إعلاء كلمة الدين، وإحلال عقيدة السلف الصالح في نفوس المسلمين..)<sup>(١)</sup>.

٢ . القيام بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد كان حرص الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على هذه الشعيرة بالغة الأهمية والرعاية، وكان ينفذها بنفسه وبرجاله الذين معه، اعتقادًا منه أنها هي أس التمكين في الأرض، وصلاح كل أمر لا يكون إلا بها، ومن ذلك قوله: (إن التناصح ضروري للمسلمين.. فالواجب على المسلم أن يحرص على دينه، وعلى نصيحة المسلمين..؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "الدين النصيحة.."<sup>(٢)</sup> (٣).

٣ . تطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامة الحدود، وهذا من أهم ما عمل عليه الملك عبدالعزيز، ولم يحايي فيه أحدًا، ولهذا كان لإقامة الحدود وتطبيق الشريعة الإسلامية في البلاد الأثر البالغ في استتباب الأمن واستقرار الحال.

٤ . العدل بين الرعية، ولاشك أن العدل أهم دعائم الحكم في أي بلد، وتحت أي

(١) مختارات من الخطب الملكية، دار الملك عبدالعزيز، مرجع سابق: (٧٤/١)

(٢) تقدم ترجمته، ص: ٤٢

(٣) مختارات من الخطب الملكية، دار الملك عبدالعزيز، مرجع سابق: (٩٤/١-٩٦)

سلطان، ولهذا كان من منهج الملك عبدالعزيز (رحمه الله) العدل بين الرعية، وأخذ الحق من القوي للضعيف، ومن السيد للعبد على حد سواء، ولهذا كان يحث عماله على العدل كما قال في بعض خطبه: (..فيجب على ولاة الشريعة أن يجتهدوا في أداء الواجب، ويسهروا على مصالح الناس، وينظروا في خصوماتهم بروح العدل والإنصاف، وعلى الشعب أن يمثل لأمر الله، فمن حُكِم له حمد الله، ومن حُكِم عليه حمده، الأول يحمده لأخذه حقه، والثاني يحمده لأنه منعه من أخذ حق غيره..)<sup>(١)</sup>.

٥. توطين أهل البادية، وإنشاء الهجر والقرى، فقد كانت سياسته (رحمه الله) تقريب أهل البادية من الحضرة، وتوطينهم، وتقليل تلك الفجوة التي كانت دهرًا طويلًا بينهم وبين أهل الحضرة، والتي تسببت في الكثير من المشكلات الاجتماعية والأمنية، كما كان لهذا العمل فوائد كثيرة منها العمل على نشر التعليم بين أهل البادية، ومنحهم حياة معيشية كريمة تنقلهم من شظف العيش ومصاعب الترحال.

٦. نشر العلم والمعرفة من خلال إنشاء المدارس، وطبع الكتب، وتشجيع طلاب العلم على التعلم، والعناية بالعلماء، وهذه أكثر من أن تحصى في مختلف أرجاء البلاد.

٧. تأهيل العناصر البشرية المدربة من المواطنين داخل البلاد وخارجها، وتكليفهم بالقيام على مختلف مهام الدولة في الداخل والخارج، وفي مختلف الأنشطة الأمنية، والاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والتعليمية، والخدمية، وغيرها.

٨. رفع مستوى الحالة المعيشية للمجتمعات، وتنمية اقتصاد الدولة، والاستفادة من الثروات، مما جعل البلاد ترفل في الكثير من النعم، ووفرة الخير.

٩. إنشاء الأجهزة الحكومية المختلفة، وتنظيمها، والعمل على تعميمها في مختلف أرجاء البلاد لتسهيل حاجات الناس، وتلبية رغباتهم، وتنظيم أمورهم السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، وغيرها، وذلك من خلال:

(١) مختارات من الخطب الملكية، دار الملك عبدالعزيز، مرجع سابق: (١/١٠٠)

■ تنظيم أمور البلدية ووضع لوائح صالحة لها تمكنها من القيام بواجباتها في خدمة البلد، والنظر في موازنة دخلها وخرجها، وفي المسائل الصحية والوسائل اللازمة لذلك.

■ النظر في نظام المحاكم الشرعية، وترتيبها بصورة تضمن توزيع العدل، وتطبيق الأحكام الشرعية.

■ تدقيق مسائل الأوقاف والنظر في أبو اب الصرف الشرعية.

■ النظر في حفظ الأمن داخل البلاد وترتيب الشرطة اللازمة لذلك.

■ تعميم التعليم الديني، والسعي في تعميم القراءة والكتابة.

■ النظر في المسائل المرقية للتجارة والمسهلة لسبلها، وترقية وسائل البرق والبريد.

■ تشكيل لجان دائمة لحل المشاكل الداخلية التي يُرجع فيها إلى العرف الذي لا تخالف أصلاً من أصول الشريعة المطهرة<sup>(١)</sup>.

■ الاهتمام بالطرق وتذليل الصعاب أمام القوافل التجارية، وقوافل الحج والعمرة وغيرها، وكان ذلك الاهتمام من الملك عبدالعزيز (رحمه الله) دليلاً على إدراكه لأهمية الطرق المسفلتة، والممهدة في مختلف المجالات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وفي بناء الدولة الحديثة<sup>(٢)</sup>.

١٠. العمل على أن تنعم البلاد بالاستقرار السياسي من خلال الحكم القائم على التسامح والحوار، والأخذ على يد الظالم، والعدل بين الناس.

١١. رعاية الحج وتأمين الحجيج، فقد كان من أول أعماله حين تسلم الحجاز أن رتب أمور الحج، وما يحتاجه الحجيج من رعاية أمنية واجتماعية وغيرها.

(١) البلاد العربية السعودية، حمزة، فؤاد، مكتبة النصر الحديثة- الرياض. الطبعة: ٢، ١٩٨٨هـ. ص ١٠١.

(٢) المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، إلى ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، فهد بن مرزوق اللحياني: (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية، ١٤٢٩هـ. ص: ٣٩٣.



١٢. اتخاذ الملك عبد العزيز (رحمه الله) عدة خطوات وتدابير عامة للاهتمام بالشؤون الصحية، فأبقى على الخدمات الموجودة قبل عهده، وعمل على تحسينها وتطوير أدائها، وكان أكثر ما يهدد الصحة في مكة الأمراض، لكونها منطقة مفتوحة للحجاج<sup>(١)</sup>، حيث أمر بإنشاء المستشفيات الصحية وتوفير المستلزمات والخدمات الصحية الحديثة.

١٣. الانفتاح على العالم الخارجي بضوابط الشرع.

١٤. نشر الدعوة إلى الله على منهج الكتاب والسنة وفهم السلف الصالح داخل البلاد وخارجها.

١٥. العفو والتسامح، فقد عامل الملك عبد العزيز -منذ بدأ مسيرة توحيد البلاد- أبناء البيوتات العربية الكريمة ممن دخلوا معه في خصوماته معاملة تليق به، وتعطيه خلودًا في التاريخ، فمثلاً أمراء حائل الذين هم من أقوى الخصوم أكرمهم، ولم يسفك دم أحد منهم، وصاهرهم، ومثل ما عامل هذه الأسرة الكريمة عامل غيرها من الأسر العربية الأخرى كالأشراف، والأتراك، وغيرهم من أسر الجزيرة العربية الأخرى، وكان حريصًا كل الحرص على محارم المسلمين ونسائهم، غيورا على العرض، ولم يقبل من أحد من جنوده التطاول على أعدائه في هذا الجانب، فكسب الناس بأخلاقه وقيمه بعد توفيق الله له<sup>(٢)</sup>.

(١) نيابة الأمير فيصل العامة في الحجاز في عهد الملك عبدالعزيز شيخه بنت صالح شعيب، (١٣٤٤هـ - ١٣٧٣هـ/١٩٢٦م - ١٩٥٣م) (رسالة دكتوراه)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، ١٤٣٢هـ. ص: ٢٢٣.

(٢) لسراة الليل هتف الصباح (الملك عبدالعزيز -دراسة وثائقية)، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ط: ٣، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٧م. ص: ٦٥٤.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

لا شك أن استعراض موضوع أوجه اهتمام الملك المؤسسة (رحمه الله) بالدعوة إلى الله في داخل المملكة وخارجها أوسع وأعمق من أن تفي به هذه الوريقات، وإنما أراد الباحث تسليط الضوء على بعض تلك المنعطفات الهامة في حياة المؤسسة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وما قام به من خدمة جليلة للدعوة الإسلامية السلفية في الجزيرة العربية، وخارجها.

فقد حكم الملك عبدالعزيز رحمه الله ثلاثة وخمسين عامًا، ولم تكن مدة حكمه مجرد زمن يقاس به الحكم والسلطان والملك فحسب، ولكنه كان زمنًا لقيام الملك والمملكة، ولتوحيد دولة فرقته الحروب والنزاعات القبلية، وللتصدي لقوى داخلية وخارجية في سعيها إلى الوقوف ضده، وكذلك لبدء نهضة عامة للمملكة، نقلتها من البداوة إلى الحضارة، ومن التخلف المادي والفكري إلى التقدم العلمي والحضاري، وجعلت مكانها في عالمها العربي والإسلامي، مكافئًا ومساويًا لقدرها الحقيقي، وبحسب ما اختصها الله به من ظهور الإسلام فيها، ووجود الحرمين الشريفين على أرضها<sup>(١)</sup>.

ولعل من أهم النتائج والتوصيات التي توصل لها الباحث في ختام هذا البحث ما يلي:

## أولاً: النتائج.

١- اهتمام الملك عبد العزيز (رحمه الله) الدائم بشؤون الدعوة إلى الله والتأكيد على هذا الهم الملازم له في حله وترحاله في كل مناسبة، والسعي تنشر المنهج السلفي الصحيح

(١) الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، التركي، مرجع سابق، ص: ٨

بين الناس.

٢- تولى الملك عبد العزيز (رحمه الله) الكثير من أمور الدعوة بنفسه، وخاصة في خطابه السنوي لأهل الموقف في يوم وعرفة وفي بعض مختلف الموافق التي ينتصب فيها للخطابة وتوجيه الرعية، وتقديم النصح لها، وكذلك في مخاطباته للوفود الدولية القادمة إلى المملكة.

٣- العمل الدؤوب على الرفع من شأن العرب والمسلمين، وحثهم على الافتخار بدينهم عقيدة وسلوكًا ومنهجًا في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية، والاقتصادية، والصناعية، وغيرها.

٤- عدم التمييز بين أفراد الرعية واعتبار الناس كلهم عنده سواء.

٥- استشعاره لخطر الالحاد في تلك الحقبة من الزمن، والتنبيه على خطره في بعض خطبه وكلماته، والتحذير من الوقوع فيه، وأنه لن يقبل صدوره من أحد كائنًا من كان.

٦- الدعوة إلى ترابط المسلمين، وتآلفهم وتعاضدهم وأن ذلك هو الأساس للنجاح والفلاح في الدارين، والتحذير من الافتراق، وتلقف الشائعات، والسعي الدائم إلى توضيح ما أشكل على البعض مما قام به من أعمال أو أصدره من أوامر، وتقديم المبررات الشرعية والعقلية لذلك.

٧- التعامل السياسي المحكم مع مختلف القبائل العربية داخل الجزيرة العربية، والقدرة على فهم طبائعهم، وجلبهم لما فيه المصلحة العامة من خلال نشر العدل بينهم، ورد المظالم لأصحابها، وتوطين البدو، وتحسين الظروف المادية والثقافية لهم، وتقديم الخدمات العامة التي تلي احتياجاتهم.

٨- اهتمام الملك عبدالعزيز (رحمه الله) بنشر التعليم، والثقافة في مجتمع الجزيرة العربية، وإنشاء المدارس، والجامعات، وطباعة الكتب ونشرها، والحث على تعلم القراءة والكتابة، والعمل على محو الأمية في أوساط المجتمع البدوي من خلال مدارس محو الأمية.

٩- أن الملك عبدالعزيز (رحمه الله) كان -غالبًا- في خطابه للمجتمع يستخدم لغة سهلة ومبسطة يفهمها العامي والمتعلم على حد سواء، وهذا دليل على ذكائه وفطنته لأحوال مخاطبيه.

١٠- قدرة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على ضبط النفس، والتعامل مع جفاة العرب بحنكة وسياسة، واستخدام اسلوب العفو والصفح فيما ليس فيه حق للغير، ولا هو مخالف للشرع.

١١- قدرة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على التحول أثناء خطابه من حال اللين إلى حال القوة، واستخدام الشدة في وقتها المناسب.

١٢- تفاني الملك عبدالعزيز (رحمه الله) في العمل الخيري، وتلبية حاجات المحتاجين، ولو اقتضى الأمر أن يستدين لذلك، وهذا من إنسانيته واهتمامه بالرعية.

١٣- إدراك الملك عبد العزيز (رحمه الله) لأهمية انتشار العقيدة الصحيحة بين الناس، وأنها هي صمام الأمان الذي بدوره هو العامل الأهم للاستقرار في مختلف أرجاء البلاد، وهو ما ميز الحكم السعودي في تلك الفترة المضطربة.

## ثانياً: التوصيات.

- ١- القيام بدراسات دعوية لبيان الأساليب والوسائل التي استخدمها الملك عبد العزيز (رحمه الله) في التأثير على المجتمع داخل الجزيرة العربية.
- ٢- إعداد دراسات عن الجهود الدعوية عن الملك عبد العزيز خلال مسيرته المباركة.
- ٣- تسليط الضوء على كفاح الملك عبد العزيز (رحمه الله) في سبيل حماية الدعوة السلفية من الأعداء.
- ٤- إقامة دراسة حول اهتمام الملك عبد العزيز بنشر العقيدة السلفية في التعليم بمختلف مراحلها.
- ٥- إعداد دراسة حول الإلحاد في عهد الملك عبدالعزيز وسبل محاربته.
- ٦- إعداد بحث عن العوامل التي أسهمت في انتشار المنهج السلفي في جزيرة العرب واستمراره، واستعراض المخاطر التي تواجه هذا المنهج، وسبل التصدي لها.
- ٧- تضمين المناهج الدراسية وخاصة الشرعية منها صور من جهود حكام المملكة العربية السعودية في نشر الدعوة إلى الله، والدفاع عن العقيد السلفية الصافية، وخاصة في العهد الأول لهذه الدولة المباركة.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: ١، ١٤٢٢ هـ.
- ٢- مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢١ هـ.
- ٣- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت
- ٤- سنن الترمذي (الجامع الكبير)، محمد بن عيسى بن سؤرة، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت. ١٩٩٨ م
- ٥- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- ٦- المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: ١، ١٤١١ هـ.
- ٧- تحقيق الملك عبدالعزيز (رحمه الله) مرجعية الدعوة، صالح بن عبد الله العبود، بحوث ندوة الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز (رحمه الله) الرياض: ٢١-٢٤/٢/١٤٢٠ هـ.
- ٨- أحسن القصص (أو سيرة جلالة الملك عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود)، نظم: خالد بن محمد الفرّج، مخطوط ق: ١٤ هـ، برقم: (٩٥٣،٨)، جامعة الملك سعود-الرياض.
- ٩- الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله نموذج من الرعيل الأول، عبد المحسن بن

- حمد العباد البدر، دار ابن القيم، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٢١هـ.
- ١٠- شذرات البلاطين من سير العلماء المعاصرين، أبو الأشبال أحمد سالم المصري، دار الكيان للنشر-الرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ.
- ١١- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة للنشر، ط: ٢، ١٣٩٤هـ.
- ١٢- السيد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، شكيب أرسلان، دار الفضيلة-القاهرة.
- ١٣- رجال عرفتهم، عباس محمود العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة-القاهرة. ٢٠١٣م.
- ١٤- أسد الغابة: الملك الهمام عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، ناصر بن محمد الهماش آل عاصم، (١٤١٩هـ)، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.
- ١٥- أصدق البنود في تاريخ عبدالعزيز آل سعود، عبدالله العلي المنصور الزامل، المؤسسة التجارية للطباعة، بيروت-لبنان. الطبعة: ١، ١٣٩٢م.
- ١٦- المرجعية: معناها وأهميتها وأقسامها، سعيد بن ناصر الغامدي، مجلة جامعة أم القرى للعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٥٠) رجب: ١٤٣١هـ..
- ١٧- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد، دار إحياء التراث العربي-بيروت، (١٤٠٥هـ).
- ١٨- السمات الدعوية في شخصية الملك عبدالعزيز، محمد بن سعد الشويعر، ندوة علمية تحت عنوان "الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (رحمه الله)" انعقدت في الرياض في ٢٣ / ٢ / ١٤٢٠ هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد-الرياض. الطبعة: ١، ١٤٢١هـ.
- ١٩- صفات الملك عبدالعزيز وسيرته، عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش، ندوة

(الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله بالرياض ١٤٢٠هـ) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

٢٠- عناية الملك عبدالعزيز بالكتب اطلاقاً ونشراً، عبدالله عبدالرحيم عسيلان، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية (مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة) من ٢٥-٢٧/١/١٤٢٠هـ.

٢١- لسراة الليل هتف الصباح (الملك عبدالعزيز-دراسة وثائقية)، عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، ط:٣، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

٢٢- مبادئ وتوجهات تربوية مستنبطة من خطب الملك عبدالعزيز آل سعود، حنان صالح حكيمي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى - كلية التربية ١٤١٨هـ.

٢٣- مختارات من الخطب الملكية، جمع إدارة دار الملك عبدالعزيز، دار الملك عبدالعزيز-الرياض. رقم الطبعة: (بدون)، ١٤١٩هـ.

٢٤- مراتب الإجماع، باب من الاجماع في الاعتقادات، لابن حزم الظاهري، طبع: مكتبة القدسي، ١٣٥٧هـ.

٢٥- المصحف والسيف، محيي الدين القاسبي، دار الناصر للطباعة-الرياض، ط:٣، ١٤١٨هـ.

٢٦- المغني لموفق ابن قدامة المقدسي، ويليه الشرح الكبير لأبي الفرج ابن قدامة المقدسي، تحقيق: محمد رشيد رضا، طبع: دار المنار-مصر. ١٣٤٧هـ. تصوير دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

٢٧- مفردات غريب ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، دار القلم- دمشق، الطبعة: ٤، ١٤٣٠هـ.



- ٢٨- الملك الراشد (جلالة الملك المغفور له عبدالعزيز آل سعود)، عبد المنعم الغلامي، عناية: مؤيد الغلامي، دار اللواء، ط: ٢، ١٤٠٠هـ..
- ٢٩- الملك عبد العزيز والتعليم، عبد الله سعيد أبو راس، وبدر الدين الديب: ط ١، شركة العبيكان، الرياض، ١٤٠٧هـ. ص: ٢٢
- ٣٠- الملك عبدالعزيز آل سعود أمة في رجل، عبدالله بن عبدالمحسن التركي، (بحث منشور على الشبكة العنكبوتية).
- ٣١- الملك عبدالعزيز ووقف الكتب، فهد عبدالله السماري، ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك عبدالعزيز-المدينة المنورة. من ٢٥- ٢٧/١/١٤٢٠هـ. وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.
- ٣٢- تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ودار القومية العربية للطباعة، ١٣٨٤هـ.
- ٣٣- الوجيز في سيرة الملك عبدالعزيز، خير الدين الزركلي، دار العالم للملايين- بيروت. الطبعة: ١٠، ١٩٩٩م.
- ٣٤- البلاد العربية السعودية، فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة- الرياض. الطبعة: ٢، ١٩٨٨هـ.
- ٣٥- المدينة المنورة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣هـ—/١٩٢٥م إلى ١٣٧٣هـ—/١٩٥٣م) اللحياني، فهد بن مرزوق: (رسالة ماجستير)، جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية، ١٤٢٩هـ.
- ٣٦- سيرة الملك عبدالعزيز وملحمة التوحيد، عبداللطيف بن دهيش، (إصدار بمناسبة المتوية) دار الملك عبدالعزيز-الرياض، ١٤١٩م.
- ٣٧- تعليم البنات بالمملكة العربية السعودية عبدالمملك بن عبدالله بن دهيش،

(بداياته، مسيرته، حاضره)، (إصدار بمناسبة المئوية) دار الملك عبدالعزيز-الرياض،  
الطبعة: ١، ١٤١٩م.

٣٨- نيابة الأمير فيصل العامة في الحجاز في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٤هـ) —

١٣٧٣هـ/—١٩٢٦م-١٩٥٣م)، شيخة بنت صالح شعيب: (رسالة دكتوراه)،  
جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم التاريخ، ١٤٣٢هـ.

٣٩- مناهج البحث في التربية وعلم النفس، جابر عبد الحميد جابر، وأحمد خيري  
كاظم، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

٤٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب الفتن، باب  
كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، برقم: (٦٦٧٣).

٤١- شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، خير الدين الزركلي.

٤٢- جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله في الخارج من خلال الجامعة  
الإسلامية، عبدالله بن صالح العبود، طبع: عمادة البحث العلمي، الجامعة  
الإسلامية-المدينة المنورة.

٤٣- بلاغ عام من السلطان عبدالعزيز إلى أهل الحجاز، جريدة أم القرى، العدد  
٥٢، بتاريخ: ١١/٦/١٣٤٤هـ. ص: ١. نقلا عن موقع: مقاتل من الصحراء،  
الاصدار ١٥، (<http://www.moqatel.com>) الملحق رقم: ٢٦،  
بتاريخ: ١٤/٣/١٤٣٦هـ.

- ٤٤ - الملك خالد بن عبدالعزيز (دراسة تاريخية وحصارية)، موقع: قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، بتاريخ: ١٤٣٦/٦/٦هـ، رابط الموقع: <http://www.kingkhalid.org.sa>.
- ٤٥ - مؤلفات (مسار: وزارة الإعلام)، موقع قاعدة معلومات الملك خالد بن عبدالعزيز، الإصدار الأول. الرابط: <http://www.kingkhalid.org.sa> بتاريخ: ١٤٣٦/٨/١٢هـ
- ٤٦ - موقع ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، بتاريخ ١٤ أبريل ٢٠١٥م. تاريخ الاسترجاع: <http://ar.wikipedia.org>. رابط: ١٤٣٦/٨/١١هـ.
- ٤٧ - جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ: الثلاثاء ١٥ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ - ٢٤ مايو ٢٠٠٥م، العدد: ٩٦٧٤.

## البحث رقم (٣)

مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها  
في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م

إعداد

د. عبير بنت خالد بن محمد الشلهوب

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أمّا بعد:

تسعى المملكة العربية السعودية في رؤيتها ٢٠٣٠ لتعزيز قيم متعددة في الشخصية الوطنية، حيث نصّ وصف برنامج تعزيز الشخصية الوطنية على (تعزيز قيم الوسطية، والتسامح، والإيجابية، والمثابرة)<sup>(١)</sup>؛ وحيث أنّ الدعاة إلى الله من أولى الناس بتعزيز القيم في نفوس المدعوين، وكذلك لكون أغلب المدعوين الذين يواجههم الدعاة السعوديون هم من أبناء الوطن، سعى هذا البحث لتسليط الضوء على مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

## أهمية الموضوع:

○ الحاجة لإيضاح مفهوم الإيجابية؛ لكثرة تداوله والحث على التحلي به مؤخراً.  
○ ارتباط تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية، برؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، التي ينبغي على كل فرد في المجتمع أن يسهم بتحقيقها حسب قدرته واستطاعته، والدعاة إلى الله من أولى الناس بتعزيز الإيجابية؛ لاشتمال نواحيها على أمور حثت عليها الدعوة الإسلامية.

○ كون المواطن السعودي أنموذجاً إسلامياً يحتذى به غالباً من قبل شعوب العالم الإسلامي؛ لوجود قبلة المسلمين، والمقدسات الإسلامية في بلاده، مما يزيد من مسؤولية الدعاة إلى الله تجاه تعزيز الإيجابية في شخصيته.

## أسباب اختيار موضوع البحث:

(١) رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠ <https://vision2030.gov.sa/ar/programs/NCEP>

- رغبة الباحثة بالمساهمة في موضوع يخدم رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.
- جمع مادة علمية ميسرة تعين الدعاة إلى الله على تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية.

#### أهداف البحث:

- تحديد المقصود بمفهوم الإيجابية.
- تسليط الضوء على جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية.
- إيضاح أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية.
- تحديد سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

#### تساؤلات البحث:

- ما المقصود بمفهوم الإيجابية؟
- ما جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية؟
- ما أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية؟
- ما سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة ٢٠٣٠؟

## الدراسات السابقة:

○ الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها<sup>(١)</sup>، البحث نظري تأصيلي، لم يذكر فيه الباحث نوع المنهج المتبع، لكن من خلال تأمل الرسالة تبين أن الباحث جمع بين المنهجين الاستقرائي، والاستنباطي، وتم تقسيم الدراسة لثلاثة أبواب، عن المنهج الإسلامي في بناء الشخصية، والشخصية في الإسلام، وأمراض الشخصية وعلاجها في الإسلام.

**وجه الاتفاق:** كلاهما يتفقان في تسليط الضوء على بناء الشخصية.

**وجه الاختلاف:** البحث السابق تناول بإسهاب بناء الشخصية بشكل كامل في الإسلام، وبعض ما يعترئها من أمراض وكيفية العلاج، أما البحث الحالي فيسلط الضوء على مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠.

○ دور معلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية بمحافظة غزة في تعزيز سمات الشخصية المؤمنة وسبل تطويره<sup>(٢)</sup>، تم توزيع استمارات الدراسة على خمسين طالب وطالبة، واستخدم الباحث المقابلة الشخصية لبعض المختصين في مجال التربية الإسلامية، والدعاة لتطوير دور معلمي التربية الإسلامية في تعزيز سمات الشخصية المؤمنة؛ كما استخدم المنهج الاستنباطي في استنباط سمات الشخصية المؤمنة من خلال آيات القرآن الكريم.

**وجه الاتفاق:** تتفق الدراسة السابقة مع البحث الحالي في كونها يهدفان لتعزيز سمات الشخصية، حيث تهدف الدراسة الأولى لتعزيزها بشكل عام، أما البحث فيهدف لتعزيز

(١) التركي، ناصر عبدالله، "رسالة ماجستير، السعودية: كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، الرياض، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م.

(٢) عمران، سلمان حسن، رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، الجامعة الإسلامية، ٢٠١٥م.



قيمة الإيجابية بشكل خاص في الشخصية السعودية، وأيضًا تتفقان في كون الباحث عدّ الدعاة إلى الله من الأشخاص المؤثرين في تعزيز السمات الشخصية.

**وجه الاختلاف:** طبيعة منهج وحجم الدراسة، فالدراسة السابقة رسالة ماجستير استخدم الباحث فيها المنهج المسحي حيث تنوعت أدوات الدراسة بين الاستمارة، والمقابلة، أما هذا البحث فمنهجه المنهج الاستقرائي الناقص، مع المنهج الاستنباطي، وهو من أبحاث الترقية القصيرة.

### بعض مصطلحات البحث\* (١):

○ **الإيجابية:** الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك\* (٢)

○ **المسؤولية:** المسؤولية بشكل عام: حال أو صفة من يسأل عن أمر تقع عليه تبعته ... ويقصد بها (أخلاقيًا): التزام الشخص بما يصدر عنه قولًا أو عملاً<sup>(٣)</sup>، وللدعوة إلى الله تعريفات متعددة لكن يمكن أن يقال أنّ المقصود بالدعوة إلى الله حين تقديمها للمدعو المسلم: استخدام كافة الوسائل والأساليب المشروعة لحث المدعويين على تطبيق أحكام الإسلام، أو الثبات عليها؛ ليفوزوا بسعادة الدارين<sup>(٤)</sup>، فيكون المقصود **بالمسؤولية الدعوية:** التزام الداعية باستخدام كافة الوسائل والأساليب المشروعة لحث المدعويين على تطبيق أحكام الإسلام، أو الثبات عليها؛ ليفوزوا بسعادة الدارين.

○ **الداعي إلى الله:** (القائم بالدعوة، والمباشر لأدائها، والمزاوول لمهامها سواءً أكان متطوعًا أو رسميًا فردًا كان أو جماعة)<sup>(٥)</sup>، ومما يجدر التنبيه إليه أنّ المقصود بالداعي إلى الله،

(١) لن تفصل الباحثة في التعاريف؛ لسهولة الوصول للمعاجم حاليًا.

(٢) ولم يتم تفصيل تعريف مصطلح الإيجابية هنا؛ لكون المبحث الأول فصلّ في بيان مفهومها.

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمع وإخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، (١/٤١١).

(٤) انظر: الدعوة فئة المتخصصين في غير العلوم الشرعية، أ.د. حمد العمار، (ص ١٦).

(٥) المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، د. عبدالله المجلي، (ص ١١).

كل مسلم ينقل أحكام الإسلام لغيره حسب قدرته واستطاعته، أو يطبقها مخلصاً في شؤون حياته ويكون قدوة لغيره، فالأم إن كانت تُعلّم أفراد أسرتها أي حكم من أحكام الدعوة الإسلامية فهي داعية، والموظف الذي يكون قدوة بأخلاقه، وتعاملاته فهو داعية، ويقاس على ذلك.

○ **تعزير:** عزز فلاناً أي: قواه، دعمه، شدده، جعله عزيزاً، أمدّه، أيده<sup>(١)</sup>، والتعزير: (الاجراء الذي يؤدي فيه حدوث السلوك إلى توابع إيجابية، أو إزالة توابع سلبية، الأمر الذي يترتب عليه زيادة إكمال حدوث ذلك السلوك في المستقبل في المواقف المماثلة)<sup>(٢)</sup>.

○ **الشخصية:** (صفات تميز الشخص من غيره ويقال فلان ذو شخصية قوية ذو صفات متميزة وإرادة وكيان مستقل)<sup>(٣)</sup>، وعند إطلاق مصطلح الشخصية فإن المعنى ينصرف لواحد من المعاني التالية<sup>(٤)</sup>:

- ١- الشخص أو الفرد حسب ما يظهر للآخرين، وهي مرتبطة بمفهوم القناع.
- ٢- مجموعة الصفات التي يكون عليها الفرد.
- ٣- الدور الذي يقوم به الفرد في حياته.
- ٤- صاحب المكانة الاجتماعية، أو من يحتل مركزاً كبيراً في المجتمع.

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٢/١٤٩٢).

(٢) دور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الإسلامية لدى طلابهم في محافظات غزة، عبدالكريم قشلان، "رسالة ماجستير"، (ص٧).

(٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (١/٤٧٥).

(٤) انظر: سيكولوجية الشخصية، د. سيد محمد غنيم، (ص٤٢-٤٣).

وقد ذكر أنّ تعريف الشخصية من أصعب الاصطلاحات فهماً وتفسيراً، ولكن يمكن أن يقصد به: البناء الخاص بصفات الفرد وأمط سلوكه، الذي من شأنه أن يحدد لنا طريقته المتفردة في تكيفه مع بيئته، والذي يتنبأ باستجاباته<sup>(١)</sup>.

**فيكون المقصود من عنوان هذا البحث:** التزام الداعية بدعم وتنمية الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك في المواطن السعودي على ضوء رؤية ٢٠٣٠.

### منهج البحث:

المنهج الاستقرائي الناقص<sup>(٢)</sup>، حيث قامت الباحثة بتتبع واستقراء بعض من كتب عن مفهوم الإيجابية، وكيفية تعزيزه في الشخصيات. والمنهج الاستدلالي الاستنباطي<sup>(٣)</sup>؛ لضرورة التأمل الذهني لعدد من المعطيات ثم استنباط التصور العام عنها.

(١) انظر: تعريف الشخصية، أ. ناجح حمزة المعموري، جامعة بابل، محاضرة مفرغة، ٢٠١٤م،

<http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=13&lcid=38631>

(٢) (وهو ما يقوم على الاكتفاء ببعض جزئيات المسألة، وإجراء الدراسة عليها بالتتابع لما يعرض لها... وذلك لإصدار أحكام عامة تشمل جميع جزئيات المسألة التي لم تدخل تحت الدراسة)، البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته، الربيعه، د. عبدالعزيز، (١/١٧٩). يختلف مفهوم المنهج الاستقرائي في العلوم الإنسانية نوعاً ما عنه في العلوم الطبيعية، فيقصد بها غالباً في العلوم الإنسانية التتبع، والجمع.

(٣) ربط العقل بين المقدمات والنتائج، أو بين الأشياء وعللها على أساس التأمل الذهني، انظر: البحث العلمي مناهجه وتقنياته، عمر، محمد زيان، (ص ٤٩).

تقسيمات البحث:

المبحث الأول: مفهوم الإيجابية

المبحث الثاني: جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية

المبحث الثالث: أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية

المبحث الرابع: سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة

العربية السعودية ٢٠٣٠

الخاتمة

أهم النتائج

التوصيات

## المبحث الأول

### مفهوم الإيجابية

**مفهوم الإيجابية لغةً:** إيجابيٌّ مفرد، وهو اسم منسوب إلى إيجاب، عكسه سلبيٌّ، وهو مؤشِّر لتصرفٍ حياد، ويقصد بالإيجابي أيضاً الإنسان العملي في مشاريعه، والذي يتَّخذ خطوات إيجابيّة لحفظ السَّلام، والإيجابيّات: كلُّ ما يصدر من أمور ناجحة (١).

**مفهوم الإيجابية اصطلاحاً:** تنوعت تعريف الإيجابية حسب النظرة لها، فمنهم من عرفها بتعاريف متوافقة مع المعتقد الإسلامي، ومنهم من خلط فيها معانٍ باطلة، وتفصيل ذلك كالتالي:

○ قيل: (القدرة على الاضطلاع بالمسؤولية، واتخاذ القرار، والمضي به وبالآخرين إن لزم الأمر، إلى حيز التنفيذ، اشباعاً للحاجات في الواقع، وذلك في مواجهة المواقف الجديدة، ودون إضرار بالآخرين...) (٢).

في هذا التعريف عدّ المؤلف تحمل المسؤولية، وحسن اتخاذ القرار، والمواجهة مفهوماً للإيجابية، وتعتقد الباحثة أنّ مفهوم الإيجابية أكثر اتساعاً.

○ وقيل: (خاصية مميزة للشخصية المسلمة... ما من إيجابية في مواجهة الحياة أقوى من الإقبال عليها؛ للتدبر والفهم... وأن الفرد الذي يقبل على الحياة هذا الإقبال هو الإيجابي فيها، وكذلك أيضاً من الإيجابية في الحياة التفتح على الآخرين، والاحتفاء بهم، ورعايتهم، ومشاركتهم أمور حياتهم) (٣).

فالمؤلف هنا لم يذكر التعريف كحد جامع مانع، بل استطرد على هيئة شرح، حيث جعل الإيجابية خاصية مميزة للشخصية المسلمة، وقد جعل الإيجابية تتمثل في الإقدام،

(١) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، (٣/٢٤٠٠).

(٢) تصميم اختبار التوافق النفسي للراشدين، مجدي كمال عبيد، "رسالة ماجستير"، (ص٥٦).

(٣) المسؤولية الاجتماعية والشخصية، سيد محمد عثمان، (ص٨-١٠).

والمواجهة، والمشاركة الاجتماعية الفاعلة، وكل ما ذكره من الأمور المهمة التي تندرج في معنى الإيجابية.

○ وقيل: (هي التي تجعل من الإنسان ذلك الخالق الصغير الذي خلقه الله على شاكلته، والتي تميز الإنسان حقًا عن سائر الكائنات الأخرى) (١).

ويتبين من هذا التعريف حجم الخلل العقدي الموجود فيه، حيث جعل المؤلف خلقة الإنسان على شاكلة خلق الخالق تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، ولعل السبب في وجود هذا الخلل؛ كون المصطلح من المصطلحات المترجمة التي لم تنبع في البيئة العربية، ولا الإسلامية، بل هو ترجمة حرفية للجملة الإنجليزية (positive thinking)، التي تم الترويج لها تحت حركة الفكر الجديد، الذي يتبنى تعظيم القدرات البشرية الكامنة، وقوة أثر التفكير الإيجابي، وكونه المتسبب في تشكيل واقع الإنسان، وخلقته (٢)، بينما تبين النصوص الشرعية الأطوار التي يتقلب فيها الإنسان، وأنّ الغالب فيها الضعف لا القوة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ (٣)، أي: (الله الذي خلقكم أيها الناس (من ضعف) يقول: من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشرًا سويًا، (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يقول: ثم جعل لكم قوة على التصرف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة، (ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة) يقول: ثم أحدث لكم

(١) الإيجابية كمييار وحيد وأكيد، صلاح مخيمر، (ص ١٠-١١)، ذكر بعض المؤلفين أنّ مصطلح الإيجابية لم يكن له وجود في معاجم علم النفس، ودوائره ومعارفه، وأن أول من أدخل المصطلح مخيمر، صاحب الكتاب السابق.

(٢) انظر: حركة العصر الجديد مفهومها ونشأتها وتطبيقاتها، د. هيفاء بنت ناصر الرشيد، (ص ٤٧).

(٣) سورة الروم، الآية: ٥٤.

الضعف، بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوىاء في شبابكم، وشيبة<sup>(١)</sup>، فكيف يكون من هذا وصفه على شاكلة الخالق تعالى!!

○ ويقصد بالإيجابية في هذا البحث، الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك.

فإصلاح النفس أي تركيتها بالبعد عن الذنوب والمعاصي، والاستكثار من الطاعات، وإصلاحها، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>(٢)</sup>، (أي: طهر نفسه من الذنوب، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح)<sup>(٣)</sup>، ويكون ذلك مع الحرص على منهج الوسطية، كما علمنا خير الدعاة عليهم السلام بقوله: ((... وإنّ لنفسك حقاً، ولأهلك حقاً...))<sup>(٤)</sup>، ونفع المجتمع أي: المسؤولية المجتمعية التي يقصد بها (مجموعة استجابات الفرد الدالة على اهتمامه بالجماعة التي ينتمي إليها، وفهمه لمشاكلها، ومشاركته في حلها)<sup>(٥)</sup>، وتكون بطرق متعددة منها: نشر التفاؤل والأمل، والبعد عن الإرجاف، ومساعدة الناس وفق القدرة والاستطاعة، وقد جمعت الباحثة في التعريف بين الرغبة والعمل، فلا قيمة للرغبة دون عمل على تحقيقها.

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (١١٨/٢٠).

(٢) سورة الشمس، الآية: ٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، (ص٩٢٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، كتاب: التهجد، باب: ما يكره من ترك قيام الليل لمن كان يقومه، رقم ١١٥٣.

(٥) المسؤولية الاجتماعية "دراسة نفسية اجتماعية"، سيد أحمد عثمان، (ص١٢).

## المبحث الثاني

## جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية

## أولاً: الجانب العلمي

اعتنت الدعوة الإسلامية بالعلم، فأول آية أنزلت على سيد الدعاة ﷺ كانت قوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(١)</sup>، فجاء الأمر بالقراءة التي تعد مفتاحاً للعلوم جميعها، حيث لا يمكن للمدعويين أن يعبدوا الله حق عبادته إلا بمعرفة مراده، وذلك يتحقق بقراءة القرآن، والأخذ عن خير الدعاة عليه الصلاة والسلام، وطريق ذلك العلم الشرعي، الذي يعد من أجلّ العلوم، حيث قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُتُوا بِالْعِلْمِ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، والنصوص في فضل العلم كثيرة جداً، وقد ذكر العلماء رحمهم الله أنّ العلم إذا أطلق في القرآن الكريم، والسنة المطهرة يراد به العلم الشرعي الذي يوصل إلى العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته، وأمره ونهيه، ووعدته ووعيدته، وثوابه وعقابه<sup>(٣)</sup>، وهذا العلم الشرعي منه ما هو فرض عين على كل مسلم، وهو ما يتعلق بأوامر الله سبحانه ونواهيه، ومنه ما هو فرض كفاية إن قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين كتعلم الفرائض ونحوها<sup>(٤)</sup>، لكنّ هذا لا يعني أنّ العلوم الدنيوية ليس لها قيمة أو أهمية، فكل علوم الدنيا كالطب والهندسة وغيرها مما ينفع الناس، لصاحبها من المثوبة بقدر نيته الصالحة في نفع الناس، والنهوض بمجمعه، وأمته حتى لا تكون عالة على غيرها من الأمم، وهذه العلوم النافعة هي من فروض الكفايات التي يجب أن ينفر لها طائفة من

(١) سورة العلق، الآية: ١.

(٢) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٥٣١/٢٤).

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٤) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، (١٤١/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٨٠/٢٨).



المسلمين؛ ليغنوا مجتمعاتهم عن الحاجة إلى غيرهم، ومن نفر إليها مخلصاً لله تعالى فهو مشارك في رفع الحرج عن عموم المسلمين، وله من الأجر بقدر نيته الصالحة، قال الشيخ ابن باز رحمه الله: (فلاشتغال بالعلوم الدنيوية التي تنفع المسلمين إن كان لله؛ أُجرَ عليها، مع فائدتها العظيمة، وإن كان يتعلمها للدنيا ليستفيد في دنياه فهذا مباح ولا يضره ذلك. لكن العلوم الدينية أهم، فليأخذ منها بنصيبٍ، ويجتهد في تعلم دينه، والتفقه في دينه، ثم مع ذلك يتعلم ما ينفعه في دنياه إذا استطاع ذلك، وإذا جمع بين الأمرين فهو خيرٌ إلى خيرٍ... وإن صلحت نيته في علوم الدنيا كانت عبادةً، وإذا تعلمها للدنيا فليس له ولا عليه، تعلم شيئاً مباحاً، لا حرج عليه، لكن متى صلحت نيته وأراد بهذا نفع المسلمين وتقويتهم ضدّ عدوهم؛ جمع الله له الخيرين: الأجر، ومع ذلك النَّفع بهذا المتعلم) (١).

وقد اعتنت حكومة المملكة العربية السعودية عبر مَرِّ العصور بالعلم والتعليم، وكرست جهداً كبيراً للعناية بحفظ القرآن الكريم، ومظاهر اعتنائها بالقرآن الكريم متنوعة منها: مسابقة الملك عبدالعزيز الدولية لحفظ القرآن الكريم، ومسابقة الملك سلمان بن عبدالعزيز المحلية لحفظ القرآن الكريم أيضاً، ومجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية (٢)، وأعداد حفظة القرآن الكريم في المملكة تزداد عاماً تلو الآخر، وليس ذلك بمستغربٍ على بلاد جعلت دستورها القرآن الكريم، فطبقاً لإحصاءات عام ١٤٣٩ هـ يبلغ عدد طلاب حلقات القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية الـ (٣٧٨٣٦٧) ألفاً (٣)، وتقدم الحكومة امتيازات وتسهيلات كثيرة لجمعيات تحفيظ القرآن، منها صرف إعانة سنوية لكل جمعية، ومنحها الأراضي لإقامة مقر عليها، وتخفيض رسوم الكهرباء على مقار

(١) الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، حكم وأهمية دراسة العلوم الدنيوية،

<https://binbaz.org.sa/fatwas/4092/%D9%85%D8%A7-%D8%AD%D9%83%D9%85-%D9%88%D8%A7%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%AF%D8%B1%D8%A7%D8%B3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%86%D9%8A%D9%88%D9%8A%D8%A9>

(٢) انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨ -

١٤٣٩ هـ، (ص ٣٢) <https://www.moia.gov.sa/Statistics/DocLib/> الكتاب الإحصائي ٢٠% للعام ٢٠% المالي ١٤٣٨ - ١٤٣٩ هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢.

الجمعيات، ومنح الدور النسائية أراضي لإقامة مقار لها؛ لذلك فقد بلغ عدد الطلاب الخاتمين للقرآن الكريم وفقاً لإحصائية عام ١٤٣٩هـ ال (٨٦٥٨) خاتماً في المملكة العربية السعودية والله الحمد والمنة<sup>(١)</sup>.

وكذلك يسرت حكومة المملكة العربية السعودية تعلم العلوم الشرعية، وجعلت المقررات الدينية أساسية في جميع سنوات التعليم المدرسية، ومقرر الثقافة الإسلامية أو ما يشابهه متطلباً أيضاً في معظم الجامعات السعودية<sup>(٢)</sup>، ولها جهود مباركة في نشر العلم الشرعي في العالم بأسره<sup>(٣)</sup>، وكذلك لم تغفل العلوم الدنيوية التي تسهم في نهضة المجتمع، فقد زاد رقي التعليم في العصر الحاضر، فأصبح عدد الجامعات الحكومية (٢٨) جامعة موزعة على عدد من مناطق المملكة، بينما تجاوز عدد الجامعات والكليات الأهلية (٣٤)، ويبلغ عدد الطلاب والطالبات المقيدون في الدراسة في مؤسسات التعليم العالي حسب آخر إحصائية (١٦٢٠٤٩١) طالباً وطالبة، بينما وصل عدد الخريجين والخريجات ل (٢٥٦٣٦٣) خريجاً وخريجة<sup>(٤)</sup>.

وقد تصدرت المملكة العربية السعودية جميع الدول العربية مجتمعة في عدد براءات الاختراع التي سجلتها خلال ٢٠١٧م، إذ تمكن السعوديين والسعوديات من تسجيل (٦٦٤) براءة اختراع، وقد حققت بذلك الرقم أضعاف ما أنتجته عشر دول عربية وردت

(١) انظر: موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨-١٤٣٩

٣٢، ص ١٤٣٩، <https://www.moia.gov.sa/Statistics/DocLib/> الكتاب الإحصائي ٢٠% للعام ٢٠% للمالي ٢٠١٤٣٨١٤٣٩.pdf

(٢) انظر: من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله، وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة (ص١٤٩-١٥٩).

(٣) انظر: جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله العبود، (١/٣٦٣-٤٠٣).

(٤) انظر: الموقع الرسمي لوزارة التعليم، المملكة العربية السعودية، <https://www.moe.gov.sa/ar/Pages/default.aspx>

، خلاصة إحصائية للعام الدراسي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ.

في التقرير، حيث بلغ عدد براءات الاختراع التي حصلت عليها الدول "مصر، العراق، سوريا، لبنان، الجزائر، تونس، المغرب، السودان، اليمن، والأردن" مجتمعة (١٣٧) براءة اختراع، أي أنّ براءات الاختراع السعودية تفوق براءات الاختراع لدى أكثر من (٣٠٠) مليون نسمة تسكن الدول العربية العشر، وتعكس هذه النتائج قناعة شباب الوطن بقيمة العلم، ومكانة البحث العلمي، وتيقنهم أنّ الاختراع والابتكار من طرق الريادة لانسجامهما مع رؤية الوطن ٢٠٣٠، والتي وضعت ضمن مؤشرات التركيز على البحث العلمي والابتكار والاختراع، وبالتالي فإنّ طلاب العلم من المبتكرين والمخترعين هم الكنز الحقيقي القادم للسعودية، والذي ستمكن من خلاله من تحقيق الاقتصاد المزدهر بكافة مجالاته بإذن الله<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: الجانب الإيماني:

اعتنت الدعوة الإسلامية بتنمية جوانب الصلة بالله سبحانه، وزيادة الإيمان في نفس الداعية إلى الله والمدعويين؛ لذلك كانت سورة المزمل من أوائل السور التي نزلت على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والتي حثت في مضامينها على التزود بالعبادات المنفردة التي تزيد صلة المؤمن بربه، كقيام الليل، وقراءة القرآن، والذكر، وغيرهم، قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره لسورة المزمل: (فأمره هنا بالعبادات المتعلقة به، ثم أمره بالصبر على أذية أعدائه...)<sup>(٢)</sup>، وختمت السورة بعدد من التوجيهات منها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>، قال الإمام الطبري رحمه الله: ((وأقرضوا

(١) انظر: الموقع الرسمي لوزارة التعليم، <https://www.moe.gov.sa/ar/news/Pages/664-cr.aspx>

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ص ٨٢٩).

(٣) سورة المزمل، الآية: ٢٠.

الله قرضاً حسناً) يعني: بالنفقة في سبيله، وفيما أمر بالنفقة فيه، أو فيما ندب إليه...<sup>(١)</sup>، وقد يصعب قياس وجود مثل تلك العبادات المنفردة في أي مجتمع؛ لكونها قائمة على الإخلاص، ولكن يمكن تتبع بعض مظاهرها كتشجيع ورعاية حكومة المملكة العربية السعودية لوجود الجمعيات الخيرية بمختلف فئاتها، حيث يبلغ عدد الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية حسب آخر إحصائية (٦٤٦) جمعية، منها (٤٦) جمعية نسائية محضة<sup>(٢)</sup>، وتحرص تلك الجمعيات على الارتقاء بالعمل الخيري وفق أعلى المعايير، حيث نال بعضها جوائز عن أفضل أداء خيري في الوطن العربي لعام ١٤٣٨هـ<sup>(٣)</sup>، ويسهم في دعم تلك الجمعيات تبرع المحسنين من أبناء هذا البلد المعطاء، حيث بينت إحدى الدراسات أنّ دوافع التبرع لدى السعوديين يأتي في أولها رغبة في الثواب من الله بمتوسط موافقة (٤,٩٤ من ٥)، وأنّ هذا التبرع مرتبط بسمات الشخصية السعودية، ووجود اتجاهات إيجابية لدى السعوديين نحو مؤسسات العمل الخيري<sup>(٤)</sup>، وقد تمّ تخصيص حسابات معتمدة في البنوك المحلية لدعم أعمال تلك الجمعيات، كإعانة الأيتام، وسقيا الماء، وكسوات المواسم، وغيرهم حسب طبيعة نشاط كل جمعية، وقد ساهم الشعب السعودي مؤخراً في دعم لجنة رعاية

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد الطبري، (١٩٠/٢٣).

(٢) انظر: أطلس الجمعيات الخيرية في المملكة العربية السعودية، وزارة الشؤون الاجتماعية، وكالة الوزارة

للتنمية الاجتماعية، ١٤٣٥هـ، (ص ١٣-١٤) [https://misd.gov.sa/sites/default/files/prints/41\\_AJK.pdf](https://misd.gov.sa/sites/default/files/prints/41_AJK.pdf)

(٣) انظر: صحيفة عكاظ الإلكترونية، محليات، جمعيات تفوز بجائزة أفضل أداء خيري، بتاريخ ١٠

شوال ١٤٣٨هـ، على الرابط <https://www.okaz.com.sa/article/١٥٦٨٧٨>

(٤) انظر: سلوك المتبرع السعودي دراسة وصفية ميدانية على عينة من المتبرعين بالنقد، د. ياسر الشهري،

(ص ٤، ص ٧).

السجناء والمفرج عنهم فوصلت قيمة مساهمتهم في برنامج سداد لدفع إيجار مساكن أسر نزلاء السجون ل (٢,٥٦٣,٥٠٠) ريالاً في منطقة الرياض وحدها لعام ٢٠١٨ م<sup>(١)</sup>. ولا يقتصر دعم حكومة وشعب المملكة العربية السعودية على أبناء الوطن فحسب، بل يمتد ليشمل كل المسلمين حول العالم، فقد أطلقت مؤسسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للأعمال الإنسانية، مبادرة لدعم تعليم أكثر من (٧٦) ألف طفل من اللاجئين الروهينجا، وذلك بالتعاون مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة "اليونسيف" ومجموعة البنك الإسلامي للتنمية، والتزمت بتقديم (٢٠) مليون دولار أمريكي خلال مشاركة وفد مركز الملك سلمان للإغاثة والأعمال الإنسانية في أعمال مؤتمر المانحين لصالح أزمة اللاجئين الروهينجا في مدينة جنيف<sup>(٢)</sup>.

### ثالثاً: الجانب الاجتماعي:

حرصت الدعوة الإسلامية على تنمية جانب المسؤولية الاجتماعية في النفوس، والتي يقصد بها: (مجموعة استجابات الفرد الدالة على اهتمامه بالجماعة التي ينتمي إليها، وفهمه لمشاكلها، ومشاركته في حلها)<sup>(٣)</sup>، وقد تضمنت سورة المدثر، وهي من أوائل السور المكية التي نزلت على سيد الدعاة عليه الصلاة والسلام، الأمر بالقيام بعدد من المهام أولها الإنذار، والدعوة إلى الله، وهي أمر متعلق بحق المدعويين، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ فُرُّ فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦﴾﴾

(١) الموقع الرسمي لتراحم، لجنة رعاية السجناء والمفرج عنهم وأسرهم في منطقة الرياض،

<http://www.rpc.org.sa/Ar/27/Details.aspx>

(٢) انظر: أبرز الأحداث والنشاطات خلال العام الهجري ١٤٣٩ هـ، بتاريخ ٣٠-١٢-١٤٣٩ هـ،

الموقع الرسمي لوكالة الأنباء السعودية، واس، على الرابط <https://www.spa.gov.sa/1812045>

(٣) المسؤولية الاجتماعية "دراسة نفسية اجتماعية"، سيد أحمد عثمان، (ص١٢).

وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾<sup>(١)</sup>، قال الشيخ السعدي رحمه الله: (تقدم أنّ المزمّل والمدثر بمعنى واحد، وأنّ الله أمر رسوله صلى الله عليه وسلم، بالاجتهاد في عبادة الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر على أذى قومه، وأمره هنا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار، فقال: {قم} [أي] يجد ونشاط {فأنذر} الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه)<sup>(٢)</sup>، وحددت الدعوة الإسلامية مسؤوليات متعلقة بكل مسلم حسب القدرة والاستطاعة، ف جاء عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته))<sup>(٣)</sup>، ويقصد بالراعي: (الحافظ المؤمن الملتزم صلاح ما قام عليه، وهو ما تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيء فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه في دينه ودينه ومتعلقاته)<sup>(٤)</sup>، ومن هذا المنطلق أنشأت حكومة المملكة العربية السعودية الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهيأت لها ما يتناسب مع طبيعة عملها، حيث وصل عدد فروعها الرئيسية ل (٣٣) فرعاً موزعةً حول مناطق المملكة، وتم تقديم الدعم لتلك الرئاسة من عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله، وحتى عصرنا الحالي، وتتقدم إدارة

(١) سورة المدثر، الآية: ١-٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، (ص ٨٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، رقم ٨٩٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإمارة، باب: باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم ١٨٢٩.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، (٢١٣/١٢).

الرئاسة بتقرير سنوي توضح فيه أبرز إنجازاتها السنوية، وما يتم تقديمه للمجتمع من مشاركة في حماية الحقوق الدينية، والدينيوية لأفراده<sup>(١)</sup>.

ومن صور المسؤولية الاجتماعية أيضًا دعم ونشر ثقافة العمل التطوعي، حيث بدأ العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية على هيئة بعض الجهود الفردية، حتى تم إنشاء وزارة العمل والشؤون الاجتماعية عام ١٣٨٠هـ، وتم إنشاء أول مركز للتنمية الاجتماعية، الذي قام بتشكيل لجان أهلية متخصصة للعمل التطوعي، وبعد تظافر الجهود الحكومية والأهلية في هذا المجال، صدرت لوائح تحميه، وتشجع على استمراره والتوسع فيه، كلائحة الجمعيات والمؤسسات الخيرية الذي صدر عام ١٤١٠هـ، بقرار رقم (١٠٧) من مجلس الوزراء، والذي أنيطت مسؤولية تطبيقه بوزارة العمل والشؤون الاجتماعية، ثم أصدرت الوزارة لائحة عمل الجمعيات والمؤسسات الخيرية وقواعدها التنفيذية عام ١٤١٢هـ، وتم إنشاء إدارة عامة للتنمية الاجتماعية، وإدارة عامة للمؤسسات والجمعيات الأهلية، تعملان على تنظيم جهود الأفراد والجماعات وتوجيههم للعمل المشترك مع الجهود الحكومية لمقابلة احتياجاتهم وحل مشكلاتهم والانتفاع بإمكاناتهم وطاقتهم<sup>(٢)</sup>، وقد تم إنشاء الجمعية السعودية للعمل التطوعي (تكاتف) بترخيص من وزارة العمل والتنمية الاجتماعية عام ١٤٣٢هـ حيث تسعى لنشر ثقافة العمل التطوعي، وتعزيز مفهوم المواطنة الصالحة في المملكة العربية السعودية بين أفراد المجتمع، من خلال تقديم دورات توعوية متخصصة لجميع شرائح المجتمع، ثم يتم ربط الراغبين بالعمل التطوعي بالجهات المستفيدة من المتطوعين في جميع القطاعات، وتنظيم برامج تطوعية لخدمة المجتمع<sup>(٣)</sup>، وقد بينت وثيقة المملكة العربية

(١) انظر: موقع الرئاسة العامة لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على الرابط

<https://www.pv.gov.sa/Pages/PVHome.aspx>

(٢) انظر: واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية والدور الإعلامي المأمول لتنميته دراسة وصفية نقدية، د. محمد عامر مظاهرة، مجلة طيبة، (ص ١٩٩-٢٠٠).

(٣) انظر: الملف التعريفي لجمعية تكاتف على الرابط <https://sv.org.sa/wp>

السعودية ٢٠٣٠ أنّ عدد المؤسسات والجمعيات غير الربحية في الوقت الحالي أقل من (١٠٠٠) مؤسسة وجمعية، وأكدت الوثيقة على رغبة حكومة المملكة العربية السعودية على تطوير تلك المؤسسات والجمعيات، وتقديم كافة صور الدعم الحكومي لها، وأكدت على أن من أهدافها رفع عدد المتطوعين من (١١) ألف متطوع إلى مليون متطوع غير ربحي قبل نهاية ٢٠٣٠<sup>(١)</sup>.

جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية التي تم ذكرها هي جوانب مترابطة، لا يمكن لأحدها أن ينفك عن الآخر، فلا قيمة للعلم دون عمل، ولن يكون العمل صحيحاً دون علم يبني عليه، ولا يمكن لأفراد المجتمع أن ينهضوا إلا بوجود مسؤولية مجتمعية تجاه الآخرين.

---

(١) انظر: رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، ص ٦٩، ص ٧١.



## المبحث الثالث

### أهمية تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على ضوء

#### رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

##### ○ أهمية متعلقة بالداعية:

١- الاقتداء بخير الدعاة عليه الصلاة والسلام، فقد كان أتمودجًا للشخصية الإيجابية، فقد كان صلى الله عليه وسلم متسمًا بكافة الأخلاق الحميدة، حريصًا على تعزيزها في نفوس من حوله، حيث قال صلى الله عليه وسلم لأشج عبد القيس: ((إنّ فيك خصلتين يجبهما الله: الحلم، والأناة))<sup>(١)</sup>، فقام عليه الصلاة والسلام بتعزيز خصلتين عند المدعو، فيكون قيام الدعاة بتعزيز الأمور الحسنة في نفوس المدعوين فيه اقتداءً بخير الدعاة صلى الله عليه وسلم، إن أخلصوا النية.

٢- ما يحصل للداعية من الأجر والثواب، وذلك عن طريق ما يلي:

أ- حين يقوم الداعية إلى الله بدعم الإيجابية في نفوس المواطنين، يحصل له بإذن الله أجر إعانتهم وثباتهم على تلك الصفة الموافقة للمنهج الإسلامي، حيث قال عليه الصلاة والسلام لعلي رضي الله عنه: ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم))<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون عام طباعة، كتاب: الإيمان، باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، رقم ٢٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، رقم ٤٢١٠، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم ٢٤٠٦.

ب- طاعة ومعاونة ولي الأمر، وما في وذلك عن طريق الإسهام في نشر برامج الرؤية ٢٠٣٠، وتفعيلها بين المدعوين من المواطنين، وغيرهم، وذلك لتأكيد الرؤية في مواطن متعددة على ضرورة العمل التكاملي، وضرورة عمل كافة أفراد المجتمع معاً يداً بيد (١).

٣- اعتناء الداعية إلى الله بشخصية المدعوين من حوله، يؤدي بإذن الله لتكوين شخصيات سوية متوازنة منقادة لأحكام الدعوة الإسلامية.

### ○ أهمية متعلقة بالمدعو:

١- تثبيت التفكير، والسلوك الحسن عند المدعوين، عن طريق دعمهم، وتعزيز الإيجابية في نفوسهم.

٢- تحقيق الرضا في حياة المدعوين، فالتفكير، والسلوك الإيجابي يرفع من مستوى تقدير الذات ويجعله راضياً مطمئناً، بعيداً عن الجزع.

### ○ أهمية متعلقة بالدعوة إلى الله:

١- المساهمة في تحقيق أهداف الدعوة إلى الله تعالى، وذلك أنّ الدعوة تسعى لتحقيق أمور متعددة متعلقة بالفرد والمجتمع، منها (٢):

أ- النهوض بالمجتمع الإسلامي، عن طريق نشر العلم النافع، فالقيام بتعزيز الإيجابية في نفوس المواطنين يستلزم حثهم على العلم النافع، ويسهم هذا الأمر أيضاً في نشر العلم الشرعي بين المدعوين من أبناء الوطن، وقد اعتنت الدعوة الإسلامية بالعلم كثيراً؛ وذلك لكونه القاعدة الصلبة التي يبنى عليها العمل؛ لذا قدمه الله - عزّ وجلّ- قبل العمل في قوله

(١) انظر: <https://vision2030.gov.sa/ar/programs/NCEP#>

(٢) انظر: أهداف الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، سليمان الدويش، رسالة دكتوراه (ص ٦٤٤-٦٤٨)؛ انظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، أ.د. عبدالرحيم المغذوي، (١/٢٣٠-٢٥٤).

تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيِكَ ﴾<sup>(١)</sup> ولهذا كتب البخاري - رحمه الله - باباً في صحيحه بعنوان العلم قبل القول والعمل<sup>(٢)</sup>، وكذلك فعل كثير من علماء السلف أيضاً نحو ذلك، وما ذاك إلا لخطورة القيام بالعمل قبل العلم به، فمن ( دخل في العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال، وربما اغترّ به الجهال فسألوه فاغترّ هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأضل<sup>(٣)</sup> ).

ب- محاولة إصلاح الناس حسب القدرة والاستطاعة، فقد قام جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام بمحاولة إصلاح الناس وفق ما يقتضيه حالهم حسب القدرة والاستطاعة، فقد قال تعالى على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام: ﴿ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنهَكُم عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾<sup>(٤)</sup> أي: (ليس لي من المقاصد إلا أن تصلح أحوالكم، وتستقيم منافعكم) ثم قال: (وظيفة الرسل وسنتهم وملتهم إرادة الإصلاح بحسب القدرة والإمكان فيأتون بتحصيل المصالح وتكميلها أو بتحصيل ما يقدر عليه منها وبدفع المفسد وتقليلها ويراعون المصالح العامة على المصالح الخاصة، وحقيقة المصلحة هي التي تصلح بها أحوال العباد وتستقيم بها أمورهم الدينية والدينية)<sup>(٥)</sup>، وكذلك هو الحال بالنسبة للدعاة أيضاً فإنهم يسعون لإصلاح الناس حسب قدرتهم واستطاعتهم، ولن يتمكنوا من تحقيق ذلك دون تعزير الإيجابية في نفوس المواطنين.

٢- إبراز الدعوة الإسلامية بصورة حسنة أمام العالم، فدعم الإيجابية في الشخصية السعودية يسهم في انتشار مظاهر الأخلاق الحميدة في المجتمع، ويخفض من مستوى

(١) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب: العلم، (٢٤/١).

(٣) مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي، (ص ١٠٥).

(٤) سورة هود، الآية: ٨٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ السعدي، (ص ٣٨٧-٣٨٨).

السلوكيات السلبية، وبالتالي تتم نقل صورة حسنة عن الإسلام، والمجتمعات الإسلامية للمدعوين حول العالم، مما يساعد في انتشار تعاليم الدعوة الإسلامية.

## المبحث الرابع

### سبل تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية على

#### ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠

وسائل وأساليب تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية متعددة منها:

أولاً: وسائل التواصل الاجتماعي، تتنوع وسائل التواصل الاجتماعي بين عدة تطبيقات مختلفة، ولكن أكثرها استخداماً في المملكة العربية السعودية تطبيق (تويتر) حيث بلغ عدد مستخدميه من السعوديين لعام ١٤٣٨هـ، أكثر من ثلاثة عشر مليون مستخدم سعودي نشط (١٣,٨٠٠,٠٠٠) أكثرهم من الرجال<sup>(١)</sup>، بينما جاء تطبيق (السناب شات) في المرتبة الثانية حيث بلغ عدد مستخدميه من السعوديين لعام ١٤٣٨هـ أكثر من ثمانية ملايين مستخدم (٨,٢٠٠,٠٠٠) تتراوح أعمارهم ما بين (١٨-٤٠) عاماً أكثرهم من النساء<sup>(٢)</sup>، وكثرة المتابعين مثل هذه التطبيقات ينبغي أن يلفت نظر الدعاة إلى الله لحسن تفعيلها في تعزيز الإيجابية في الشخصية السعودية، عن طريق إيجاد حسابات تواصل جذابة ومتوافقة مع ضوابط الدعوة الإسلامية، يتم فيها تشجيع المواطنين على التحلي بالإيجابية، والثناء على التصرفات المتعلقة بجوانبها، وإبرازها وإظهارها للعالم ككل، كإبراز عدد حفظة القرآن الكريم، وتسليط الضوء على التبرعات في السعودية، وبيان الأعمال التطوعية التي يقوم بها المواطنون.

(١) انظر: صحيفة المواطن الإلكترونية بتاريخ ٢٣/٤/٢٠١٨م، <https://www.almowaten.net>، وانظر إحصائية (the spectator

2018 index) حساب في تويتر مهتم بنشر الإحصائيات العالمية <https://mobile.twitter.com/spectatorindex?lang=ar>

(٢) انظر: صحيفة مكة المكرمة الإلكترونية، إنفوجرافيك، بتاريخ ٢٥ شعبان ١٤٣٨هـ، على الرابط

<https://makkahnewspaper.com>

ثانياً: **خطبة الجمعة**، تظهر أهمية خطبة الجمعة لاتفاق الأمة على مشروعيتها، وأنها من أعظم مجامع المسلمين<sup>(١)</sup>، وهي لا تختص بحال دون حال أو زمن دون زمن، بل هي قائمة ثابتة في جميع الأحوال، مع إيجاب الإنصات لخطبتها، فيكون لما يطرح فيها من زاد أسبوعي تأثير نافع بإذن الله على جميع المستمعين بمختلف شرائحهم<sup>(٢)</sup>، فينبغي على خطباء الجمعة أن يضاعفوا الجهود لنشر وتعزيز الإيجابية في المجتمع السعودي، عن طريق إبراز الموجود منها، ومدحه، وتشجيعه، وحث المدعويين على اقتفاء الأثر الحسن.

ثالثاً: **القدوة الحسنة**، حين سأل أحد الصحابة رضوان الله عليهم عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام قالت: ((ألست تقرأ القرآن؟)) فقال: بلى، قالت: ((فإن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن))<sup>(٣)</sup>، وقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم مشتملةً على الحال والمقال، فقد لُقب قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين، ودخل الكثير من مشركي العرب واليهود والنصارى في الإسلام متأثرًا منهم بحسن تعامله، وكريم خصاله، وكانت أفعاله عليه الصلاة والسلام مطابقة لأقواله، فما دعا إلى هدى إلاّ وكان أول من يفعله، وما نهى عن أمر إلاّ وكان أول ممتثل، والشواهد على ذلك كثيرة جدًّا، منها لما كان لبس الذهب مباحًا للرجال أول الإسلام ثمّ نسخ، فأراد عليه الصلاة والسلام أن ينهاهم عن فعله، فقال في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنهما: ((إني اتخذت خاتمًا من ذهب فنبذته وقال: إني لن ألبسه أبدًا)) فنبد الناس

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، (١/٣٦٥).

(٢) انظر: خطبة الجمعة دراسة دعوية، د. سليمان الحبس، (ص ٣٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: جامع صلاة الليل، ومن نام

عنه أو مرض، رقم ٧٤٢.

خواتيمهم<sup>(١)</sup> ففي هذا الحديث دلالة على أهمية الدعوة بالقدوة، فعندما نبذ الرسول عليه الصلاة والسلام خاتمه وأعلم الناس بأنه لن يلبسه أبداً نبذوا خواتيمهم مباشرة، وفي هذا دلالة عظيمة على أنّ تأثير الفعل أبلغ من القول<sup>(٢)</sup>، فالتطبيق العملي أوقع في النفس، وأدعى للإقناع من الكلام النظري، فالمدعو إذا رأى جوانب الإيجابية مطبقة أمامه في شخصية وتصرفات الداعية إلى الله كان ذلك أهدى لعقله، وأجذب لقلبه من قراءة تلك المبادئ مسطورة في كتاب، أو سماعها في خطبة<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه واللفظ له، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: الاقتداء بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، ١٢٥٥، رقم ٧٢٩٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: تحريم خاتم الذهب على الرجال ونسخ ما كان من إباحة في أول الإسلام، ٩٣٥، رقم ٥٤٧٣.

(٢) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩هـ، (٢٧٥/١٣).

(٣) انظر: الإعلام في صدر الإسلام، د. عبداللطيف حمزة، (ص ٦٩).

## الخاتمة

الحمد لله على التمام، فقد تناول هذا البحث بشكل مقتضب مفهوم الإيجابية، وجوانبها، وأهميتها، مع ذكر بعض سبل تعزيزها في الشخصية السعودية، وقد توصل البحث لعدد من النتائج أبرزها ما يلي:

- يقصد بالإيجابية في هذا البحث، الرغبة الحقيقية في إصلاح النفس، ونفع المجتمع، والعمل على تحقيق ذلك.
- الإيجابية في الشخصية السعودية تشمل على ثلاثة جوانب: الجانب العلمي، والجانب الإيماني، وجانب المسؤولية المجتمعية.
- جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية هي جوانب مترابطة، لا يمكن لأحدها أن ينفك عن الآخر، فلا قيمة للعلم دون عمل، ولن يكون العمل صحيحًا دون علم يبنى عليه، ولا يمكن لأفراد المجتمع أن ينهضوا إلا بوجود مسؤولية مجتمعية تجاه الآخرين.
- لتحقيق الإيجابية أهمية كبيرة متعلقة بالداعية إلى الله، والمدعو، وكذلك الدعوة إلى الله.
- تفعيل وسائل التواصل الاجتماعي لتسليط الضوء على جوانب الإيجابية في الشخصية السعودية من أهم سبل تعزيز الإيجابية.

## التوصيات:

- تقوى الله سبحانه وتعالى، والإخلاص في العمل، فتحقيق ذلك والسعي له كفيل بنشر الإيجابية بإذن الله.
- تسليط الضوء على سبل تعزيز الإيجابية بشكل أكثر توسعًا؛ حيث لم يتم التطرق لعدد كبير منها نظرًا لضيق المساحة المخصصة للبحث.



## فهرس المصادر والمراجع

١. الأسس العلمية لمنهج الدّعوة الإسلامية دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، المغذوي، أ.د. عبدالرحيم ط/١، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض: ١٤٢٩هـ.
٢. الإعلام في صدر الإسلام، حمزة، د. عبداللطيف، ط/١، دار الفكر، بيروت.
٣. أهداف الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، الدويش، سليمان، "رسالة دكتوراه، السعودية، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، الرياض: ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.
٤. الإيجابية كمعيار وحيد وأكيد، مخيمر، صلاح، ط/١، دار الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٨٤م.
٥. البحث العلمي حقيقته، ومصادره، ومادته ومناهجه وكتابته، وطباعته ومناقشته، الربيعة، د. عبدالعزيز، ط/٣، الرياض: ١٤٢٤هـ.
٦. تصميم اختبار التوافق النفسي للراشدين، عبيد، مجدي كمال، "رسالة ماجستير، مصر: كلية التربية، عين شمس"، ١٩٨١م.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٨. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠-٢٠٠٠م.
٩. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط/١ دار طوق النجاة، بيروت: ١٤٢٢هـ.

١٠. جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله تعالى في الخارج من خلال الجامعة الإسلامية، عبدالله العبود، ط/١، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: ١٤٢٧هـ.
١١. حركة العصر الجديد مفهوماً ونشأتها وتطبيقاتها، الرشيد، د. هيفاء بنت ناصر، ط/١، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة: ١٤٣٥هـ.
١٢. خطبة الجمعة دراسة دعوية، الحبس، د. سليمان، ط/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٢٦هـ.
١٣. الدعوة "فئة المتخصصين في غير العلوم الشرعية"، العمار، أ.د. حمد بن ناصر، ط/١، دار كنوز إشبيليا، الرياض: ١٤٢٥هـ.
١٤. دور معلمي التربية الإسلامية في المرحلة الثانوية بمحافظة غزة في تعزيز سمات الشخصية المؤمنة وسبل تطويره، عمران، سلمان حسن، "رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، الجامعة الإسلامية"، غزة: ٢٠١٥م.
١٥. دور معلمي المرحلة الثانوية في تعزيز القيم الإسلامية لدى طلابهم في محافظات غزة، قشلان، "عبدالكريم، رسالة ماجستير، فلسطين: كلية التربية، جامعة الأزهر"، ٢٠١٠م.
١٦. رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م.
١٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، ط/٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤١٥هـ).
١٨. سلوك المتبرع السعودي دراسة وصفية ميدانية على عينة من المتبرعين بالنقد، الشهري، د. ياسر، د. صالح الزهراني، ط/١، غصن ثمار المعرفة، الرياض: ١٤٣٨هـ.

- ١٩ . سيكولوجية الشخصية، غنيم، د. سيد محمد، ط/١، دار النهضة العربية، القاهرة: ١٩٧٨م.
- ٢٠ . الشخصية ومنهج الإسلام في بنائها ورعايتها، التركي، ناصر عبدالله، "رسالة ماجستير، السعودية: كلية الشريعة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية"، الرياض: ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م.
- ٢١ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، أحمد بن علي، ط/١، دار المعرفة، بيروت: ١٣٧٩ هـ.
- ٢٢ . مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي، عبد الحميد محمد بن باديس، ط/١، وزارة الشؤون الدينية: ١٤٠٣ هـ.
- ٢٣ . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط/١، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة: ١٤١٦ هـ.
- ٢٤ . المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٢٥ . المسؤولية الاجتماعية دراسة نفسية اجتماعية، سيد أحمد عثمان، ط/١، دار الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٧٣ م.
- ٢٦ . المسؤولية الاجتماعية والشخصية، عثمان، سيد محمد، ط/١، دار الأنجلو المصرية، القاهرة: ١٩٧٠ م.
- ٢٧ . المصطلحات الدعوية تعريفات ومفاهيم، المجلي، د. عبدالله، ط/١، دار الحضارة، الرياض: ١٤٣٠ هـ.

٢٨. معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، د أحمد مختار عبد الحميد، ط/١، دار عالم الكتب، القاهرة: ١٤٢٩هـ.
٢٩. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمع وإخراج: إبراهيم مصطفى وآخرون، ط/٢، دار الدعوة، القاهرة.
٣٠. من جهود المملكة العربية السعودية في الدعوة إلى الله، وكالة الوزارة المساعدة لشؤون الدعوة، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية، الرياض: ١٤١٩هـ.
٣١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ).
٣٢. واقع العمل التطوعي في المملكة العربية السعودية والدور الإعلامي المأمول لتنميته دراسة وصفية نقدية، مظاهرة، د. محمد عامر، مجلة جامعة طيبة: العلوم التربوية، م (٢)، (٤)، ١٤٢٧هـ.

### المواقع الإلكترونية:

- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز، <https://binbaz.org.sa>
- الموقع الرسمي لوزارة التعليم، <https://www.moe.gov.sa/ar/news/Pages/664-cr.aspx>
- موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨-١٤٣٩هـ، <https://www.moia.gov.sa/Statistics/DocLib/20%المالي%201438%201439%الإحصائي%20%للعام%20.pdf>

البحث رقم (٤)

## الإرجاف ودور الدعوة في مواجهته

إعداد

د. خديجة بنت عبد الله بن محمد البشر

الأستاذ المساعد في قسم الدعوة بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد: تمر المجتمعات الإسلامية اليوم بتحديات كبيرة تعترض مسيرتها نحو الوصول لأهدافها المتمثلة في تحقيق وحدانية الله جل وعلى وعبادته وإقامة شرائعه على الوجه الأكمل، وتحقيق الأمن ورجد العيش لمواطنيها. وإن من أهم هذه التحديات التي تواجه المجتمع المسلم في تحقيق هذه الأهداف وجود فئة من المتربصين من الأعداء وأصحاب الأهواء يحاولون زرع الفتن وإثارة الفوضى بهدف شق الصف والإخلال بالأمن عبر أراجيف كاذبة أو تعميمات جائرة يطلقها هؤلاء المرجفين ويثونها لعامة الأمة. وإن من مسؤولية الدعاة اليوم في مجتمعاتنا الإسلامية مواجهة هذا الخطر العظيم، والوقوف وقفة قويّة لمواجهته، وإيقاف نفوذه، والحد من تمدده، والعمل على استئصال جذوره، وكسر شوكته، وإماتة قوى أهله. وقد جاءت هذه الدراسة لتسهم بجزء يسير في تبين حقيقة الإرجاف، وبيان خطره، ووسائله، وواجب الدعاة في مواجهته.

## أسباب اختيار موضوع الدراسة:

- ١- ظهور بعض المُرجفين، واجتهادهم في نشر الكذب والباطل بهدف نشر الفوضى في المجتمعات الإسلامية.
- ٢- حاجة المجتمع الماسة لكشف المرجفين الذين يبغون الفساد في الأرض.
- ٣- خطورة الإرجاف على الفرد والمجتمع.
- ٤ - ظهور وسائل التّفنينة الحديثة، وتنوعها، وسهولة الحصول عليها، وانتشارها؛ ما يسّر لأهل الباطل الوصول لشرائح المجتمع، ونشر الإرجاف بينهم.
- ٥- تعدد الفرص أمام الدعاة لنشر الخير بين الناس، وتحذيرهم من أهل الباطل، من خلال وسائل التواصل الاجتماعي، وغيرها من الوسائل الحديثة.

**أهداف الدراسة:**

- ١- بيان مفهوم الإرجاف.
- ٢- التعرف على أقسام المرجفين وأساليبهم ووسائلهم.
- ٣- تحديد أبرز مجالات الإرجاف.
- ٤- إبراز دور الداعية بُحَاة الإرجاف.

**تساؤلات الدراسة:**

- ١- ما مفهوم الإرجاف؟
- ٢- ما أقسام المرجفين وأساليبهم ووسائلهم؟
- ٣- ما هي مجالات الإرجاف؟
- ٤- ما دور الداعية بُحَاة الإرجاف؟

**منهج الدراسة:**

قامت الدراسة على المنهج الاستقرائي الذي "يعتمد على جمع المادّة العلمية، واستقراء النصوص، وتصنيفها؛ للوصول إلى قواعد وأحكامٍ عامّة" (١)، تتبّع الباحثة من خلاله دور الدعاة في مجابهة الإرجاف، والوسائل والأساليب الدعوية المستخدمة في ذلك.

**الدراسات السابقة:**

بعد الاطلاع والقراءة، توصّلت الباحثة إلى ندرة الدراسات في هذا الجانب المهم من جوانب الدعوة إلى الله، على أن الباحثة لم تجد في هذه الدراسات القليلة من أفرد الموضوع بشكل شامل في مباحث ومطالب محدّدة؛ إذ تناولته هذه الدراسات بأسلوب غير مباشر، وفي تخصّصات مختلفة، أو بشكل عامّ، لم تعالج المشكلة، ولم تبين موقف الدعاة منها، ومن هذه الدراسات ما يلي:

(١) كيف تكتب بحثًا ناجحًا؟ د. صباح عبد الله بافضل، ص ٣١، ط/١، الدار السعودية للنشر

والتوزيع، ١٩٩٨م.

## ١ - أساليب مواجهة الشائعات (١):

كتاب منشور جاء على هيئة مباحث تتناول موضوع الشائعات من الناحية الأمنية، بينما ستتناول الباحثة في دراستها الجانب الدعويّ بُحَاة الإرجاف والمرجفين، وآثاره من النواحي الاجتماعية والدينية والأمنية، إضافةً للوسائل والأساليب المستخدمة في ذلك، وتتشابه هذ الدراسة مع دراسة الباحثة فيما يخصّ الجانب الأمنيّ فقط.

## ٢ - دور الداعية في محاربة الشائعات (٢):

كتاب يتناول تعريف الشائعات، وتاريخها، وأنواعها، والأمثلة على ذلك، وبيانَ خطرها، وأثرها على المجتمع، ومصدرها، وموقف المسلم منها، والضوابط الشرعية في نقل الأخبار، والتثبت، ومنهج الداعية في محاربتها. ومن الواضح عدم تشابه مباحث هذا الكتاب مع موضوع دراسة الباحثة؛ إذ إنها تتناول الشائعات التي تختلف عن الإرجاف؛ فكلُّ إرجاف يندرج تحت الشائعات، وليس كل شائعة إرجافاً؛ إذ إن الإرجاف أخصُّ، والشائعات أعمُّ.

وقد تحدّث الكتاب عن الشائعات بشكل عامّ، وعن انتشارها وتاريخها، ووسائل نقلها؛ لكنه لم يتناول دور الدعاة في مجابهة الشائعات إلا بشكل عامّ، وفي جزئية صغيرة في آخر الكتاب.

## ٣ - الإشاعة ومخاطرها التربوية من منظور إسلامي (٣):

رسالة ماجستير تمّ فيها تعريف الإشاعة، وتحديد أنواعها وأهدافها، وكيفية انتشارها، ودور وسائل الإعلام في محاربتها، وبيانَ خطرها، وكيفية الوقاية منها. وقد تم تناول

(١) ساعد العرابي الحارثي وآخرون، ط/١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٢) عبد الرحمن الطوخي عبد الرحمن عقل، إمام وخطيب مسجد المستشفى المركزي بالقناطر الخيرية، ط/١، وزارة الأوقاف، مصر.

(٣) مبارك عبد الله المفلح، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، تخصص التربية في الإسلام، الأردن، رسالة ماجستير، ١٤١٥هـ.



موضوع هذه الدراسة من خلال منظور تربويّ يتعلّق بالآداب والفضائل، الأمرُ الذي يجعله مختلفاً عن موضوع الباحثة، الذي يتناول الإرجاف من زاوية دعوية متخصصة.

٤ الإرجاف دراسة قرآنية (١):

رسالة ماجستير اشتملت على أربعة فصول، تحدّث فيها الباحث عن مفهوم الإرجاف، وآثاره، وكيفية مكافحته، وذكر المرجفين منذ بدء الخليقة حتى العصر الحاضر، كما تحدّث عن أشكال الإرجاف وآثاره. وقد تناول الباحث الإرجاف والمرجفين من جانب شرعيّ دون الجانب الدعويّ، ولم يتطرّق لدور الدعاة وأهل العلم في كشف الإرجاف، وهو ما ستوضّحه الباحثة في دراستها هذه، بإذن الله تعالى.

### تقسيمات الدراسة:

جاءت هذه الدراسة في مقدّمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدّمة: وفيها بيان أهمية الموضوع، ومنهج الدراسة، وأهدافها، وتساولاتها، وتقسيماتها.

التمهيد: مفهوم الإرجاف.

المبحث الأول: أقسام المرجفين وأساليبهم ووسائلهم.

المبحث الثاني: مجالات الإرجاف.

المبحث الثالث: دور الدعاة تجاه الإرجاف.

الخاتمة: وتشتمل على أهمّ النتائج والتوصيات.

(١) حمزة عبد الفتاح قاسم، إشراف محسن سميح الخالدي، جامعة النجاح في نابلس، فلسطين، كلية

أصول الدين، رسالة ماجستير، ٢٠١٦ م.

## التمهيد

## مفهوم الإرجاف

الإرجاف لغةً: يقال: "رَجَفَتِ الأَرْضُ والقلبُ، والبحرُ رَجَافٌ لاضطرابه، وأرجف الناس في الشيء إذا خاضوا فيه واضطربوا"<sup>(١)</sup>، "وأرَجَفَتِ الناقةُ: جاءت مُعْيِيَةً مُسْتَرْخِيَةً أُذُنَاهَا تَرْجُفُ بهما، و- القومُ: خاضوا في أخبار الفتن ونحوها"<sup>(٢)</sup>، "والإرجاف: واحد أراجيف، وهو الخوض في الأخبار السيئة"<sup>(٣)</sup>.

أما الإرجاف اصطلاحاً: فهو إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به"<sup>(٤)</sup>، "والمرجفون قوم يتلقفون الأخبار، فيتحدّثون بها في مجالسَ ونوادٍ، ويُخبرون بها من يسأل ومن لا يسأل"<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة، أحمد فارس زكريا القزويني الرازي، تحقيق: محمد هارون، كتاب الرءاء، باب الرءاء والجيم، مادة رجف ٢/٤٩١، ط/ دار الفكر، ١٣٩٩هـ.

(٢) انظر: القاموس المحيط، أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، باب الفاء فصل الرءاء، مادة رجف، ٣-١ / ٨١٢، ص ٨١٢، ط/ ٢، بيروت: ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

(٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، باب الفاء، فصل الرءاء، مادة رجف، ٤ / ١٣٦٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، ١٤ / ٢٤٦، ط/ ٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ.

(٥) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد عاشور، ٢١ / ٣٣٠، ط/ الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤م.

فالإرجاف عبارة عن نشر الكذب بين الناس؛ بهدف تخويفهم وإحداث البلبلة بينهم، وإضعاف قوّتهم.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: "أي: المخوّفون المرهبون، المُحدّثون بكثرتهم وقوّتهم، وضعف المسلمين"<sup>(١)</sup>.

وقد أخذت الأراجيف في العصر الحاضر أشكالاً شتى، منها نشر الأكاذيب والشائعات التي تتضمن اتهاماً أو انتقاصاً للأشخاص والكيانات؛ بهدف تشويه السمعة، أو بهدف زعزعة ثقة المسلمين بعقيدتهم وقيمهم الإسلامية، وبمجمعاتهم وقادتهم وعلمائهم.<sup>(٢)</sup>

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن ناصر السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن اللويحي، ٦٧١، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م.

(٢) انظر: استخدام التقنيات الحديثة في الشائعات، ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، ذياب موسى البداينة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٢ هـ.

## المبحث الأول

## بواعث الإرجاف وأساليب المرجفين ووسائلهم

## المطلب الأول: بواعث الإرجاف:

يمكن استنتاج بواعث الإرجاف من خلال طبيعة المرجفين وأهدافهم. ويمكن تصنيف المرجفين إلى أربعة أقسام بحسب بواعث الإرجاف كما يلي:

١- عدوٌّ يترَبِّصُ بالأُمَّةِ، وينتظر فرصته لبثِّ سمومه في المجتمع وأكاديبه، وهم فئة تنشط في وقت الأزمات السياسية والاقتصادية التي تمرُّ بها الأُمَّة<sup>(١)</sup>؛ بهدف زعزعة الأمن والاستقرار ونشر الفوضى ونشر البدع والأفكار الهدَّامة.

٢- فاسقٌ استمرَّ الكذب ليحقِّق من وراء ذلك مكاسبَ شخصيةً دنيويةً، ضاربًا بالمصالح العليا للأُمَّة عُرْضَ الحائط، وهؤلاء عادةً لا تتمثل لهم القيمُ الإسلامية المَبْنِيَّة على الصدق في التعامل والتسامح والمنافسة الشريفة أيَّ قيمةٍ تُذكر إن كانت ستمنعهم من تحقيق مكاسبٍ أو أمجادٍ شخصية.

٣- صالحٌ يريد إنكار المنكر؛ ولكنه بحُسن نيةٍ يُسهِّم في نشره، وهؤلاء فئة ليست بالقليلة في المجتمع؛ ولكنهم في المقابل فئة يسهُل تقويمهم عبر النَّصح والإرشاد.

٤- جاهلٌ لا يُدرك أبعاد وعواقب الإرجاف، فتراه يتحدَّث بكلِّ ما سمع، ويُعيد إرسال ما يصله من وسائلٍ لمن يعرف ومن لا يعرف بدون تفكير ولا تمحيص، فيتسبَّب بإضرار نفسه وإضرار غيره. وهذه الفئة من الناس هم الأدوات التي تركز عليها الفئات الأخطر في النوع الأول والثاني.

(١) انظر: الشائعة والأمن، ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، مهدي علي دومان،

وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض هذه الأقسام في حادثة الإفك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾<sup>(١)</sup>.

قال الطبري رحمه الله في تفسيره عن هذه الآية<sup>(٢)</sup>: "إن الذين جاؤوا بالكذب والبهتان (عصبة منكم)؛ أي: جماعة منكم أيها الناس، وقوله: (والذي تولى كبره منهم)، يقول: والذي تحمّل معظم ذلك الإثم والإفك منهم هو الذي بدأ بالخوض فيه" أي: إن الذين قالوا بهذا البهتان العظيم والكلام الشنيع على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هم قوم ينتسبون إلى المسلمين، بعضهم زلّ به القدم وأغواه الشيطان؛ ليتحدّث بذلك، وبعضهم سمعه وصدّقه، وهؤلاء من القسم الثالث، ومنهم بدأ الكلام به، وتواطأ على إشاعته عن سوء نية؛ تحقيقاً لأهدافه الخبيثة، وهم القسم الأول.

(١) سورة النور، الآية: ١١.

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملئي، ١٩ / ١١٦، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

## المطلب الثاني: أساليب الإرجاف ووسائله:

تنوّعت أساليب الإرجاف ووسائله عبر التاريخ الإسلامي، متخذةً صوراً شتى، اجتهد المرجفون من خلالها إلى الوصول لأهدافهم الدنيئة وغاياتهم الخبيثة، ولقد أوضح الله تعالى جملة من أساليب المرجفين مجموعةً في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا حَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خِلَالَكُمْ يَبْعُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (١).

قال الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره: "الحبال: الفساد والنميمة وإيقاع الاختلاف والأراجيف" (٢).

ومن أساليبهم: إشاعة المنكر من الأقوال والأفعال؛ إيذاء المؤمنين في دينهم وعقيدتهم؛ قال تعالى: ﴿تَسْبُوتَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْزِ الْأُمُورِ﴾ (٣).

(١) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي، شمس الدين القرطبي، ٨ / ١٥٦، تحقيق: البردوني وإبراهيم أطفيش، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٨٦.

قال الطبري - رحمه الله - : "الأذى من اليهود قوهم: (إن الله فقير ونحن أغنياء)، وقولهم: (يد الله مغلولة)، وما أشبه ذلك من افتراءهم على الله، ومن النصارى قولهم: المسيح ابن الله، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله" (١).

ومن أساليبهم في الإرجاف وإيذاء المؤمنين: التناجي والتهمس والهمز واللمز في أعراض المؤمنين؛ مثل ما ورد في حادثة الإفك التي ذكرت آنفاً، والتي استغلها المنافقون للإرجاف والتقول على عرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكذلك التناجي والتهمس؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآيَاتِ وَالْعُدُوانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحْيِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَتَوَلَّوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبْنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُكُمْ جَهَنَّمُ يَصَّالَوْهَا فَيَنْسُوا الْمَصِيرُ﴾ (٢).

قال السعدي رحمه الله في تفسيره: أي: "تناجي أعداء المؤمنين بالمؤمنين، بالمكر والخديعة، وطلب السوء من الشيطان، الذي كيده ضعيف، ومكره غير مفيد؛ (ليحزن الَّذِينَ آمَنُوا)، هذا غاية هذا المكر ومقصده" (٣).

ومن أساليبهم أيضاً في الإرجاف: إشاعة سوء الظن بالله وبوعده بين المؤمنين في المواقف الحرجة، وإشاعة الهزيمة بين صفوف المؤمنين؛ قال تعالى واصفاً حالهم في ذلك: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢)

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، ٦/٤٥٦.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٨.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ص ٨٤٦، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويح، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت:

المواضع، ٢٠٠٠هـ/٢٠٠٠م.

وَإِذْ قَالَتْ طَافِيَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ (١).

قال القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: " (وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ)؛ أَي: شَكٌّ وَنِفَاقٌ. (مَا وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا)؛ أَي: باطلاً من القول... قالوا يوم الخندق: كيف يَعِدُنَا كَنُوزَ كَسْرَى وَقِيصِرَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُنَا أَنْ يَتَبَرَّرَ؟! وَإِنَّمَا قَالُوا ذَلِكَ لَمَّا فَشَا فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ من قوله ذلك عند ضرب الصخرة" (٢).

أما وسائل الإرجاف، فقد اختلفت وتبدلت عما كانت عليه قبل ظهور وسائل الاتصال الحديثة؛ فقبل ظهور وسائل الاتصال الحديثة كانت الأراجيف تُتناقل وتنتشر بطريقة مباشرة بين الأشخاص؛ مما جعل انتشارها بطيئاً ومحصوراً - في الغالب - بالمجتمع المحلي؛ ولكن بعد ذلك أصبح انتشار الأراجيف يتسارع شيئاً فشيئاً مع التقدم في وسائل الاتصال والإعلام، فقد بدأ عصر الإعلام الحديث منذ اختراع الطباعة في القرن الخامس عشر الميلادي، ثم صدور الصحف والمجلات الدورية بدايةً من القرن السابع عشر الميلادي، ثم ظهور الراديو والتلفزيون والهاتف الثابت في القرن الماضي، وانتهاءً بعصر الإنترنت الذي جعل العالم قريةً صغيرة، وما تلاه من ظهور الجيل الجديد من الهواتف النقالة التي تحمل العديد من تطبيقات التواصل الاجتماعي المختلفة (٣).

ويتميز الإنترنت عن غيره بأنه مجال خصب لانتشار الإرجاف، واتساع رقعته عالمياً خلال لحظات لا تتعدى الثواني، وذلك من خلال تطبيقاته المختلفة؛ مثل: البريد

(١) سورة الأحزاب، الآيتان: ١٢-١٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٤/ ١٤٧.

(٣) انظر: نشأة وسائل الإعلام وتطورها، إبراهيم عبد الله المسلمي، ط/١، دار الفكر العربي،



الإلكتروني، والفيس بوك، وتويتر، وسناب شات، وغيرها من الوسائل التي تنقل الأراجيف، وتروج لها بالصوت والصورة والمحادثات التفاعلية المباشرة بين الناقل والمتلقي. ومما يزيد الأمر سوءًا: أن هذه الوسائل تتيح اشتراك الأفراد في هذه التطبيقات بأسماء وهمية، تجعلها مرتعًا خصبًا للمرجفين، يعملون من خلالها بحرية، بعيدًا عن القيود الدينية والاجتماعية التي تحكم المجتمع المسلم، فيرسلون أخبارًا مفبركة كاذبة حول الأوضاع السياسية أو الاقتصادية، أو شن الحملات على كل ما له علاقةً بدين الأمة ومعتقداتها، ومحاولات إسقاط رموزها الدينية والسياسية من العلماء والحكّام.

## المبحث الثاني

## مجالات الإرجاف

تنوّعت وسائل التّقيّة الحديثة، وتطوّرت تطوُّراً سريعاً لمس العالم من خلاله نقلةً كبيرة في حياة الأفراد والمجتمعات في وقت قصير جداً مقابل التغير الهائل والسريع في العالم، حيث شكّلت هذه الوسائل شبكة سريعة في الاتّصال بين الناس في شتى بقاع الأرض، دون حواجزٍ أو حدودٍ، فصيرت العالم كأنه قرية صغيرة في الاتّصال.

ويوازي هذا التنوّع في هذه الوسائل تنوّع المستخدمين لهذه الوسائل، فمنهم أهل الخير، والباحثون عنه، وناشروه، ومنهم أهل الشرّ الذين يمثّلون تهديداً للفرد، ومعاول هدم لعقيدة المجتمع المسلم، وعاداته، وتقاليده الأصيلة. وقد استغلّ أهل الأهواء هذه الوسائل في ترويع وتخويف الآمنين وتضليلهم، وذلك من خلال الإرجاف وما يبيّثونه من الأكاذيب والادّعاءات الباطلة في كافّة جوانب المجتمع المسلم الاقتصادية والأمنية، والتعرّض لولاية أمور المسلمين، وعلماء الأُمَّة الراسخين في العلم؛ بهدف نشر الفساد وزعزعة المجتمع.

ويناقش هذا المبحث المجالات التي دائماً ما تكون موضوعاً خصباً لدعاة الإرجاف، وهي الإرجاف في الجوانب الاقتصادية والأمنية في المجتمع، والإرجاف بهدف إشاعة الفاحشة في المجتمع المسلم، إضافةً إلى الإرجاف المتعلّق بولاية الأمر وعلماء الأُمَّة.

## المطلب الأول: الإرجاف المتعلق بالمجال الاقتصادي:

في بداية العصر الإسلامي كانت العمليات الاقتصادية محدودة، وتقتصر على عمليات بيع وشراء الحاجات الأساسية؛ مثل الغذاء والملبس والمسكن، ومع ذلك فقد ظهر الإرجاف في الجانب الاقتصادي بصور شتى، بينها الله تعالى في كتابه الكريم؛ قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (١).

في هذه الآية يبيّن الله تعالى أن ثمة إرجافاً من الشيطان، وتخويفاً من الإنفاق؛ كما جاء في تفسير البغوي، قال: "أي: يخوفكم بالفقر، يقال: وعدته خيراً ووعدته شراً، قال الله تعالى في الخير: (وعدكم الله مغاماً كثيرة) وقال في الشر: (النار وعدّها الله الذين كفروا)، فإذا لم يُذكر الخير والشر، قلت في الخير: وعدته، وفي الشر: أوعدته، والفقر سوء الحال وقلة ذات اليد، وأصله من كسر الفقار، ومعنى الآية: أن الشيطان يخوفكم بالفقر، ويقول للرجل: أمسك عليك مالك؛ فإنك إذا تصدّقت به افتقرت، (ويأمركم بالفحشاء)؛ أي: بالبخل ومنع الزكاة، وقال الكلبي: كلُّ الفحشاء في القرآن فهو الزنا إلا هذا، (والله يعِدكم مغفرة منه)؛ أي: لذنوبكم، (وفضلاً)؛ أي: رزقاً حلّقاً، (والله واسع غنيّ عليم)" (٢).

ومع بداية القرن العشرين بدأت الدول في استخدام العمليات الاقتصادية المعقّدة التي تعتمد على الموازنة بين الإنتاج والتصدير والاستيراد، وقد سعت كلُّ الدول إلى الاستقرار

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٨.

(٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنّة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، ١ / ٣٧٢، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠ هـ.

الاقتصاديّ الذي تظهر ملامحه في ثبات أسعار السلع والموادّ عند مستويات معيّنة، ومع ذلك فإنّ ثمة فئة معيّنة من الناس يسعون لزعزعة هذا الاستقرار عبر الإرجاف، وبثّ الخوف في أوساط العامّة من خلال نشر الإشاعات المتعلقة بالوضع الاقتصاديّ، أو من خلال التشكيك بالقيم التي يقوم عليها الاقتصاد الإسلاميّ.

وفيما يلي سوف نستعرض هذه الأنماط من الإرجاف في المجال الاقتصاديّ:

### ١ - التخويف من انهيار الاقتصاد على مستوى الدولة:

القلق في بعض الحالات من الأحداث الاقتصادية المتردّية مطلبٌ لتلافي الخسائر، ومعالجة المشكلات التي قد تؤدّي في حال إهمالها إلى تدهور الحالة الاقتصادية للدولة - لا قدر الله - . ولا شكّ أن نقد ذلك الوضع المتردّي ومعالجته هو من اختصاص أهل الاقتصاد العارفين به وبحفاياه، الذين لديهم تقديرهم المنيّ على الخبرة والدراسة. لكن في كثير من الأحيان يروج بعض المرجفين عن وجود انهيار اقتصاديّ يحدث بسببه هلعٌ بين التجار والعامّة، ويؤدّي إلى عدم الاستقرار في الأسعار، ويتضرّر بسببه كثير من الأسر ذات الدخل المحدود.

ويُدخل في الإرجاف في المجال الاقتصاديّ بثّ الإشاعات الكاذبة المتعلّقة بقطاع العقار والأسهم، وغيرها من القطاعات التي تتأثر أسواقها بشكل كبير بالمؤثّرات الخارجية والأوضاع السياسية والأمنية، ليس في الدولة فحسب؛ بل على المستويين: الإقليمي والعالمي.

ويعتمد المرجفون في بثّ الإشاعات الاقتصادية المُضرة - سواءً بقصد أو بدون قصد - على وسائل عديدة، أبرزها وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة، أو من خلال وسائل التواصل الاجتماعيّ التي تُسهّم في نشر الدُعر بين الناس بسرعة أكثر، وانتشار أكبر.

## ٢ - الإرجاف المتعلق بالتعاملات المالية الإسلامية:

من خصائص النظام الاقتصادي الإسلامي أنه نظام خاضع للتشريع الإلهي الذي يقوم على مبادئ وقيم أخلاقية، تراعي الكسب الحلال في الكَمِّ والنوع والتنافس الشريف، والابتعاد عن التعاملات المحرمة؛ كالرِّبَا بكل أشكاله وأنواعه وصوره؛ عن جابرٍ، قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَكِلَ الرِّبَا، وَمُؤَكِّلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدِيَهُ)، وقال: (هم سَوَاءٌ) (١).

ويدَّعي بعضُ المرجفين أنه لا يمكن فصلُ العلاقة بين المعاملات الربوية والمعاملات المصرفية، وأن المعاملات الربوية ضرورةٌ للمؤسسات المصرفية الإسلامية، وأنها بغيره لن تستطيع دفع الحركة التجارية، وأن التعاملات المالية بين الناس وبين المؤسسات المالية ستكون صعبةً بدونها (٢).

ومن وسائل المرجفين في نشر مثل هذه الأباطيل: الكتاباتُ الصحفية، وتناقُّلها كمقالات في وسائل التواصل الاجتماعي بين العامة؛ للتلبس عليهم في دينهم.

(١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب المساقاة، باب لعن أكل الربا وموكله، ٣/ ١٢١٩ رقم ١٠٦ / ١٥٩٨، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) انظر: الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، عمر بن عبد العزيز المترجم، تحقيق: بكر أبو زيد، ط/ ٢، دار العاصمة، الرياض: ٢٠١٠.

## المطلب الثاني: الإرجاف المتعلق بالمجال الأمني:

الأمن من الحاجات الأساسية التي لا غنى عنها للمجتمع، ويخضع الأمن للجوانب النفسية التي تجعله هشاً مقابل الأراجيف<sup>(١)</sup>، لذا؛ يسعى المرجفون لاستغلال الأحداث التي تمرُّ بالمجتمع؛ مثل الحروب والأزمات السياسية الاقتصادية؛ للإخلال بالأمن الداخلي، وإشاعة الفوضى.

وعادةً ينتج من بثِّ الأراجيف بين أفراد المجتمع حالاتٌ من الهلع والخوف على النفس والمال والعرض، وقد يستغلُّ هؤلاء المرجفون بعض الأحداث الفردية التي يتمُّ فيها الإخلال بالأمن، وكسر النظام والقانون، بإرسالها إلى القنوات الإعلامية المعادية؛ ليتَّمَّ تضخيمها على أنها حالة عامة، والأسوأ من ذلك إذا تمَّ تناقلها من خلال وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة على أنها حقيقة محضّة، بدون أن تجد من يكذبها، ويوقف هؤلاء المرجفين لينالوا جزاءهم المستحقَّ.

ولا يقتصر الأمر على حالة الفوضى فقط؛ بل إن الأمر يتعدَّى ذلك إلى فقدان الثقة فيما بين الأجهزة الأمنية والمواطنين، وهو أحد الأهداف التي تسعى لتحقيقها الجهات المعادية.

ومن صور الأراجيف التي لها علاقة بالجوانب الأمنية: تبادل الأخبار ومقاطع الفيديو التي تُظهر سرقة السيارات والمحلات التجارية، والاعتداء على الأشخاص، والمشاجرات الفردية والجماعية، والاعتداء على المسؤولين في المؤسسات الحكومية والخاصة. كل هذه الأراجيف، وإن كان بعضها صحيحاً، فإنه يتمُّ تضخيمها لتؤثّر في عقل المتلقّي، وتجعله يعيش حالة من الاضطراب النفسي تقوده في النهاية للاستسلام والانتهزام أمام هذه الأراجيف<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: الشائعة والأمن، "ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، مهدي علي دومان،

أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية"، الرياض: ١٤٢٢ هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق.

ومن أعظم ما يقترفه هؤلاء المرجفون في وقت الحرب: أنهم يرفعون من شأن أعداء الأمة بذكر قوّتهم، وتجهيزات جيوشهم، مقابل الإقلال من شأن البلاد التي يعيشون على ترابها، ويرفّلون في خيراتها، وهدفهم الحطُّ من معنويات الجنود، وبثُّ الخوف في نفوس المواطنين.

## المطلب الثالث: الإرجاف المتعلق بالمجال الأخلاقي:

يسعى المرجفون والسُّفهاء إلى هتك أستار الناس عبر نشر صور أو مقاطع فيديو لأشخاص آخرين، ونشرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي؛ ليمتد تداولها بين عامة الناس، وسواءً كانت هذه الصور والفيديوهات حقيقية أو مفبركة، فإنها تدخل في موضوع إشاعة الفاحشة في الدين آمنوا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>(١)</sup>. أخرج أحمد عن ثوبان عن النبي ﷺ قَالَ: (( لا تُؤَدُّوا عباد الله، ولا تُعَيِّرُوهُمْ، ولا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ، طَلَبَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ حَتَّى يَفْضَحَهُ فِي بَيْتِهِ ))<sup>(٢)</sup>. وأخرج البخاري في الأدب، عن علي بن أبي طالب قال: (القائل الفاحشة والذي يُشيع بها في الإثم سواء)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة النور، الآية: ١٩.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ٨٨ / ٣٧، رقم ٢٢٤٠٢، ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة، انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، ٨٧/٨، كتاب: الأدب، باب: مثل المؤمن من أهل الإيمان.

(٣) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، وقال حسن الإسناد، باب من سمع بفاحشة فأفشأها رقم ٣٢٤/٢٤٧، ص، ١٣٣، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط/١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.



وجاء في " الدر المنثور " للسيوطي رحمه الله، قال: وأخرج ابنُ أبي حاتم عن خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ قَالَ: (من حَدَّثَ بِمَا أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ وَسَمِعَتْ أُذُنَاهُ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا) (١).

وَيَعْمَدُ الْمَرْجِفُونَ إِلَى إِظْهَارِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ وَكَأَنَّهُ مُجْتَمِعٌ عَمَّ فِيهِ الْفَسَادُ، وَقَلَّ فِيهِ الْخَيْرُ، فَيُخَيَّلُ لِلْسَامِعِ أَنَّ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ قَلَّةٌ فِي الْمُجْتَمَعِ؛ بَلْ وَيَعْمَدُونَ إِلَى تَضَخِيمِ أخطاءِ الصَّالِحِينَ لَطَمَسِ مَعَالِمِ الْخَيْرِ فِي الْأُمَّةِ.

وَيَهْدَفُ الْمَرْجِفُونَ مِنْ نَشْرِ ذَلِكَ إِلَى بَثِّ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنَ الْإِصْلَاحِ، وَإِقْنَاعِهِمْ بِفَسَادِ الْمُجْتَمَعِ وَاتِّشَارِ الْمَعَاصِي، وَأَسْوَأُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا تَسَلَّلَ الْقُنُوطُ إِلَى قُلُوبِ الْمُصْلِحِينَ مِنَ الدَّعَاةِ الَّذِينَ يُؤَمِّلُ مِنْهُمُ الْوَقُوفُ فِي وَجْهِ هَذِهِ الْأَرَاخِيفِ، وَبَيَانَ بِطِلَانِهَا لِلنَّاسِ. وَقَدْ حَذَّرَ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَصْحَابَ الْأَحْكَامِ الْمُتَعَجِّلَةَ الْقَائِلِينَ بِهَلَاكِ النَّاسِ أَنَّهُمْ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ، فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ) (٢).

قال ابن الأثير رحمه الله: "ومعناه أن الغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله يقولون: هلك الناس؛ أي: استوجبوا النار بسوء أعمالهم، فإذا قال الرجل ذلك، فهو الذي أوجبه لهم، لا الله تعالى" (٣). وقال القاضي عياض رحمه الله: "وقيل: معناه في أهل البدع والغالين الذين يؤيسون الناس من رحمة الله، ويوجبون لهم الخلود بذنوبهم، إذا قال ذلك في أهل الجماعة، ومن لم يقل ببدعته" (٤).

(١) الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ١٦١/٦، دار الفكر، بيروت، د.ت.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: النهي عن قول: "هلك الناس"، رقم ٢٦٢٣.

(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري بن الأثير، ٥/ ٢٦٩، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٤) انظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل، ٢/ ٢٦٩، ط/ المكتبة العتيقة ودار التراث.

## المطلب الرابع: الإرجاف المتعلق بولاية الأمور من الحكّام والعلماء:

لولاية أمر المسلمين مكانتهم في الأمة؛ فبهم - بعد عون الله تعالى - يستتب الأمن، وبسلطانهم يتم الاستقرار، وعلى ضوء توجيهاتهم تنتظم البلاد وتزدهر. وطاعة ولي أمر المسلمين من أهم الواجبات التي أمر الله عز وجل بها في كتابه الكريم، وسنة نبيه ﷺ وعلى ذلك سار صحابته الكرام رضي الله عنهم والسلف الصالح - رحمهم الله تعالى - قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "أولو الأمر هم العلماء والأمرء، فالعلماء هم أولو الأمر من ناحية أنهم يبلّغون عن الله - سبحانه وتعالى - ما ورثوه عن نبيهم محمد - صلى الله عليه وسلم - من العلم، كما قال رضي الله عنه: ((إن العلماء ورثة الأنبياء))<sup>(٢)</sup>، فالعلماء لهم شأن في الأمة؛ لأنهم ورثة الأنبياء...، والقسم الثاني من ولاية الأمور هم الأمرء، الذين يتولّون السُلطة، فهؤلاء يجب احترامهم، ويجب طاعتهم بالمعروف"<sup>(٣)</sup>.

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "أمر بطاعته وطاعة رسوله، وذلك بامتنال أمرهما، الواجب والمستحب، واجتناب تهيئتهما، وأمر بطاعة أولي الأمر، وهم: الولاية على الناس، من الأمرء والحكّام والمُفتين، فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم؛ طاعة الله ورغبة فيما عنده؛ ولكن بشرط ألا يأمرُوا بمعصية الله"<sup>(٤)</sup>.

(١) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٢) أخرجه الترمذي، أبواب: العلم، باب: ما جاء في فضل الفقه، رقم ٢٦٨٢، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، ١٨٢/٦.

(٣) انظر: الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، <https://www.alfawzan.af.org.sa/ar/node/2018>

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ١٨٣.

إن وجود ولاة الأمر في الأمة فيه مصلحة عظيمة يتحقق بها حفظ الدين، واستتباب الأمن، وصلاح الأفراد لما فيه خير دينهم وديناهم؛ ولذلك يحرص أعداء الأمة وأهل الأهواء والإفساد - بشتى الوسائل وكافة الطرق - على بثّ الفوضى في الأمة، وزعزعة أمنها واستقرارها، من خلال الإرجاف الذي يستهدف تأليب الناس على ولاة أمورهم، ومحاولين بذلك فكّ اللّحمة والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، الذي قد يؤدّي - لا سمح الله - إلى التفرّق والاختلاف، الذي يُضعف الأمة، ويُذهب قوّتها وهيبتها.

لذا؛ شدّد الرسول ﷺ على ضرورة الاجتماع على إمام واحد، والتمسك بالبيعة والسمع والطاعة لوليّ الأمر في غير معصية الله؛ قال ﷺ: ((مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)) (١).

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: الأمر بلزوم الجماعة، عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى

## المبحث الثالث

## دور الدعاة تُجَاهَ الإرجاف

يُعتَبَرُ دورُ الداعية في الإسهام في تحصين المجتمع المسلم ضدَّ الأراجيف والمرجفين دورًا محوريًا، ينطلق من قوله تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(١)</sup>، ومن قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وتمتةً جُملةً من الأعمال والأنشطة التي يمكن للدعاة القيام بها؛ للوقوف أمام المرجفين، ويتأكد هذا الدور من النظرة الجليلة التي ينظر بها أفراد المجتمع للداعية على أنه القدوة، وأنه الموجة الأول الذي يمكن له أن يقدم النصح والإرشاد، البعيد كلَّ البعد عن الأهداف الشخصية والمصالح الدنيوية.

إن من أهمِّ الأمور التي يجب أن ينطلق منها الداعية في مواجهة دعوات الإرجاف: فَهَمَّ النصوص التي وردت في كتاب الله تعالى، التي تبين موقف الإسلام من الإرجاف والمرجفين، وتحذير المؤمنين من هذا العمل المرفوض شرعًا وعقلًا، فينبغي أن يوضح الداعية للناس أن الإرجاف عمل محرَّم، وأن الله تعالى نَسَبَهُ للمنافقين؛ قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٦.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

قال الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: "قال تعالى ذِكْرُهُ: لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستترون بالكفر، ويظهرون الإيمان، (وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) يعني: ربيبة من شهوة الزنا، وحبّ الفجور" (١).

كما ينبغي للداعية أن يبيّن للناس خطر إرجاف المؤمنين، الذي يهدف إلى تخويفهم وتخليد لهم؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (٢).

قال ابن كثير - رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: أي: الذين توعدّهم الناس بالجموع، وخوفوهم بكثرة الأعداء، فما أكثرثوا لذلك؛ بل توكلوا على الله، واستعانوا به، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" (٣).

كما بيّن الله تعالى صراحةً أن منهج أهل الإرجاف يقوم على تخذيل أهل الإيمان، وبثّ الفرقة والخلاف بينهم؛ قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعُفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٤).

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾: "أي: لم يزيدوكم بخروجهم فيكم إلا فسادًا وضرًا، ولذلك تَبَطُّهُمْ عن الخروج معكم" (٥).

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري ٣٢٧/٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، ١٤١ / ٢، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩ هـ.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٤٨٣ / ١١.

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَوَضُّعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾: "أي: ولأسرعوا السَّيْرَ والمشْيَ بينكم بالنميمة والبغضاء والفتنة" ... وقال عن قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾: "أي: مطيعون لهم، ومستحسنون لحديثهم وكلامهم، يستنصِحونهم وإن كانوا لا يعلمون حالهم، فيؤدِّي إلى وقوع شرٍّ بين المؤمنين وفساد كبير" (١).

وعلى الداعية أن يحدِّر من انتقاص المؤمنين بقصد تحبيطهم، والتقليل من أعمالهم؛ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢). قال ابن كثير رحمه الله في تفسير هذه الآية: "هذه أيضاً من صفات المنافقين: لا يَسَلِّمُ أحدٌ من عبيهم ولمزهم في جميع الأحوال، حتى ولا المتصدِّقون يَسَلِّمون منهم، إن جاء أحدٌ منهم بمال جزيلٍ قالوا: هذا مُراءٍ، وإن جاء بشيء يسير، قالوا: إن الله لغنيٌّ عن صدقة هذا" (٣).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالرَّغْل في النقود، يَروِج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالتَّقد، ويَعْرِفُ حاله الناقدُ البصير من الناس، وقليلٌ ما هم، وليس على الدِّين أضرُّ من هذا الضَّرْب من الناس، وإنما تفسد الأديان من قِبَلهم، ولهذا جَلَّى الله أمرهم في القرآن، وأوضح أوصافهم، وبَيَّن أحوالهم، وكرَّر ذكرهم لشدة المؤنة على الأمة بهم، وعَظَّمَ البَلِيَّةَ عليهم بوجودهم بين أظهرهم، وفرط حاجتهم إلى معرفتهم،

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠ / ٤.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤٠ / ٤.

والتحرُّز من مشابِهم والإصغاء إليهم؛ فكم قَطَعُوا على السالكين إلى الله طريق الهدى، وسَلَكُوا بهم سُبُل الرَّدَى، وَعَدُوهم ومُنُوهم؛ ولكن وَعَدُوهم الغرور، ومُنُوهم الويل والتُّبُور" (١).

ومن الأمور التي يجب أن يتنبه لها الداعية، وينبه عليها عامَّة الناس: وجوب الصبر والثبُّت، والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى أهل العلم، فيما يتعلَّق بالأمور التي تُهمُّ الأُمَّة، ويدور حولها اختلاف، وأخذُ وردُّ، وتشكيكٌ وتخوين من قِبَل المرجفين؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٢).

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسير هذه الآية: "هذا تأديبٌ من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمَّة، والمصالح العامَّة، ما يتعلَّق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبةٌ عليهم - أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر؛ بل يردُّونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور، ويعرفون المصالح وضدَّها، فإن رأوا في إذاعته مصلحةً ونشاطاً للمؤمنين، وسروراً لهم، وتحرُّزاً من أعدائهم، فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحةٌ، أو فيه مصلحةٌ ولكن مَضَرَّتْه تزيد على مصلحته، لم يُذيعوه؛

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتین، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، ص ٤٠٨، ط/٢، دار السلفية، القاهرة: ١٣٩٤هـ.

(٢) سورة النساء، الآية (٨٣).

ولهذا قال: (لَعَلَّمَهُ الَّذِينَ يَسْتَبْطُونَهُ مِنْهُمْ)؛ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة، وعلومهم الرشيدة<sup>(١)</sup>.

وعلى الداعية أن يذكرَّ العامَّة ويحذِّرهم من تصديق كلِّ ما يُقال وما يُتداول من إشاعاتٍ وأراجيفٍ تَمَسُّ الأشخاص أو المسؤولين أو العلماء من غير دليل ولا بُرهان يُسند ذلك ويصدِّقه؛ قال الحقُّ - تبارك وتعالى - : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، ففي الآية أمرٌ من الله - عزَّ وجلَّ - بالتبُّن من الأخبار، فإن قامت قرائنٌ وأدلةٌ من خارج، تدلُّ على صدِّقه، عمِلْ بدليل الصِّدق، ولو أخبر به من أخبر<sup>(٣)</sup>.

وهناك جملة من الأمور التي تعين الدعاة على التصدي للشتات، والوقوف أمامها، وحضِّ الناس على ذلك، ومنها ما يلي:

١- يومُ الجمعة يومٌ فضيل، أكرم الله به عباده المؤمنين، وجعله من أفضل أيامهم؛ قال رسول الله ﷺ: ((خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم ﷺ وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها))<sup>(٤)</sup>، وقد شرع الله تعالى فيه خطبة الجمعة، التي يتوجَّب على الداعية أن يستغلها في النصِّح والتوجيه، وتعليم الناس ما يُهمُّهم من أمور دينهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وبيان الحقِّ، وتصحيح ما يتلقاه الناس من

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ص ١٩٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٦.

(٣) انظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ١/٣٦٨، ١/ط، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٦ هـ/١٩٩٦ م.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب: فضل يوم الجمعة، رقم ٨٥٤.



أخبار مغلوبة، وأراجيف مشبوهة، ويبيّنوا لهم أهداف هذه الأراجيف، وخطرهما على الأمة، وأن المخرَج منها هو عدم الخوض فيها، وردّها إلى أهل العلم والصلاح.

٢- على أئمة المساجد - وهم على رأس الدعاة اليوم - أن يكونوا واعين بالأحداث والمستجدّات التي تطرأ على المجتمع، وما يتناقله الناس حولها من أخبارٍ ووقائع، وأن يصحّح لهم تلك الأخبار، إن كانت ملفقةً وعاريةً من الصحة، وأن يبيّن لهم أهمية توحيد الصفّ، ويبيّن لهم عواقب التشرّد والتفرّق، وعليه أن يتخلّلهم بالنصح والإرشاد، من خلال الكلمات عقب الصلوات، أو التعاون مع المؤسّسات الرسمية؛ لاستضافة الدعاة، وإقامة الندوات والدورات التي تُعنى بمكافحة الأراجيف، وسبل مواجهتها.

٣- الإطّلاع على المستجدّات في وسائل الإعلام التقليدية المختلفة؛ مثل الصحف والمجلاّت والإذاعة والتلفزيون، ورصد ما يردّ فيها من أخبار ومعلومات مضلّلة حول ما له علاقة بالدين والتشريع الإسلاميّ، أو ولاية أمور المسلمين من حكامٍ وعلماء، والمشاركة في هذه البرامج، والتفاعل الإيجابي معها، والتحاوُر مع أصحاب الفكر المضادّ؛ لكشف مغالطاتهم، وفضح ادّعاءاتهم وأكاذيبهم، وقبّل ذلك دعوتهم للحقّ بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤- المشاركة الفعّالة في وسائل التواصل الاجتماعيّ المختلفة؛ لمواجهة المرجفين، التي من أهمّها تطبيق (تويتر) و (فيس بوك) و (سناب شات)، وغيرها من التطبيقات التفاعلية التي يشترك فيها ملايين الناس حول العالم، على أن المشاركة في هذه التطبيقات تستوجب التقيّد بالآداب الإسلامية في الحوار القائم على الإقناع، والتحلّي بالصبر والأناة، وأن يكون قدوةً في كلّ مشاركاته التي يتوجّب عليه فيها التركيز على الجوانب الدعوية، ومواجهة كلّ ما من شأنه تفتيت المجتمع من خلال الأراجيف والشائعات، وعدم الخوض في الأمور الهامشية التي لا تُفيد الأمة.

٥- على الجهات المسؤولة عن الدعوة في البلدان الإسلامية أن تُعدَّ الداعية إعدادًا لائقًا، يمكِّنه من التعامل مع هذه الأراجيف وكيفية مواجهتها، ومن ذلك إعداده أولاً من الجانب الشرعيِّ والعَقَدِيِّ، ثم بالمهارات الأساسية في مجال الإعلام والاتِّصال والسياسة والاقتصاد والأمن؛ ليكون قادرًا على مقارعة المرجفين بالحجَّة، وردِّ شُبَّههم فيما يتعلَّق بالجوانب الشرعية والاقتصادية والسياسية والأمنية. ويمكن القيام بهذا الإعداد من خلال إقامة الدُّورات الدراسية التأهيلية، بالتعاون مع الجهات ذات العلاقة بالجوانب الاقتصادية والسياسية والأمنية في البلاد.

٦- على الداعية أن يشارك أفراد المجتمع في مجالسهم ونواديهم ومناسباتهم، وأن يتبادل الحوار معهم فيما يخصُّ الشائعات التي تمسُّ عقيدة المجتمع، وعاداته، وأخلاقه الإسلامية، وبيان الحقيقة لهم، وتحذيرهم من الوقوع في أعراض إخوانهم المؤمنين، وعلمائهم، ومن وُلِّي أمرهم، وأن الأصلح لهم يكون بإماتة الباطل والمنكر، وعدم نشره وإشاعته بين الناس.

## الخاتمة

في ختام هذه الدراسة، نحمد الله الذي يسر كتابتها، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه، وكريم فضله، وعظيم إحسانه.

هذا وإن من أبرز نتائج هذه الدراسة وتوصياتها ما يلي:

## أولاً: النتائج:

- ١- أن الإرجاف يعني الكذب، وإثارة الفوضى والفساد في المجتمع.
- ٢- أن عاقبة وإثم الإرجاف يكون في الدنيا والآخرة.
- ٣- آثار المرجفين السيئة تكون على الفرد والمجتمع.
- ٤- أن من أهداف المرجفين نشر الفوضى والخوف في البلاد.
- ٥- من الممكن أن يُستفاد من وسائل التّقنيّة الحديثة في دعوة المجتمع لما ينفعهم، وتحذيرهم من كلّ ما يضرُّهم، وتحذيرهم من المرجفين وغيرهم من أهل الفساد.
- ٦- بالحكمة، والموعظة الحسنة، والحوار الهادئ البناء، نصل بالمدعوين من جميع فئات المجتمع إلى الحقِّ، وكشف الحقائق عن المغرضين من المرجفين وأهل الفساد.
- ٧- أن الولاة والعلماء لهم فضلهم ومكانتهم في المجتمع، وعلى قدر تقدير هذه المكانة لهم من أفراد المجتمع ومعرفة فضلهم تكون قوّة المجتمع، واستقرار البلاد، واستتباب الأمن. لذا؛ إذا استهدف المرجفون هذه القامات، فإنهم يهدفون إلى نشر الفساد، وبث الفوضى في البلاد.

## ثانياً: التوصيات:

- ١- على الدعاة تكثيف الجهود في توجيه فكر أفراد المجتمع بالثبوت في تلقي الأخبار، والحرص على معرفة مصادرها؛ عملاً بقوله تعالى: **أَلَا نِي ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ مِّن دِينِكُمْ فَتَبَيَّنُوا** (١).
- ٢- لا بد من توعية المدعّين بالموقف المتعيّن عليهم فعله، وهو الحرص على تبليغ الجهات الرسمية المَعْنِيَّة بِنُجَاه المرجفين الذين يقصدون بأفعالهم التدمير للبلاد والعباد، العاملين على نقض تماسك المجتمع واستقراره.
- ٣- في هذا العصر الذي تطوّرت فيه وسائل التّقنيّة الحديثة تطوّراً سريعاً في التواصل بين الناس على مختلف أشكالهم وثقافتهم ودياناتهم، وتنوّع أفكارهم، يتعيّن على الداعية اغتنام وسائل التّقنيّة الحديثة في توجيه الناس للخير، وكشف كيد أهل الضلال من المرجفين وغيرهم، وحثّهم على الثبوت في نقل المعلومات.
- ٤- لا بدّ للدعاة من استعمال أفضل الأساليب في حثّ المجتمع على التآلف والتماسك، وطاعة ولاة الأمر، وعدم الخروج عليهم؛ طاعةً لله، واتباعاً لمنهج نبيّه صلى الله عليه وسلم.
- ٥- يتعيّن على الداعية بيان فضل أهل العلم، وإبراز مكانتهم في الإسلام، وتحذير الناس من التّيل من أعراضهم؛ فلهوم العلماء مسمومة، وإن من اجتهد منهم وأصاب فله أجران، ومن أخطأ منهم فيبقى له فضله ومكانته، وله أجر اجتهاده.

(١) سورة الحجرات، الآية: ٦.

## فهرس المصادر والمراجع

١. الإرجاف دراسة قرآنية، إعداد حمزة عبد الفتاح قاسم، إشراف محسن سميح الخالدي، "جامعة النجاح في نابلس، فلسطين، كلية أصول الدين، رسالة ماجستير"، ٢٠١٦ م.
٢. أساليب مواجهة الشائعات، ساعد العرابي الحارثي وآخرون، ط/١، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض: ١٤٢٢ هـ.
٣. استخدام التقنيات الحديثة في الشائعات، "ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، ذياب موسى البداينة، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية"، ١٤٢٢ هـ.
٤. الإشاعة ومخاطرها التربوية من منظور إسلامي، مبارك عبد الله المفلح، "جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، تخصص التربية في الإسلام، الأردن، رسالة ماجستير"، ١٤١٥ هـ.
٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد عاشور، ط/الدار التونسية للنشر، تونس: ١٩٨٤ م.
٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١٩ هـ.
٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط/١، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٠ هـ/٢٠٠٠ م.
٨. جامع الأصول في أحاديث الرسول، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنبوط، تحقيق: بشير عيون، ط/١، مكتبة الحلواني.

٩. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أ. د. عبدالله عبد المحسن التركي، ط/١، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة: ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
١٠. الجامع الكبير، سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، ط/ دار الغرب الإسلامي، بيروت: ١٩٩٨م.
١١. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، ط/٢، دار الكتب المصرية، القاهرة: ١٣٨٤هـ.
١٢. الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ط/ دار الفكر، بيروت.
١٣. دور الداعية في محاربة الشائعات، عبد الرحمن الطوخي عبد الرحمن عقل، إمام وخطيب مسجد المستشفى المركزي بالقناطر الخيرية، ط/١، وزارة الأوقاف، مصر.
١٤. الربا والمعاملات المصرفية في نظر الشريعة الإسلامية، عمر بن عبد العزيز المترك، تحقيق: بكر أبو زيد، ط/٢، دار العاصمة، الرياض: ٢٠١٠م.
١٥. الشائعة والأمن، ورقة عمل مقدمة لندوة أساليب مجابهة الشائعات، مهدي علي دومان، ط/ أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية: ١٤٢٢هـ.
١٦. الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفساربي، تحقيق: أحمد عبدالغفور عطار، ط/٤، دار العلم للملايين، بيروت: ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
١٧. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ومتن مرتبط بشرحيه فتح الباري لابن رجب ولابن حجر،

- شرح وتعليق د. مصطفى ديب البغا، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط/١، دار طوق النجاة: ١٤٢٢هـ.
١٨. طريق المهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، ط/٢، دار السلفية، القاهرة: ١٣٩٤هـ.
١٩. القاموس المحيط، أبو طاهر محمد يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، ط/٨، مؤسسة الرسالة، بيروت: ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
٢٠. كيف تكتب بحثًا ناجحًا، د. صباح عبد الله بافضل، ط/١، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض: ١٩٩٨م.
٢١. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، كتاب الأدب، باب مثل المؤمن من أهل الايمان، ط/ مكتبة القدسي، القاهرة: ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٢٢. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط/٣، دار الكتاب العربي، بيروت: ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٢٣. المسند الصحيح المختصر، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٤. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، ط/ المكتبة العتيقة ودار التراث.
٢٥. معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٤٢٠هـ.

٢٦. معجم مقاييس اللغة، أحمد فارس زكريا القزويني الرازي، تحقيق: محمد هارون، كتاب الرء، باب الرء والجيم، مادة رجف، ط/ دار الفكر: ١٣٩٩هـ.
٢٧. الموقع الرسمي لمعالي الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان، عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء. <https://www.alfawzan.af.org.sa> > node.
٢٨. نشأة وسائل الإعلام وتطورها، إبراهيم عبد الله المسلمي، ط/١، دار الفكر العربي، بيروت: ٢٠٠٥.
٢٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط/ المكتبة العلمية، بيروت: ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.



البحث رقم (٥)

**جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية  
(بريطانيا، مدريد، برلين)**

إعداد

د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن الحمدان  
الأستاذ المشارك في قسم الدراسات الإسلامية المعاصرة  
في كلية العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة المجمعة

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبداً لله ورسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَحْدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>، وقال الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>، أما بعد<sup>(٤)</sup>:

فإن التعرف على حقيقة وتاريخ الدعوة والمنتهمين إلى الإسلام في تلك البلدان محل الدراسة ليكون ذلك سبيلاً لمعرفة الطرق والأساليب المستخدمة من قبل الدعاة في دعوة غير المسلمين واستمالة قلوبهم وانتشالهم من براثن الشرك والوثنية إلى دين الإسلام الذي تعبدنا الله ﷻ بإيصاله إلى الخلق.

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

(٤) انظر: سنن ابن ماجة: ١/٦٠٩، رقم (١٨٩٢)، وتسمى هذه الخطبة عند العلماء: خطبة الحاجة،

وصححه الألباني.

## أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١ - عدم وجود دراسة علمية في بعض المراكز الإسلامية محل الدراسة تبين جهود المملكة العربية السعودية وعنايتها بالدعوة للإسلام.
- ٢ - الحاجة إلى إبراز جهود الدعاة إلى الله ﷺ في المراكز الإسلامية.
- ٣ - الحاجة إلى إبراز أفضل الوسائل والأساليب المؤثرة والمستخدمة في الدعوة إلى الله ﷻ في المراكز الإسلامية.
- ٤ - الحاجة إلى إبراز جهود المملكة ودعمها لتلك المراكز وسد القصور.

## ثانياً: مشكلة البحث:

نتيجة للضح العقائدي العدائي ضد دين الإسلام والمنتسبين إليه اجتهدت هذه الدولة المباركة المملكة العربية السعودية مشتركة مع بعض دول الخليج في إنشاء مراكز دعوية في بعض دول العالم ليكون لها وظيفة في حفظ شعيرة الإسلام والدعوة إليه، وخصوصاً في تلك الدول التي يتوارد عليها أبناء المسلمين إما للدراسة أو للعمل أو للسياحة أو للتجارة، وذلك ليظهروا ما هم عليه غيرهم مما يعتنقونه من الدين الصحيح، ولكي يؤثروا ولا يتأثروا، ولما في تلك الدول من قلة المسلمين عملت المملكة العربية السعودية وغيرها إما لوحدها أو مشاركة مع بعض الدول في هذه المراكز لكسب غير المسلمين من خلال دعوة المعتنقين لبعض الديانات غير الصحيحة إلى الإسلام، واستمالة قلوبهم، وانتشالهم من براثن الشرك والوثنية إلى دين الإسلام الصحيح، وفق المنهج الصحيح على قواعد أصيلة وركائز ثابتة.

## ثالثاً: أهداف البحث:

- ١- التعرف على جهود المملكة العربية السعودية في نشأة المراكز الإسلامية.
- ٢- بيان بداية تاريخ الدعوة إلى الله ﷻ في المراكز الإسلامية (بريطانيا، ودرديد، وبرلين).
- ٣- الكشف عن أبرز القضايا الدعوية في المراكز الإسلامية.
- ٤- الوقوف على معوقات الدعوة إلى الإسلام في المراكز الإسلامية.

## رابعاً: الدراسات السابقة:

لم أقف على أي دراسة متخصصة تبين جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية محل الدراسة في هذا الموضوع، وبعد الانتهاء من البحث وجدت رسالة علمية في مرحلة الدكتوراه تحت عنوان: (الدعوة إلى الله في إسبانيا دراسة ميدانية تقويمية) في جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية في المعهد العالي للدعوة والاحتساب في عام ١٤٣٩ هـ، وهذه الدراسة تختلف عما سوف أقوم به بحسب خطة البحث التي تم تدوينها اختلافاً كلياً، فتلك الدراسة لم تتطرق لجهود المملكة العربية السعودية البتة، ومن الممكن الاستفادة منها في بعض الموضوعات من حيث النشأة فقط، والأصل في ذلك هو ما استفاد منه الباحث من التقارير المعدة من قبل القائمين على المراكز الإسلامية موضوع الدراسة، وسوف يقوم الباحث بمعالجة وإبراز جهود المملكة العربية السعودية الدعوية، وبيان بداية نشأة هذه المراكز وتاريخها، والكشف عن أبرز القضايا الدعوية، والوقوف على معوقات الدعوة فيها، وهو الجديد في هذا البحث.

### خامساً: منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والمنهج التاريخي، ويعرف المنهج الاستقرائي بأنه: (تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعاً، أو هو: انتقال الفكر من الحكم على الجزئي إلى الحكم على الكلي الذي يدخل الجزئي تحته<sup>(١)</sup> . ويعرف المنهج التاريخي بأنه: (الطريقة أو الأسلوب أو ما يمكن به إجابة على سؤال عن الماضي بواسطة مجهود علمي كبير يبذله الباحث متمثلاً في محاولته لاستنتاج العلاقة بين الأحداث، والربط بينها، مستنداً في ذلك إلى ما يستقيه من أدلة علمية صحيحة تبرهن استنتاجه)<sup>(٢)</sup> .

فطبيعة هذه الدراسة لهذا الموضوع تقتضي استخدام بعض المناهج العلمية؛ لأنه الطريق المأمول للوصول إلى المعرفة، وذلك لجمع جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في المراكز الإسلامية، وما يخص البحث المتعلق بنشأة وتاريخ الدعوة وأبرز القضايا الدعوية وجهود الدعاة ومعوقات الدعوة في المراكز الإسلامية.

### سادساً: خطة البحث:

#### المقدمة، وتتضمن الآتي:

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانياً: مشكلة البحث.

ثالثاً: أهداف البحث.

رابعاً: الدراسات السابقة.

خامساً: منهج البحث.

سادساً: خطة البحث.

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة: عبد الرحمن حسن حنيفة الميداني، ١٨٨.

(٢) المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د. صالح العساف، ص ٢٨١.

**المبحث الأول: نشأة المراكز الإسلامية.**

المطلب الأول: نشأة المراكز الإسلامية في (بريطانيا ومدريد وبرلين)

المطلب الثاني: جهود تلك المراكز وبرامجها.

المطلب الثالث: مصادر الدعم وأبرز شخصياتها.

**المبحث الثاني: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية.**

المطلب الأول: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في بريطانيا.

المطلب الثاني: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في مدريد.

المطلب الثالث: تاريخ بداية الدعوة للإسلام في برلين.

**المبحث الثالث: أبرز القضايا الدعوية في المراكز الإسلامية.**

المطلب الأول: إثبات توحيد الألوهية.

المطلب الثاني: قصور الديانات الأخرى عن الوفاء بالحاجات الإنسانية.

المطلب الثالث: إثبات بطلان الديانات الأخرى.

**المبحث الرابع: معوقات الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية.**

المطلب الأول: جهود المنظمات المشبوهة في الصد عن الإسلام.

المطلب الثاني: حملات التشويه لدين الإسلام.

المطلب الثالث: قلة الإمكانيات المادية والبشرية.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول: نشأة المراكز الإسلامية المطلب الأول

### نشأة المراكز الإسلامية في (بريطانيا، ومدريد، وبرلين)

لقد كان في نشأة المراكز الإسلامية جهد بارز في نشر وتبليغ الدعوة إلى الله ﷻ، ومما لا يمكن نفيه أن بعض أو أكثر هذه المساجد والمراكز والمدارس والجمعيات الإسلامية تبذل جهداً حثيثاً لتلبية احتياجات الجاليات الإسلامية ولإنجاح برامجهم، ولكن عدم التنسيق فيما بينهم جعل محصلة النتائج في الساحة الدعوية هزيلة.

إذا نظرنا نظرة متأنية على واقع المراكز الإسلامية في الغرب نجد أن هناك مساجد ومدارس ومراكز إسلامية وجمعيات مختلفة الاتجاهات، ومع أن التعددية في حد ذاتها ليست ظاهرة سيئة حسب رأيي، إلا أن هذه المؤسسات الإسلامية بسبب التعصب أحيانا وعدم التعاون فيما بينهم أحيانا أخرى، لم تتحقق الأهداف على المستوى المطلوب، وكانت الثمار التي جنت من تلك الجهود التي بذلها القائمون على هذه المؤسسات الإسلامية قليلة جداً نظراً للمدة الزمنية والفرص المتاحة في الغرب. وهذا ما لاحظته الباحث حين زيارته للمراكز الإسلامية، وشاهده على أرض الواقع<sup>(١)</sup>.

وبالجملة، هناك نمو كمي مطرد في عدد المساجد والمراكز والمدارس والجمعيات الإسلامية، وكذلك في عدد المسلمين أنفسهم في الغرب وهذا مؤشر خير، ولكن هذا النمو الكمي لا يرافقه -مع الأسف- نمو كفي بصورة مطردة.

صحيح أنه يوجد تنسيق بين بعض هذه المراكز والمنظمات، ولكن لا يوجد تنسيق عام بينها جميعاً، وهذا من الأسباب الرئيسة لضعفها، ولعل مرد هذا التباعد إنما هو مشكلة التحزب والتعصب، وحب الرئاسة والزعامة، فنجد أن كثيراً منهم يتعصبون لجماعتهم، والزعماء يسعون للحفاظ على رئاستهم، ولذلك تذهب فرص التعاون والتكامل سدى،

(١) هذا ما لمسّه الباحث حين زيارته للمراكز الإسلامية موضوع الدراسة.

لذلك يجب على الدول الإسلامية والعلماء والباحثين الإسلاميين والكتاب أن يولوا موضوع الدعوة والمراكز الإسلامية في الغرب اهتمامًا لائقًا وذلك لكي تلبي هذه المؤسسات احتياجات الجاليات المسلمة في الخارج من أجل نشر الدعوة والقيم السمحة للإسلام. وسنحاول أن نستعرض نشأة المراكز الإسلامية في (بريطانيا، ومدريد، وبرلين) في الآتي:

### أولاً: المراكز الإسلامية في بريطانيا:

تعود فكرة تأسيس ونشأة المركز الثقافي الإسلامي ومسجد لندن المركزي إلى العقد الأول من القرن الماضي، وقد بدأت بمطالبة مستمرة من بعض المسلمين من أصول هندية للحصول على منحة أرض لذلك الهدف، من حاكم حيدرآباد حينذاك، ثم اعتنق الإسلام اللورد "هيديلي" (ت ١٩٣٥م)، وخاطب هو بدوره الحكومة البريطانية في هذا الأمر، وكتب المسؤولين البريطانيين حتى استقر الأمر على موافقة الحكومة البريطانية على ذلك سنة ١٩٣٦م، ثم أصدرت الحكومة البريطانية أيام حكومة "حرب تشرشل" قرارها بذلك في العام ١٩٤٠، وتم تقديم الموقع الحالي في منطقة "ريجنتس بارك" "Regents Park"، هدية تقديرية لجهود المسلمين في الحربين، وحتى يتمكنوا بسهولة من إدارة شؤونهم الدينية وعباداتهم الإسلامية<sup>(١)</sup>.

وبعد استقلال الكويت تحركت أربع دول وهي (السعودية، والكويت، وباكستان، ولبنان)، وفي عام ١٩٦٧م جاء الملك فيصل -رحمه الله- وعرض عليه المشروع وأعطاهم ما يقارب (٢,٠٠٠,٠٠٠) مليونين جنيه إسترليني، ووضع مسابقة دولية لوضع تصميم للمشروع، وتم اختيار مشروع ثم حدثت مشاكل قانونية مع أحد المصممين ولم يبدأ فعلياً إلا بعد وفاة الملك فيصل عام ١٩٧٥م، وانتهى بناء المشروع عام ١٩٧٩م، ونقص عليهم

(١) انظر: التقرير الذي أعده مدير المركز الإسلامي في بريطانيا الدكتور أحمد الديان، لحة تاريخية عن

تأسيس المركز، ص ٦.



بعض المبالغ، ونظرًا لتغير الأسعار تقدموا بطلب بعد استقلال الإمارات، وأكمل المبلغ الشيخ زايد آل نهيان، ويتكون المبنى من ثلاثة أجنحة، وفي عهد الملك فهد -رحمه الله- في عام ١٩٩٢م تبرع بالمكتب الإداري الموجود الآن، وفي عام ٢٠٠١م تم بناء السور والبوابة الخارجية بمشاركة من السعودية وعمان والكويت والإمارات وقطر، و منذ تأسيسه يقوم بالعديد من المهام، وبعد الإسلام ثاني أكبر ديانة في المملكة البريطانية المتحدة، وبتزايد المسلمون فيها بشكل ملحوظ، وفقًا لتعداد المملكة المتحدة في عام ٢٠١١م، ويعيش أكثر من ٢,٧ مليون من المسلمين في إنجلترا وويلز حيث يشكلون ٥,٠٪ من تعداد السكان العام و ٩,١٪ من الأطفال دون سن الخامسة، ويتركز معظمهم في لندن، ومانشستر وغلاناسكو، ولكن يسكن لندن ما يقارب ٤٣٪ منهم.

وأغلب المسلمين في المملكة مهاجرين أو من أصول تعود لشبه القارة الهندية التي تشمل الهند وباكستان وأفغانستان وإيران، ومن بعدها الشرق الأوسط وشمال أفريقيا ومن ثم دول أخرى مثل ماليزيا ونيجيريا. كما يوجد عدد متزايد من البريطانيين يعتقدون الإسلام سنويًا، حيث كتبت صحيفة "اند بند نت" في يناير ٢٠١١م أن العدد الحقيقي للبريطانيين المعتنقين للإسلام يمكن أن يكون حوالي ١٠٠ ألف بريطاني مسلم، وذلك نقلا عن دراسة جديدة لمجموعة "فيث ما ترز الفكرية" ٦٦٪ منهم نساء، كما قدرت الدراسة ذاتها عدد معتنقي الإسلام في سنة ٢٠١١ بـ ٥,٠٠٠ معتنق.

كانت لبريطانيا صلة بالحروب الصليبية في بلاد المشرق العربي، وهكذا بدأ أول احتكاكها بالمسلمين، وبدأت علاقة بريطانيا بالمسلمين في العصر الحديث مع احتلال بريطانيا للعديد من الشعوب الإسلامية، وهجرة بعض المسلمين من تلك المستعمرات إلى بريطانيا، ومن أوائل الهجرات جماعات من عدن عملوا في المهن البحرية في سنة (١٢٨٧هـ - ١٨٧١م)، واستقروا في مدينة (كارديف)، وتوالت هجرات من مناطق إسلامية أخرى، فأنت هجرات من قبرص ومن شمال وشرقي إفريقيا، وزاد عدد المسلمين في بريطانيا في

أعقاب الحرب العالمية الأولى، وقدمت هجرات إسلامية إلى بريطانيا من يوغسلافيا، وألبانيا وبلاد شرقي أوروبا ومن الهند وباكستان، وعندما ازدادت حاجة بريطانيا للأيدي العاملة ازدادت هجرة العمال المسلمين إليها، ووصل عدد المسلمين في بريطانيا أكثر من مليون مسلم، وابتشر المسلمون في مناطق ومدن عديدة من بريطانيا، ويعمل المسلمون في القطاعات الصناعية، ومنها الصناعات المعدنية وبعض الخدمات الشاقة، وهناك فئة تعمل بالتجارة، كما يوجد الآلاف من الأطباء المسلمين والمهندسين والعلماء، ويعمل الآلاف في سلك التعليم<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: المراكز الإسلامية في مدريد:

أنشأ المركز الإسلامي في إسبانيا عام ١٩٩٢م، وأقيم على أرض تصل مساحتها إلى نحو (١٣) ألف متر مربع منحتها الحكومة الإسبانية في أواخر الثمانينيات لصالح رابطة العالم الإسلامي، تم تصميم المركز على أحدث طراز معماري فريد، بساحات واسعة، وموقع متميز، وإطلالة جميلة جعلت منه مشعل نور في مدينة مدريد ومنبر ثقافة تتجه له الأنظار وتسلط عليه الأضواء، وقد تم بناء المركز الثقافي الإسلامي في عهد الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود -رحمه الله-، ووضع لبناته الأولى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبد العزيز آل سعود -حفظه الله- أمير منطقة الرياض (آنذاك) والعاقل الإسباني الملك "خوان كارلوس الأول".

ومن أبرز جهود وأنشطة المركز الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف، وبيان محاسنه ومحامده، وإقامة شعائره اليومية، وتوعية المسلمين الجدد، وتوزيع الكتب والمطويات التوعوية والتعريفية، التي من شأنها رفع الحس الديني وتصحيح الأخطاء العقديّة ودعوة غير المسلمين من عامة الشعب الإسباني.

(١) انظر: التقرير الذي أعده مدير المركز الإسلامي في بريطانيا، د. أحمد الديان ص ٦.

كما يقدم المركز أنشطة اجتماعية وإعلامية تهدف إلى تكوين العلاقات مع الإعلام الإسباني والمشاركة في الحوارات وتنظيم المشاركات الدعوية وزيارة الطلاب والعلماء من مختلف دول العالم<sup>(١)</sup>.

### ثالثاً: المراكز الإسلامية في ألمانيا:

شُيّد المركز الإسلامي في ألمانيا عام ١٩٢٨م، وأُنشأ فيه أول مسجد للمسلمين في برلين، وهو ذلك المسجد القائم الآن في برلين الغربية، ويُذكر أن عدد المسلمين في ألمانيا يتجاوز ثلاثة ملايين ونصف مليون مسلم، معظمهم من المهاجرين الأتراك، ويرجع أول وجود للسكان المسلمين في ألمانيا إلى عام ١٧٣٩ في عهد الملك (فريدريك) الأول ملك بروسيا، وسبق ذلك تأسيس أول مسجد في مدينة "بوتسدام" عام ١٧٣١، وكان مخصصاً للجنود الأتراك.

ويبلغ عدد المسلمين من العرب حوالي (٢٥٠) ألف نسمة، يقيم معظمهم في الولايات الغربية؛ حيث تتوفر فيها فرص العمل. وقد اعتنق الإسلام من الألمان حتى الآن حوالي (١٠٠) ألف شخص. ويُقدّر عدد المسلمين الألمان الذين لهم حق المشاركة في الانتخابات بنحو مليون مواطن، يشكلون أقل من ٢٪ من إجمالي الناخبين في ألمانيا، ويصل عدد المساجد وأماكن الصلاة في ألمانيا إلى (٢٢٠٠) مسجدٍ ومُصلّى، تابعة في معظمها إلى مؤسسات دينية تركية نتيجة للعدد المتنامي للمسلمين الأتراك الذين يمثلون غالبية الجاليات الإسلامية في أوروبا، فيما يصل عدد المساجد ذات المآذن والقباب (الشكل التقليدي للمسجد) في ألمانيا إلى ما يزيد عن (١٤٠) مسجدٍ، ويُشار إلى أن مسجد الفتح المقام في مدينة "مانهايم" عام ١٩٩٥م يُعدّ أكبر المساجد في ألمانيا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المركز الإسلامي الثقافي في إسبانيا، رابطة العالم الإسلامي نسخة محفوظة ٢٧ ديسمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

(٢) حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته (برلين) ومقابلة الشيخ عبدالصمد اليزيدي، الذي

ولقد تبين للباحث حين زيارته للمراكز الإسلامية أن نشأتها كانت قديمة، وانتشار الإسلام كان موجوداً ولكن بشكلٍ محدود، حيث كان معدوم البرامج والتطوير لعدم وجود الدعم المادي، والإمكانات البشرية، وانتشار الديانة النصرانية وقوتها في ذلك الوقت، ولعدم وجود رغبة وقبول لدى الحكومات بالمسلمين؛ لأن وجودهم يُشكل خطراً بنظرهم، إلا أنه في الآونة الأخيرة وبسبب توفيق الله ﷻ لبعض الدول الإسلامية التي رأت أن نشر الإسلام من الأمور الحتمية التي تقتضي تبليغ دين الله ﷻ لجميع الناس دون استثناء، فكان من الواجب على ولاية الأمر - وفقهم الله - الاهتمام بذلك، فقاموا بالدعم المادي والمعنوي الذي ساعد على انتشار ونشر الدعوة على أكمل وجه.

## المطلب الثاني

### جهود المراكز الإسلامية وبرامجها

إن هذه المراكز الإسلامية لها جهودًا منذ تأسيسها، ولقد حملت على عاتقها نشر الدعوة بجميع أشكالها، وبيان محاسن الإسلام في شتى المجالات، ولها عدة نشاطات تقوم به وبرامج مستمرة طوال العام ويختلف النشاط والبرامج من دولة لأخرى بحسب الحاجة والمناسبة، وأيضًا حسب تخطيط كل دولة، ولهذا سوف نبرز دور كل دولة على حدة، وذلك على النحو التالي:

#### أولاً: جهود المراكز الإسلامية وبرامجها في بريطانيا:

بدأ مشروع المركز الثقافي الإسلامي في بريطانيا منذ عام ١٩٤٤م، وذلك بعد أن منحت المملكة الأرض للمسلمين وتشكلت لجنة لغرض تشييد المركز، والذي بدأ فيه المسلمون الباكستانيون والهنود الموجودين في بريطانيا عام ١٩٦٢م، بعد استقلال الكويت تحركت أربع دول، وهي (السعودية والكويت وباكستان ولبنان)، وفي عام ١٩٦٧م جاء الملك فيصل -رحمه الله- وعرض عليه المشروع وأعطاهم ما يقارب (٢٠٠٠٠٠٠) مليونين جنيه إسترليني، ووضع مسابقة دولية لوضع تصميم للمشروع، وتم اختيار مشروع ثم حدثت مشاكل قانونية مع أحد المصممين، ولم يبدأ فعليًا إلا بعد وفاة الملك فيصل -رحمه الله- عام ١٩٧٥م، وانتهى المشروع من البناء عام ١٩٧٩م، ونقص عليهم بعض المبالغ ونظرا لتغير الأسعار تقدموا بطلب بعد استقلال الإمارات، وأكمل الشيخ زايد آل نهيان المبلغ، والمركز عبارة على ثلاثة أجنحة، وفي عهد الملك فهد -رحمه الله- في عام ١٩٩٢م تبرع بالمكتب الإداري الموجود الآن، وفي عام ٢٠٠١م تم بناء السور والبوابة الخارجية بمشاركة من السعودية وعمان والكويت والإمارات وقطر، ومنذ تأسيسه يقوم المركز بعددٍ من المهام والأنشطة، ولقد حمل العاملين فيه على عاتقهم الدعوة إلى الله ﷻ وإبراز الهوية الإسلامية بصورة تُرغّب غير المسلمين بالدخول في الإسلام، وذلك من حيث الدور الذي يقوم به

مجلس الأمناء والذي يضم ٢٤ أربعة وعشرين دولة من خلال سفرائها، ويرأس المركز شخصية سعودية فاعلة فُوضت له الصلاحيات وهو الدكتور: أحمد بن محمد الديان، مندوب وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، والذي تم الانفراد به ومقابلته في مكتبه ببريطانيا، حيث ذكر لنا نشاط وبرامج هذا المركز من حيث علاقاته بدولة بريطانيا، والاستفادة منه بحل المشكلات التي تحدث من الجاليات الغير مسلمة، وذلك بوضع الدورات المناسبة لتحسين السلوك الذي تشتكي منه الدولة، وأيضًا دورات للمسلمين وتكون في المسجد أو في المركز وذلك بتفعيل الملتقيات والمحاضرات والدروس يوميًا أو أسبوعيًا أو شهريًا أو سنويًا، كما تقام الصلوات الخمس في مسجد المركز ودرس يومي، وأيضًا أسبوعي يجتمع فيه جميع المسلمين من جميع الجنسيات واللغات ويكون للرجال وللنساء، وتشمل أنشطة المركز الإسلامي أيضا تقديم خطبة الجمعة وخطب العيدين باللغة الإنجليزية والعربية، كما يوجد مكتبة تضم العديد من الكتب الإسلامية والبريطانية، ويتم التعاون الوثيق مع الجامعات البريطانية لتزويد الباحثين والطلبة بالمعلومات الحقيقية عن الإسلام والمسلمين، بالإضافة إلى توزيع المطبوعات والكتب الإسلامية ونسخ القرآن الكريم باللغتين الإنجليزية والعربية، والمركز له اتفاق تعاون مع كثير من الدول ( اليونيسكو) في المغرب مع رابطة العالم الإسلامي، ووزارة الشؤون الإسلامية في السعودية، ووزارة الشؤون الإسلامية في الكويت، والمشيخة في روسيا، والأزهر في مصر. وللمركز تعاون مع وزارة الداخلية والخارجية البريطانية وهيئة الجمعيات البريطانية، والآن أصبح المركز له علاقة مميزة مع الحكومة البريطانية، وأعطى دورات عن الإرهاب والتوعية بأهمية التسامح، ودورات أخرى في جميع العلوم، ويوجد في المركز حوار<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: التقرير المعد من المركز الإسلامي في بريطانيا، د. أحمد الديان، ص ٣.

## ثانياً: جهود المراكز الإسلامية وبرامجها في مدريد:

يقوم المركز الإسلامي في مدريد منذ تأسيسه بالعديد من المهام فقد حمل على عاتقه الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف وبيان محاسنه ومحامده، وإقامة شعائره اليومية وتوعية المسلمين الجدد وتوزيع الكتب المطويات التوعوية والتعريفية، التي من شأنها رفع الحس الديني وتصحيح الأخطاء العقديّة ودعوة غير المسلمين من عامة الشعب الإسباني. ويرأس هذا المركز الدكتور سعود بن عبدالله الغديان، وهو مندوب وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، كما أن من أنشطة المركز الإسلامي تقديم خطبة الجمعة وخطب العيدين باللغة الإسبانية، والتعاون الوثيق مع الجامعات الإسبانية لتزويد الباحثين والطلبة بالمعلومات الحقيقية عن الإسلام والمسلمين، وإرساء التعاون بين مكتبة المركز والمعاهد العلمية والجامعات الإسبانية لتزويد الباحثين والطلبة بالخدمات البحثية، بالإضافة إلى توزيع المطبوعات والكتب الإسلامية ونسخ القرآن الكريم باللغتين الإسبانية والعربية، كما يحرص المركز بصفة دورية ومستمرة على إقامة سلسلة من الندوات والمحاضرات والدروس الثقافية والأدبية التي تهم الجالية المسلمة والمهتمين بالثقافة العربية من الجمهور الإسباني<sup>(١)</sup>.

ويسعى المركز والعاملون فيه إلى حمل رسالة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالة الإسلام في شتى المجالات، وبجميع الطرق والأساليب دون المصادمة مع الجاليات غير المسلمة عن طريق الحوار والملتقيات والندوات من خلال الجهود الدعوية التي تبين للخصم سماحة هذا الدين وأن ما يلصق به من اتهامات ليس لها أصل في الإسلام، وهذا مما دعا كثير من الجاليات غير المسلمة أن تقرّ عن الإسلام ثم تدخل فيه<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المركز الثقافي الإسلامي في مدريد.. شاهد علاقات تاريخية بين المملكة وإسبانيا، جريدة الرياض، ١٤٣٣هـ، العدد (١٦١٠٥) نسخة محفوظة ٢٢ ديسمبر ٢٠١٧ على موقع واي باك مشين.

(٢) أخذ الباحث هذه المعلومات حين زيارته (مدريد) ومقابلة الداعية عبد الصمد رومرو الذي تحدث عن الدور الفعال الذي يقوم به المركز الإسلامي.

## ثالثاً: جهود المراكز الإسلامية وبرامجها في برلين:

المركز الإسلامي في برلين هو المسجد أو المؤسسة الإسلامية وتسمى دار الإسلام، أسسها محمد صديق، وقد ولد محمد صديق سنة ١٩٤٤م في مدينة برلين، ودرس في جامعة أم درمان الإسلامية من آخر سنة ١٩٦٧-١٩٧٠م ثم انتقل إلى الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية، فدرس في كلية الدعوة وأصول الدين من سنة ١٩٧٠-١٩٧٤م وتخرج منها، ثم رجع إلى ألمانيا بلاده، وقبل أن يبدأ العمل رافق جماعة التبليغ وأسس الجمعية سنة ١٩٨١م في مدينة "آخن" في دار مستأجرة، وانتقلت الجمعية إلى مقرها الجديد سنة ١٩٨٣م<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المركز الذي تأسس على يد محمد صديق انطلقت الدعوة إلى الإسلام وبيان محاسنه وتعاليمه، وهو الذي يهتم بحياة المسلمين بألمانيا، ويوفر لهم معلومات عن مواقيت الصلاة ومواعيد الأعياد، كما يقدم فيه معلومات عن الإسلام وشعائره وأركانه الخمسة بالنسبة لمن يريد ممارسة الشعائر الدينية، ويعيش في ألمانيا حوالي أربعة ملايين مسلم أي ما يعادل خمسة بالمائة من مجموع السكان. وبالرغم من أنهم أقلية في ألمانيا، إلا أن للمسلمين حضوراً في الحياة العامة وفي المجال الإعلامي وخاصة الإلكتروني منه.

وهناك عدد من المواقع التي تعنى بالإسلام وحياة المسلمين، مثل موقع "إسلام دوت دي إيه" أو موقع المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا، وتتوجه برامج وأنشطة هذه المواقع للجمهور الألماني من المسلمين وغير المسلمين، فبالنسبة لغير المسلمين تحاول هذه المواقع التعريف بأركان الإسلام الخمسة بطريقة مبسطة، بالإضافة إلى بنك معلومات تضم أحاديث

(١) انظر: التقرير المعد من المركز الإسلامي في برلين: ص ١٥. كما أخذ الباحث هذه المعلومات حين زيارته (برلين) ومقابلة الداعية عبد الصمد الزبيدي الذي تحدث عن الدور الفعال الذي يقوم به المركز الإسلامي.



نبوية باللغة الألمانية تصل إلى أربعمائة حديث. كما تقدم هذه المواقع خدماتها بأشكال مختلفة إما كنصوص مكتوبة أو كمواد سمعية وبصرية.

وتتجلى أهمية هذه المواقع الإلكترونية الإسلامية في القيام ببعض الجهود الإعلامية التي يفتقدها المسلمون في الإعلام الألماني، كإعلان مواعيد الصلاة حسب توقيت كل مدينة ألمانية، وكذا الإعلان عن مواعيد حلول الأعياد الإسلامية، إذ يمكن للمسلم الألماني أن يحتمل مواقيت الصلاة بالنسبة لمدينته لمدة عام كامل، وتطرح هذه المواقع على المسلمين أفكارًا بديلة لمنح الزكاة، عن طريق التبرع لمؤسسات خيرية داخل البلاد، كما لا تسمح الظروف لكثير من المسلمين في ألمانيا بالاحتفال بعيد الأضحى المبارك عن طريق ذبح الأضحية، فتتترح هذه المواقع على المسلمين طرقًا بديلة، كالتبرع بالمال لشراء أضحية العيد لبعض الفقراء في الدول الإسلامية الأخرى<sup>(١)</sup>.

وتحاول المواقع الإسلامية في ألمانيا أن تستوعب النقاش حول الإسلام واندماج المسلمين في المجتمع الألماني، فتنتقل تلخيصًا لحلقات تلفزيونية ناقشت موضوع الإسلام في الإعلام الرسمي الألماني، وتفتح باب النقاش حولها، ومن جهة أخرى تعلن المواقع الإسلامية عن آخر الكتب الصادرة حول الإسلام والمسلمين في ألمانيا، والتي غالبًا ما تكون كتبًا مؤيدة لرؤية الموقع، إذ لا يتناول الموقع الكتب التي تنتقد الإسلام.

وتقدم المواقع عروضًا دينية وألعابًا للأطفال، كما تحتضن إعلانات تجارية تستهدف المسلمين في ألمانيا، كالإعلان عن ملابس الحجاب، أو تعليم اللغة العربية أو ألعاب تثقيفية للأطفال أو تبرعات مالية أو صدقات أو إغاثة غذائية أو إغاثة صحية، وعلى هذه فإن الدوافع التي جعلت هؤلاء يعتقدون الإسلام مختلفة، فقد تكون بداعي البحث عن معنى الوجود، أو الزواج من رجل أو امرأة مسلمة، أو لإيجاد إجابات عن أسئلة نابعة من التجربة الشخصية في حياته أو بسبب تجارب خاصة ومشاكل وأزمات تعرضوا لها، ومع اختلاف

(١) انظر: المرجع السابق، التقرير المعد من المركز الإسلامي في برلين، ص ٢٠.

الأسباب وتنوع أنماط الشخصيات التي قررت تغيير معتقدها الديني، وبما أن العديد من الألمان يُعانون من أزمات نفسية وفكرية، وبدأ البعض منهم يبحث عن طرق وأساليب تمنحهم الراحة، فوجدوا بغيتهم في الإسلام؛ لأنه يُقدم لهم تصورا واضحًا وشاملاً عن الحياة، وسواءً تعلق الأمر بالملبس أو المأكل، أو الشعائر، أو العلاقة بين الجنسين، فإن للإسلام أجوبة عن كل هذه القضايا<sup>(١)</sup>.

ولقد تبين للباحث حين زيارته لتلك المراكز الإسلامية على أرض الواقع أن لهم جهودًا عظيمة لنشر الإسلام، ودور كبير في استخدام وسائل الدعوة الحديثة عبر الشبكة العنكبوتية، كما لهم عدة نشاطات متنوعة تستهدف المسلمين وغير المسلمين، كما لهم برامج تطويرية أسهمت في الترغيب بدخول الإسلام.

---

(١) المرجع السابق، التقرير المعد من المركز الإسلامي في برلين، ص ٢٠ بتصرف.

## المطلب الثالث

### مصادر دعم المراكز الإسلامية وأبرز شخصياتها

تبين للباحث حين زيارة تلك الدول والاطلاع على المراكز الإسلامية ومقابلة المسؤولين من الدعاة والاستفسار عن أهم مصادر الدعم لهم تحدثوا عن الدعم وبعض الدول الذين يمدونهم بشي مقطوع سنوي أو دعم متواصل حسب قدرة كل دولة مما يساعد تلك الدول في الدعوة الى الله ﷻ رغم أن هذا الدعم لا يغطي الاحتياج إلا أنه يسد بعضها بعضاً<sup>(١)</sup>، ومن هذه الدول ما يلي:

### مصادر دعم المركز الإسلامي في بريطانيا:

١. المركز الإسلامي في المملكة المتحدة له مصادر عدة منها ما يلي:
٢. تمويل من مجلس الأمان سنوي بمبالغ مقطوعة، والذي يضم ٢٤ أربعة وعشرين دولة.
٣. تمويل مستمر وهي عبارة عن أوقاف من المملكة العربية السعودية.
٤. استثمارات وهي عبارة عن أسهم في شركات قديمة بدأها الدكتور أحمد الديان.
٥. دعم عن طريق بعض المطبوعات التي تباع لصالح المركز الإسلامي.
٦. تبرعات من الجالية المسلمة عن طريق شبكة الانترنت منذ سنة ٢٠١٧م.
٧. دخل من بعض أنشطة نشاط المركز الخدمية.

وأسهمت مع المملكة العربية السعودية عدد من الدول العربية والإسلامية في دعم المركز، ومنها دولة الإمارات العربية المتحدة منذ سنة ١٩٧٩م، وسلطنة عمان التي من جهودها بناء السور الداخلي ١٩٧٩ ثم بناء السور الخارجي ٢٠٠٣م، ودولة الكويت التي

(١) حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته لبريطانيا، ومقابلة الدكتور أحمد الديان، بتاريخ

دعمت جميع أنشطة المركز منذ عام ٢٠١٠م، ودولة قطر التي تولت الترميمات وإصلاح المبنى سنة ٢٠١٢م<sup>(١)</sup>.

### مصادر دعم المركز الإسلامي في مدريد:

- المركز الإسلامي في مدريد له مصادر عدة منها ما يلي
١. تمويل ودعم من الحكومة السعودية في عهد الملك فهد بن عبدالعزيز(رحمه الله) خدمة منه للإسلام والمسلمين في مملكة إسبانيا.
  ٢. تمويل من بعض الدول الإسلامية لتغطية الحاجة.
  ٣. دعم عن طريق التبرعات والمساعدات من بعض الدول.
  ٤. الدعم الأسبوعي عن طريق التبرعات من المسلمين بعد صلاة الجمعة<sup>(٢)</sup>.

وقد أسهمت المملكة العربية السعودية وتساهم بدعم المركز الإسلامي بصورة مستمرة ماديا أو معنويا كما يأتي بعض الدعم من المشاريع الاستثمارية التي يقوم بها المركز، ودعم آخر من بعض الدول والتبرعات العينية والنقدية.

### مصادر دعم المركز الإسلامي في برلين:

- المركز الاسلامي أو المسجد أو الجمعية في برلين لها عدة مصادر منها ما يلي:
١. التمويل من بعض دول الخليج (السعودية، الكويت، الإمارات، وعمان، وقطر).
  ٢. جمع التبرعات في المساجد وبعض التجار في برلين.

(١) انظر: التقرير لمحة تاريخية عن المركز الإسلامي في لندن، ص ١٤.

(٢) حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته لمديره ومقابلة الداعية عبد الصمد رومرو، بتاريخ

٢٠١٩/١٢/١١م.

٣. دعم بعض المحسنين عبر موقع أون لاين.

٤. العائد المادي من نشاطات المركز ودوراته التدريبية<sup>(١)</sup>.

ونظرًا لجهود المملكة العربية السعودية فإنها تقوم بالدعم المعنوي عن طريق السفارة، وتوزيع بعض الإعانات على الجمعيات الإسلامية في برلين، كما تقوم بتوزيع المصاحف والكتب النافعة.

---

(١) حصل الباحث على هذه المعلومات حين زيارته لبرلين ومقابلة الشيخ عبدالصمد اليزيدي، بتاريخ

٢٠١٩/١٢/١٣ م.

## المبحث الثاني

## تاريخ بداية الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية

## المطلب الأول

## تاريخ بداية الدعوة للإسلام في بريطانيا

بدأت الدعوة في بريطانيا قبل سنة ١٩٣٥م عندما تم جمع التبرع من حاكم حيدر آباد الذي كان من أصول هندية حينذاك، ثم اعتنق الإسلام (اللورد هيدلي ت ١٩٣٥م) وخاطب هو بدوره الحكومة البريطانية في هذا الأمر، وكتب المسؤولين البريطانيين حتى استقر الأمر على موافقة الحكومة البريطانية على ذلك سنة ١٩٣٦م، ثم أصدرت الحكومة البريطانية أيام حكومة حرب "نشرشل" قرارها بذلك في العام ١٩٤٠م، وتم تقديم الموقع الحالي في منطقة "ريجنتس بارك Regent's Park"، هدية تقديرية لجهود المسلمين في الحريين، وحتى يتمكنوا بسهولة من إدارة شؤونهم الدينية وعبادتهم الإسلامية(١).

إن الدعوة في المركز الإسلامي في بريطانيا له عدة نشاطات: منها أن الصلوات الخمس والجمع والأعياد تقام في المسجد التابع للمركز باستمرار، ويحضر أداء هذه الشعائر التعبديّة آلاف من المسلمين قد يصل عددهم إلى ٣٠٠٠ ثلاثة آلاف يصل أيام الجمعة، كما يصل عددهم في العيد إلى حوالي ٢٠٠٠٠ عشرين ألف، ويقوم المركز بعدد من المناشط الدينية والدعوية المختلفة، مثل: المحاضرات والدورات ونشر الكتب والدروس وتحفيظ القرآن الكريم، وبعضها أسبوعي، وأخرى شهري، ويرأس القسم الشيخ "خليفة عزت" (٢)، كما اطلع الباحث على ما قام به المركز من جهود جبارة منذ بداية الدعوة في هذا المركز، ودوره البارز من خلا الأنشطة الدعوية التي يقوم بها المتنوعة التي يستفيد منها المسلم وغير المسلم.

(١) لمحة تاريخية عن المركز الإسلامي، د. أحمد الديان، ص ٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٧-١٨.

## المطلب الثاني

### تاريخ بداية الدعوة للإسلام في مدريد

الحقيقة أن تاريخ دخول الإسلام إلى إسبانيا قديماً منذ تاريخ الفتح الإسلامي لإسبانيا عام ٩٢هـ بعد وفاة النبي ﷺ، حيث انطلقت جيوش المسلمين تجاهد في سبيل الله ﷻ، وفتحت البلاد وتدعو إلى الإسلام، ففتحوا بلاد فارس والشام والعراق ومصر وأفريقيا، وأصبح المسلمون يطمحون في مواصلة فتح الأندلس وكانت المحاولة في عهد عثمان بن عفان ﷺ كما ذكر ذلك ابن عذاري في كتابه (البيان المغرب)، (أن أول من دخلها عبدالله بن نافع بن عبد القيس، وعبدالله بن الحصين الفهريان من جهة البحر في زمن عثمان ﷺ)<sup>(١)</sup>.

وقد سبق للمسلمين غزو بعض الجزر المقابلة لإسبانيا، فقد ذكر الإمام الذهبي في أحداث سنة ٨٩هـ حينما (جهز موسى بن نصير ولده عبدالله ففتح جزيرتي ميورقة ومنورقة)<sup>(٢)</sup>، ثم تدرج الفتح حتى عصر الولاة عام ٩٥ الى ١٣٨هـ، حيث وصل عبدالرحمن الداخل وتولى حكم الأندلس، واستغرق هذا العصر حوالي ٤٢ سنة بعد موسى بن نصير وطارق بن زياد، وقد واجه هذا العصر مهمات كثيرة، ولم يكف الجهاد بالسيف وإنما كان لا بد من الجهاد بالقلم ونشر الإسلام بين سكان الأندلس<sup>(٣)</sup>، ثم جاء بعد ذلك عصر الإمارة ١٣٨-٣١٦هـ بعد سقوط الخلافة الأموية، وهزيمة الأمويين من العباسيين، ثم عاد عبدالرحمن الداخل مرة أخرى واستأنف سيره نحو المغرب الأقصى لدخوله الأندلس، ودخلها في غرة ربيع الأول ثم نزل بقرية طرش من كوة البيرة<sup>(٤)</sup>.

ثم جاء عصر الخلافة من ٣١٦-٤٠٠هـ، حينما تولى عبدالرحمن الناصر الحكم وأعلن الخلافة الأندلسية فأهى بذلك عهد الإمارة واستمر الحكم نصف قرن<sup>(٥)</sup>، ثم جاء عصر

(١) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ص ٤/٢.

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د. عبدالرحمن الحججي، ص ١٣٥.

(٣) انظر: المرجع السابق ص ١٣٥.

(٤) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي، ص ٤/٢.

(٥) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عذاري المراكشي (التاريخ الأندلسي من الفتح

الطوائف من ٤٠٠-٤٨٤هـ الذي عاشت فيه الأندلس سنوات صعبه من الفرقة والتنافس، حيث خرجت فيها عدة دويلات مستقلة، ثم جاء عصر المرابطين من ٤٨٤-٥٢٠هـ واستمرت حتى جاء عصر الموحيدين من ٥٢٠-٦٢٠هـ، وكان زعيمهم هو أبو عبدالله المهدي محمد بن تومرت الذي رحل إلى طلب العلم في الأندلس قبل القرن الخامس، ثم عاد إلى الشمال الأفريقي، وبدأ دعوة الناس إلى التمسك بالدين وتطبيقه، ثم جاء بعد ذلك عصر مملكة غرناطة من ٦٢٠-٨٩٧هـ حيث بعد ضعف الموحيدين وضياع العديد من المدن الرئيسية جاء ابن الأحمر وهو أبو عبدالله الغالب بالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي، وكانت دعوته للشم، فاجتمع عليه ثم كانت بيعته أميراً لمملكة غرناطة<sup>(١)</sup>.

وهذا مما يبين بأن بداية تاريخ الدعوة في مدريد كان قديماً، ولوجود بعض الظروف الخاصة بهذه البلاد كان المسلمون أقلية فيها، وبعد نشأة المركز الإسلامي وإسهام بعض الدول في نشأته أظهر دوره المتميز بعد توارد الدعم المادي والمعنوي الذي ساعد في نشر الإسلام بصورته الحقيقية.

الإسلامي وحتى سقوط غرناطة)، ص ٣١٦.

(١) انظر: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، محمد عبدالله عنان، ص ٤.



## المطلب الثالث

### تاريخ بداية الدعوة للإسلام في برلين

بدأت الدعوة في برلين قبل ما يقارب ٢٠٠ سنة حينما كانت هناك لقاءات بين المسلمين والمسيحيين، وكان المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا يقوم بتنظيم الدعوة وخصوصاً في برلين، وفي الحروب الصليبية التي اشترك فيها الألمان كان يوجد اتصال دبلوماسي بين ملوك الأندلس والألمان، ودرس (مارتن لوثر) القرآن برغم التراجم المحرفة وتأثر (غوته) بتعاليم الإسلام، وبدأ الاستشراق بما بذله (يعقوب كريستمان) من تعلم اللغة العربية وألف كتباً فيها وافتتح كرسي لها في جامعة (هيدلبرج) سنة ٩٩٩هـ/١٥٩٠م)، وازداد عدد المستشرقين ولم تجتمع الجماهير الألمانية بالجماهير المسلمة إلا إبان الحرب العالمية الأولى عندما تحالف الألمان مع الأتراك العثمانيين وتغيرت فكرة الألمان عن الإسلام، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى أطلق سراح بعض الأسرى المسلمين ففضل الكثير منهم العيش في ألمانيا، كما توافد على ألمانيا عدد من التجار والعمال المسلمين، وأخذ عدد قليل من الألمان يعتنقون الإسلام، وبعد الحرب العالمية الثانية قدمت من شرق أوروبا موجة من اللاجئين المسلمين، وهرب جنود مسلمين من الجيش السوفيتي إلى ألمانيا، كما هاجر العديد من الأتراك من الاتحاد السوفيتي إلى ألمانيا الغربية، وهاجر إلى ألمانيا العمال الأتراك والمغاربة واليوغسلافيون، هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الطلاب المسلمين الذين يدرسون في الجامعات الألمانية، ويقدر عدد المسلمين في ألمانيا بأكثر من ٣ ملايين مسلم، وينتشر المسلمون بالمناطق الصناعية وفي منطقة برلين، وأخن، وهانوفر وفرانكفورت وميونخ ونورنبرغ وهامبورغ ويشكل عدد المسلمين ٣٪ من سكان ألمانيا<sup>(١)</sup>.

ويوجد في ألمانيا حوالي ٤٠٠ هيئة ومؤسسة إسلامية، وعشرات من المراكز الإسلامية، التي توجد في معظم الدول الألمانية التي تهدف إلى توثيق الأخوة الإسلامية

(١) انظر: الإسلام والمسلمون في ألمانيا، سيد عبدالمجيد أكبر، ص ١١.

وتزويد المسلمين بالكتب الإسلامية، وفتح المدارس الإسلامية، وترجمة أمهات الكتب الإسلامية إلى الألمانية وإصدار الدوريات الإسلامية والحفاظ على الهوية الإسلامية.

كما يوجد في ألمانيا أكثر من ٣٠٠ مسجد منتشرة في المدن الألمانية الكبرى، ويتلقى المسلمون تعليمهم الإسلامي في بعض المدارس الملحقة بالمساجد أو المراكز الإسلامية أيام العطلات، وبلغت الجالية التي شيدت المسجد أو المركز، وهي غير كافية وينقصها توحيد البرامج الدراسية<sup>(١)</sup>.

وهذا مما يبين بأن تاريخ الدعوة في برلين قديم، ولكن لقلّة المسلمين وقلّة الداعمين ولعدم وجود من يتولى زمام الدعوة ولوجود الحروب الصليبية ولقلّة المساجد كان انتشار الإسلام قليلاً، ولما ازداد عدد المسلمين وجاء من يتولى شؤونهم ونشأ المركز الإسلامي وتواردت عليهم الأيادي النشطة من الدعاة أصبح المركز له شهودٌ عظيم في نشر الإسلام، وتبليغ رسالة النبي ﷺ.

(١) حصل الباحث على هذه المعلومات من التقرير الذي تم إعداده في المركز الإسلامي بألمانيا،

### المبحث الثالث

## أبرز القضايا الدعوية في المراكز الإسلامية

### المطلب الأول

#### إثبات توحيد الألوهية

تظهر الديانات في تلك البلدان محل الدراسة بأن الغالبية منهم يعتقدون المسيحية، التي كانت سابقاً ديانة سماوية منزلة من عند الله ﷻ، ولكن لما دخلها التحريف والتبديل وجاء الإسلام ناسحاً لها، رغم أن الإله عندهم الأقانيم الثلاثة هو الأب والابن وروح القدس، كما يقولون بأن الإله عندهم ذات تجردت من الصفات البشرية، كالحب والرضا والغضب والكراهية والسخط وما أشبه ذلك، فما دامت الآلهة متصفة بهذه الصفات فلا يجوز أن تكون آلهة، لأنها لم تتخلص من الشهوات والرغبات والذي لم يتخلص من الشهوات والرغبات كيف يكون إلهاً<sup>(١)</sup>.

ومما يلاحظ في هذا التصور السخيف أنه شبيه إلى حد بعيد بما تتصوره بعض الفرق الإسلامية الضالة كالجهمية والمعتزلة وغيرها في قضية الصفات الإلهية، حيث نفوا جميع الصفات الذاتية لله ﷻ بحجة أنها تشبه صفات المخلوقين، ولم يدركوا أن الله ﷻ لا يماثله شيء لا في ذاته وأفعاله ولا في أسمائه وصفاته، وكل ما ثبت له من صفات فهو على ما يليق بجلاله ﷻ، لا يدل ذلك على نقصه بل يدل على كماله ﷻ، لأن صفاته ﷻ صفات كمال مختصة به، لا يشاركة فيها غيره، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾<sup>(٢)</sup>. وكثير من القساوسة ينكرون وجود إشارة إلى رسول الله محمد ﷺ في الكتاب المقدس، رغم أن الله ﷻ أثبت ذلك وهو أصدق القائلين، وأكد على أن

(١) تم أخذ الإجابة من الدعاة العاملين في ميدان الدعوة في تلك المراكز الإسلامية.

(٢) سورة الشورى، ١١.

أهل الكتاب يعلمون جيداً أن محمداً ﷺ هو النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، وأن الذي جاء به من ربه (القرآن الكريم) هو الحق ولكن أهل الكتاب يغالطون، ولقد أرسل الله ﷻ موسى ﷺ بالتوراة إلى بني إسرائيل، وجاء المسيح عيسى ﷺ معترفاً ومقرراً بها (١).

فنبوة محمد ﷺ موجودة في التوراة والإنجيل، وهذا ما أكده الله ﷻ، بقوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٢)، وقال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣)، وهذا يثبت بأن تلك الأوصاف باقية وإلا لما أمكنهم أن يعرفوه كما يعرفون أبناءهم، فهو إذن مكتوب عندهم، غير أن اليهود والنصارى حرفوا النصوص الدالة على نبوته ﷺ.

ولذا سعت تلك المراكز الإسلامية بالدعوة إلى التوحيد الذي جاء به محمد ﷺ وفق المنهج الشرعي الصحيح، وسعت إلى بيانه للناس بكل وسيلة وأسلوب وبشتى الطرق المقنعة، وقد أثبتت التقارير التي أعدها الدعاة في المراكز الإسلامية توافد عدد كبير في الدخول في الإسلام مما يدل على قناعتهم بهذا الدين الخاتم لوضوح شعائره وأركانه ومبادئه

(١) انظر: النصرانية في ميزان العقل والإسلام، محمد سليم الفاضلي، ص ١٦.

(٢) سورة البقرة: ١٤٦.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٧.

التي جاءت من لدن حكيم خبير، والتي لا يتطرق إليها التحريف والتبديل، والتي ليست من صنع البشر، وهذا يظهر جلياً حين يستمعون لكلام الله ﷻ في القرآن الكريم، فإنه يطرق القلوب والأسماع، وتشرب له النفوس مما يجعل الاستجابة أقرب، واعتناق الإسلام والانتماء إليه أولى، فالعقيدة بوجوده تعالى ﷻ لازمة من لوازم المعنى الإنساني وضرورة عقلية للإنسان في تفسير وجود هذا العالم، إذ بدون هذه العقيدة يظل السؤال الذي آثاره القرآن يحير القلوب والألباب، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴾<sup>(١)</sup>.

إذن لا بد من إثبات السبب الحقيقي الأول الذي ليس قبله شيء، والذي يتصف بأنه الخالق والمدير ﷻ للأشياء، وأنه العليم الحكيم المريد المختار القادر على كل شيء ﷻ، وإن كل خصائص الكائنات وجميع سنن الكون ونواميسه وقوانينه ليست إلا مخلوقة مقدرة والله ﷻ مسيطر عليها وليس جزءاً منها وليس هو سبب من جملة الأسباب أو علة من العلل، فالأسباب والعلل والقوانين والنواميس كلها مخلوقة خاضعة فهي من خلقه وتقديره سبحانه وتعالى<sup>(٢)</sup>، قال تعالى: ﴿ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup>. وعلى هذا فإن أمر إثبات توحيد الألوهية ينشأ عليه الطفل منذ ولادته إلى أن يكبر، إلا أنه بسبب تأثير ما عليه الوالدين من الديانة الفاسدة تكون النشأة، ولذا كانت الديانة المنتشرة في تلك البلدان هي النصرانية مما اضطر أن يتضاعف الجهد في المراكز الإسلامية في نشر الإسلام بجميع الوسائل حتى يدخل الناس في دين الله ﷻ أفواجاً.

(١) سورة الطور: ٣٥ - ٣٦.

(٢) انظر: النصرانية في ميزان العقل والإسلام، محمد سليم الفاضلي ص ١٦٢-١٧٣ بتصرف.

(٣) سورة الفرقان: ٢.

## المطلب الثاني

## قصور الديانات الأخرى عن الوفاء بالحاجات الإنسانية

مما لا شك فيه أن جميع الديانات غير الإسلام يتتابها القصور وعدم الكمال في كل شيء، وإن أظهرت بعض الآداب ومكارم الأخلاق وبعض الصفات الحميدة التي تعد من ذخائر الإنسانية في هذه الحياة بأوامرها ونواهيها، غير إنها لم تستوف ما يجب أن يكون فيها من شرائع وقوانين لضمان العدل والأمن بين الناس، وذلك لوجود النقص الكبير؛ لأن الأصل يكمل في الدين ولذا أثبت الله ﷻ ذلك في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾<sup>(١)</sup>.

ولذا نجد أن مجتمعات العصر الحديث كالمجتمعات السابقة الساذجة التي جعلت كل مجتمع مقصوراً على نفسه، ولم تكن فيها مصالح الأمم متشابكة، ولهذا لا تصلح الديانات السابقة لأن تكون دين الإنسانية شريعة وعقيدة؛ لأنها خالية من وجود إله حق، وشريعتها مقصورة على آداب وأخلاق لا تتسع للمعاملات وغيرها<sup>(٢)</sup>.

كما أن أكثر أهل الديانات المحرفة لا يعرفون من أصل ديانتهم إلا الاسم فقط، وهم يعتقدون أنها هي العقيدة الصحيحة، وليست عقيدة تدعوا إلى الإيمان بالله، ولهذا فإنهم يقبلون أي دعوة إلى أي دين إذا ظهر لهم صوابه وصحته، وقد آمن عدد كبير منهم واتبع الإسلام بعد أن عرف حقيقة الإسلام وأدرك في عقله أن الموجد لهذا الكون هو الله ﷻ، وسرعان ما يتقبلون دين الله الإسلام بعد عرضه عليهم وقناعتهم به<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة المائدة: ٣.

(٢) أصلح الأديان للإنسان عقيدة وشريعة، عبد الغفور عطار، ص ٤٢.

(٣) مجلة الفاروق الصادرة عن الجامعة الفاروقية بكراتشي، باكستان العدد التاسع (رجب، شعبان،

رمضان) ١٤٠٧هـ، ص ٤٥.

إن الإنسان في هذه الحياة يطلب السعادة بالمعنى المناسب له، وهو شعور النفس بالرضا والبهجة، والإنسان يصل إليه من طريق قبول الحياة والاجتهاد في تشكيلها بحسب معايير فكره ومطالب شعوره وواقع حياته، وهو يحاول أن يفهم الآلام ويتغلب عليها بالفهم والصبر والمعالجة الحكيمة، مع الإيمان بمعنى هذه الحياة والحكمة من كل ما فيها، وقد نتج عن ذلك الشعور فراغ في نفوس المثقفين في هذه البلدان، وتحاول المسيحية جاهدة أن تملأ هذا الفراغ وأن تجذب لها هؤلاء المترددين على الكنائس، وفي سبيل ذلك تتبنى المسيحية بعض الطقوس المنحرفة والاحتفالات حتى تتقرب أكثر من الشباب، وحتى لا تبدو لهم شديدة البعد عما ألفوه، وما شاهدوا عليه أهليهم وذويهم، ومما يساعد المسيحية في نضالها هذا ما تغدقه دول الغرب على مراكز التبشير بالمسيحية من مال ومعدات ونفوذ<sup>(١)</sup>.

ولذا فإن حاجة البشرية إلى الدين لإسلامي الصحيح هي فوق كل حاجة؛ لأن فيها السعادة في الدارين؛ بل أن الحاجة أعظم من كل شيء، وهو مطلب كل من يعتنق الإسلام فهو دين حياة يعيش فيه المسلم مكرم ومنعم وسعيد، وهذا ما تبذله تلك المراكز الإسلامية في جل عملها وبرامجها وأنشطتها.

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، ص ١٨٦-١٨٧ بتصرف.

## المطلب الثالث

## إثبات بطلان الديانات الأخرى

إن أي دعوة غير الإسلام باطلة، ومهما ظهرت تلك الديانات في صورة الثوب الجديد، وأنها الحق فهي باطلة لعدم وجود ما يثبت وجودها، وإن أظهر المثقفون في كتبهم بأنها من المعارف، ورموها بأنها دين واتهموها بأنها أخلاق فهي في حقيقتها غثاء مهما سعوا أيضا لترجمتها في كتاباتهم التي أخذوها من الكتب الإنجليزية فليس الفكر الأوروبي هو مقياس المعارف، ولا سيما بعد أن نقلت بمنتهى الأمانة ما كتبه علماء هذه النحلة فهي نظرة صاحب النحلة ذاتها وليست نظرة كاتب ولا باحث وشتان ما بين باحث يفهم ويستنتج وعالم متخصص في نحلته يقدمها بعقله ومشاعره وتصوراته ودليله، إن النقل عن أصحاب الديانة أولى علمياً وأوثق من النقل عن علماء أوروبا أولئك الذين تغطرسوا فجعلوا عقلمهم هو ميزان المعارف، وصدّقهم بعض الذين عشقوا أوروبا البارقة، إن العالم الإسلامي لا ينبغي له أن يتجرد عن دينه وهو ينظر في مسائل مقارنة الأديان؛ لأن العالم الأوروبي نفسه الذي يدعي حيده العلم لا يفعل هذا بل إنه يجعل عقيدته هي أساس التقويم للأمور العقدية، فإذا ما أضيف إلى هذا أن العالم الإسلامي صار لديه المصدر الأول لأي دين أو نحلة أو ملة صار من الحتم عليه علمياً أن يجعل أفكار أوروبا خلف الظهر، فهي ليست مصادر أصلية أو حتى ثانوية؛ بل هي أهواء يلبسونها ثوب العلم وهم أدعياء كذبة يلبسون الباطل بالحق<sup>(١)</sup>.

ولذا كانت جهود تلك المراكز الإسلامية ظاهرة في إثبات الحق والدعوة إليه، حيث أصبحت تلك المنابر تبين الحق بدليله وتوضح الأصول الشرعية بمعانيها وتبرز جهود الإسلام بشتى صورته، ورغم قلة الإمكانيات إلا أنها تعمل بكل طاقاتها لنشر الدين الصحيح، وتسعى جاهدة من أجل إخراج الناس من الظلمات الى النور.

(١) مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، ص ١٨٨.



## المبحث الرابع

### معوقات الدعوة للإسلام في المراكز الإسلامية

هناك عوائق كثيرة تواجه المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين، وتأتي في مقدمتها من المعوقات التي أطلع عليها الباحث من خلال زيارته لتلك الدول ما يلي:

١. التشتت وعدم وحدة الصف: إن السمة الغالبة عليهم هي الفرقة وغياب الموقف الواحد في كثير من القضايا حتى في المناسبات الدينية، مثل الاختلاف في صوم رمضان وعيد الفطر وما شابه ذلك.

٢. التمييز العنصري والديني اللذان يتسببان كذلك في إيجاد مشكلات معقدة وخطيرة، أهمها قلة التعليم والفقير نظرًا لارتفاع معدل البطالة بين أبناء المسلمين والعمل بأجور متدنية، وأدت هذه المشكلات المستعصية إلى ظهور ظروف معاناة بالغة التعقيد ثقافيًا واجتماعيًا واقتصاديًا. ففي مجال التعليم تعد الجالية المسلمة في أسفل السلم لعدة اعتبارات منها جهل الكبار والجيل الأول وعدم اهتمامهم بتعليم أبنائهم والعناية بهم، وأيضًا عدم دعم الحكومات للمدارس الإسلامية حيث لم تستفيد من الدعم الحكومي إلا القليل منهم، وهذا يرجع لسياسة التمييز التي ذكرناها آنفًا، خاصة إذا ما قارناهم بالمهاجرين الآخرين من نفس البلدان كالسيخ والهندوس، ووجود بعض الجاليات العربية الذين فاقوا المسلمين بكثير وعلموا أبناءهم.

٣. يواجه المسلمون كذلك مشكلات كثيرة في مجالات الأسرة والزواج والطلاق والميراث؛ نظرًا لعدم وجود قانون للأحوال الشخصية، ويعانون كذلك من عدم وجود مقابر منفصلة خاصة بهم؛ بل يُخصص لهم جانب في المقابر العامة، لذلك يقوم المسلمون بشراء أرض لجعلها مقابر لموتاهم

المسلمين، وبعضهم يفضلون إرسال موتاهم إلى بلدانهم المسلمة التي هاجروا منها.

٤. إيذاء مشاعر المسلمين والسخرية منهم وخصوصا في أداء العبادات.
٥. قيام المنصرين في تحريض الحكومات على الجالية الإسلامية بأنهم مصدر إزعاج لهم.
٦. قلة الموارد المالية التي تعد من الأسباب المهمة والمعوقات في المراكز الإسلامية مما يقلل من النشاط الدعوي في تلك المراكز الإسلامية.
٧. قلة الكوادر البشرية التي تغطي جميع الاحتياجات في المراكز الإسلامية، وسبب ذلك قلة الموارد المالية.
٨. قلة الترجمة لبعض الكتب التي توضح مبادئ الإسلام وشعائره في تلك البلدان<sup>(١)</sup>.

ومهما وجدت هذه المعوقات في تلك المراكز الإسلامية إلا أن الدعاة إلى الله ﷺ يبذلون ما في وسعهم في تجاوز هذه المعوقات بكل ما لديهم من قدرات مادية ومعنوية لنشر الإسلام بصورته الحقيقية.

(١) اقتبس الباحث هذه المعوقات من خلال زيارته وتبادل الحديث مع الدعاة في تلك المراكز الإسلامية محل الدراسة.

## المطلب الأول

### جهود المنظمات المشبوهة في الصد عن الإسلام

إن نظرة المجتمعات الغربية عمومًا والقوى المعادية على وجه الخصوص تجاه الإسلام والمسلمين هي القلق والخوف من هذا الدين الذي بدأ يشكل بنظرهم خطرًا زاحفًا على أوروبا والغرب عامة مما يسمى Islamophobia ولا يزال هذا الشعور القلق والعدواني ينمو يوماً بعد يوم ولاسيما بعد أحداث سبتمبر الأخيرة، ورغم أن السلطات الحكومية والرسمية في هذه البلدان لا تظهر هذا الشعور، بل على العكس تظهر وتصرح بتفهمها لحقيقة الإسلام ودور المسلمين الفاعل في هذه البلاد وحقوقهم، ولكن هناك من ينمي روح العداوة هذه، ويتمهم الإسلام والمسلمين بالإرهاب، وينادي بطرد وإبعاد الأجانب من هذه البلاد وخاصة المسلمين منهم كالحزب القومي البريطاني الذي يؤجج روح هذا العداوة ويستعدي السلطات وفئات المجتمع على المسلمين، ويجاول إثارة الكراهية ضدهم بكافة الوسائل والأساليب<sup>(١)</sup>.

وفي حين نرى أن المؤسسات التبشيرية تكثف جهودها سعياً لاستقطاب أصحاب الديانات غير الإسلام التي تعاني من افتقادها لإشباع الحاجات الضرورية للإنسان نرى ضعفاً من قبل المؤسسات الدعوية الإسلامية في هذا الجانب، يقول د. أحمد شلبي رئيس قسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة: (لقد رأيت أن المسيحية الأوربية قد درست هذا الوضع ورأيتها تضع الشباك لتصطاد هؤلاء ولتنجذبهم إلى حوزتها؛ بل رأيتها مسيحية يمكن أن نسميها المسيحية وهي تتبنى بعض طقوس التي لا يحس الناس بالفارق الكبير بين الدين الذي ألفوه وبين الدين المسيحي الذي يدعون إليه ويجذبهم ويفتح لهم أبوابه، رأيت الدعاة يملؤون كل مكان، ورأيت الكنائس تنتشر ورأيت المستشفيات والمدارس المسيحية تجذب الناس، ورأيت ملايين النسخ من الإنجيل باللغات

(١) انظر: المرجع السابق، تقرير المركز الإسلامي، ص ٨.

المحلية توزع مجاناً بنشاط كبير، ورأيت الصحف والمجلات والنشرات المسيحية معروضة هنا وهناك في وضع جذاب وقد كتب فوقها "خذ نسخة مجاناً"، وعلى العموم رأيت زحف المسيحية على هذه البقاع لتأخذ مكان كل بلد أوربي، يا الله لقد هالني ذلك ولم يكن الوقت يتسع لي لأكافح لخدمة الإسلام ولم أكن مستعداً لهذه الجولة الطويلة، وأقسم لقد انفرطت من عيني الدموع وأحسست أن عبئاً كبيراً يوضع على عاتقي ولم أجد وسيلة للتخلص منه إلا بكتابة هذه السطور لألقي العبء على من يستطيع حمله وتدير أمره<sup>(١)</sup>. ومهما بلغت جهود تلك المنظمات في الصد عن الإسلام إلا أن تلك المراكز الإسلامية قد أعدت العدة في تفنيد ومقاومة تلك الدعوات الباطلة الذي أظهرها الخصوم، وسعى في صدها المراكز الإسلامية بجميع الوسائل والأساليب.

(١) المرجع السابق، مقارنة الأديان، د. أحمد شلبي، ص ١٩٤-١٩٥.

## المطلب الثاني

### حملات التشويه لدين الإسلام

إن انتشار الفرق الباطلة وقوة دعوتها التي يظنها كثير من المسلمين وغير المسلمين أنها تمثل الإسلام الصحيح ويقعون في حبائلها، وتتمثل قوة حملات التشويه في هذه البلدان من خلال مؤسساتهم الكبيرة ذات الامكانيات الهائلة التي تجذب إليها الناس، ومن خلال قنواتهم الفضائية التي يبثون من خلالها برامجهم على الهواء بعدة لغات عالمية من محطة إرسال على مدى ثلاث ساعات يوميًا عبر أربعة أقمار صناعية، وتوجه بصفة خاصة إلى الجمهور، وهذه البرامج تسبب أضرارًا بالغة لتعاليم الإسلام الحقيقية والدعوة الإسلامية.

وكما تعمل وسائل الإعلام المملوكة والمهيمن عليها من القوى المعادية للإسلام والمسلمين على تعزيز هذا العداء وهذه الكراهية، ولقد غرست النصرانية بذورها في صفوف المؤسسات، كما تحمل في طياتها الكراهية والحقد على الإسلام، وتنفت بكل ما تستطيع من قوة سموم الشكوك ضد الدين الإسلامي الحنيف، وأهم الشكوك ما يلي:

١. إن الإسلام دين محمد لا صلة له بالإله الحقيقي للنصارى.

٢. إن الإسلام أباح للرجال تعدد الزوجات.

٣. لبس المرأة السواد وحجبها عن حقها في الحياة.

٤. الإسلام عدو اليهودية والنصرانية<sup>(١)</sup>.

ورغم قوة الحملات التشويهية ضد الدين الإسلامي إلا أننا نجد بسبب حسن تعامل المسلمين وتعاطفهم مع غير المسلمين، وشرح وبيان حقيقة الدين الإسلامي، نجد أنهم يتوافدون على الإسلام وأهله بالسؤال عن حقيقة هذا الدين، والاطلاع والقراءة عنه مما جعل الكثير من أعداء الإسلام يعرفوا حقيقة هذا الدين، وأنه منزل من عند الله ﷻ، وأن

(١) انظر: المرجع السابق، رابطة العالم الاسلامي، ص ٧١.

محمدًا ﷺ مرسل من عند الله ﷻ، ختم به الرسالات، وجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجا، وهذه هي حقيقة الإسلام أنه دين حياة ودين سلوك ودين حضارة.

## المطلب الثالث

### قلة الإمكانيات المادية والبشرية

لا شك أن هناك تسابقاً محمومًا بين المؤسسات الإسلامية والمنظمات التنصيرية في الدعوة إلا أنه لا يوجد أي تكافؤ في جانب الإمكانيات المادية، ومن الضروري التأكيد على توفير الكوادر الدعوية المؤهلة للتعامل مع المتغيرات على الساحة الدعوية لا سيما خارج ديار الإسلام وفي بلاد الأقليات والدول المغيبة عن الإسلام، فمسألة التدريب وتنمية الخبرات والمهارات وغير ذلك من متطلبات الدعوة تحتاج إلى تمويل سخّي وكافي للمؤسسات من أجل إعداد الدعاة وتدريبهم، وهذه مسألة هامة للغاية وتشغل بال المهتمين بقضايا الدعاة وشؤونهم، فعلى سبيل المثال: ضرورة إيفاد الدعاة المؤهلين إلى مناطق مختلفة من أنحاء العالم التي يحتاج الناس فيها إلى معرفة الإسلام أو إلى تصحيح مفاهيمهم الخاطئة عن الإسلام أو دفع بعض الشبهات التي يثيرها خصوم الإسلام.

وبسبب قلة الإمكانيات المادية والبشرية ظهرت الكثير من المشكلات وخصوصاً في التعليم؛ لأن التعليم أيضًا يحتاج إلى مبالغ مادية، كما برزت أيضًا مشكلات أخرى، أهمها الفقر والبطالة وإقصاء المسلم من الوظائف القيادية والمناصب الكبيرة في الدولة، ويعيش كثير من المسلمين في أفقر أحياء تلك البلدان، وتسببت هذه الظروف في ارتفاع مستوى الجريمة، إلا أن بعض تلك الحكومات تستنجد ببعض تلك المراكز الإسلامية في إقامة بعض الدورات التدريبية، من أجل توعية من يتم القبض عليهم في تلك الجرائم<sup>(١)</sup>.

إن الدعوة في ديار غير المسلمين وخصوصًا ما تقوم به المراكز الإسلامية في البلدان محل الدراسة بحاجة إلى توفير وسائل حديثة من جنس الوسائل الموجودة في تلك المناطق وإلا أصبحت الدعوة عاجزة عن مواكبة ما لدى خصوم الإسلام من وسائل، فضلًا عن

(١) انظر: المرجع السابق، تقرير المركز الإسلامي د. أحمد الديان، ص ١٢.

ضرورة وجود دعم لتلك المراكز الإسلامية تشتمل على كوادر ووسائل وتقنيات تساعد على تفعيل العملية الدعوية، ومن المؤكد أن مسألة تمويل مشاريع الدعوة من العقبات الكبرى التي تعترض مسيرة الدعوة الإسلامية، فما أكثر الحقول الخالية من الدعوة إلى الله ﷻ، نظرًا للنفقات الباهظة التي تحتاجها عملية إيفاد الدعوة إلى تلك المناطق، حيث وأن الناس في تلك الأماكن الخالية من الدعوة بحاجة إلى التعرف على الإسلام لإنقاذهم من الظلمات إلى النور<sup>(١)</sup>.

ولذا فإن المسؤولية تقع على عاتق المسلمين أفرادًا وجماعات وحكومات، فيجب تخصيص موارد مالية ثابتة للإنفاق على الدعوة وكفالتهم، وينبغي أن تتضافر جهود المحسنين من المسلمين والمؤسسات الخيرية الإسلامية في تبني مشاريع تخدم التخطيط الدعوي في تلك المناطق التي تحتاج إلى الدعوة خارج ديار الإسلام في تلك المراكز الإسلامية وغيرها.

(١) تم الحصول على هذه المعلومات من بعض الدعاة في تلك المراكز الإسلامية.



## الخاتمة

الحمد لله رب العالمين على ما يسر وأعان، وله الشكر والثناء على إنجاز هذا البحث حتى وصل إلى نهايته، حيث أخذ البحث جهداً كبيراً في التنقل بين المراكز الإسلامية في تلك البلدان محل الدراسة، ومقابلة بعض المسؤولين والدعاة في تلك المراكز حتى خرج هذا البحث بهذه الصورة، فما كان فيه من صواب فمن الله عز وجل وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان واستغفر الله عز وجل، ويحسن في نهاية هذا البحث تقديم شيئاً من النتائج والتوصيات، وهي على النحو التالي:

### أولاً: النتائج:

١. أظهرت هذه الدراسة أن قيادات المراكز الإسلامية لهم جهود دعوية في نشر الدعوة.
٢. بينت الدراسة أن المملكة العربية السعودية لها جهود بارزة في دعم المراكز الإسلامية مادياً ومعنوياً.
٣. بينت الدراسة أن الدعاة إلى الله عز وجل في المراكز الإسلامية يبذلون جميع أنواع الطرق والأساليب لنشر الدعوة.
٤. بينت الدراسة وجود جهود مباركة وتنسيق وتعاون ملموس بين العاملين لخدمة الدعوة الإسلامية في تلك المراكز وبين الحكومات والشعوب.
٥. بينت الدراسة وجود عدد من الديانات في بريطانيا ومدريد وبرلين التي زارها الباحث وهي تمثل غالبية الشعوب، كما يوجد عدد من الطوائف التي تنتسب للإسلام مثل: (الصوفية والشيعة).
٦. بينت الدراسة بأن موضوعات الدعوة في بريطانيا ومدريد وبرلين محل الدراسة تدور حول (العقيدة والشريعة والأخلاق).

٧. بينت الدراسة أن ميادين الدعوة في المراكز الإسلامية تكون غالباً في المساجد أو المستشفيات أو المؤسسات التعليمية أو السجون أو الساحات العامة.
٨. بينت الدراسة أن الموارد المالية في بريطانيا ومدريد وبرلين محل الدراسة لا تغطي مشاريع الدعوة، ولذا يحتاجون إلى الدعم المادي والمعنوي لكي يقومون بالدعوة خير قيام.
٩. بينت الدراسة أن المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين تعمل وفق ما لديها من إمكانيات، وقدرات مادية وبشرية.

### ثانياً: التوصيات:

١. يوصي الباحث المنتمين لهذه المؤسسات والمراكز والمنظمات رؤساء ومرؤوسين أن يتقوا الله عز وجل في أنفسهم وفي المسلمين، وأن يتركوا كل ما يسبب الفرقة بينهم، وأن يعتصموا بحبل الله عز وجل ويتعاونوا في كل ما فيه مصلحة للدعوة وأهلها.
٢. يوصي الباحث إلى ضرورة عقد الاجتماعات والدورات التدريبية للقائمين على المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين، وتبادل الخبرات والتجارب ودراسة المشاكل المستجدة التي تعترض مسيرة الدعوة، ووضع العلاج المناسب لها.
٣. يوصي الباحث بالاهتمام بالدراسة والتخطيط لكل عمل دعوي يتنوع فيه أساليب الخطاب لفئات المجتمع، والبعد عن الارتجال، وأن تستثمر كل الإمكانيات، وتوزع المسؤوليات وتخفف الهمم فيما يخص الدعوة.
٤. يوصي الباحث على توطين العلاقة بين الدعاة في المراكز الإسلامية، فتكون علاقة حب وإخاء وتعاون وتكامل، ولا يعمل كل مركز لهدم الآخر أو اتهامه.

٥. يوصي الباحث بضرورة تطوير وتحديث أساليب الدعوة، وخاصة في الجانب الإعلامي سواء كان صحيفة أو إذاعة أو تلفزيون أو وسائل الاتصال الحديثة.
٦. ضرورة دعم تلك المراكز دعمًا ماديًا ومعنويًا حتى تؤدي دورها على أكمل وجه.
٧. يوصي الباحث على زيادة البرامج الدعوية التي تستهدف غير المسلمين وخصوصًا عبر الشبكة العنكبوتية.
٨. يوصي الباحث قيادة المراكز الإسلامية في بريطانيا ومدريد وبرلين على أن يقوموا بتكوين هيئة عليا تقوم بالإشراف والتنسيق بين الدعاة في المراكز الإسلامية، وتدرس أوجه التحديات التي تواجههم في الوقت الحاضر. وفي ختام هذا البحث أسأل الله ﷻ أن ينفعني فيما كتبت وبينت وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله.

## فهرس المصادر والمراجع

## القرآن الكريم

١. أحمد ديدات بين القاديانية والإسلام، يوسف العاصي الطويل، ط ١- ٢٠٠٢م، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٢. الأديان القديمة في الشرق مع ترجمة لكتاب البوذية، د. رؤوف شلبي، ط ١، ١٤٠٠هـ/١٩٩٨م دار الشروق، القاهرة.
٣. الأنشطة الدعوية في المملكة العربية السعودية، أ. د. صالح بن غانم السدلان، دار بلنسية، الرياض، ط ١، ١٤١٧هـ.
٤. البحث عن منفذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات، فالح مهدي، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة.
٥. التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، د. عبدالرحمن الحجري، دار القلم، دمشق ط ٧، ١٤٣١هـ.
٦. تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، د. خليل السامرائي، ود. عبد الواحد طه، د. ناطق مصلوب، الناشر دار الكتب الجديدة، ط ١، ٢٠٠٠م.
٧. تقرير مختصر عن جهود المركز الثقافي الإسلامي في لندن، د. أحمد بن محمد الديان، عام ٢٠١٨، في ٧٩ صفحة.
٨. الجالية العربية في إسبانيا، عبد الواحد أكيمير، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠١٣م.
٩. الدعوة إلى الإسلام في اليابان، رسالة الدكتوراه، د. أحمد بن علي الخليلي، كلية الدعوة والاعلام، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ.

١٠. الدعوة إلى الله، "خصائصها ومقوماتها ومناهجها"، د. أبو المجد نوفل، ط ١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، مكتبة وهبة، القاهرة.
١١. الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة الكبرى، محمد بن حامد آل عثمان الغامدي، ط ١، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، دار الطرفين، الطائف.
١٢. دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، أ. د. عبدالله بن إبراهيم اللحيان، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ٢٠١٧.
١٣. الرعاية السعودية للأقليات الإسلامية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز، د. زيد بن عمر العيص، النشر العلمي، مطابع جامعة الملك سعود، ١٤٢٢هـ.
١٤. الديانات القديمة، الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، القاهرة.
١٥. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبدالرحمن بن حسن حنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٦. العبادات في الأديان السماوية عبد الرزاق رحيم صلال الموحى، ط ١، ٢٠٠١م، الناشر: الأوائل للنشر والتوزيع والخدمات الطباعية، دمشق.
١٧. فصول في أديان الهند (الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية) وعلاقة التصوف بها، د. محمد ضياء الرحمن الاعظمي، ط ١، ١٤١٧هـ، مكتبة البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.
١٨. فلسفة الهند القديمة (ثقافة الهند) محمد عبد السلام الرامبوري، ديسمبر ١٩٥٣م.
١٩. في أصول العقائد والأديان، سوسنة سليمان، طبع برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلية في بيروت سنة ١٨٨٦م.

٢٠. لحة تاريخية عن تأسيسية المركز الثقافي الإسلامي ومسجد لندن المركزي، د. أحمد بن محمد الديان، عام ٢٠١٣م، (تقرير في ١٣ صفحة).
٢١. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي طبعة ١٤١٢هـ، دار عالم الكتب، الرياض.
٢٢. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، د صالح العساف، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
٢٣. المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد أبو الفتح البيانوني، ط٣، ١٤١٥هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٤. مقابلة أجراها الباحث مع د. أحمد بن محمد الديان رئيس المركز الثقافي الإسلامي في لندن في تاريخ ٥/١٢/٢٠١٩م.
٢٥. مقابلة أجراها الباحث مع د. عبدالصمد اليزيدي رئيس المركز الإسلامي في برلين، في تاريخ ١٣/١٢/٢٠١٩م.
٢٦. مقابلة أجراها الباحث مع د عبدالصمد رومرو، في المركز الإسلامي في مدريد، في تاريخ ١١/١٢/٢٠١٩م.
٢٧. مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى د. أحمد شلبي، ط٥، ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية.
٢٨. المملكة العربية السعودية وهموم الأقليات المسلمة في العالم، د. عبد المحسن بن سعد الداود، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، الهيئة العربية للكتاب، الرياض.
٢٩. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع الجهني، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٤٢٠هـ.

٣٠. النبي الخاتم والدين الكامل وما لها من أهمية في تاريخ الأديان والملوك، أبو الحسن الندوي، الناشر المجمع الاسلامي العلمي، الهند.
٣١. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تعليق: أبي عبد الرحمن صلاح محمد بن عويضة، ط ١، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.

البحث رقم (٦)

## مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين "دراسة تحليلية"

إعداد

الأمر / د. عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العزيز آل سعود  
الأستاذ المشارك بقسم الدراسات الإسلامية المعاصرة  
بالمعهد العالي للدعوة والاحتساب، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





## المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد:

لا يحتاج المطّلع على رسائل حسن البنا<sup>(١)</sup> خصوصا، وأعضاء جماعة الإخوان المسلمين عموما الكثير من ملاحظة ليتبين بها كيف ربطت الجماعة سلوكياتها وممارساتها عبر أكثر من تسعين عامًا من العمل السياسي بهدف أوحدها أولا وأخيرا وهو الاستيلاء على الحكم والسلطة.

وربما ليس عيبا أن يسعى أي حزب أو حركة سياسية للوصول للسلطة وتبوء مراكز الحكم، إذا كان ذلك عبر القنوات السياسية المشروعة دونما عنف أو إرهاب، إنما المرفوض رفضا قاطعا هو ما اتبعته جماعة الإخوان المسلمين عبر تاريخها الطويل وهو تغطية أهدافها السياسية بغطاء ديني، ورفع شعارات إسلامية براقية مثل "الحكم بما أنزل الله"، "تطبيق الشريعة"، "الإسلام هو الحل"، وهي بلا شك كلمات حق أرادت بها جماعة الإخوان المسلمين باطلا، وهو: تطويع هذه المبادئ لتحقيق أهدافها السياسية والسلطوية البحتة. الأخطر من ذلك بكثير هو تحريض حسن البنا وأعضاء جماعته أثناء حياته ومن بعده مرشدي الإخوان المختلفين على استخدام القوة، واللجوء لممارسة العنف لتحقيق

(١) هو: حسن أحمد عبد الرحمن محمد البنا الساعاتي، ولد في المحمودية إحدى قرى مصر ١٩٠٦م وتوفي ١٩٤٩م، وأخى الدراسة بكلية دار العلوم ١٩٢٧م، وعين مدرسا بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية وهناك التقى ستة من أصدقائه، هم حافظ عبد الحميد، احمد الحصري، فؤاد إبراهيم، عبد الرحمن حسب الله، إسماعيل عز، وزكي المغربي أسسوا مع جماعة الإخوان المسلمين، وكان مرشدها الأول، قتل سنة ١٩٤٩م أثناء خروجه من مقر جمعية الشبان المسلمين في يوم ١٢ فبراير ١٩٤٩م، انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ص (١٤٣)، ط(١)، ٢٠٠٣/هـ ١٤٢٣، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

هدف الوصول للسلطة وإقصاء الغير، مما أدى لتخريب وتدمير مجتمعات إسلامية، واستحلال حرمت أهلها.

نستطيع في هذا الصدد أن نقرر أنه لم يحظ شعار ديني من الشعارات التي رفعتها الجماعات المتأسلمة، وفي مقدمتها جماعة الإخوان المسلمين بالمتاجرة من أجل الوصول لسدة الحكم مثل شعار (الخلافة الإسلامية)، حيث شكَّلت استعادة الخلافة محور سياسات وخطابات حسن البنا طوال حقبة الثلاثينيات الميلادية، وبينما كانت مصر تغلي بالنضال ضد الاحتلال البريطاني، كانت جُل مؤتمرات واجتماعات الإخوان المسلمين تنحرف بالقضية كلها نحو ضرورة التركيز على استعادة الخلافة الضائعة. ونحن نرى بدورنا بطلان مثل هذه الدعاوى واعتبارها فقط سبيلاً للوصول لسدة الحكم، والسيطرة على مراكز اتخاذ القرار.

ولا شطط من الزعم بكون الخلافة ليست من أصول الاعتقاد وفي ذلك يقول الجرجاني <sup>(١)</sup> رَحِمَهُ اللهُ: "إن الخلافة ليست من أصول الديانات والعقائد"<sup>(٢)</sup>. أما الإخوان المسلمون لم يكن الأمر عندهم كذلك بل اعتبروا الخلافة قضية يوالون عليها ويعادون، وما تلك الممارسات التي اتسمت بالقتل في ميادين مصر المختلفة إلا

(١) السيد علي بن محمد بن علي، عالم الشرق، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني. من أولاد محمد بن زيد الداعي، ولد سنة ٧٤٠هـ، كان علامة مشهوراً في الآفاق، ذكر الشوكاني مؤلفاته، وقال: كان مقرباً مفتياً، أخذ عنه الأكابر، وهو والسعد التفتنازي حجتان في العلوم، عند علماء العجم ونبلاء الروم، وجرى بينهما مباحثات في مجلس تيمور الأعرج، ثم اختلف الناس في أن أيهما محق، وهذا الاختلاف دائر بين أهل العلم في جميع الأزمنة، ومال علماء الروم إلى ترجيح جانب الشريف، وافتخر الناس بأخذ العلوم منه. توفي سنة ٨١٤، أو سنة ٨١٦ في شيراز. انظر: التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، البخاري القنوجي، ص (٣٩٦:٣٩٧)، ط (١)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

(٢) انظر: شرح المواقف، الشريف الجرجاني، (٣٧٦/٨)، ط (١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.

دليلاً دامغاً على أنهم نهجوا نهج سابقينهم في عهد الدولة العثمانية أولئك الذين دافعوا عن الخلافة ظاهراً، وما أرادوا باطناً إلا الاستئثار بالحكم والتحكم في رقاب العباد.

**أهمية البحث:**

١- قلة الدراسات الأكاديمية الخاصة بتحليل شعار كان ولا يزال يمثل العمود الفقري في أدبيات جماعة الإخوان المسلمين وهو (شعار الخلافة)، على الرغم من اعتبارها واحدة من أهم القضايا الفكرية، والسياسية على مستوى العالم الإسلامي.

٢- إبراز أهم القضايا السياسية المتصلة بفكرة الخلافة في فكر وأدبيات جماعة الإخوان المسلمين، مع توضيحها ومناقشتها مناقشة علمية متأصلة، لكي يستفيد منها الباحثون المهتمون بالفكر الإسلامي.

#### **أهداف البحث:**

١- تسليط الضوء على ظروف نشأة قضية الخلافة في ثقافة جماعة الإخوان المسلمين، عارضا أهم المراحل التاريخية التي صاحبت هذه القضية، مع طرح أهم المحطات التي مرت بها هذه النشأة.

٢- الكشف عن الفكر السياسي الدافع لتبني شعار الخلافة كواحدة من أهم قضايا جماعة الإخوان المسلمين الفكرية، مناقشا أهم القضايا المرتبطة بها.

#### **أسئلة البحث:**

١- هل كانت استعادة الخلافة هدفاً أصيلاً من أهداف جماعة الإخوان المسلمين؟

٢- هل كان طنين استعادة الخلافة واحدة من إفرازات الصراع بين القوى الإسلامية المختلفة في مجتمعات المسلمين؟

٣- كيف كانت أحوال الأمة الإسلامية عموماً والعربية خصوصاً مؤشراً على أن فكرة استعادة الخلافة لم تكن إلا متاجرة مكشوفة من الداعين لذلك؟

## منهج البحث:

أما المنهج المتبع في الدراسة، فهو منهج التحليل، إذ يهتم بتحليل ظروف وعوامل نشأة تيار الإسلام السياسي وتبنيه لفكرة استعادة الخلافة الإسلامية، والذي برز بقوة في فترة مبكرة من القرن العشرين.

كما يحلل الأسباب المختلفة التي كانت وراء هذا التوجه، والطرق التي تميزت بها هذه الظاهرة مع البحث التأصيلي لأسبابها المختلفة.

## الدراسات السابقة:

لا شك أن الظاهرة محل الدراسة " مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين دراسة تحليلية " تناولتها مجموعة من الأبحاث والدراسات أسهمت في إثراء موضوع البحث بشكل علمي، لكني حرصت من خلال هذه الإسهام على تجنب أخطاء ما وقع فيه الآخرون، إضافة لإسهامي بجهد متواضع في تسليط الضوء على ظاهرة ينبغي الوقوف عليها وتحليلها كانت ولا زالت تمثل إشكالية في مفهوم جماعات الإسلام السياسي عموماً وجماعة الإخوان المسلمين خصوصاً.

فتسليط الضوء على مفهوم الخلافة كشعار رفعته جميع جماعات الإسلام السياسي لتبرير سعيها الحثيث نحو السلطة والرياسة، وما أفرزته من صراعات سلطوية لاسيما ما وقع في البواكير لم يتناوله بحث أكاديمي مستقل، ولا دراسة علمية متكاملة، وكل ما تم أن الظاهرة تناولتها مؤلفات متعددة كجزء من مادة علمية متكاملة، أو دراسة تفصيلية عن جانب من جوانبها.

يأتي على رأس هذه المصنفات التي ركزت في جزء ليس بالصغير على الظاهرة محل الدراسة في وقت مبكر ما يلي:

م	عنوان الدراسة	المؤلف	نوع البحث	الطبع	الاتفاق	الاختلاف
(١)	حلف الشيطان الإخوان المسلمين وتحالفاتهم <sup>(١)</sup>	أحمد البكري	مؤلف	٢٠١٨م	١-أسس حسن البنا عن طريق إثارة مشاعر الجماهير تجاه الخلافة الإسلامية إمبراطورية العنف والإرهاب التي عانت منها الأمة على مدى عقود متطاولة. ٢-مثل تنظير سيد قطب لفكرة الخلافة الإسلامية بذور التكفير والإرهاب التي اعتمدت عليها جميع طوائف الإسلاموفوبيا، وكانت البذور التي نبتت منها جميع أفكار التكفير التي أحرقت المجتمعات وهددت أمن العباد. ٣-لم تكن مهادنات جماعة الإخوان المسلمين لبعض الأنظمة إلا خطة كزّ وفرّ كما أكد على ذلك جميع المنظرين لفكر الجماعة وعلى رأسهم سيد قطب. ٤-لم يكن من أهداف جماعة الإخوان المسلمين نصرة الإسلام والمسلمين بقدر ما سعوا لتحقيق مصالحهم من وراء هذا الطرح على مدار العقود الماضية.	١-واحدة من الأحداث التاريخية المهمة التي لعب الإخوان على وترها في نشأتهم ومددهم هي سقوط السلطنة العثمانية - المسماة في أدبياتهم الخلافة الإسلامية - ٢-حرص حسن البنا والمنظرين من بعده وعلى رأسهم سيد قطب على تكريس فكرة استخدام العنف بداعي استعادة الخلافة الإسلامية والتمكين لفكر الإخوان المسلمين. ٣-اختلفت سياسة جماعة الإخوان المسلمين باختلاف سياسات الأنظمة القائمة رغبة منها في المداهنة و النفاق كسبيل أساسي في وجدان الجماعة من سبل الوصول للسلطة والتحكم في مراكز اتخاذ القرار . ٤- كانت العقيدة مطية الخطاب في كثير من الأحيان كما هو الحال لدى ممارسي الإسلام السياسي في الغالب الأعم.

(١) حلف الشيطان الإخوان المسلمين وتحالفاتهم، أحمد البكري، ط (١)، ٢٠١٨م، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.

<p>١- تزييف الحقائق وستر الأهداف الحقيقية للجماعة منهجا أسس له حسن البناء ونظر له كل قيادات الإخوان المسلمين عبر العقود المتطاولة.</p> <p>٢- تيار التجديد الذي قدمه الإخوان المسلمون في كثير من الفترات لاسيما عصر مبارك لم يكن إلا مهادنة أرادوا منها الوصول الناعم لسُددة الحكم وهو ما مكنت له ثورة يناير ٢٠١١م.</p> <p>٣- اتخذ المسلمون بسياسات الود الظاهر من جماعة الإخوان المسلمين، وانساقوا وراء مضامين لم تنمر إلا ما أراده المرشدون وكانت الخيبة أظهر ما جناه الإسلام بسبب سطحية التعامل مع المعطيات السياسية والمستجدات المجتمعية</p>	<p>١- مثلت فكرة عودة الخلافة الإسلامية عقيدة في وجدان الإخوان المسلمين كان ولاؤهم وبرؤهم عليها باعتبارها ركنا من أركان الديانة.</p> <p>٢- لم يغيب فكر السلطة واعتلاء كرسي الحكم لحظة عن فكر الإخوان المسلمين من حسن البناء لنهاية عصر مبارك.</p> <p>٣- سياسة التودد والاستمالة من جماعة الإخوان المسلمين تجاه الأنظمة القائمة - ظاهريا - لم تكن إلا ستارا لتحقيق الأغراض الوصلية لهذه الجماعة</p>	<p>٢٠١٠م</p>	<p>مؤلف</p>	<p>حسام تمام</p>	<p>تحولات الإخوان المسلمين تفكك الأيديولوجية ونهاية التنظيم (١)</p>	<p>(٢)</p>
---	---	--------------	-------------	------------------	---	------------

من هنا جاء هذا البحث ليُسهم بدوره في إثراء حقل الأبحاث الأكاديمية متناولا ظاهرة كانت ومازالت قليلة الظهور حتى في المصنفات التي وضعت لتعالج جانب من الجوانب المتعلقة بنشأة تيار الإسلام السياسي، أو تتكلم عن تاريخها، أو حقبة فيها.

جاء البحث بمقدمة اشتملت على توظيفة عامة لموضوع البحث، تبع المقدمة بيان أهمية البحث الذي يغوص في الظاهرة لكشف أبعادها، ثم أهداف البحث للتعرف على

(١) الإخوان المسلمين تفكك الأيديولوجية ونهاية التنظيم، حسام تمام، ط (٢)، ٢٠١٠م، مكتبة

مدبولي، القاهرة.

الأسباب الحقيقية وراء تبني جماعة الإخوان المسلمين لشعار الخلافة، وتبع ذلك أسئلة البحث التي سيتم ربطها بالنتائج بعد الانتهاء من البحث.

### عناصر البحث

**المبحث الأول:** يتناول كيف كان شعار الخلافة الإسلامية واحدًا من أهم الشعارات التي رفعتها وتاجرت بها جماعة الإخوان المسلمين خصوصًا، وجماعات الإسلام السياسي عموماً.

**المبحث الثاني:** يتناول كيفية اقتراب جماعة الإخوان المسلمين من تحقيق ما سعوا إليه عبر تاريخهم الطويل وهو الوصول للسلطة، من خلال استغلال مفردات العمل السياسي التي أتاحتها لهم بعض الأنظمة وعلى رأسها نظام الرئيسين محمد أنور السادات والرئيس محمد حسني مبارك.

من هنا جاء هذا البحث ليُسهم بدوره في إثراء حقل الأبحاث الأكاديمية متناوِلاً واحدة من أهم الظواهر التي وضعتها جماعات الإسلام السياسي على رأس قائمة الأهداف التي تدعو إليها، كسبباً لمزيد من التأييد في الشارع الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى مساعدتها على الصعود مستغلة شعار لطالما كان له التأثير الأعظم في نفوس جماهير المسلمين.



## المبحث الأول

### الإخوان المسلمون والمتاجرة بشعار إحياء الخلافة الإسلامية

#### المطلب الأول:

#### السياق الاجتماعي لنشأة الجماعة وأثره في تبني فكرة عودة الخلافة:

كان حسن البنا واحداً من كثير هالهم سقوط السلطنة العثمانية باعتبارها ممثلة الخلافة، من حيث كونها نوعاً من الحكم ينشأ ويزول ويتغير، وبين الإسلام كدين مطلق ثابت لا اعوجاج فيه ولا دين بعده، واختلط لديه الجزع لسقوط السلطنة بما بدا له خطرٌ يهدد الإسلام ويفرض العمل لإنقاذه.

وتداخل في ذهنه انقلاب كمال أتاتورك<sup>(١)</sup> على السلطنة العثمانية وانتشار ما اعتبره موجة إحداد وعلمانية مضادة للدين، فكانت الخلافة - التي هي نظام حكم وليست مبدأً دينياً - في تصوره شعيرة إسلامية ينبغي على المسلمين التفكير فيها والاهتمام بأمرها<sup>(٢)</sup>. حدد حسن البنا مسار حركة جماعة الإخوان المسلمين على السلم التطوري، حيث ذهب المرشد الأول إلى أن الطريق للغاية البعيدة - استعادة الخلافة - يتم من خلال

(١) مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس لتركيا ومؤسس جمهورية تركيا ولد ١٩/٥/١٨٨١م في حي هاتونياكوجا قاسم باشا. التحق بمدرسة الرشدية المدنية العلمانية بسالونيك، ثم في ١٨٩٣م التحق بالرشدية العسكرية، ثم المدرسة الرهبانية الثانوية العسكرية. تخرج ١٩٠٥م برتبة رئيس أركان حرب مواصلاً التعليم في الأكاديمية الحربية. كانت صلته بيهود الدوئمة مثارة دوماً وقد اعترف توينبي أن دما يهودياً يسري في عروقه. اعتلى عرش الرئاسة ٢٩/١٠/١٩٢٣م وأحدث فظائع بعد ذلك حيث ألغى الخلافة وفرض العلمانية على نظام الدولة والغي الاحتفال بالعيدين، وألغى الأذان باللغة العربية، وأغلق المساجد، وسن قانون يجرم ارتداء الحجاب وواجه المخالفين بالحبس والنفي، وأغلق المساجد وغير ذلك من الفظائع. انظر: مصطفى كمال أتاتورك، أحمد صبري هيبه، ص (٩:١٨)، بدون طبعة، ٢٠١٤م، نشر جامعة بنها، الدقهلية.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون بين التاريخ والمستقبل كيف كانت الجماعة وكيف تكون، وحيد عبد المجيد، ص (١٣)، ط (١)، ٢٠١٠م، الأهرام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

غايات أخرى قصيرة تبدأ بدعوة الأفراد ثم الأسرة ثم المجتمع عند هذا الحد ستتحقق الغاية البعيدة<sup>(١)</sup>.

ولتحقيق هذه الغايات القصيرة المدى والمتوسطة والبعيدة لابد من العمل على مراحل ثلاثة:

**الأولى:** التعريف بالفكرة واختيار الكوادر القادرة على تحويلها لواقع على الأرض.

**الثانية:** تكوين هيكل تنظيمي قوي، وإعداد الكوادر وتعبئة الموارد.

**الثالثة:** الجهاد لاستعادة الخلافة وبسط أستاذية الإسلام على العالم على حد تعبير حسن البنا<sup>(٢)</sup>.

لطالما أكد حسن البنا في البداية أن هدف جماعته دعوى يتلخص في الرجوع للكتاب والسنة، وتطهير العقول من الخرافات والأوهام، وهي الأهداف التي لا تختلف أبداً عن أهداف أي جمعية خيرية، ولا حزبا سياسيا، ولا هيئة موضوعية الأهداف محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد تسري في قلب هذه الأمة تنجيه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله"<sup>(٣)</sup>.

ما نود أن نؤكد هنا في خضم إثبات هيكلية هدف الخلافة لتحقيق مطامع منشودة منذ البداية أن الهدف السياسي لم يغب لحظة عن ذهن المرشد الأول، ونظرة سريعة على

(١) انظر: الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين، أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله، ص (١٧٧:١٩٨)، ط (١)، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مكتبة وهبة، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٠)، ط (١)، ٢٠١٤م، دار وليد للطباعة والنشر، القاهرة.

(٣) انظر: حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين، رفعت السعيد، ص (٦٥)، ط (١)، ١٩٨٦م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

اللائحة التنظيمية لجماعة الإخوان نرى حقيقة ما أراده حسن البنا من العمل الحزبي، وخوض غمار السياسة.

فاللائحة الأولى الصادرة ١ جمادي الأولى ١٣٤٩هـ/٢٤/٩/١٩٣٠م

تنص بوضوح على أن:

المادة الأولى: الهيئة التي تم إنشائها تسمى "جمعية الإخوان المسلمين".  
المادة الثانية: "هذه الجمعية لا تتعرض للشؤون السياسية أيا كانت، ولا للخلافات الدينية".

المادة الثالثة: "تهدف الجمعية لإصلاح حال المسلمين في فروع حياتهم الخلقية والاجتماعية، من خلال الدفاع عن الإسلام في حدود القانون".

المادة الخامسة عشر: "على الرئيس أن ينذر أي عضو يخرج على آداب الجمعية، وله أن يخرج له لعلق باب المناقشة، ولا يجوز للعضو التعرض للسياسة".

المادة الثانية والأربعون: "لا يجوز تعديل أي شيء من هذا القانون إلا بموافقة ثلاثة أرباع مجلس الإدارة، ولا يجوز بحال من الأحوال تغيير المواد الثانية والثالثة والسادسة"<sup>(١)</sup>.

وهكذا لا نجد في اللائحة الأولى أية ذكر لمصطلح مرشد أو إمام وإنما رئيس مجلس إدارة، وأن الدفاع عن الإسلام يحكمه القانون، وأن العضو إذا تكلم في السياسة فلرئيس مجلس الإدارة طرده من الجلسة، وأن الجمعية نفسها لا تملك حق تغيير مادة الابتعاد عن السياسة.

(١) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ص (٩٥:٩٦)، ط (١)،

١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

## في التعديل الصادر على هذه اللائحة في يناير ١٩٣٢م

يختفي مصطلح رئيس مجلس الإدارة ليحل محله مصطلح المرشد العام الذي له أن يختار نائبا يكون رئيسا للفرع<sup>(١)</sup>.

وفي المادة الأولى يختفي مصطلح "جمعية" ليحل محله مصطلح "جماعة الإخوان المسلمين"<sup>(٢)</sup>.

وبينما كان في اللائحة الأولى ممنوعاً على العضو الكلام في السياسة أثناء الاجتماع وأنه يجوز للرئيس إخراج العضو؛ نجد التعديل قد نص في المادة السادسة عشر على: "لا يعلو الصوت بالنقاش، ولا يقاطع المتكلم، ويتجنب الجدل والمراء وإطالة القول في غير فائدة، وتحترم رئاسة الجلسة ويستمع لها ويستأذن منها"<sup>(٣)</sup>.

في التعديل الصادر على اللائحة ١٩٣٥م المقررة في ١٩٣٢م تقرر الآتي:

١- في المادة الأولى تم إحلال اسم "هيئة الإخوان المسلمين" محل "جماعة الإخوان المسلمين"<sup>(٤)</sup>.

٢- المادة الثامنة والعشرون تقرر بكل وضوح إنشاء "لجنة سياسية" بل وتعتبرها من اللجان الأساسية بمكتب الإرشاد العام<sup>(٥)</sup>.

(١) انظر: كلمة حق، عمر عبد الرحمن، ص (٣١)، ط (١)، ١٩٧٧م، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعه أمين عبد العزيز، ص (١٠٣).

(٣) انظر: حسن البنا الذي لا يعرفه أحد، حلمي النمنم، ص (٢٨)، ط (١)، ٢٠١١م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٤) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ص (١٠٦).

(٥) انظر: المرجع السابق ص (٣١٢).

٣- المادة الرابعة والثلاثون تنص بوضوح - فج - على أن: مهمة اللجنة السياسية " دراسة التيارات السياسية العامة والخاصة في الداخل والخارج، ودراسة الحوادث السياسية الطارئة، وتحديد موقف الإخوان منها وتقديم المقترحات التي توجه لمكتب الإرشاد بهذا الخصوص " <sup>(١)</sup>.

إذا لم يكن الأمر في البداية إلا مناورة مرحلية، فبالنظر إلى ما تم تعديله في المرحلتين التاليتين لا يسعنا إلا القول بأن هدف العمل السياسي كان هدفا مرحليا، لاسيما وأن التغيير اللائحي تم في عهد المرشد الأول الذي كان مسؤولاً عن الموقف المبدئي الرفض للعمل السياسي، بل والخوض في الخلافات بكافة أشكالها، ومهاجمة العمل الحزبي كسبيل من سبل الوصول للحكم.

فالذي أعلن الرفض ابتداءً هو من قام بالتعديل انتهاءً، بما يعني أن النهاية كانت نصب العين منذ البداية، ولم يكن الرفض الابتدائي للفكرة إلا مرحلة اقتضتها الظروف والوقائع

لما لم يساعد الواقع حسن البنا في تحقيق المراد؛ بل وقضت مفردات الأمة الراضحة تحت الاحتلال من أقاصي الشرق لأقاصي الغرب ومن شمالها لجنوبها من جهة، ولهجمة الثقافة الغربية المتمثلة في التعليم الأجنبي، وانتشار القومية من جهة ثانية، وتناحر مراكز القوى في الأمة من جهة ثالثة على تبوء مركز الخليفة حيث تصارع ملوك الدول العربية والإسلامية فيما بينهم كل يزعم أنه الخليفة، حيث طلبها الملك حسين بن علي في فلسطين ١٩٢٤م لنفسه وبإيعه عليها علماء فلسطين، كما طلبها لنفسه الملك فؤاد الأول في مصر في نفس العام، ونازعهم عليها ملك الأفغان أمان الله، وانقسم المسلمون واحتدمت معارك كلامية وفقهية حول مدى شرعية الخلافة، ونشط العلماء والسلفيون في مصر لعقد مؤتمر في ١٩٢٥م، لإعلان الملك فؤاد الأول خليفة للمسلمين وفشل فشلا ذريعا في تحقيق هدفه بسبب وقفة الزعماء السياسيين في مصر ضد دعوة خلط الدين

(١) انظر: أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز ص (٣١٣).

بالسياسة وعلى رأسهم مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس وزراء مصر آنذاك، الذي أعلن إعجابه بمصطفى كمال أتاتورك الذي أنهى الخلافة في تركيا وصاغ بعقيرته تركيا الحديثة وهو الأمر الذي أغضب حسن البنا وهاجم بسببه موقف النحاس باشا هجوما ضاريا<sup>(١)</sup>، فلما وجد حسن البنا شكل الواقع حوله هكذا حرص على تأكيد استخدام القوة وترسيخ هذا الإرهاب في نفوس أتباعه.

وينبغي في هذا المقام التفريق بين دعوة الإسلام لاستخدام القوة - وهي دعوة حق - لرفعة المسلمين وعزتهم وحمائتهم والدفاع عن بيضتهم في مواجهة أعدائهم -، وبين هذا الإرهاب الذي أدى لتخريب وحدة المسلمين وتمزيق صفوفهم، وتصفية حسابات سياسية ضيقة.

فإذا رفض المجتمع هذا الطرح وأبى أن يكون تابعا لأفكار الجماعة ومنهجها، فقد جاز لهم أن يدفعوا ذلك بما يروه حقا، والحق عندهم أن المعارض لهم نائر ظالم، وبناءً عليه فإن الرد عليه أيا كان شكله مأذونا فيه، ولهم استخدام ما يرونه حقا للدفع والدب عن الحق الذي يعنون به أنفسهم ولا غير، ولا غرابة فهذا طرحهم وفي ذلك قال حسن البنا: "فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم أنتم الثائرين الظالمين"<sup>(٢)</sup>.

وتراه يصرح بمنتهى التبجح بأن إمكانية الصدام قائمة وبقوة مع السلطات إذا لم تقبل دعوة الجماعة وتنصاع لتوجيهاتها " لماذا لا أحمل هؤلاء القادة من المسلمين مسؤولية هذه التبعة - نصره الدين في مواجهة التحلل والإباحية -، وأدعوهم في قوة إلى أن

(١) انظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، (٢/٤٤:٤٧)، ط (٢)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، دار الحمامي للطباعة، الإسكندرية.

(٢) انظر: تنظير الإخوان المسلمون لأنفسهم بما سبق في مجلة المسلمون، العدد (٩)، السنة (١)، ١٩٥٢/٧م، ذي القعدة ١٣٧١هـ، مقال (ركائز دعوة الإسلام)، ص (٣٣).

يتكاتفوا على صد هذا التيار، فإن استجابوا فذاك وإلا كان لنا شأن آخر، وقد صح العزم على هذا وبدأت التنفيذ<sup>(١)</sup>.

بدأ هذا العزم المشار إليه بتهديد صريح مفاده أن الوقوف في وجه دعوتهم ما هو إلا إلقاء باليد للتهلكة، وأن دعوتهم ستسحق في طريقها كل معارض باغض رافض هكذا كان الخطاب: " إن الحركة الإسلامية اليوم في مدها ولا بد أن تبلغ الشاطئ، والذين يقفون في طريقها سوف يدفعهم مَوْجُهَا مع الزيد، أو تھوي بهم مواقفهم إلى القاع، وإن القوى التي تملكها الحركة اليوم قوى من شأنها أن تخط في التاريخ خطأ جديداً غداً أو بعد غدٍ "<sup>(٢)</sup>.

لم يكن غريباً بعد هذه النبذة أن نراهم يوطنون أنفسهم على مواجهات فعلية على أرض الواقع، ويعلنون صراحة أنه على أعضاء الجماعة مواجهة الحكام الطغاة والمقصود بالطغاة في منطقتهم كل حاكم تسوّل له نفسه الوقوف في وجه دعوة الإخوان المسلمين، أو أن تسول له نفسه الحيلولة دون انتشار الدعوة ومدھا، فھا هو حسن الهضيبي<sup>(٣)</sup> يعلنها صريحة مدوّية: " أيها الإخوان: إن دعوة الإخوان المسلمين لم تعد دعوة محلية في حدود الوطن الصغير، وإنما غدت دعوة عالمية تشمل الإسلام العالمي بأسره، وتوظف في المسلمين روح العزة، فهي اليوم عنوان ابتعاث لا نوم بعده، وتحرر لا عبودية معه،

(١) انظر: مجلة المسلمون، العدد (٢)، السنة (٢)، ١٢/١٩٥٢م، ربيع ثاني ١٣٧٢هـ، مقال (موجة الإلحاد والإباحية في مصر)، حسن البناء، ص (٣٧).

(٢) انظر: مجلة المسلمون، العدد (٤)، السنة (٣)، ٢/١٩٥٤م، جمادي الآخرة ١٣٧٣هـ، مقال (مع الحركة الإسلامية)، رئيس التحرير سعيد رمضان، افتتاحية المجلة.

(٣) هو حسن إسماعيل الهضيبي، من أعلام القضاة بمصر، والمرشد العام للإخوان المسلمين بعد حسن البناء. ولد ١٨٩١م في القليوبية بمصر، وتعلم القرآن بكتاب القرية والتحق بالأزهر، ثم تحول للدراسة المدنية حي التحق بالمدرسة الخديوية وحصل على شهادة التخرج ١٩١٥م. عمل بالمحاماة بعد التخرج، ثم بالقضاء بمدينة قنا ١٩٢٤م، وتنقل في عدة بلدان حتى استقر بالقاهرة، وارتقى لمرتبة مستشار ممتاز بمحكمة النقض العليا، لكنه استقال من القضاء بعد اختياره مرشدا عاما للإخوان المسلمين. توفي صباح يوم الخميس ١١/٨/١٩٧٣م. انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، (٢٣٣/٢٤٣)، ط (٨)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار البشير، القاهرة.

وعلم لا جهل وراءه، ولم يعد من السهل على أي طاغية أن يحول دون انتشار هذه الروح وامتدادها" (١).

لقد أراد الإخوان المسلمون - ولا شك من الصدام المستمر مع الهيئات الحاكمة - إقامة كيان مواز في الدولة، وطرح أنفسهم كحل بديل إن لم يكن حلاً رئيسياً. كوّن حسن البناء في سبيل ذلك النظام الخاص: وهو نظام كما جاء على لسان أحد قياداته: "تنظيم سري داخل الجماعة مهمته الأولى والأخيرة التصفية الجسدية للخصوم وليست له أية مهام دعوية أو سياسية، وليس لعضو النظام الخاص إبداء الرأي أو الإفتاء أو مناقشة الأوامر التي تصدر له من المرشد مباشرة، وليس له الحق في البت في الأثر السياسي لأيٍّ من هذه الأعمال التي يطلبها المرشد، فهي أمور متروكة تماماً لحكمة المرشد العام وفقهه" (٢).

كان هدف هذا النظام الأساسي توجيه ضربات موجعة لرموز المجتمع الجاهلي - مصطلح لطالما تم استخدامه في مؤلفات مُنظِّرهم الأول سيد قطب (٣) - ولكل من يرون

(١) انظر: مجلة المسلمون، العدد (٨)، السنة (٢)، ١٩٥٣/٦م، شوال ١٣٧٢هـ، مقال (هذا القرآن)، حسن الهضيبي، ص (٤).

(٢) حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ، ص (٣٣)، ط (١)، ١٩٨٩م، دار الاعتصام، القاهرة.

(٣) سيد قطب بن إبراهيم: أديب مصري، من مواليد قرية (موشا) في أسبوط ١٩٠٦/١٠/٩م. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٩٣٤م، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في مجلتي الرسالة والثقافة وعين مدرسا للعربية، فموظفا في ديوان وزارة المعارف، ثم مراقبا فنيا للوزارة. أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركا ١٩٤٨: ١٩٥١م ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تمشي والفكرة الإسلامية، وبني على هذا استقالته ١٩٥٣ في العام الثاني للثورة، وانضم إلى الإخوان المسلمين، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم ١٩٥٣: ١٩٥٤م وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب التكفيرية ونشرها وهو في سجنه، إلى أن صدر الأمر بإعدامه ١٩٦٦/٨/٢٩م. انظر: الأعلام، الزركلي، (٣/١٤٧: ١٤٨)، ط (١٥)، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.



أنه يعوق استكمال مرحلة التمكين لتحقيق الغايات، وقد كان لهم في ذلك أولوية وفقه خاص، كما قرر أحد قيادات هذا النظام حين قال: "كانت حركات اضطرابية لمواجهة عدوان وبأقل قدر ممكن من العنف، وبأكبر قدر مستطاع من تجنب الضحايا، وكل ذلك في إطار الالتزام الشرعي بفريضة الجهاد في سبيل الله"<sup>(١)</sup>.

لا بد أن يكون الكادر الإخواني المختار للنظام الخاص كادرا متميزا عقليا وبدنيا، ويطبق أركان البيعة كاملة، وعندما يقع عليه الاختيار يباع المرشد في حضور قائد النظام الخاص، وبمجرد أخذ البيعة عليه ينقطع عن الاجتماعات العادية في الشعب، حتى إذا ما تم القبض عليه في مهمة ما يمكن التبرؤ منه بسهولة<sup>(٢)</sup>.

وكان أول ما يكلف به العضو الجديد فيما يعلن رغبته في الجهاد في سبيل الله أن يُكَلَّفَ بشراء مسدس على حسابه الخاص، ولم يكن الانضمام للنظام الخاص بالشيء اليسير فالشخص المرشح يمر بسبع جلسات بمعرفة المكوّن، وهو يعني: الشخص الذي يقوم بتكوين أعضاء النظام وتبدأ هذه الجلسات بالتعارف الكامل على المرشح ثم جلسات روحية تشمل الصلاة والتهجد وقراءة القرآن ثم جلسة للقيام بمهمة خطيرة، وتكون بمثابة الاختبار حيث يطلب من الشخص كتابة وصيته قبلها، ويستتبع ذلك البيعة التي كانت تتم بمنزل في حي الصليبية، حيث يدعى الشخص المرشح للبيعة والشخص المسؤول عن تكوينه إضافة لعبد الرحمن السندي، حيث يدخل الثلاثة لغرفة البيعة التي تكون مظفأة الأنوار فيجلسون على فرش على الأرض في مواجهة شخص مغطى جسده تمام من قمة رأسه لقدمه برداء أبيض يخرج يديه ممتدتين على منضده منخفضة عليها مصحف، ويبدأ هذا الشخص المغطى بتذكير المرشح بآيات القتال وظروف سرية هذا

(١) انظر: النقط فوق الحروف، الإخوان المسلمون والنظام الخاص، أحمد عادل كمال، ص (١٥٢)، ط (٢)، ١٩٨٩م، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٣).

الجيش، ويؤكد عليه أن البيعة أصبحت ملزمة وحياتها تؤدي لإخلاء سبيله من الجماعة، ويخرج هذا الشخص مسدسا من جيبه ويطلب من المرشح تحسس المصحف والمسند والقسم بالبيعة، وبعدها يصبح المرشح عضوا في الجيش الإسلامي<sup>(١)</sup>.

هكذا نجد أنه منذ اللحظة الأولى اختلطت فكرة الدعوة مع فكرة الوصول للحكم لدى قيادات الجماعة، ولم يكن حسن البناء يؤسس لجماعة دعوية، تدعو لصحة إسلامية، لكنه كان يؤسس لجماعة تفرض حكما إسلاميا حيث آمنت جماعة الإخوان بنظرية التمكين بالقوة، وليس التمكين بالدعوة، مما يعني أن بذرة العنف والتطرف وجدت في فكر جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها<sup>(٢)</sup>.

تطورت توجهات الإخوان المسلمين نحو فكرة العنف لتحقيق الهدف - الوصول للسلطة - بعد تأثرهم بكتابات أبي الأعلى المودودي، الذي تعد أفكاره أحد الروافد الأولى النظرية التي تسيطر على الفكر الإخواني فيما يخص إقامة الدولة الإسلامية، حيث أنشأ الجماعة الإسلامية في الهند، ودعا لإقامة الدولة الإسلامية وسيادة التشريع الإسلامي كأسلوب حياة، مؤكدا على مبدأ الحاكمية الذي تأثر به بشكل خاص سيد قطب الذي كان له أكبر الأثر في وصول تأثير فكر المودودي لجماعة الإخوان المسلمين خصوصا والعالم العربي عموما، حيث استقى من أفكاره مفهوم جاهلية المجتمع، ودور الصفوة في إرساء مفهوم المجتمع الإسلامي<sup>(٣)</sup>، وأدخل مصطلحًا جديدًا في كتابه "معالم في الطريق"

(١) انظر: الإخوان والسلفين الماضي والحاضر، عبد الناصر يونس، ص (١٦)، ط (١)، ٢٠١٢م، دار كلمات عربية، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٣).

(٣) انظر: الحركات الإسلامية المعاصرة في المشرق العربي دراسة تاريخية سياسية، بشار حسن يوسف، ص (٥٥٢)، ط (١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، نشر جامعة الموصل، الموصل.

وهو جاهلية المجتمع وتكفير الحاكم، وطالب بإيجاد حركة إسلامية تواجه جاهلية اعتقادية تصويرية تقوم عليها أنظمة واقعية عملية، تسندها سلطات ذات قوة مادية ومن ثم مواجهة ذلك كله بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، وأنها لا تكتفي بالبيان في وجه السلطان، أي أن سيد قطب دعا إلى تكوين الجماعة المؤمنة الفريدة التي تنفصل عن هذا المجتمع الجاهلي شعوريا وتسعى إلى تغييره جذريا بالوسائل التي تراها مناسبة، وعلى رأس ذلك الوسائل غير السلمية، وإلى هذا الرأي انتهى سيد قطب حيث قال: "كان أماننا المبدأ الذي يقره الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا عَتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ وكان هذا الاعتداء قد وقع علينا بالفعل عام ١٩٥٤م بالاعتقال والتعذيب، فلم يكن في أيدينا من وسائل رد الاعتداء التي يبيحها ديننا إلا القتال والقتل، أي: بمعنى رد الظلم الواقع على الأمة الإسلامية"<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم مما جاءت به كتابات الهضيبي المرشد الثاني للجماعة الذي تولى قيادتها من ١٩٥١م، إذ أعلن رفضه لكتابات سيد قطب في كتابه "دعاة لا قضاة" لتشكيل نوعاً من الهدوء والاستقرار الذي رسم منهجياً حدود القطيعة ما بين الخطاب الإخواني والخطاب الجهادي، إلا أن هناك جيلاً كبيراً من الإخوان تأثروا بفكر وكتابات سيد قطب.

مما سبق يتضح أن القوة مثلت محورا أساسيا في البناء الفكري لجماعة الإخوان المسلمين الذي أعلى شأنه حسن البناء، الذي ركز من الناحية النظرية على أهمية بناء القوة، وتوسع في بيان أبعادها وضرورة الأخذ بأسبابها، وقد ترجم من الناحية العملية هذا الاهتمام بصور واضحة في طريقة تكوين وتنظيم جماعة الإخوان المسلمين، إذ سعى منذ البداية على بث روح الجندية والفتوة والجهاد في صفوفها، وهو ما كان واضحا في تكوين فرق الرحلات مروراً بالجولة، وصولاً إلى النظام الخاص أو الجهاز السري الذي يمثل الجناح العسكري للجماعة، ولم تكن فكرة عودة الخلافة والدفاع عن المجد التليد والعز المسلوب

(١) انظر: معالم في الطريق، سيد قطب، ص (٣٩)، ط (١٠)، ١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت.

إلا مطية لتبرير إرهاب الجماعة أولاً، واعتبار وصولها للحكم عز ومجد للأمة، أي أن الأمر برؤيته لم يكن إلا غطاءً تلفحت به الجماعة عبر تاريخها من أجل الوصول للحقيقة المستورة به وهو الوصول للسلطة والسيطرة على مراكز اتخاذ القرار.

## المطلب الثاني:

الرهان على شعار عودة الخلافة في مضمار السباق السياسي للوصول للسلطة:

الفرع الأول: الخلافة في منهج حسن البنا إرهاب محتمل:

شكلت فكرة استعادة الخلافة كسبيل أساسي ومنهج محوري وهدف استراتيجي لتسلم السلطة لجماعة الإخوان المسلمين محور خطابات ورسائل حسن البنا بشكل خاص، وسياسات الإخوان المسلمين بشكل عام، ففي الفترة الأربعينية من القرن الماضي وبينما كانت مصر تغلي تحت وطأة الاحتلال الإنجليزي كانت مؤتمرات الإخوان المسلمين تجنح بالقضية برمتها نحو ضرورة التركيز على استرجاع الخلافة الضائعة، في استغلال صرخ لظروف الدولة من أجل التأثير على الجماهير المتعطشة لأي سبيل تتخلص من خلاله من الاحتلال، فكان طرح هذه القضية في هذا التوقيت من عمر التاريخ سبيل ل طرح الجماعة نفسها كبديل عن الأنظمة القائمة، التي كانت سببا مباشرا بضعفها من جهة، ولتناحرها فيما بينها من ناحية أخرى.

لم يفصح حسن البنا من خلال رسائله المتعددة عن المرشح كخليفة للمسلمين آنذاك، إلا أن نفاق الجماعة لكل الأنظمة التي عاصرتها في فترات السلم تجلّى في ترشيح حسن البنا للملك فاروق لهذا المنصب مدهانة ونفاقا - لاحظ انقلاب الجماعة على الملك المذكور أعقاب ثورة ١٩٥٢م - حيث تجده يقول: "كان المسلمون في الخلافة يرجعون إلى الخليفة فأين هو الآن؟ لا بد أن نعمل جميعا على إيجاده"<sup>(١)</sup>، ثم يعلن أن الأمل متعلق بالملك فيقول: "إن لنا في جلالته الملك المسلم أيده الله أملا"<sup>(٢)</sup>، ثم يعلن أن الجماعة ما هي إلا جنود الخليفة المنتظر المخلصين فيقول: "إذا كان قد ضم القرآن

(١) انظر: فريدة ملكة مصر تروي أسرار الحب والحكمة، فاروق هاشم، ص (٤٤)، ط (١)، ١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.

(٢) انظر: خيول الظلام قطر والإخوان المسلمين والشرق الأوسط الجديد، علي الصراف، ص (٥٨)، ط (٢)، ٢٠١٧م، إي، لندن.

إلى قلبه ومزج به روحه، فإنه لا يخدم نفسه في الدنيا والآخرة فحسب ولكنه يريد أن يؤسس مصر على أفضل المناهج ويسلك بها أقرب الطرق للخير، وهو بذلك يكسب ولاء أربعمئة مليون مسلم في آفاق الأرض، تشرئب أعناقهم وتهفو أرواحهم إلى الملك الفاضل، الذي يبايعهم على أن يكون حامي المصحف، فيبايعونه على أن يموتوا بين يديه جنوداً للمصحف، فعلى بركة الله يا جلالة الملك ومن ورائك أخلص جنودك" (١).

ثم بمناسبة تولي فاروق سلطاته الدستورية، انهمر سيل الإخوان المسلمين لساحة قصر عابدين، بعد أن أصدر المرشد العام الأوامر للفرقة العسكرية بالزحف رافعين أعلامهم يهتفون: "الله أكبر والحمد لله، الإخوان المسلمون يبايعون الملك المعظم، نبايعك على سنة الله ورسوله" (٢).

مثل حسن البناء امتداداً طبيعياً لأساتذته أصحاب الباع الطويل في هذا الميدان أمثال محمد رشيد رضا (٣) الذي قال: "الخلافة الإسلامية هي الحكومة المثلى التي بدونها لا يمكن أن يتحسن حال البشرية، فهي خير دولة ليس بالنسبة للمسلمين فحسب

(١) انظر: فاروق وسقوط الملكية، لطيفة سالم، ص (٦٩٦)، ط (٢)، ١٩٩٦م، مكتبة مدبولي، القاهرة.

(٢) انظر: الملك فاروق والخلافة الإسلامية، أمل فهمي، ص (١٠١)، ط (٢)، ٢٠١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا ولد ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) ١٨٦٥م، وتعلم فيها وفي طرابلس. رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ، فلام محمد عبده وتلمذ له، ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. أنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) ثم قصد سورية في أيام الملك فيصل بن الحسين، وانتخب رئيساً للمؤتمر السوري، فيها، وغادرها على أثر دخول الفرنسيين إليها سنة ١٩٢٠م فأقام في مصر مدة. توفي فجأة في (سيارة) كان راجعاً بها من السويس إلى القاهرة ودفن بها عام ١٩٣٥م. انظر: الأعلام، الزركلي، (١٢٦/٦).

ولكن بالنسبة لسائر البشر" (١)، والإيراني المتشيع جمال الدين - الموسوم زورا بالأفغاني - حيث قال: " واعتصموا بجبل الرابطة الدينية التي هي أحكم رابطة اجتمع فيها التركي والعربي، والفارسي بالهندي، والمصري بالمغربي، وقامت لهم مقام الرابطة النسبية" (٢).

ثم يأتي أبو الأعلى المودودي الأب الروحي للجماعات الإسلامية عموماً وجماعة الإخوان المسلمين خصوصاً، حيث كان على اتصال وثيق بحسن البنا وسيد قطب - منظر الإخوان الأعظم -، فتراه يتكلم عن الحكم باسم الله فيقول: " الدولة الإسلامية تقوم على أساس حاكمية الله الواحد -، فالأمر والتشريع والحكم كلها مختصة بالله وحده وليس لفرد أو أسرة أو طبقة أو شعب ولا حتى النوع البشري كله، وإنما تكون لحاكم يقوم بوظيفة خليفة الله، فليس لأحد أن يأمر أو ينهى من غير أن يكون له سلطة من الله" (٣). من عباءة هؤلاء الداعين لحكم ديني بحت يشبه ما ساد باسم الإنجيل في القرون الوسطى بأوروبا، ذاك الحكم الذي غلفه التعصب والعنف والتشنج المصاحب لسلك الكنيسة، وهو ما كان من الإخوان الذين دافعوا عن فكرة الحكم الإسلامي بعنف أحرق مجتمعات المسلمين، وتسبب في شيوع أفكار التكفير والتطرف التي تعاني منها خير أمة أخرجت للناس ليومنا هذا.

(١) انظر: الخلافة، محمد رشيد رضا، ص (١١٦)، بدون طبعة ٢٠١٣م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

(٢) انظر: جمال الأفغاني الأعمال الكاملة، محمد عمارة، ص (٣٤٢)، بدون طبعة ١٩٧٩م، دار الفكر الحديث، بيروت.

(٣) انظر: نظرية الإسلام السياسية، أبو الأعلى المودودي، ص (٧١)، بدون طبعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، دار الفكر، بيروت.

لم يكن حسن البناء كسابقيه داعياً لإقامة الخلافة والوصول للسلطة بتقعيد القواعد في المؤلفات والرسائل فحسب، وإنما أضاف الجديد الذي لم يُسبق إليه وهو الدعوة للعنف بكل صراحة وبجاجة، إذا اصطدمت مفردات المجتمع بما عقد الإخوان المسلمون العزم عليه.

لم يرسخ حسن البناء مؤسس جماعة الإخوان المسلمين فكرة الخلافة في وجدان عناصر جماعته، ويفرد لها مساحات كبيرة في رسائله التي كان ييثرها وسط أتباعه وحسب، بل طالب أتباعه بالسعي لإقامة الحكومة الإسلامية ولو كان بخيار العنف، ففي ثنايا كلامه عن تحقيق الأهداف يقول: "هناك وسائل إضافية لا بد من الأخذ بها وسلوك سبيلها، منها السليبي ومنها الإيجابي، ومنها ما يتفق مع عُرف الناس ومنها ما يخرج عن هذا العُرف ويخالفه ويناقضه، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة، ولا بد أن نروّض أنفسنا على تحمل ذلك كله حتى نضمن النجاح، وقد يُطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن نخرج على نظم وأوضاع ألقها الناس وتعارفوا عليها"<sup>(١)</sup>.

وهكذا تجده يوطّن النفوس على الغريب غير المألوف، وبهيبئ النفوس للخروج على النظم والاصطدام بالناس الذين سيكون ردة فعلهم الطبيعية الرفض والمناكفة لما لم يألفوه، ضاربا بعرض الحائط هدي الدين الذي يفترض أنه يتكلم باسمه.

فَعَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُوبُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ»<sup>(٢)</sup>.

فلا بأس عنده من الصدام وتعريض أمن واستقرار المجتمعات للإرهاب طالما كان الإخوان المسلمون يسبرون في الطريق المرسوم نحو استعادة الخلافة والسيطرة على السلطة.

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البناء، حسن البناء، ص (٨٨).

(٢) أخرجه مسلم، (المقدمة)، باب (النهي عن الحديث بكل ما سمع)، (٩/١)، ح (١٤).



ولا يحسبن أحد تفسيرنا هذا شططاً أو تعسفاً، وأنه تأويل يحقق أغراضاً من إثبات زيف ما دعت إليه الجماعة فقط من أجل السلطة والملك، فهذا هو حسن البناء يعود بنفسه فيفسر ما ذكره بالأعلى على سبيل الإجمال بشيء من الوضوح والصراحة فيقول: "سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام، وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الزعماء والرؤساء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجوهكم كل الحكومات والسلطات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطاتكم، وأن تضع العراقيل في طريقكم"<sup>(١)</sup>.

لست أدري أي جهاد في سبيل الله، فإذا كان الجهاد سلمياً لتطبيق مبادئ يعتقدونها حسن البناء فلن ينكر عليه أحد طالما لم يطل الأذى أحداً بسبب سلميته في نشر دعوته، لكنه ولا شك يقصد أن الجهاد المزعوم سيكون مسلحاً عنيفاً - وقد كان - لذا سينكر علماء الدين الرسميين - على حد تعبيره - ذلك ولا شك باعتبار أن رفع السلاح لنشر الدعوة في وجه أية أحد كائناً من كان؛ ما هو إلا إرهاب ولا مسمى آخر له، إلا أن يقف الكفار في وجه الدعوة بوسائل العنف في دار الكفر فحينئذ يكون لجهاد الطلب محل من الإعراب، بخلاف ذلك لا نكون إلا أمام جماعة إرهابية كما هو حالهم لا مشاحة في ذلك.

ثم تراه لا يتركنا نختار في شأن جهاده وجماعته في سبيل الله فيقول: "يتساءل كثير من الناس: هل في عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة في تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون في إحداث ثورة عامة على النظام السياسي أو النظام الاجتماعي في مصر؟

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البناء، حسن البناء، ص (٨٩).

ولا أريد أن أَدع هؤلاء المتسائلين في حيرة بل إني أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا في وضوح وفي جلاء فليسمع من يشاء: أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمه وتشريعاته والقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ وَعَدُّوا لِلَّهِ وَعَدُّوْكُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

فالسبيل الوحيد الذي يستطيع المجتمع المصري خصوصا والدولي عموما تجنب العنف المحتمل والصدام المتوقع الذي أشار إليه حسن البنا - فيما سبق - هو فقط المطاوعة والمسايرة، فمتى طواع الشعب المصري أطماع الإخوان المسلمين ورغبتهم المحمومة في الاستيلاء على السلطة جنّب نفسه الإرهاب البديل والجهاد المزعوم.

هكذا أشار حسن البنا عليهم في رسائله حيث قال: "إن الحلم الذي حشدت له جماعة الإخوان المسلمين وباقي جماعات الشباب ولا بد أن يأتي يوما تمتلك فيه الشجاعة ما يمكنها من مراجعته والنظر فيه اتقاء لمزيد من الأزمات والصدمات"<sup>(٢)</sup>.

هكذا فقط متى تركت الشعوب الإخوان المسلمين يحققون حلمهم الأعظم بدون أن يعترضوا طريقهم مكثهم ذلك من تجنب الأزمات والصدمات، لكن لو سولت نفس أي من الشعب أو النظام اعتراض طريق الإخوان المسلمين وإثنائهم عن مواصلة ما عقدوا العزم عليه: فالمواجهة المحتومة بانتظارهم وفي ذلك يقول حسن البنا: "فإن تُرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم أنتم الثائرين الظالمين"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١١٠).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١٢٢).

(٣) انظر: تنظير الإخوان المسلمون لأنفسهم بما سبق في مجلة المسلمون، العدد (٩)، السنة (١)،

١٩٥٢/٧م، ذي القعدة ١٣٧١هـ، مقال (ركائز دعوة الإسلام)، ص (٣٣).

لم يكن الأمر ليتعلق فقط بالتلويح بورقة العنف بدون أن يكون ذلك مبرراً تبريراً يغير بالمغفلين والمغييبين من أعضاء الجماعة نفسها أولاً، ومن الشعب ثانياً، لذلك تراه يتكلم عن الخلافة باعتبارها ركناً من أركان الدين ينبغي بذل سويداء القلوب في سبيل الدفاع عنها، والحفاظ عليها حين قال: "إن الإخوان المسلمين يعتقدون أنَّ الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين الأمم الإسلامية، وأنها شعيرة يجب التفكير فيها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام في دين الله" (١).

بإمعان النظر في النص السابق تجد أن اعتبار الإخوان الخلافة باعتبارها شعيرة لم يكن ليكفي فقط غطاءً لتبرير الإرهاب المحتمل: الذي تكلم عنه حسن البنا كسبيل لاسترجاعها والدفاع عنها، إذ كان لابد لها من موقع آخر في دين الله يكون من القوة بمكان من جهة، ويبرر العنف الذي طالما لَوَّح به حسن البنا لاستخدامه في هذا السبيل من جهة أخرى؛ لذا تراه في موضع آخر يقول: "الإخوان المسلمون يسرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدي الإسلام الحنيف كما فهموه، وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه" (٢).

أمعن النظر في هذا الاختيار الثاني وهو اعتبار الخلافة ركناً من أركان الإسلام، تجد أنه بخلاف محاكاته في ذلك لعقيدة الشيعة الذين يعتبرون الإمامة ركناً من أركان الدين، يضع الخلافة في موضع يستطيع أن يجاهد عليه؛ فيكون العنف المحتمل لاستردادها مبرراً، ثم تجده يسبق ذلك كله بمصطلح غاية في الخطورة وهو "هدي الإسلام الحنيف كما فهموه".

فهمت هذه الأمة أنه لا دين إلا ما فهمه رسول الله ﷺ وأصحابه العُرُ الميامين عملاً بقول رسول الله ﷺ: «أَفْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١١٩).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١١٢).

الْجَنَّةِ، وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، فإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ»<sup>(١)</sup>، لكن حسن البناء يطرح هذا المنطق النبوي أرضًا وقيم عوضًا عنه مبدأ خاصا به وبجماعته وهو "الإسلام الذي فهموه"، ومن الإسلام الذي فهموه: قول حسن البناء: "الأحاديث التي وردت في وجوب نصب الإمام وبيان أحكام الأمة وتفصيل ما يتعلق بها لا تدع مجالًا للشك في أن من أوجب الواجبات على المسلمين الاهتمام بالتفكير في أمر خلافتهم منذ تحورت عن مناهجها ثم أُلغيت بتاتا إلى الآن"<sup>(٢)</sup>، فحسن البناء فهم أن النبي ﷺ أوجب نصب الإمام، وأن إجراءات هذا التنصيب مما نص عليه النبي ﷺ، ونحن -بدورنا- نقول: أنه بحق فهمه يخصه هو وجماعته لا دخل لدين الله فيه، وإلا فأين تلك الأحاديث المزعومة التي تبين طريقة التنصيب، وتكلم عن أحكام هذا الإجراء.

لقد ترك رسول الله ﷺ الكلام في مسألة التنصيب وإجراءاته لأنه قطعاً كان يعلم أن لكل زمان ومكان إجراءات تناسبه، وأوضاع تتوافق مع متغيرات العصر وأحوال المكان، وهذا من الفقه الذي مرده للناس هم أعلم بشؤون دنياهم وما يصلح أوضاعهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية و إلى ما هنالك؛ طالما لم يصطدم ذلك بما هو معلوم من الدين بالضرورة، لكنهم - الإخوان المسلمون - أصحاب الفهم المختلف والفقه المغاير، وإن شئت فقل المطامع والشهوات تلك التي تفضي بصاحبها لفقه يوافق مبتغاه

(١) أخرجه بن ماجه، كتاب (الفتن)، باب (افتراق الأمم)، (٢/١٣٢٢)، ح (٣٩٩٢). قال الألباني:

"إسناده جيد" في (سلسلة الأحاديث الصحيحة)، (٣/٤٨٠)، ح (١٤٩٢).

(٢) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البناء، حسن البناء، ص (١١٩).

وهواه وهو بالضبط ما اعترى حسن البنا الذي قال: " لهذا جعل الإخوان المسلمون الخلافة والعمل على إعادتها على رأس مناهجهم " (١).

أي: لأنه بدون هذا الفهم السقيم والفقہ المعلول لا يمكن أن تكون الخلافة على رأس أولويات المسلم، إنما الأولوية في إشاعة العدل وحراسة الدين أيا كان الطريق المؤدي لذلك، ومن ذلك صلاح أحوال المسلمين واستقامة معاشهم، حيث هذه العدالة الاجتماعية هي المفضية للعدل الأكبر وحفظ الدين وأحكامه بالتكاتف والتعاون والتعاقد.

بعد أن أصّل حسن البنا لهذه الفكرة باعتبارها سبيل الصعود - كما سبق - كانت المرحلة التالية وهي تقديم الإخوان المسلمين أنفسهم كبديل للحكومات الحزبية، والأنظمة المختلفة - ديمقراطية، ليبرالية، علمانية، نيايية، ملكية - فتراه يقول: " إن الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات من ينهض بهذا العبء، أو يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية فلتعلم الأمة ذلك " (٢).

مدلول الخطاب واضح لا يحتاج كثير تعليق " فلتعلم الأمة ذلك " أي: فلتعلم الشعوب أن الإخوان المسلمين هم البديل الأمثل بل البديل الوحيد، لأنهم الفصيل الوحيد القادر على النهوض بهذا العبء، والقادر على الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية - على حد تعبيره - هذا هو مقتضى الخطاب بدون هوى ولا تعنت.

يبقى السؤال كيف يمكن للإخوان المسلمين الصعود على درجات السُّلم - الحكم والسلطة - في ظل الأوضاع السياسية الراهنة حيث إقامة الخلافة وسط هذا الجو السياسي الدستوري في مصر و لا يمكن لمخالفة هذه الأنظمة وغيرها لما ينبغي أن تكون عليه صورة الخلافة؟.

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البنا، حسن البنا، ص (١٢٠).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (١١٣).

معلوم أن الإخوان لا يتوقفون أبدا عن تطويع كل الظروف لتناسب مبتغاهم، حتى ولو كانت بعيدة كل البعد عن روح الشرع؛ الذي ينادون ليل نهار بنصرته وتسييده؛ فترى حسن البناء يقفز على كل هذه الأوضاع بخطاب سافر يعلن فيه الآتي: "يعتقد الإخوان المسلمون أن النظام الدستوري هو أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام وهم لا يعدلون به نظاما آخر"<sup>(١)</sup>.

ترى لو كان النظام القائم يختلف عن الحكم الدستوري ألم يكن سيكون رأي حسن البناء أن هذا الحكم هو الأقرب للإسلام، وما ذلك إلا لتطويع كل الأدوات حتى ولو لم يكن لها حظ في الإسلام، من أجل تحقيق الحلم وإصابة الهدف وهو الجلوس على كرسي السلطة والتربع على مقاليد الحكم.

هذا هو المنهج الذي ورثه حسن البناء لأتباعه من بعده، والذي عمل فيما بعد سيد قطب على تطويره وترقيته لنجد أنفسنا في مواجهة الجيل الثاني من إصدار الإخوان المسلمين، هذا الإصدار الذي أصل بامتياز لمنهج التكفير والخروج على الأنظمة وأصبح هذا هو الدأب والديدن.

**الفرع الثاني: الخلافة بين تكفير سيد قطب ومهادنة حسن الهضيبي:**

**المسألة الأولى: سيد قطب والخلافة "الإرهاب المؤكد":**

لم يكن كلام حسن البناء عن الخلافة كلامًا عن فكرة شخصية، أو مبدأ يدعو إليه داعية إلى الله على وجه العموم، إنما كان يتكلم عن دعوة تخصه، وجماعته من أصولها الحكم، وأن هذه الدعوة تتطلب جهادا وقتالا - كما سبق القول -، وكأنه يتحدث عن دين جديد كان مكلفا هو بتبليغه للعالم، ليس هذا فحسب بل والسيطرة السياسية

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البناء، حسن البناء، ص (١١٣).

والعسكرية على العالم أجمع لنشر هذا الأمر، وما فكرة أستاذية العالم بعد الكلام عن الخلافة الإسلامية عنا ببعيد<sup>(١)</sup>.

أكملت فكرة الخلافة المشوار لنقطة معينة - في التاريخ - لكنها لم تكتمل لعدم وصولها لمرحلة الأستاذية المرعومة التي يفترض أن حسن البناء وجماعته سيستكملونها. جاء سيد قطب ليستكمل أفكار مرشده الأول باستكمال المشوار؛ لكنه إضافة لذلك أسس لفكر جديد لم يسبق إليه: وهو تكفير المجتمعات الإسلامية الحاضرة جمعاء، ليس هذا فحسب؛ بل وهدم صرح الخلافات السابقة جميعها-راشدة وأموية وعباسية- لا لي طرح نفسه كبديل؛ بل لي طرح نفسه خيارًا وحيدًا وأساسيًا لا بديل عنه. الحقيقة أن طوام سيد قطب أكبر وأعظم من أن يتم جمعها في مؤلف واحد؛ فضلا عن أن يكون بحثا واحدا، إنما يحتاج الأمر للكثير والكثير لكشف العوار؛ لكني سأبذل جهدي لعرض الخطوط العريضة من هذه الطوام التي تؤكد الفكرة، وتعضد الهدف من بحثي هذا سائلا الله عز وجل السداد والرشاد.

قد تكون البداية معتبرة عندما ننطلق من قول سيد قطب في الظلال: "إن الإسلام إعلان عام لتحرير الإنسان من العبودية للعباد، فهو يهدف ابتداءً لإزالة الأنظمة والحكومات التي تقوم على أساس حاكمية البشر للبشر، وعبودية الإنسان للإنسان، ثم يطلق الأفراد بعد ذلك أحرارا لكن هذه الحرية ليس معناها أن يجعلوا إلههم هواهم، أو أن يختاروا بأنفسهم أن يكونوا عبيدا للعباد، وأن يتخذوا بعضهم أربابا من دون الله"<sup>(٢)</sup>.

هكذا نجد سيد قطب يتحدث عن نظام لا عبادة فيه من العباد للعباد، ونحن نسأل بدورنا ببراءة أين وجد الإخوان المسلمون عبادا منا يعبدون بعضهم بالسجود والركوع، أو

(١) انظر: مجموعة رسائل الإمام حسن البناء، حسن البناء، ص (٢٥٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٦)، ط (١٠)، ١٩٨٢م، دار الشروق، بيروت.

بتعظيم شأنهم على شأن الخالق؟، إنه يتكلم عن أسطورة لا وجود له إلا في خياله المريض، ذاك الخيال الذي سؤل له أن الإسلام الحق لن يتحقق إلا بإزالة الحكومات والأنظمة كما قال، تلك الأنظمة القائمة على عبودية الإنسان للإنسان، وهنا يظهر السؤال معنا مرة أخرى هذا السؤال الذي سيظهر معنا كثيرا وكثيرا جدا أين تلك الأنظمة التي عبت الخلق لها وأمرتهم بترك عبادة الله الواحد الديان؟ وستكون الإجابة سريعة لغير المتعمقين: إنه يقصد من اتخذوا إلههم هواهم، أو من اختاروا لأنفسهم عبادة العباد واتخذوا بعضهم أربابا من دون الله، ليقفز السؤال مرة تلو الأخرى وأين هذا النموذج من مجتمعات المسلمين.

إن الإنسان أي إنسان وهو يقترف الذنب عموما يكون قد غلب هواه إيمانه وعبادته يعني هذا أن يكون كافرا كما زعم سيد قطب، كلا قطعاً فسريراً ما يعود لإيمانه بالإقلاع عن الذنب وتركه، وهو في دائرته الأولى - مصاحباً للذنب - لا يعدو عن كونه فاسقاً لا كافراً مرتداً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا زَنِى الرَّجُلُ خَرَجَ مِنْهُ الْإِيمَانُ فَكَانَ عَلَيْهِ كَالظُّلَّةِ، فَإِذَا انْقَلَعَ مِنْ عَلَيْهَا رَجَعَ إِلَيْهِ الْإِيمَانُ»<sup>(١)</sup>.

هكذا يقرر النبي ﷺ في جلاء ووضوح أن مرتكب الكبيرة - أعظم من غلبه الهوى وتلبس بالمعصية - لا يكون كافراً، إنما لا يعدو عن أن يكون عاصياً تلبس بالمعصية ثم رد إليه بإقلاعه عن المعصية.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب (السنة)، باب (الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)، (٤/٢٢٢)، ح (٤٦٩٠)، وأخرجه الترمذي، كتاب (الإيمان)، باب (ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن)، (١٥/٥)، ح (٢٦٢٥)، قال الألباني: "صحيح" في (صحيح الجامع الصغير وزيادته)، (١٦٢/١)، ح (٥٨١).



فمن غلبه الهوى صار عاصيا هكذا ينبغي أن نفهم مع من نصنف من غلبه هواه لا أن نكفره وننزع عنه رداء الإسلام بالكلية.

في النهاية نحن بشر استخلفنا الله في الأرض لنعمرها، وأعطانا عقولا نفكر بها ونعمر ما نراه مناسباً لحياتنا - بدون هدم للثوابت أو إنكار ما علم من ديننا بالضرورة - في الأرض، وأرسل إلينا الرسل للهداية، وبانتهاء عصر الرسل تركت لنا أمور الدنيا لننظمها من منطلق «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»<sup>(١)</sup>، ولا يمكن أن يكون تدخلنا بقوانين تنظم حياتنا فيما يخص المرور والتعليم والصحة ودواوين الدولة المختلفة، وربما أخذنا بنظام برلماني رئاسي، أو ملكي أو على حسب ظروفنا وأحوالنا لا يمكن أن يحسب ذلك علينا باعتبارنا عباد هوى، أو أننا سلبنا حق التشريع من الله العلي القدير ومنحناه لأنفسنا، هذا هو الذي لا يدعيه إلا صاحب هوى وغرض كسيد قطب، الذي ما أراد من وراء تكفيره للمجتمعات إلا طرح نفسه وجماعته كواسطة بين الله وخلقها.

ليس أغرب من مناقضته لنفسه عندما يقرر بنفس القلم أنه يمكن لأي دولة تنتمي للإسلام أن تأخذ من القوانين الوضعية ما تحواه بحجة تحقيق المصالح ودرء المفساد، وبحجة أنها لا تتنافى مع أصول الإسلام، ولو كانت متصادمة لأصوله ونصوصه حيث يقول: "فإذا انتهينا من وسيلة التوجيه الفكري، بقيت أماننا وسيلة التشريع القانوني لتحقيق حياة إسلامية صحيحة تكفل فيها العدالة الاجتماعية للجميع، وفي هذا المجال لا يجوز أن نقف عند مجرد ما تم في الحياة الإسلامية الأولى، بل يجب الانتفاع بكافة الممكّنات التي تتيحها مبادئ الإسلام العامة وقواعده المجملّة، فكل ما أتمته البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الإسلام، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس، يجب ألا نلجج عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا؛ مادام يحقق

(١) أخرجه مسلم، كتاب (الفضائل)، باب (وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره - صلى الله عليه وسلم - من معاش الدنيا على سبيل الرأي)، (٤/١٨٣٦)، ح(٢٣٦٣).

مصلحة شرعية للجميع، أو يدفع مضره متوقعه؛ ولنا في مبدأ المصالح المرسلة وسد الذرائع وهما مبدأان إسلاميان صريحان ما يمنح ولي الأمر سلطة واسعة لتحقيق المصالح العامة في كل زمان ومكان" (١).

طبقا لتفعيده هذا فإن أصول التشريعات إذا لم تخالف أصول الإسلام، وتصطدم بتشريعاته فإنها لا تحرم وهذا يعني: أن تلك القوانين إذا اصطدمت بنصوص الإسلام - كتابا وسنة - لا أصوله فلا بأس من العمل بها، وإذا خالفت فروع تلك القوانين أصول الإسلام فلا بأس أيضا من العمل بها، فالمحظور فقط عنده هو مخالفة أصول القوانين لأصول الإسلام، وما بخلاف ذلك جائز.

بهذا التأسيس والتفعيد الذي يعتمده سيد قطب تفتح أبواب التلاعب بدين الله على مصراعيها لكل راغب في العبث بالإسلام والأمة، فيمكنه جلب ما يريد من القوانين الجائرة تحت ستار هذه التأسيسات التي وضعها هو بنفسه، ولقد كان هو - وانطلاقا من هذه القواعد- يأخذ بالاشتراكية الغالية؛ حيث توصل إلى أن الدولة بيدها انتزاع الملكيات من الأفراد وإعادة توزيعها من جديد، ولو قامت على أسس إسلامية.

هكذا يرى سيد قطب جواز قيام نظام ينسخ ما قرره الإسلام في الكتاب والسنة وأجمع عليه المسلمون عليه من حرمة أموال المسلمين، وما ذاك إلا لأنه - في زعمه - لا يصطدم بأصول الإسلام.

ترى أين هذا التأسيس والتفعيد مما قرره حين قال: "إن هذا الدين ليس إعلاناً لتحرير الإنسان العربي، وليس رسالة خاصة بالعرب، إن موضوعه هو الإنسان، ومجاله هو الأرض، وهذا الدين يريد أن يرد العالمين إلى الله، وأن ينتزعهم من العبودية لغيره، والعبودية الكبرى في نظر الإسلام هي خضوع البشر لأحكام يشرعها لهم ناس من

(١) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (٢٦١)، ط (٥)، دار الشروق، القاهرة.

البشر، وهذه هي العبادة التي يقرر أنها لا تكون إلا لله، وأن من يتوجه بها لغير الله يخرج من دين الله مهما ادعى أنه من هذا الدين" (١).

بإمعان النظر نجد أنه ليس ثمة شيء إلا التنافر والتضاد فيما يخص الخلافة المرعومة والسلطة المستهدفة، وما ذلك إلا لأنه يريد التدليل على مجتمع غير موجود إلا في خياله وخيال جماعته من جهة، ولرغبته المحمومة في التدليل على أنهم يمثلون النظام الإسلامي الذي لن تتحقق عبادة الله الحقّة إلا في ظلّه، وإن شئت فاستمع له وهو يقرر أن العالم سيصبح فيه كيانين: الكيان الأول يمثل الكيان الجاهلي: وهو جميع الأنظمة التي سينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة، والكيان الثاني ولا شك: هو المجتمع المستقل المتميز الذي لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمة.

ترى من ذا الذي سيمثل الكيان الثاني سوى سيد قطب وجماعته باعتبارهم الفئة التي لديها فقه المرحلة ولا غيرهم حيث قال: "انطلاق المنهج الإلهي تقوم في وجهه عقبات مادية من سلطة الدولة ونظام المجتمع وأوضاع البيئة... وهذه كلها هي التي ينطلق الإسلام ليحطمها بالقوة كي يخلو له وجه الأفراد من الناس..... يتمثل هذا الوجود في تجمع تنظيمي حركي تحت قيادة جديدة غير قيادات الجاهلية، وميلاد مجتمع مستقل متميز لا يعترف لأحد من البشر بالحاكمة، لأن الحاكمة فيه لله وحده، وهذا صراع طبيعي بين وجودين لا يمكن التعايش بينهما طويلاً" (٢).

إذن في سبيل إقامة ما يصبو إليه الإخوان المسلمون من السلطان الخاص بفكرتهم لا بأس من بسط الصدام على المعمورة بأسرها، وقد أحيا الله الجيل الحالي ليرى بأمر عينيه ما نظر له سيد قطب في مؤلفاته، فلقد أحدث الإخوان المسلمون من الفساد والإرهاب في المجتمعات التي وطئتها أقدامهم ما يعلمه القاصي والداني.

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٤١).

يستطرد سيد قطب في عرض آرائه الإرهابية وأفكاره المشوهة عن المجتمع المثالي الذي يرى أنه سيمثله هو والطليعة التي يراها جند الله في أرضه فيقول: "إن المعسكرات المعادية للإسلام قد يجيء عليها زمان تُؤثر فيه ألا تحاجم الإسلام، إذا تركها الإسلام تزاول عبودية البشر للبشر داخل حدودها الإقليمية، ورضي أن يدعها وشأنها، ولم يمد إليها دعوته وإعلانه التحريري العام.... ولكن الإسلام لا يهادننا إلا أن تعلن استسلامها لسلطانه في صورة أداء الجزية، ضمانا لفتح أبوابها لدعوته بلا عوائق مادية من السلطات القائمة.

وعبادة الله وحده لا تتحقق في التصور الإسلامي وفي الواقع العملي إلا في ظل النظام الإسلامي، والإسلام ليس مجرد عقيدة، إنما هو منهج يتجمع في منهج تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس، والتجمعات الأخرى لا تتمكن من تنظيم حياة رعاياها وفق منهجه هو، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل هذه الأنظمة بوصفها معوق للتحرر العام.

فإذا كف الله أيدي الجماعة المسلمة عن الجهاد فهذه مسألة خطة لا مسألة مبدأ، مسألة مقررات حركة لا مسألة مقررات عقيدة، بل الأمر أن الإسلام فكرة انقلابية ومنهجا انقلابي يريد أن يهدم نظام العالم الاجتماعي بأسره ويأتي بنيانه من القواعد، ويؤسس بنيانه من جديد حسب فكرته ومنهجه العملي.

ومن هنا تعرف أن لفظ المسلم وصف للحزب الانقلابي العالمي الذي يكونه الإسلام وينظم صفوفه ليكون أداة في إحداث ذلك البرنامج الانقلابي الذي يرمي إليه الإسلام، والجهاد عبارة عن الكفاح الانقلابي عن تلك الحركة الدائبة المستمرة التي يقام بها للوصول إلى هذه الغاية وإدراك هذا المبتغى<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٤).

هكذا تجده يقرر عدة مبادئ كافيها وحدها لحرق الأرض بمن عليها، فالعالم معسكر يعادي الإسلام الذي يمثله هو وجماعته ولا شك، وبناء عليه ينبغي العمل على استئصال شأفة كافة الأنظمة العالمية وليست العربية فحسب، بل العالم جميعه مجتمع لن يهادنه الإسلام، بل ويتحتم عليه العمل لإزالة هذا المجتمع من جذوره.

الجهاد في عقيدة سيد قطب شعيره لا يمكن أن تتوقف أبدا، وينبغي استمرارها بلا هوادة أو مهادنه، والتوقف لفترة في حسابات سيد قطب ما هو إلا توقف لحطة إعادة التعبئة والتخطيط ومراجعة الحسابات، وهذا مرده للمنهج الحركي - كما سماه سيد قطب - لا يعود لعقيدة، وما ذاك إلا لأن الإسلام دين يدعم الانقلابات ويتركها، ليس هذا فحسب بل الإسلام نفسه دين انقلابي كما سماه - بثست التسمية -، والجهاد درع الانقلاب وسلاحه، حتى يدرك الإخوان المسلمون غايتهم بحكم الدنيا، وتتحقق نبوءة كبيرهم الذي علمهم السحر - حسن البنا - ويصبحون أساتذة العالم.

يستمر سيد قطب في طرح منهجه المشوّه، ورواه الشاذة فيعلن بعد أن قرر أن الإسلام دين الانقلابات أن الربوبية لله تعني الثورة الشاملة على حكم البشر أجمعين حيث يقول: "إن إعلان ربوبية الله وحده للعالمين معناها: الثورة الشاملة على حاكمية البشر في كل صورها وأشكالها وأنظمتها وأوضاعها، والتمرد الكامل على كل وضع في أرجاء الأرض الحكم فيه للبشر بصورة من الصور، أو بتعبير آخر: مرادف الألوهية فيه للبشر فيصورة من الصور... ذلك أن الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر، ومصدر السلطات فيه هم البشر، هو تأليه البشر، إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب وردّه إلى الله، وطرده المغتصبين له، الذين يحكمون الناس بشرائع من عند أنفسهم فيقومون منهم مقام الأرباب، ويقوم الناس منه مقام العبيد.. إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض، أو بتعبير القرآن ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾، وقيام مملكة الله في الأرض، وإزالة مملكة البشر، وانتزاع السلطان من أيدي مغتصبيه من العباد وردّه إلى الله وحده وسيادة الشريعة الإلهية وحدها،

وإلغاء القوانين البشرية. والمهزومون روحياً وعقلياً ممن يكتبون عن الجهاد الإسلامي ليدفعوا عن الإسلام هذا الاتهام يخلطون بين منهج هذا الدين وبين النص على استنكاره الإكراه في العقيدة، وبين منهجه في تحطيم القوى السياسية المادية التي تحول بين الناس وبينه.... ويتحدث عن سمات الجهاد الإسلامي فيقول: " السمة الأولى: أنه تواجه جاهلية اعتقادية تصورية، تقوم عليها أنظمة واقعية عملية تسندها سلطات ذات قوة مادية وعلى الحركة أن تواجهه بالقوة والجهاد لإزالة الأنظمة والسلطات القائمة عليها، تلك التي تحول بين جمهرة الناس وبين التصحيح بالبيان للمعتقدات والتصورات، وتخضعهم بالقهر والتضليل وتعبدهم لغير ربهم الجليل.

السمة الثانية: بعد تحطيم الأنظمة السياسية الحاكمة، أو قهرها حتى تدفع الجزية وتعلن استسلامها والتخلية بين جماهيرها وهذه العقيدة، تعتنقها أو لا تعتنقها بكامل حريتها"<sup>(١)</sup>.

وهكذا بعد أن قرر سيد قطب كون الإسلام دين الانقلابات، وأن الربوبية معناها الثورة الشاملة على الأنظمة القائمة في الأرض جميعها، تراه يقرر أن لواء هذا الأمر معقود على القيادة المسلمة الجديدة التي هي ولا شك جماعة الإخوان المسلمين ومن والاهم، فهم فقط أصحاب النظرية والفهم الثاقب؛ كما قرر سيد قطب في نصوصه التي تطفح بها مؤلفاته.

في طرح آخر يحمل نفس المضامين تراه يقول: "لم يكن بد أن ينشأ تجمع مُركب آخر غير التجمع الجاهلي منفصل ومستقل عن التجمع الحركي الجاهلي الذي يستهدف الإسلام إغاؤه - قاعدة ومنطلق فكر التكفير والهجرة - وأن يكون محور التجمع الجديد هو القيادة الجديدة، وأن يخلع كل من يشهد أنه لا إله إلا الله وأن

(١) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ص (١٤٣٧).

محمدًا رسول الله ولاءه من التجمع الحركي الجاهلي - بناءً عليه فمن لم ينضم لركب الإخوان في ذلك فهو عضو في التجمع الحركي الجاهلي - ومن قيادة ذلك التجمع في أي صورة كانت، سواء كانت في صورة قيادة دينية من الكهنة والسدنة والسحرة والعرافين ومن إليهم، أو في صورة قيادة سياسية واجتماعية واقتصادية، وأن يحصر ولاءه في التجمع العضوي الحركي الإسلامي الجديد - الإخوان المسلمين - وفي قيادته المسلمة - المرشد وأهل التنظير - <sup>(١)</sup>.

قد يظن القارئ أن الأمر لا يعدو عما نظرَ إليه سيد قطب من جاهلية المجتمع العالمي جميعه بما في ذلك المجتمعات الإسلامية - أو المسماة زورا بذلك في زعمه - وأن على الجماعة المسلمة العمل على إزالة هذه الجاهلية والإتيان على بنياها من القواعد، وأن هذا الإرهاب - المسمى زورا جهادًا في سبيل الله - منوط بالتجمع الإسلامي الجديد - على حد تعبيره - التمسك به واعتباره منهجا تقوم بسواعده قواعد الإسلام الصحيح - الانقلابي-، لكن الواقع المرير قضى بانتهاج سيد قطب منهجا لم يكن ليتخيل أكثر المعارضين والمتشائمين أن يقدّم عليه أحد - فضلا عن أن يكون مسلما - وهو إطلاق سهام التشكيك والتضليل وغير ذلك مما لا يمكن تخيله على جميع الخلافات السابقة، ولم تسلم خلافة من الخلافات من سهام سيد قطب المارقة ولا حتى الراشدة.

لقد بلغ الشطط بسيد قطب أنه أراد أن يأتي على بنيان كل خلافة سابقة، لي طرح نفسه وجماعته باعتبارهم المنتصرين للفكرة الإسلامية الصحيحة التي لا تشوبها شائبة من الشوائب التي عقلت بكل خلافة مضت، ولم تسلم من هذا التصور الفاجر ولا حتى الخلافة الراشدة، تلك الخلافة التي يعجز أي باحث عن تصور كيف سوّلت لسيد قطب نفسه تصويب سهام النقد لخلافة أثني عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - بشكل

(١) انظر: معالم في الطريق، سيد قطب، ص (٥٠)، ط(٦)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الشروق،

خاص، ليس هذا فحسب؛ بل وأمرنا أن نقتفي آثارها ونتمسك بمهديها، فعن العزْباضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بليغةً، وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً مُودِعٍ، فَأَعهدُ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتْرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحَدَّثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

أولاً: طعون سيد قطب في الخلافة الراشدة:

يقول سيد قطب متهما عثمان بن عفان رضي الله عنه بأن تصوره للحكم قد تغير، وأنه يحمل قرابته على رقاب الناس: "هذا التصور - يقصد تصوره للحكم الذي صال وجال لإثباته في النصوص السابقة - لحقيقة الحكم قد تغير بدون شك على عهد عثمان، ولقد كان من سوء الطالع أن تدرك الخلافة عثمان وهو شيخ كبير، ضعفت عزيمته عن عزم الإسلام، وضعفت إرادته عن الصمود لكيد الحكم بن أبي العاص، وكيد أمية من ورائه"<sup>(٢)</sup>.

هكذا نصب سيد قطب نفسه كأحد غلاة الروافض - وإن أبي من أبي -، فهو يرى ما يرونه من عدم أهلية عثمان بن عفان رضي الله عنه للحكم، ليس هذا فحسب بل إنه جود على مذهبهم فقرر كونه شيخاً خرفاً يسهل التلاعب به، تغلب عليه الحكم بن أبي العاص

(١) أخرجه ابن ماجة، (مقدمة الكتاب)، باب (اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين)، (١٥/١)، ح(٤٢). قال الألباني: "صحيح" في (صحيح الجامع الصغير وزيادته)، (٤٤٩/١)، ح(٢٥٤٧).

(٢) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (١٨٦).



وعلى الأمة - جيل الصحابة - التي أجمعت على اختياره خليفة، وهو في هذا يقرر كون الحكم بن أبي العاص مجرم أثيم لا خلق له ولا دين، ومن هذا المنطلق اتخذته سلما للطعن في الخليفة الراشد.

ونحن بدورنا لا نجد أفضل مما قرره شيخ الإسلام في الرد على هذه المهرطقات في جوابه على الرافضي في زعمه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه آوى عمه الحكم بن أبي العاص حيث قال: "كان من مسلمة الفتح وكانوا ألقى رجل "..... إلى قوله: " ولم تكن الطلقاء تسكن المدينة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن كان قد طرده فإنما طرده من مكة لا من المدينة، ولو طرده من المدينة لكان يرسله إلى مكة، وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه، قالوا: "هو ذهب باختياره"، وقصة نفي الحكم ليست في الصحاح، ولا لها إسناد يعرف به أمرها" <sup>(١)</sup>.

وقال أيضا رحمته الله: "وقد طعن كثير من أهل العلم في نفيه كما تقدم، وقالوا هو ذهب باختياره، والطرده هو النفي ".... إلى أن قال: " وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد عذر رجلا بالنفي لم يلزم أن يبقى منفيًا طول الزمان، فإن هذا لا يعرف في شيء من الذنوب، ولم تأت الشريعة بذنب يبقى صاحبه منفيًا دائما، بل غاية النفي المقدر سنة، وهو نفي الزاني والمخنث حتى يتوب من التخنيث، فإن كان تعزير الحاكم للذنب حتى يتوب منه فإذا تاب سقطت العقوبة عنه، وإن كانت على ذنب ماض فهو أمر اجتهادي ولم يقدر فيه قدر ولم يوقت فيه وقت " <sup>(٢)</sup>.

ثم قال في فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه التي لا تكاد تحصى: " والمعلوم من فضائل عثمان ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم وثنائه عليه "..... إلى أن قال: " وأمثال ذلك مما يوجب

(١) انظر: منهاج أهل السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٦/٢٦٥)، ط (١)، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

(٢) انظر: المرجع السابق، (٦/٢٦٦).

العلم القطعي بأنه من كبار أولياء الله المتقين - رضي الله عنهم ورضوا عنه - فلا يدفع هذا بنقل لا يثبت إسناده، ولا يعرف كيف وقع، ويجعل لعثمان ذنب لا يعرف حقيقته، بل مثل هذا مثل الذين يعارضون الحكم بالمشابهة، وهذا من فعل الذين في قلوبهم زيغ، الذين يبتغون الفتنة، ولا ريب أن الرافضة من شرار الزائغين الذين يبتغون الفتنة، الذين ذمهم الله ورسوله.... وبالجملة فنحن نعلم قطعاً أن النبي ﷺ لم يكن يأمر بنفي أحد ثم يردده عثمان معصية لله ورسوله ولا ينكر ذلك عليه المسلمون" (١).

وبعد أن اجتهد سيد قطب وبذل وسعه للظعن في الخليفة الراشد الثالث ذي النورين ﷺ بتتبع الروايات الساقطة والآثار الباطلة، انتقل لطامته الكبرى التي قرر من خلالها أن الثورة التي قادها ابن سبأ اليهودي كانت أقرب لروح الإسلام من عثمان بن عفان ﷺ حيث يقول: "وأخيراً ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحق بالباطل، والخير بالشر، ولكن لا بد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام أن يقرر أن تلك الثورة في عمومها كانت أقرب لروح الإسلام واتجاهه من موقف عثمان، أو بالأدق من موقف مروان ومن ورائه بنو أمية" (٢).

هكذا يتضح التشوه الفكري لدى سيد قطب في نظره للحكم في أبعي صورة، فالثورة الجاهلية التي قادها رافضي خارجي على عثمان هي الأقرب لديه لروح الإسلام، والخليفة الراشد بخلافته التي أجمعت عليها الأمة المختارة في أظهر قرونها هي الأبعد عن روح الإسلام، فياله من تشوه فكري وتطرف منهجي وانحراف عقدي لا نظير له.

من هنا تعرف أن السلطة والسيادة التي أرادها سيد قطب له ولجماعته هي تلك الخلافة التي هي على منهاج الخوارج والروافض، لا تلك التي يتمناها كل مسلم رزقه الله

(١) انظر: منهاج أهل السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، (٦/٢٦٨).

(٢) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (١٨٩).

فطرة سليمة ونية خالصة في نصرته الإسلام نظماً وشعباً، لا نصرته مذهب أو رأي أو جماعة.

## ثانيا: طعون سيد قطب في الخلافة الأموية:

مهما كان سيأتي على لسان سيد قطب في شأن الخلافة الأموية، ومن بعدها العباسية يستطيع القارئ الكريم تصويره بلا غرابة، فمن سولت له نفسه طعن الخلافة الراشدة لم تكن لتمنعه من رمي ما سواها بأبشع مما سبق، فقد قرر سيد قطب أن الخلافة الأموية لم تكن إلا مجرد حفنة من الملوك الظلمة، وزمرة من النهاب والإقطاعيين حيث يقول: " فلما جاء بنو أمية نهبوا الناس، وأقطعوا الأرض لذويهم، فكانوا ملوكا ظلمة، لا خلفاء راشدين " (١).

لم يدرك سيد قطب الذي لا يعرف الحق من الباطل، والكذب من الصدق، الذي يصرح بكل مهترئ من الروايات، وباطل من الآثار، وساقط من المذاهب أن هؤلاء من خير القرون التي شهد لها النبي ﷺ حيث قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلَوْهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلَوْهُمْ» (٢).

لم يدرك أن هؤلاء هم الذين فتحوا الأرض ونشروا الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلموا الناس العدل.

لم يدرك أنه بتصديده هذه الصورة الشوهاء؛ يؤكد مطاعن أهل الرفض والزندقة، ومطاعن سائر أعداء الإسلام من اليهود والنصارى المبشرين، والمستشرقين والمستعمرين.

عندما نمنع النظر في جوهر السهام التي أطلقها سيد قطب صوب الخلافة الأموية لا نجد لها إلا متأثرة باشتراكيته البغيضة التي آمن بها، وأرادها منهجا للحكم الذي يراه هو يمثل المعسكر الإسلامي - في زعمه - ذاك المنهج الذي كشف عن وجهه القبيح في

(١) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (٩٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب (الفضائل)، باب (فضل الصحابة ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم)،

(١٩٦٣/٤)، ح (٢٥٣٣).

كتابه " معركة الإسلام والرأسمالية " حين قال: " وفي يد الدولة أن تنتزع من الملكيات، وأن تأخذ من الثروات بنسب معينة، كل ما تجده ضروريا لتعديل أوضاع المجتمع من الآفات: آفات الجهل، وآفات المرض، وآفات الحرمان، وآفات التطرف، وآفات الأفراد والجماعات، وسائر ما تتعرض له المجتمعات من الآفات؛ بل في يد الدولة أن تنتزع الملكيات والثروات جميعا، وتعيد توزيعها على أساس جديد، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التي يعترف بها الإسلام، ونمت بالوسائل التي يبررها، لأن دفع الضرر عن المجتمع كله أو اتقاء الأضرار المتوقعة لهذا المجتمع أولى بالرعاية من حقوق الأفراد، فنظرية الإسلام في التكافل الاجتماعي لا تجعل هناك تعارضا بين حقوق الفرد وحقوق المجتمع، وكل ضرر يصيب المجتمع يعده الإسلام ضررا يقع على كل أفراد، ويحتم على الدولة أن تقي هؤلاء الأفراد من أنفسهم" (١).

هكذا تجده يسير على خطا ماركس وهيكل وغيرهما من الاشتراكيين.

كيف يدعي هذا الرجل ما يدعيه من انتصاره هو وحزبه لفكرة الإسلام الصحيح وهو ينتهك مبادئه ويحطم أسسه، ولا يمانع في استيراد مبادئ متفق على مجافاتها لأصول الإسلام الصريحة، وإصاقها بالإسلام وكأنها دين محكم لا تشابه فيه.

### ثالثا: طعون سيد قطب في الخلافة العباسية

لم تسلم قطعا الخلافة العباسية من طعنات سيد قطب المسمومة، فبعد أن اتهم عثمان بن عفان رضي الله عنه بالخرف ومحاباة بني أمية، وتركيز الثروات في يد أكابر أقبائه، مما حوّل المجتمع المدني في عهد عثمان لمجتمع رأسمالي بحت، تغوّل بعد ذلك في عهد الخلافة الأموية - التي لا يراها سيد قطب دولة خلافة- يلتفت للخلافة العباسية؛ فتراه يسوق خطبة

(١) انظر: معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، ص (٤٣:٤٤)، ط(١٣)، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م،

مكذوبة للمنصور - كما هي عاداته من الاعتماد على الأباطيل والأكاذيب - الذي قضى على دولة الرضا والإحاد، فكان بذلك درعا حمت الأمة الإسلامية آنذاك من شر ما كان يعلم مدى ما كان سيسببه من البلايا إلا الله فيقول: "وبذلك خرجت سياسة الحكم نهايا عن دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام"<sup>(١)</sup>.

هكذا يرى سيد قطب أن الأمور عندما آلت للعباسيين خرجوا بها من دائرة الإسلام للكفر.

ترى ما الذي تركه سيد قطب للأمة بعد هدم كل الثوابت التاريخية، والطعن في الأكابر، أين هي الخلافة التي يدعو سيد قطب إليها إذا كانت كل النماذج السابقة بهذا القبح.

إننا لو تصورنا أن الأمور فيما مضى على ما ذهب إليه سيد قطب؛ لحق لنا أن نقرر فشل الخلافة كنظام حكم، ولا نبحت عن إقامتها تارة أخرى أبداً، وكيف عسانا نتمسك بنظام للحكم لم تجن منه الأمة إلا الرأسمالية البغيضة، والظلم الأسود، والإقطاعية الجائرة، والمجافاة لروح الإسلام، ثم الكفر بخروج الحكم عن دائرة الإسلام في عهد العباسيين.

غريب أمر سيد قطب الذي يدعو لنظام حكم ثبت فشله بامتياز - بقلمه وفي تصوره واعتقاده - لكنها الأنا البغيضة، وحب التفرد والإتيان بما لم يسبق إليه.

لقد أراد سيد قطب أن يؤسس لحكم يكون فيه الإخوان المسلمون سادة الناس وكبراءهم، ولا شطط إن قررنا أنه أراد نظاما يكون هو وجماعته فيه آلهة، ولم لا وهم وحدهم من يمثلون الفكر الصحيح عبر التاريخ، وأنه لم يسبقهم أحد لفهم كنه الحكم الإسلامي الصحيح، وأنهم متفردون في فهم مراد الله ورسوله.

(١) انظر: العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ص (٢٠٠).

لقد أسست أفكار سيد قطب لكل الشورر المستطيرة، ولم تنقلب مجتمعات المسلمين رأساً على عقب إلا باعتراف كثير من الشباب المغرر به تلك الأفكار القطبية السوداء المقيتة، ولا نبالغ إن قررنا أنه لم يظهر بعد سيد قطب شر إلا وكان له فيه اليد الطولى والفضل المعلى ويكفيك في هذا المقام قول أيمن الظواهري الذي قال: "إن أفكار سيد قطب تمثل نواة الحركة الجهادية المعاصرة"<sup>(١)</sup>.

### المسألة الثانية: تنظير الجماعة ومهادنة ما بعد سيد قطب:

لا ينبغي في كل مراحل طرح رؤى الجماعة وتوجهاتها فيما يخص الخلافة والسلطة أن نطرح أرضاً طرح ورؤى حسن البنا للقضية، ذاك الطرح الذي مثل القاعدة التي انطلقت منها كل الأفكار، مع اختلاف حدة الطرح الدائر بين الصدام والمهادنة، فأفكار سيد قطب التصادية الداعية صراحة لمواجهة أنظمة العالم أجمع لم تكن بمنأى عن دعوة حسن البنا الصريحة لحمل السلاح، والإعداد للمقاتلة حين قال: "الدعوة لها ثلاث مراحل هي: مرحلة الدعاية والتعريف، ومرحلة التكوين وإعداد الجنود وتعبئة الصفوف، ومرحلة التنفيذ"<sup>(٢)</sup>.

تلك المرحلة التي حددها حسن البنا حين قال في إجابته على سؤال متى يبدأ غزو الإخوان؟: "في الوقت الذي يكون فيه منكم معشر الإخوان المسلمين ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحياً بالإيمان والعقيدة، وجسماً بالتدريب... في هذا الوقت طالبوني أن أخوض بكم لجج البحار، واقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، وإني فاعل إن شاء الله، ألفوا الكتائب وأقبلوا على الدروس وسارعوا إلى التدريب"<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر: فرسان تحت راية النبي، أيمن الظواهري، ص (١١)، ط (١)، بدون دار نشر.

(٢) انظر: رسائل البناء، حسن البنا، ص (١٥٩).

(٣) انظر: رسائل البناء، حسن البنا، ص (١٦٢).

وهكذا فإن استخدام القوة في منهج حسن البناء لإسقاط النظم السياسية والاجتماعية مسألة وقت، وما ذاك إلا لأن طلب الحكم وممارسة السياسة هي الإسلام، والمطالبة بالحكم والحكومة ركن من أركان الإسلام - بحسب زعمه - حيث يقول: "إذا قيل لكم إلام تدعون؟ فقولوا إلى الإسلام، والحكومة جزء منه.

فإن قيل لكم هذه سياسة؟ فقولوا هذا هو الإسلام، نحن دعاة حق نعتقده ونعتر به، فإن وقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندافع عن أنفسنا وكنتم أنتم الظالمين" (١).

هكذا انطلق سيد قطب من هذه القواعد في تكفيره وإرهابه الذي أفصح عنه - كما سبق عرضه -، وهكذا كانت انطلاقة كل منظري الإخوان المسلمين مع اختلاف نبرة الخطاب التي كانت تختلف باختلاف مفردات الواقع، الذي كان يمكّن أحيانا رؤوس الإخوان من الصلح بتكفيرهم وإرهابهم دون أدنى موارد، كما كان الحال مع سيد قطب والتلمساني (٢) الذي نجده في كتابه "ذكريات لا مذكرات" ينقل عن حسن البناء تهديده بإعلان الحرب على كل من لم يستجيب لدعوة الإخوان المسلمين فيقول: "نحن حرب

(١) انظر: المرجع السابق، ص (١٦٨).

(٢) عمر عبد الفتاح بن عبد القادر مصطفى التلمساني، ولد بالقاهرة ١٩٠٤م. تخرج من الحقوق ١٩٣٣م، وكان أول محامي ينضم لجماعة الإخوان المسلمين، وكان من المقربين لحسن البناء وصاحبه في أغلب أسفاره. تولى منصب المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين بعد وفاة المرشد الثاني حسن الهضبي ١٩٧٣/١١م. من مؤلفاته: شهيد المحراب عمر بن الخطاب، الخروج من المأزق الإسلامي الراهن، الإسلام والحكومة الدينية، آراء في الدين والسياسة، أيام مع السادات، قال الناس ولم أقل في حكم عبد الناصر، من فقه الإعلام الإسلامي، يا حكام المسلمين ألا تحافون الله. توفي ١٩٨٦/٥/٢٢م، الموافق الثالث عشر من رمضان ١٤٠٦هـ، عن عمر ٨٢ سنة. انظر: من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، (٢/٦٥٧:٦٦٩).



على كل زعيم أو رئيس أو هيئة لا تستجيب لدعوتنا، وسنعلنها خصومة لا سلم فيها ولا هوادة حتى يفتح الله بيننا وبين قومنا بالحق"<sup>(١)</sup>.

ثم يؤكد التلمساني نفسه على أنه متى اعترضت القوى المختلفة سبيل الإخوان المسلمين لتحقيق الهدف المنشود - الخلافة والحكم - فإن مصيرهم الحرب حيث يقول: "إننا نجاهد في سبيل إنقاذ الإنسانية من كل شرورها بالدعوة إن قبلوا، أما إن أبوا فليس إلا الكفاح الحربي بيننا"<sup>(٢)</sup>.

هكذا هم دائما كأنهم يقولون للأنظمة إن بذلتم إلينا الود وهادتمونا كنا حربا عليكم، وإن عاملتمونا بما نستحق من العقوبة كنا سلما لكم.

لقد تحقق للإخوان المسلمين في الفترة الساداتية<sup>(٣)</sup> ما لم يتحقق من سنوات حيث أخرجهم من المعتقلات، ورد عليهم أملاكهم وأموالهم التي صادرها عبد الناصر، وأطلق أيديهم في الدعوة لمواجهة الأفكار الاشتراكية والناصرية لاسيما في الجامعات المصرية، وكانت لهم حظوة مكنتهم من مخاطبة رئيس الجمهورية بخطاب صادر من التلمساني جاء فيه: "يا سيادة الرئيس إننا مسلمون مصريون يهمننا أول ما يهمننا أن يكون شعبنا آمنا مستقرا هادئا في ظل تشريع الله، وإن مصلحة هذه الأمة أن يطبق فيها شرع الله، ولا

(١) انظر: ذكريات لا مذكرات، عمر التلمساني، ص (٦٩)، بدون طبعة، دار الاعتصام، القاهرة.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (٦٩).

(٣) رئيس مصر، ولد في قرية ميت أبو الكوم بمحافظة المنوفية ١٣٣٧هـ/١٩١٨م، ودرس في مدرسة الأقباط، ثم مدرسة فؤاد الأول، وتخرج في الكلية الحربية، واشترك في الحركات الوطنية خلال السنوات السابقة للثورة، واعتقل وسجن، وعين وزيرا للدولة، ورئيسا لتحرير جريدة الجمهورية، ورئيسا لمجلس الأمة، ونائبا أول لرئيس الجمهورية. وعقب وفاة جمال عبد الناصر في ٢٨/٩/١٩٧٠ انتخب رئيسا لمصر، حتى اغتيل من قبل عناصر عسكرية من جماعة الجهاد في السادس من أكتوبر ١٩٨١م. انظر: تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، ص (٤٥٣)، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

أكون مغاليا إذا قلت إن تطبيق شرع الله في مصر سيكون فاتحة خير لجميع المنطقة من أولها إلى آخرها، وهناك يسعد الحاكم ويسعد المحكوم ويطمئن الحاكم ويرتاح"<sup>(١)</sup>.

لو تصورنا ما جاء في هذا الخطاب من التوجيه لرئيس مصر آنذاك لعلمنا كيف كان السادات معهم كريما رحيفا، وهنا كان التصعيد في الخطاب، وهذا دأبهم وديدهم مع الأنظمة، متى كانت ودودة رحيمة جنت من وراء ذلك تصعيدا محتما أحيانا ومؤكدا أحيانا أخرى، ومتى عاملتهم بما يستحقون من التضيق والعقوبة خفت أصواتهم ورفعوا راية المهادنة.

لأجل هذا المبدأ عمل منظرو الإخوان المسلمين في الفترة الناصرية على التبرؤ من توجهات سيد قطب لا لعقيدة وبصيرة بفحش ما كان عليه سيد قطب ولكن لاختلاف تناولهم لتوجيهات مرشدهم الأول طبقا لمفردات المرحلة، فلقد وجدوا أن تنظير سيد قطب للمرحلة الثانية التي نص عليها المرشد الأول والخاصة بشن الحرب على الأنظمة وهي: التعبئة والشحن للمواجهة ستكون لهم إن لم تكن قد كلفتهم بالفعل خسارة قواعدهم على الأرض، ومن هنا تلت فترة تصعيد سيد قطب فترة مهادنة قادها المرشد الثاني حسن الهضيبي، وقواعد الإخوان معه من أمثال زينب الغزالي وغيرها، حيث تجد حسن الهضيبي يعلن التبرؤ من توجهات سيد قطب، معتبرا أنها خارجة عن فكر الجماعة الوسطي حيث قال: "لقد كان مما ابتلى به الإخوان المسلمون في سجونهم ومعتقلاتهم ما أظهره البعض بتكفير المسلمين أو التشكيك في حقيقة إسلامهم وإيمانهم، ولقد سارع

(١) انظر: أيام مع السادات، عمر التلمساني، ص (٣٧)، ط (١)، ١٩٨٤م، دار الاعتصام، القاهرة.

الإخوان المسلمون رغم قسوة سجنهم ومعتقلاتهم لتصحيح هذا الفهم، لا رهبة من أحد ولا زلفى لأحد" (١).

بل وصل الأمر بحسن الهضيبي مسaire للمرحلة كما هي عادتهم أن يوصي الإخوان بترك العمل السياسي والتخلي عن التدخل في السياسة حيث قال: "أيها الإخوان المسلمون أوصيكم بتقوى الله، وقراءة القرآن، وعدم التدخل في السياسة" (٢).

لم يكن الأمر من الهضيبي إلا مهادنة سياسية ومناورة؛ رأى أنها واجبة في أعقاب قنابل سيد قطب التي كانت قد أوشكت على الانفجار في وجه التنظيم.

الحقيقة أن حسن الهضيبي إنما كان يعتنق أفكار سيد قطب بكل ما تحمله من توجهات وعقيدة الخوارج الغلاة، ومن قبلها مبادئ المرشد الأول فيما يخص الطريق المؤدي للسلطة والحكم لاسيما وقد ثبت مبايعة جماعة الفينة العسكرية لحسن الهضيبي بشهادة أيمن الظواهري في كتاب "فرسان تحت راية النبي"، وهو الأمر الذي طلب الهضيبي كتمانها وعدم إعلانها حتى إذا انكشف أمر الفينة العسكرية كانت جماعة الإخوان المسلمين في مأمن، وإذا نجحت في المهام المنوطة بها - اقتحام الكلية الفنية العسكرية والاستيلاء على الأسلحة والانتقال لمواجهة قوات الأمن بداعي إحداث انقلاب - يكون الإخوان المسلمون قد أحسنوا استغلال التنظيمات المسلحة لمشاغلة قوات الأمن في الحكومات وصرف نظرها من أجل التمدد والتوسع داخل مفاصل الدولة ومؤسسات المجتمع حتى تتحقق غاية الوصول للسلطة.

من هنا نعرف أن المهادانات التي أطلقها منظرو الإخوان لم تكن إلا مناورة اقتضتها المرحلة كما فعل حسن الهضيبي، وليس أدل على ذلك من عودة المرشد الثالث عمر

(١) انظر: دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، ص (١١)، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

(٢) انظر: قراءة في كتاب دعاة لا قضاة، د. صلاح الصاوي، ص (١٥)، كتاب إلكتروني.

التلمساني الذي خلف حسن الهضيبي بخطاب العنف - كخيار استراتيجي لخطة المرشد الأول للوصول للسلطة - كما كان عليه الحال مع المرشد الأول وسيد قطب، فخطاب الإخوان المسلمين فيما يخص الخط الذي رسمه مرشدهم الأول ينبغي ألا يفهم على ظاهره أبدا كما فعلت زينب الغزالي في كتابها " أيام من حياتي " عندما تكلمت عن فكرة الدعوة السرية التي تمتد لثلاثة عشرة عاما كما فعل الرسول الأكرم ﷺ<sup>(١)</sup>.

هكذا بعد التكفير والإرهاب الذي يعتبرونه جهادا في سبيل، يعودون فيتكلمون عن سرية الدعوة واستكانتها، وما ذاك إلا لأن استراتيجية الجماعة في سبيل الوصول للسلطة اقتضتها ظروف المرحلة، وهو أمر معلوم من منهج الجماعة أصبح لا يخفى على القاصي والداني.

(١) انظر: أيام من حياتي، زينب الغزالي، ص (٢٣)، ط (١)، بدون تاريخ نشر، دار كنوز، القاهرة.

## المبحث الثاني

### الإخوان المسلمون والسلطة " رحلة الصعود والأفول "

#### المطلب الأول:

#### الإخوان المسلمون والسادات " الإفراج المشروط ":

بدأ العهد الساداتي بداية مختلفة كلية عما كان عليه الحال في العهد الناصري، ليس أدل على ذلك من كلام السادات نفسه عن نظرتة للإخوان المسلمين حيث قال: "سمعت الكثير عن الإخوان المسلمين وكنت أتصور أنها جماعة دينية هدفها الوحيد الإصلاح الخلفي، وإحياء قيم الإسلام، لكني بعد أن سمعت لحسن البناء؛ بدأ مفهومي يتغير بعض الشيء، فقد كان الرجل يتكلم عن الدين والدنيا معا بأسلوب جديد لم نألفه من رجال الدين"<sup>(١)</sup>.

هكذا بدأ العهد الساداتي برغبة صادقة في إعلاء دولة العلم والإيمان معا، حيث كانت للسادات رغبة ملحة في مواجهة التيارين اليساري والناصري لاسيما في الجامعات بين أوساط الطلاب، ولم يكن أفضل من الإخوان لهذه المهمة في ذاك التوقيت، فتم عقد صفقه مع عمر التلمساني مرشد الإخوان المسلمين آنذاك تقضي بالسماح للجماعة بالعمل الدعوي دون الانخراط في العمل السياسي نظير الإفراج عن المعتقلين، وعدم الملاحقة الأمنية، وقد قبل التلمساني ذلك وسار الأمر كما خطط له السادات فلم يمضي عامان إلا وكانت التيارات الدينية قد سيطرت على اتحادات الطلاب في كل جامعات مصر تقريبا<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: البحث عن الذات، محمد أنور السادات، ص (٣٦)، ط (١)، ١٩٧٨م، نشر المكتب المصري الحديث، القاهرة.

(٢) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٨).

حاول عمر التلمساني استغلال هذه الهدنة التي منحت للإخوان المسلمين فرصة جديدة، فترا أولاً من توجهات وتفسيرات سيد قطب حيث قال: "ومما سهل للطغاة فرص المهاجمة والاتهام؛ تعرض البعض لتفسير القرآن على غير علم، وحسب الهوى، وهو الأمر الذي طهر الله منه الإخوان المسلمين، ذلك أنهم لم يتلقوا تفسيراً معيناً عن إمامهم الشهيد، ولا غيره وكل عمدتهم في التفسير ما حوته كتب التفسير المعتمدة: كابن كثير، والقرطبي، والفخر الرازي، والطبري والألوسي والكشاف، ومن على مثل هؤلاء الفحول الأعلام، وبهذا كان يأمرهم الإمام الشهيد حسن البنا"<sup>(١)</sup>.

لم يكن هذا الكلام بلا شك عن قناعة وإنما كان - كالعادة - هدفاً مرحلياً رغبة في الاعتراف الرسمي بالجماعة من قبل الدولة، وهو ما لم يتمكن الإخوان المسلمون من تحقيقه بشكل كامل، فقد كان السادات متسامحاً مع نشاط الجماعة واعترف بوجودها في المجال العام، ولكنه لم يوافق على إعطائها الشرعية القانونية<sup>(٢)</sup>.

جدير بالذكر أن الإخوان المسلمين وعلى رأسهم مرشدهم الثالث عمر التلمساني لم تتخل لحظة عن حلم الحكم والسلطة بدليل ظهور الوجه القبيح لعمر التلمساني تجاه السادات بعد ما تأكدت الجماعة أن الأمر لم يكن ليعود اتفاقية حقق بها السادات مكتسبات سياسية دون أن تحقق الجماعة من ورائها ما تحلم به وتصبو إليه وهو الاعتراف بها، ليمثل هذا الاعتراف نقطة الانطلاق نحو الصعود السياسي، ومباشرة الحقوق الدستورية، عندئذ انكشف الوجه الآخر الذي تمثل في قول التلمساني عن السادات نفسه: "كان من بين ما أثار السادات علينا في خطابه الركيك أننا رفضنا القوانين

(١) انظر: أيام مع السادات، عمر التلمساني، ص (٢٦).

(٢) انظر: صراع على الشرعية الإخوان المسلمون ومبارك ١٩٨٢: ٢٠٠٧م، هشام العوضي، ص (٧٦:٧٧)، بدون طبعة، ٢٠٠٩م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

الوضعية، وطالبنا بتطبيق الشريعة الإسلامية، ويا له من ذنب عند السادات فظيع (١)».

وقد أكد عبد المنعم أبو الفتوح على ثورية خطاب الإخوان المسلمين في مواجهة السادات فقال: "كان خطابنا صارخا ثوريا في نقد النظام الحاكم، وفي دعوته لتطبيق شرع الله، في حين كان خطاب غيرنا يبدو فيه الميل للنظام" (٢).

وفي موضع آخر تكلم عن بداية نهاية أحلام الجماعة فيما يخص العمل السياسي، بعد أن آلت الجماعة على نفسها نقض ما تم الاتفاق عليه من الاكتفاء بالعمل الدعوي وترك التدخل في الشؤون السياسية حيث قال: "أسفرت الأمور عن تضييقات على الأنشطة والمعسكرات الطلابية، بل بدأت تصادر المطبوعات الطلابية التي كانت تمر قبل ذلك ببسر وسهولة، وبعد توقيع معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني ١٩٧٩م، بدأت حملة قوية ضد الحركة الإسلامية، وبدأ الصدام يحتدم، وبدأت سياسة التضييق الأمني دليلا على تغير الأجواء بين السادات والحركة الإسلامية عموما" (٣).

وهكذا بان أن أحلام الجماعة بممارسة العمل السياسي طغت على توجهاتهم، وأن ما عقده التلمساني مع السادات لم يكن إلا ضرورة فرضها الواقع حتمت على الجماعة الدخول في مرحلة التكيف المؤقت مع البيئة السياسية القائمة.

الحقيقة أن فكرة الخلافة والحكم لا يمكن الظن بأنها غابت ولو لحظة عن فكر جماعة الإخوان المسلمين في هذه الفترة من عمر التاريخ، بل يمكن القول أن الجماعة كانت تتمدد وتنكمش في خطابها - كما علمنا - طبقا لمفردات الواقع وظروف المرحلة، وفي

(١) انظر: أيام مع السادات، عمر التلمساني، ص (٢٢).

(٢) انظر: عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠: ١٩٨٤م، حسام تمام، ص (٥٥)، ط (٢)، ٢٠١٢م، دار الشروق، القاهرة.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص (١١٠).

هذا السياق يقول حسام تمام<sup>(١)</sup>: "شكل موضوع الدولة لدى الإسلاميين يكاد يكون ثابتاً، بل إن أيديولوجيا الإسلام السياسي قامت على فكرة الدولة الإسلامية منذ سبعينات القرن الماضي أكثر مما قامت على مفهوم سياسي واجتماعي آخر"<sup>(٢)</sup>.

ويخطئ خطأ فاحشاً من يظن أن الإخوان المسلمين من الممكن أن ينفصلوا فعليا عن فكرة استعادة الخلافة واستعادة السلطة، مجرد ابتعادهم عن التنظير لهذا الهدف في فترة من فترات عمر التنظيم، لأن هذا لا يعد إلا خطة كما ذكر سيد قطب في أدبياتهم، التي تمثل بالنسبة لهم التراث الحقيقي، ولأن الفكرة الأمية مكون رئيسي في المشروع الإخواني منذ أنشأ حسن البنا الجماعة ١٩٢٨م.

قال حسام تمام: "تطغى الرؤية الأمية للإخوان المسلمين عند تصورهم لدور مصر، فالرؤية الأمية مكون مهم في المشروع الإخواني منذ أنشأ البنا الجماعة ١٩٢٨م كرد فعل على انهيار الخلافة العثمانية، ثم أنشأ قسم الاتصال مع العالم الخارجي ليضع الفكرة موضع التطبيق، وفي الستينات والسبعينات لعب الإخوان الذين هاجروا خارج مصر في العالم العربي كما في أوروبا دورا مهما في تأسيس الفروع

(١) حسام تمام ١٩٧٢: ٢٠١١م، من أبرز الخبراء العرب في شؤون الإسلام السياسي، يعد تمام مؤسس أول مرصد متخصص لدراسة الحركات الإسلامية. بدأ عمله الصحفي بجريدة " آفاق عربية " وشغل منصب مدير تحرير قطاع الحركات الإسلامية أبرزها " مع الحركات الإسلامية لاین " صدر له عدة كتب وترجمات في الحركات الإسلامية أبرزها " مع الحركات الإسلامية في العالم: رموز وتجارب وأفكار " و " تحولات الإخوان المسلمين: تفكك الأيديولوجية ونهاية التنظيم " كان محاضرا في جامعة زيورخ وساهم في العديد من الإصدارات المتخصصة في الشرق الأوسط، بالتعاون مع عدد من الجهات البحثية الأوروبية. انظر: الترجمة بمقدمة كتاب الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، ط (٢)، ٢٠١٣م، دار الشروق، القاهرة.

(٢) انظر: الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، حسام تمام، ص (١٦٣)، ط (٢)، ٢٠١٣م، دار الشروق، القاهرة.



الإقليمية لحركة الإخوان المسلمين وهي الفروع التي تولى مصطفى مشهور مرشد الجماعة لاحقاً، مهمة تجميعها تحت قيادة الجماعة الأم في مصر باسم التنظيم الدولي للإخوان المسلمين عام ١٩٨٢م، وهكذا يمكن الجزم أن قسماً مهماً من الإخوان لا يزالون يفكرون بمنطق الخلافة الإسلامية ويتجاوزون حدود مصر حين يتعلق الأمر بالقضايا الإسلامية لاسيما بالقضية الفلسطينية، ورغم إصرارهم على كونهم جزءاً من الحركة الوطنية المصرية إلا أن الجذور الأهمية لا تزال كامنة منذ مرحلة تنشيط التنظيم الدولي للإخوان في الثمانينيات ويجري استحضار شعار البنا عن مفهوم أستاذية العالم الذي يشير إلى هدف استعادة الخلافة الإسلامية كتعبير عن الرؤية العالمية في فكر الإخوان كجزء من المشروع السياسي للحركة على الرغم من أن هناك تحولات مهمة طالت التنظيم والأيدولوجيا الإخوانية مع مطلع الألفية الجديدة<sup>(١)</sup>.

في أواخر العهد الساداتي بدأت الجماعة تستقوي بالمفردات المتاحة، وتستغل الآثار الاجتماعية التي ترسبت على سياسة التحرير الاقتصادي التي اتبعتها السادات كالبطالة والفقر وانحسار الخدمات، حيث مثلت لها هذه الآثار أرضاً خصبة للحركة والتعبئة، واستفادت من ركائز اجتماعية وثقافية وفكرية متاحة دعمتها وشجعته<sup>(٢)</sup>.

أدى الصدام الذي انتهى به العهد الساداتي بين الجماعة والجهات الأمنية لخروج الفكر القطبي من بيانه الشتوي، هذا الفكر الذي لم يغب كخيار استراتيجي دائم في وجدان الجماعة، حيث ظهرت بقوة جماعة الجهاد، والجماعة الإسلامية مما كان له الأثر المباشر في اغتيال رأس النظام آنذاك الرئيس محمد أنور السادات.

(١) انظر: الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، حسام تمام، ص (١٧٨:١٧٩).

(٢) انظر: دراسات نقدية في علم الاجتماع، عبد الباسط عبد المعطي، ص (٤٣٤)، ط(١)،

٢٠١٤م، دار العين للنشر، العين.

وهكذا تلخصت الفترة الساداتية في الآتي:

١- قبول عمر التلمساني لعرض السادات لم يكن إلا خطة استراتيجية فرضتها مفردات الواقع السياسي، كان الهدف منها إعادة بناء التنظيم، وتجنيد أعضاء جدد بعد فترة الاعتقال الطويلة التي صاحبت العصر الناصري لنهايته، حيث أخرجهم السادات بشكل تدريجي وأعاد إليهم ممتلكاتهم وأموالهم المصادرة، وسمح لهم بإقامة ندواتهم وإعادة مطبوعاتهم واللقاءات العامة، وممارسة كل الأنشطة.

٢- الهدف الأسمى للجماعة كان نبيل الاعتراف الرسمي من الدولة بالجماعة، لتبدأ الجماعة في الانطلاق نحو استعادة الحكم - الخلافة والسلطة في الفكر - ولما لم يحدث ذلك أظهرت الجماعة ما أخفته - تقية - من البداية - الرغبة في الاستيلاء على السلطة - وعادت لتتحرك انطلاقاً من قواعدها القطبية، وعندما علت الأصوات بانتقاد السادات تصدى لها بالحبس والتحفظ في السجون تارة أخرى، وهو الأمر الذي أعاد جماعة الإخوان المسلمين لممارسة العنف ومن ثم اغتيال رئيس مصر محمد أنور السادات في السادس من أكتوبر ١٩٨١م.

## المطلب الثاني:

### الإخوان المسلمون ومبارك " الصعود نحو السقوط ":

رغم تعامل الرئيس محمد حسني مبارك مع جماعة الإخوان المسلمين باعتبارها جماعة محظورة، إلا أنه اتبع أسلوباً جديداً في التعامل معها يختلف عن عبد الناصر والسادات، فقد سمح لكوادرها بممارسة العمل السياسي، وتأسيس الجمعيات الأهلية، والترشح في النقابات المهنية.

أحسن الإخوان المسلمون استغلال الفرض المحدودة لهم في عهد مبارك، من خلال تكوين شبكة علاقات قوية مع القوى المدنية والسلفية على حد السواء، فكانت الطرف المعارض على حساب الجميع<sup>(١)</sup>.

يمكن القول أنّ علاقة الإخوان المسلمين بالدولة المصرية في عهد مبارك مرت بثلاث مراحل:

#### المرحلة الأولى: مرحلة التجاهل والتسامح منذ اغتيال الرئيس السادات ١٩٨١م

كان الهدف الرئيسي للدولة هو تفكيك حالة التوتر التي أعقبت الاغتيال، على أن يتضمن ذلك خلق شرعية جديدة للحكم تقوم في جوهرها على فكرة المصالحة الوطنية، والتفاعل مع القوى السياسية المصرية الرئيسية، وقد أدى ذلك لتمتع الإخوان المسلمين بقدر واسع من حرية الحركة والتعبير، دون أن يصل ذلك للاعتراف الرسمي بشرعية وجودهم<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ص (٣٣٩).

(٢) انظر: دليل الحركات الإسلامية في العالم، ضياء رشوان، ص (٤٢)، بدون طبعة، ٢٠٠٦م، مركز

الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.

في تلك المرحلة استطاع الإخوان دعم وجودهم السياسي والشعبي بمصر، ومدوا نفوذهم لقطاعات مؤسسات سياسية عريضة مثل: مجلس الشعب، والنقابات المهنية، واتحاد الطلاب بالجامعات المصرية، ونوادي هيئات التدريس.

بانتهاى انتخابات مجلس الشعب ١٩٨٧م كانت قوة الإخوان قد تنامت في ظل تحالفهم مع حزبي العمل والأحرار تحت شعار " الإسلام هو الحل " .

### المرحلة الثانية: التخوف والاحتكاك:

في هذه المرحلة بدأت الدولة إيقاف زحف الإخوان المسلمين داخل النقابات المهنية عن طريق تجميد بعضها وإثارة المشكلات داخل بعضها الآخر، والتي بدأ الإخوان يتصرفون خلالها باعتبارهم شبه قوة شرعية في البلاد<sup>(١)</sup>.

في هذه المرحلة وتحديدًا عام ١٩٩٢م استطاع الإخوان المسلمون السيطرة على مجلس نقابة المحامين الذي ظل حكرًا طيلة تاريخها على التيارين الليبرالي والحكومي، مما زاد من تخوف الدولة منهم، وفي منتصف العام نفسه اندلعت الموجة الأكثر شراسة للعنف الإسلامي الذي قام بها كل من الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد، والتي أخذت الدولة على الإخوان ما أسمته عدم إدانتهم لها والاكتفاء ببيانات عامة فضفاضة، وهكذا انتقلت علاقة الإخوان بالدولة منذ ١٩٩٣م وحتى قبيل ثورة يناير ٢٠١١م لمرحلة جديدة.

### المرحلة الثالثة: التدهور والصدام

دخلت الدولة في مواجهه واسعة مع الجماعة في الوقت الذي كانت قد انتشرت فيه في قطاعات المجتمع السياسي والنقابي<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: دليل الحركات الإسلامية في العالم، ضياء رشوان، ص (٤٢).

(٢) انظر: المرجع السابق، ص (٤٢).

وقد تزامن ذلك مع موجة العنف الإسلامي الواسعة الحادة الأمر الذي رأت فيه الدولة وجهين لظاهرة واحدة: هي الصحو الإسلامية التي لم يكن فيها ثمة فروق بين جماعة الإخوان وجماعات العنف الإسلامي.

أيقن مبارك كون جماعة الإخوان المسلمين هي المسؤولة عن عمليات العنف التي طالما عانت منها البلاد، وأنه ما من جماعة إرهابية إلا وخرجت من عباءة الإخوان، ففي قوله لمحرة صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية عن الجماعات الإسلامية جاء: "أما غير مقلقة ونحن اعتدنا على ذلك بمصر، دعيني أقول لك بكل صراحة إن مشكلة الإرهاب برمتها في الشرق الأوسط هي منتج ثانوي للإخوان المسلمين حتى الجهاد وحزب الله في لبنان وحماس بفلسطين كلهم خرجوا من مظلة الإخوان المسلمين، إنهم يعلنون إدانتهم للعنف، ولكن الحقيقة أنهم مسؤولون عن كل عمليات العنف، وسيأتي الوقت الذي سينكشفون فيه" (١).

هكذا أدى التصور الصحيح لمبارك لمراجعة كوادر الجماعة لمنطلقاتها السياسية فيما يخص الدولة والحكم، وقد عملت هذه المراجعات على تصور عمل إسلامي جديد في منطلقاته اجتمع عليه ما يربو على المائة وخمسين شخصية إخوانية، وقد نتج عن ذلك وثيقة تحت عنوان "نحو تيار إسلامي جديد" جاء فيها: "إن كثيراً من الداعين للإسلام والمتحدثين عن مبادئه وقيمه ونظمه وثقافته يتحدثون عن عبارات عامة وغامضة عما يسمونه الحل الإسلامي، وعن منهج الله مقابل المناهج البشرية، وعن الحاجة إلى أسلمة الحياة وأسلمة المعرفة وأسلمة العلوم، ثم لا يزيدون، ولا يعرضون على الناس عناصر هذا المنهج، ومكونات ذلك الحل، ووسائل وضعه موضع التنفيذ" (٢).

(١) انظر: الحالة الدينية في مصر، نبيل عبد الفتاح، ص (١٧٧)، بدون طبعة، ١٩٩٥م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.

(٢) انظر: رؤية إسلامية معاصرة "إعلان مبادئ"، أحمد كمال أبو المجد، ص (٦)، بدون طبعة، ١٩٩١م، دار الشروق، القاهرة.

واستمرارا لرغبة الإخوان المسلمين في تحييد النظام السياسي من أجل المضي قدما في هدوء - ولو مؤقتًا - لتحقيق مساعيها تقدّم أبرز كوادرها وهو عصام العريان - القيادي البارز في جيل الوسط والعضو السابق بمجلس الشعب - وطالب الجماعة بمراجعة قواعدها الفكرية خاصة في أعقاب أحداث ١١/٩/٢٠٠١م جاء فيها: "أن الأوان لتطوير برامج الإخوان المسلمين وخطط عملهم لاعتماد المصالحة مع النظام الحاكم والمشاركة مع القوى السياسية، وهذا شرط أساسي للإصلاح، فلا يمكن أن يتم إصلاح دون تحقيق نوع من الهدوء في العلاقة بين الإخوان المسلمين والنظم الحاكمة"<sup>(١)</sup>، وعن كيفية إبرام مصالحة مع النظام ووسائل تلك المصالحة يرى العريان الآتي: "إن الوسائل مطروحة للتفكير فيها بعمق ومنها على سبيل المثال دعوة النظام الحاكم في مصر، بعد أن أعلن في بداية التسعينيات أنه ليس على استعداد لتكرار تجربة الجزائر في مصر، إلى دراسة تجربة المغرب الذي يتمتع باستقرار سياسي، واستطاع أن يستوعب التيار الإسلامي، وأن يجيد التيارات الأخرى الراضية للأوضاع" كالعادل والإحسان " مع الاعتراف بالطبع بأن مصر لها خصوصيتها"<sup>(٢)</sup>.

لا شك أنه أصبح غنيًا عن البيان أن كل محاولة تهدئة من الإخوان المسلمين لا تعدو عن كونها مهادنة مرحلية وخطة - كما سماها سيد قطب -، فالتاريخ أصبح محفوظًا ومثل هذه الاستراتيجيات أصبحت لا تخفى على كل كَيِّس فطن.

من هنا تتابعت المبادرات الداعية للتهدئة من الكوادر القيادية الإخوانية، ومن هذه المبادرات المهمة تلك التي أطلقها مختار نوح - أمين الصندوق السابق لنقابة المحامين، والعضو السابق بمجلس الشعب عن الجماعة - والتي جاء فيها: "إن الأزمة بين الإخوان

(١) انظر: رؤية إسلامية معاصرة "إعلان مبادئ"، أحمد كمال أبو المجد، ص (٦).

(٢) انظر: المرجع السابق ص (٦).

والدولة تتلخص في وجود رسائل زائفة بين الطرفين، فالحكومة لديها رسائل مفادها أن الإخوان طلاب سلطة يريدون الحصول على الحكم بأي طريقة، وأنهم يُعدون أنفسهم كبديل للنظام، بينما تصل إلى الجماعة رسائل مفادها أن النظام يسعى لاستئصالها تماماً، وأن كلتا الرسلتين غير صحيحة، فلا الحكومة تريد استئصال الجماعة، ولا الجماعة تريد الوصول للسلطة، أو تُعد نفسها بديلاً عن النظام، وتلك الرسائل تصل من خلال عدة طرق بعضها حسن النية ولكنه مليء بالأخطاء، والبعض الآخر سيء النية يأتي من داخل أجهزة الأمن، حيث هناك كثيرون لا يريدون لهذه الأزمة أن تُحل، ولا لهذا الملف أن يُغلق وبالتالي فهم يقومون بدورهم في إزكاء روح الفتنة بين الطرفين<sup>(١)</sup>.

وبمثل هذه المبادرات سبق عبد المنعم أبو الفتوح بإعلان نبذ الجماعة لفكرة العنف كسبيل من سبل تحقيق الأهداف - يقصد الوصول للسلطة -، وكذلك ترك الجماعة للعمل السري وإعلان كونها جماعة علنية حيث قال: "وأتصور أن نبذ فكرة استخدام العنف تم داخل الجماعة تدريجياً، ومع دخولها في العمل العام حتى انحسرت تماماً إلا - ربما - في قنوات مستترة لبعض الأفراد القليلين الذين لا يجدون سبيلاً لنشرها داخل الجماعة، فضلاً عن الدعوة إليها علانية، وقد تم هذا الحسم بتدرج وهدوء، ولم تضطر الجماعة فيه لتكرار ما فعله الأستاذ حسن الهضيبي مع فتنة التكفير في نهاية الستينيات.

أما القطع مع العمل السري، وحسم قضية علنية الجماعة ورفضها للسرية فقد تم بشكل رسمي ومكتوب عام ١٩٨٧م، حيث اجتمعت كل قيادات الجماعة من

(١) انظر: التيار التجديدي في الإخوان المسلمين، جمال سلطان، ص (٣٦)، ط (٢)، ٢٠٠٢م، المنار الجديد، القاهرة.

مسؤولي المحافظات لأعضاء مكتب الإرشاد، وتداولنا هذه القضية وظهر ما يشبه الإجماع على الإقرار بعلنية الجماعة ورفض العمل السري، وخرجنا منها بوثيقة رسمية مكتوبة عرفت باسم " جماعة الإخوان المسلمين جماعة علنية "، أقرَّ بها مكتب الإرشاد، وأرسلت لكل أقسام الجماعة، ومكاتبها الإدارية للالتزام بما جاء فيها<sup>(١)</sup>.

وهكذا يلاحظ المتابع لمسار حركة الإخوان المسلمين - في مراحلها المختلفة - أنها حاولت جهودها تقديم أفكار جديدة في وثائق وبيانات موجهة للأمة مفادها - ولا شك - تعطيل العمل لتحقيق الحلم القديم - السلطة -، وطرح فكرة الخلافة نهائيا من الخطاب الإخواني، والعمل لأجل السلطة في إطار العمل الحزبي وتداول السلطة، حيث كان من أهم المتغيرات واتجاهات التحول داخل الجماعة فيما يخص تداول السلطة، وقد كان السؤال المطروح دوما وماذا لو وصلت جماعة الإخوان المسلمين لحكم مصر هل يسمحون بالتعددية في ظل وجود أحزاب مخالفة لهم في الفكر والتوجه؟.

في هذا الإطار أجاب عصام العريان فقال: " هناك إمكانية لتداول السلطة بين كل التيارات الموجودة التي تلتزم بالدستور والقانون، وهنا لا تكون ثمة مشكلة في تبادل السلطة، وأضاف إن الابتكار الغربي لمسألة تداول السلطة لا بد من النظر إليه بإيجابية، وبحث إمكانية الإفادة منه لمنع الصراعات التي عرفتها المجتمعات قديما وحديثا حول الوصول للسلطة"<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠: ١٩٨٤م، حسام تمام، ص (١٢٩:١٣٠).

(٢) انظر: التيار التجديدي في الإخوان المسلمين، جمال سلطان، ص (٣٩).



هكذا أكد هذا الجيل على الانخراط في العمل السياسي بمفرداته على الأرض، والتخلي - ظاهرياً - عن فكرة الخلافة التي طالما سيطرت على أفكار ومبادئ حسن البنا، وأصل وقعد لها سيد قطب حتى تسببت في خراب المجتمعات، وانهايار أمن البلاد.

وفي ظل تدهور الأوضاع الاقتصادية في نهاية عهد مبارك استغل الإخوان المسلمون ذلك مما أدى لزيادة نشاطاتهم، واستطاعت الجماعة أن تكسب أعداداً كبيرة من مؤيديها، وكترست في الحس العام المشترك للمصريين أنها أكثر القوى التي دفعت ضريبة النضال، واكتسبت شعبية واحترام عدد كبير من الجماهير، ومكنتها الأجواء العامة بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م من الوصول للحكم الذي حلمت به كثيراً، وعملت له أمداً طويلاً منذ نشأتها، لكنهم سرعان ما انهاروا بالرغم من جهادهم الطويل لأجل هذه اللحظة لعدم قدرتهم على استيعاب مركبات الدولة المختلفة، وأطيافها المتعددة ورغبتها في الاستئثار بالتحكم في مفاصل الدولة، مع استبعاد عناصر الخبرة والكفاءة والرغبة في الاستحواذ على أزمّة الأمور دون سائر أطياف الدولة المصرية فكان تحقيقهم لحلمهم القديم ليس إلا صعوداً سريعاً نحو السقوط.

## الخاتمة

## النتائج:

١- مشكلة استعادة الخلافة والحفاظ عليها بعد الاسترداد ظلت هاجسًا مقلقًا في خطاب الإسلام السياسي عموماً وخطابات جماعة الإخوان المسلمين على وجه الخصوص كما كان ذلك بين في خطابات ورسائل المرشد الأول حسن البنا وكل مرشدي الجماعة عموماً وإن داهن البعض كحسن الهضيبي، واحتلت كذلك مساحات كبرى في كتابات منظرّينهم وعلى رأسهم سيد قطب وعبد القادر عودة.

٢- مسألة الانفصال عن السلطنة العثمانية أو الخلافة عموماً لم تكن بدعة أتى بها مصطفى كمال أتاتورك ليست لها سوابق تاريخية، بل كانت تواصلًا مع تقاليد التاريخ الحقيقي العميقة في ممارسة الخلافة التي تجمع بين السلطين الدينية والسياسية التي امتدت من عصر الخليفة العباسي الرشيد (٧٨٦: ٨٠٨م/ ١٧٠: ١٩٣هـ) إلى عصر عبد الحميد الأول السلطان العثماني (١٧٧٤: ١٧٨٩م/ ١١١٨: ١٢٠٤هـ)، أي حوالي عشرة قرون ميلادية وإحدى عشر قرناً هجرية، في هذه الفجوة الزمنية الكبيرة تحولت الخلافة إلى رمز ديني لا فعالية له في الواقع السياسي، حيث في هذه الفترة تحولت السلطة الفعلية من أيدي الخلفاء وممثلهم لبعض حكام الأقاليم الذين تمتعوا بقدر من الاستقلال الذاتي مع الاعتراف بسلطة الخليفة العباسي في بغداد، فقامت دولة بني طاهر ومؤسسها طاهر بن حسين الخراساني قائد جيوش المأمون ضد أخيه الأمين، وعاصمتها مرو بخراسان في الفترة من ٨٢٠: ٨٧٢م، ثم قامت دولة بني الأصغر في الفترة من ٨٧٦: ٩٠٨م، وقامت دولة بني سامان على أنقاض دولة بني الأصغر في خراسان واستمرت حتى ٩٩٩م، وهكذا تقضي السوابق التاريخية بجواز قيام الدول طالما تحققت وحدة الإسلام، وقد كانت مصر

سبابة لذلك عندما استقلت مع اعتراف رمزي بسلطة الخليفة العباسي تحت حكم ابن طولون.

٣- الحق أن الدين الإسلامي بريء من تلك الخلافة المزعومة في منهج الإخوان المسلمين، تلك الخلافة التي لم يكن ثمة هدف منها إلا الاستيلاء على الحكم والتحكم في مراكز اتخاذ القرار، فالأمر جميعه لم يعدو عن كونه خطأً سياسيةً صرفة لا شأن للدين بها.

٤- لم تكن الحركة العثمانية التاريخية إلا ملكاً أو سلطنة اندرجت تحت عنوان الخلافة، وهي ليست من الخلافة في شيء حقيقة، وما أصاب الأمة من تفرق وتشرذم في الحقيقة لم يكن إلا جُزءاً منهجها السياسي في أواخر عهدها، ومن مقتضيات البصيرة أن تتمسك الأمة بسلطتها الشعبية التي دخلت في يدها، ولا تفرط في هذه النعمة العظيمة بأي طريقة كانت، وأن تحافظ عليها بكل قواها، وأن تسعى في إرجاعها إلى وضعها الأصلي الطبيعي.

٥- لا يصح قطعاً تقييد الحكومات التي هي مضطرة لتدبير شؤون ومصالح العباد حسب مقتضيات الزمان والمصلحة العامة بأقوال الفقهاء الجامدة، والناس لم يكونوا مقيدين بمذهب أحد من المجتهدين في أوائل الإسلام، إذ كانوا يسألون أحد المجتهدين عن حكم مسألة ثم يسألون غيره في اليوم التالي عن مسألة أخرى، ويعملون بقول من يحقق مصلحة دنياهم، وما ادعى مجتهد لزوم عمل الناس باجتهاده، والكل كان يعلم بفطرته وأحكام دينه البينة أنه لا صلاحية لأحد لوضع الأحكام برأيه المجرد باسم الشريعة سوى الشارع الأعظم.

٦- من يتتبع حركة تنظيم الإخوان منذ تأسيسه في أواخر العشرينيات حتى يومنا هذا، يرى أن العنف جزء لا يتجزأ من استراتيجية التنظيم في سبيل الوصول إلى السلطة، وما قد يتغير هو شكل هذا العنف الممارس تجاه المعارضين لهجهم، والغطاء الذي يتخذه

في سبيل تبرير هذا العنف أو التملص منه عبر إصاقيه في تنظيمات صغيرة، لكنها على كل حال هي أدوات في يد التنظيم، وتظهر خطورة أيديولوجية في كونها دستورا لكثير من التنظيمات الإرهابية، مثل داعش والقاعدة.

## التوصيات:

١- ينبغي أن تُولي الحكومات الإسلامية المختلفة اهتماما خاصا بالشباب لاسيما الفئة العمرية الصغيرة التي تتراوح من ١٥ : ٢٥ سنة، حيث تمثل هذه الفئات خمس سكان العالم، فتحتضنهم سياسيا عن طريق المؤتمرات والندوات الثقافية والدعوة عند بلوغ السن المناسب للمشاركة السياسية، ولا يترك الشباب فريسة لجماعات الإسلام السياسي لإشباع النهم وملء الفراغ السياسي.

لقد أقر المجتمع الدولي بأهمية مشاركة الشباب في النظم السياسية، بما في ذلك عدة اتفاقيات دولية، وقرارات صادرة عن الأمم المتحدة وانسجاما مع هذه الالتزامات تم وضع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للشباب كقوة إيجابية لتحقيق التغيير الاجتماعي التحويلي، ويهدف إلى المساعدة على تحسين المشاركة السياسية للشباب.

٢- ينبغي التأكيد على أن المعرفة المطلوبة لتنظيم شؤون الدنيا مستقلة منطقيا عن المعرفة الدينية، وهي ليست ذات مكونات ثابتة، وأنها تتغير بتغير ظروف البشر وتغير أجهزتهم المفاهيمية، وعلى افتراض وجود أمر إلهي بتنظيم شؤون الدنيا على نحو معين، فإن هذا الأمر ينبغي فهمه على أنه أمر شرطي، لا مطلقا، حسبما تمليه علينا الظروف التاريخية، وهو ما يفتح باب الاجتهاد واسعا أمام العقل على أساس مبدأ العدالة والمصالح المرسله التي سبق واتبعها الفقهاء من قبل.

٣- لا ينبغي للأنظمة الإسلامية أن تترك أمر سقوط الإسلام السياسي للظروف والوقت، بل ينبغي توعية الشعوب بفشل هذا الفكر، وبيان كونه لا يحمل مشروعا نهضويا كما يزعم أصحابه بالأبحاث العلمية والمكاتبات تارة والمناظرات تارة أخرى، وألا تخلو مناهج التعليم من التنظير لهذه القضية الخطيرة حتى يقع في وجدان النشء ما ينبغي عليهم اعتقاده تجاه هذا التيار، إذ أثبتت السنوات الأخيرة، أن المشروع في بنيته الرئيسة متهاافت لدرجة لا تؤهله ليكون مشروعا للحكم يقدم البديل للدولة العربية المتأزمة، على العكس

أظهرت التجربة الإسلامية أن المشروع الذي حملته حركات الإسلام السياسي يزيد الواقع مأساة، إذ هو منفصل بقدر كبير عن متطلبات الواقع وما يمليه، ويميل في معظمه للشعاراتية والتبجح الخطابى الذي لا تدعمه برامج ومشاريع واضحة للتحديث.

٤- يجب على العلماء بشقي العلم: - شرعي وتطبيقي - العمل بجد على بيان ظلامية الفكر الإسلاموي بين السياسي والدعوي، وبيان كون هذه القوى الظلامية تقف دوماً، في كل مراحل التاريخ دون حركة التطور البشري محاولة جهدها أن تلجم قوى التطور وتشل فيها عصب الحياة والحركة كي تستبقي التاريخ في مرتكز مصالحها الخاصة رغم مناقضاتها لمصالح الشعوب، ورغم أن الشعوب هذه نفسها هي التي تصنع لتلك القوى الظلامية مصالحها.

٥- ينبغي تركيز المراكز البحثية والهيئات العلمية على التنظير للاستبداد الديني، وبيان كونه أشد أنواع الاستبداد خطورة؛ لأنه قائم على الوثوقية العمياء، وعلى نهج التهويل لزرع الرعب الذي تتغذى منه في النفوس، تمهيداً للإطباق على المجتمع وإخضاعه للسيطرة المطلقة؛ والديكتاتورية الدينية أخطر أنواع الديكتاتوريات لأن لها جرعة زائدة في العنف والإرهاب والتعصب الذي لطالما عانت الأمة منه، ولم يأت إلا بمزيد من تراجع سمعة الإسلام كديانة على المستوى العالمي.

## فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم
- ٢- الاتجاهاات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ط(٢)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، دار الحمامي للطباعة، الإسكندرية.
- ٣- الإخوان المسلمون بين التاريخ والمستقبل كيف كانت الجماعة وكيف تكون، وحيد عبد المجيد، ط(١)، ٢٠١٠م، الأهرام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٤- الإخوان المسلمون سنوات ما قبل الثورة، حسام تمام، ط(٢)، ٢٠١٣م، دار الشروق، القاهرة.
- ٥- الإخوان المسلمون تفكك الإيديولوجية ونهاية التنظيم، حسام تمام، ط(٢)، ٢٠١٠م، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- ٦- الإخوان والسلفيين الماضي والحاضر، عبد الناصر يونس، ط(١)، ٢٠١٢م، دار كلمات عربية، القاهرة.
- ٧- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، ط(١)، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، دار الجيل، بيروت.
- ٨- الإسلام والحضارة الغربية، محمد محمد حسين، ط(١)، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، دار الإرشاد، بيروت.
- ٩- الأعلام، الزركلي، ط(١٥)، ٢٠٠٢م، دار العلم للملايين، بيروت.
- ١٠- الاقتصاد في الاعتقاد، أبو حامد الغزالي، ط(١)، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١١- أوراق من تاريخ الإخوان المسلمين، جمعة أمين عبد العزيز، ط(١)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
- ١٢- أيام مع السادات، عمر التلمساني، ط(١)، ١٩٨٤م، دار الاعتصام، القاهرة.

- ١٣ - أيام من حياتي، زينب الغزالي، ط(١)، بدون تاريخ نشر، دار كنوز، القاهرة.
- ١٤ - البحث عن الذات، محمد أنور السادات، ط(١)، ١٩٧٨م، نشر المكتب المصري الحديث، القاهرة.
- ١٥ - التاج المكمل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، البخاري القنوجي، ط(١)، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية.
- ١٦ - تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، محمد رشيد رضا، ط(١)، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م، مطبعة المنار، القاهرة.
- ١٧ - تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بركلمان، ترجمة: نبيه فارس، ومنير البعلبكي، ط(٧)، ١٩٧٧م، دار العلم للملايين، بيروت.
- ١٨ - تكملة معجم المؤلفين، محمد خير بن رمضان، ط(١)، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ١٩ - التيار التجديدي في الإخوان المسلمين، جمال سلطان، ط(٢)، ٢٠٠٢م، المنار الجديد، القاهرة.
- ٢٠ - جمال الأفغاني الأعمال الكاملة، محمد عمارة، بدون طبعة ١٩٧٩م، دار الفكر الحديث، بيروت.
- ٢١ - الحالة الدينية في مصر، نبيل عبد الفتاح، بدون طبعة، ١٩٩٥م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.
- ٢٢ - الحركات الإسلامية المعاصرة في المشرق العربي "دراسة تاريخية سياسية"، بشار حسن يوسف، ط(١)، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، نشر جامعة الموصل، الموصل.
- ٢٣ - حسن البنا الذي لا يعرفه أحد، حلمي النمنم، ط(١)، ٢٠١١م، مكتبة مدبولي، القاهرة.



- ٢٤- حسن البنا مؤسس حركة الإخوان المسلمين، رفعت السعيد، ط(١)، ١٩٨٦م، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.
- ٢٥- حقيقة التنظيم الخاص ودوره في دعوة الإخوان المسلمين، محمود الصباغ، ط(١)، ١٩٨٩م، دار الاعتصام، القاهرة.
- ٢٦- حكام مصر، محمود فوزي، ط(١)، ١٩٩٧م، مركز الياة للنشر والإعلام، القاهرة.
- ٢٧- حلف الشيطان الإخوان المسلمين وتحالفاتهم، أحمد البكري، ط(١)، ٢٠١٨م، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٢٨- خاطرات جمال الدين الأفغاني، محمد المخزومي، ط(٢)، ١٣٨٥هـ، دار الفكر الحديث، بيروت.
- ٢٩- الخلافة، محمد رشيد رضا، بدون طبعة ٢٠١٣م، مؤسسة هنداي للتعليم والثقافة، القاهرة.
- ٣٠- خيول الظلام قطر والإخوان المسلمين والشرق الأوسط الجديد، علي الصراف، ط(٢)، ٢٠١٧م، إي، لندن.
- ٣١- دراسات نقدية في علم الاجتماع، عبد الباسط عبد المعطي، ط(١)، ٢٠١٤م، دار العين للنشر، العين.
- ٣٢- دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، بدون طبعة، ١٣٧٩هـ/١٩٧٧م، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.
- ٣٣- دليل الحركات الإسلامية في العالم، ضياء رشوان، بدون طبعة، ٢٠٠٦م، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة.
- ٣٤- ذكريات لا مذكرات، عمر التلمساني، بدون طبعة، دار الاعتصام، القاهرة.

- ٣٥- رؤية إسلامية معاصرة "إعلان مبادئ"، أحمد كمال أبو المجد، بدون طبعة، ١٩٩١م، دار الشروق، القاهرة.
- ٣٦- زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، ط(٤)، ١٩٧٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
- ٣٧- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ط(١)، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض.
- ٣٨- سنن ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، بدون طبعة، دار إحياء الكتب العربية، بيروت.
- ٣٩- السيناريوهات المحتملة لمستقبل جماعة الإخوان المسلمين، أحمد موسى بدوي، ط(١)، ٢٠١٤م، دار وليد للطباعة والنشر، القاهرة.
- ٤٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، الطبري الرازي اللالكائي، ط(٨)، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، دار طيبة، السعودية.
- ٤١- شرح المواقف، الشريف الجرجاني، ط(١)، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٤٢- صحيح الجامع الصغير وزياداته، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، بدون طبعة، المكتب الإسلامي، دمشق.
- ٤٣- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، بدون طبعة، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٤٤- صراع على الشرعية الإخوان المسلمون ومبارك ١٩٨٢: ٢٠٠٧م، هشام العوضي، بدون طبعة، ٢٠٠٩م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- ٤٥- عبد المنعم أبو الفتوح شاهد على تاريخ الحركة الإسلامية في مصر ١٩٧٠: ١٩٨٤م، حسام تمام، ط(٢)، ٢٠١٢م، دار الشروق، القاهرة.

- ٤٦ - العدالة الاجتماعية، سيد قطب، ط(٥)، دار الشروق، القاهرة.
- ٤٧ - العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ط(١)، ١٣٨٩هـ/١٩٧٠م، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٤٨ - فاروق وسقوط الملكية، لطيفة سالم، ط(٢)، ١٩٩٦م، مكتبة مدبولي، القاهرة.
- ٤٩ - فرسان تحت راية النبي، أيمن الظواهري، ط(١)، بدون دار نشر.
- ٥٠ - فريدة ملكة مصر تروي أسرار الحب والحكمة، فاروق هاشم، ط(١)، ١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.
- ٥١ - الفكر التربوي وتطبيقاته لدى جماعة الإخوان المسلمين، أحمد ربيع عبد الحميد خلف الله، ط(١)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، مكتبة وهبه، القاهرة.
- ٥٢ - في ظلال القرآن، سيد قطب، ط(١٠)، ١٩٨٢م، دار الشروق، بيروت.
- ٥٣ - قراءة في كتاب دعاة لا قضاة، صلاح الصاوي، كتاب إلكتروني.
- ٥٤ - كلمة حق، عمر عبد الرحمن، ط(١)، ١٩٧٧م، دار الاعتصام، القاهرة.
- ٥٥ - الماسونية بلا قناع، أبو صادق، بدون طبعة، ١٩٦٧م، دار البصري، بغداد.
- ٥٦ - مجموعة رسائل الإمام حسن البناء، حسن البناء، بدون طبعة، ١٩٩٩م، دار الدعوة للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
- ٥٧ - مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، ط(١)، ١٤٠٢هـ/١٩٨٤م، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق.
- ٥٨ - مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة محمد حرب عبد الحميد، بدون طبعة، ١٩٧٨م، دار الأنصار، القاهرة.
- ٥٩ - مصطفى النحاس، عباس حافظ، بدون طبعة، ٢٠١٣م، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة.

- ٦٠- مصطفى كمال أتاتورك، أحمد صبري هيبه، بدون طبعة، ٢٠١٤م، جامعة بنها، الدقهلية.
- ٦١- معالم في الطريق، سيد قطب، ط(١٠)، ١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت.
- ٦٢- معالم في الطريق، سيد قطب، ط(٦)، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، دار الشروق، القاهرة.
- ٦٣- معركة الإسلام والرأسمالية، سيد قطب، ط(١٣)، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، دار الشروق، القاهرة.
- ٦٤- الملك فاروق والخلافة الإسلامية، أمل فهمي، ط(٢)، ٢٠١٢م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ٦٥- من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، ط(٨)، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، دار البشير، القاهرة.
- ٦٦- منهج أهل السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ط(١)، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- ٦٧- نظرية الإسلام السياسية، أبو الأعلى المودودي، بدون طبعة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، دار الفكر، بيروت.
- ٦٨- النقط فوق الحروف "الإخوان المسلمون والنظام الخاص"، أحمد عادل كمال، ط(٢)، ١٩٨٩م، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.

البحث رقم (٧)

## الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا

إعداد

د. خالد بن عبدالله بن ناصر الخميس

الأستاذ المساعد في قسم الحسبة والرقابة، المعهد العالمي للدعوة  
والاحتساب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين... أما بعد:

فإن من فضل الله على أمة الإسلام أن أنزل عليهم أفضل الكتب وأرسل إليهم أفضل الرسل وجعل شريعة الإسلام خاتمة الأديان إلى قيام الساعة، فأودع المولى جل وعلا في كتابه وسنة نبيه ﷺ كل ما تحتاجه البشرية في معاشها ومعادها، صالحة لحكم حياة الناس على مر العصور قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ أَيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٢) وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظةً دُرِّفَتْ منها العيونُ ووجِلَتْ منها القلوبُ فقلنا يا رسول الله إنَّ هذه لموعظةٌ مُودِعَ فماذا تعهدُ إلينا؟ فقال: (تركْتُكم على البِيضَاءِ ليلها كنهَارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ، ومن يَعِشْ منكم فسبِرْ اختِلافًا كثيرًا فعليكم بما عرفْتُم من سنَّتِي وسنَّةِ الخلفاءِ المهديِّين الراشدين، وعليكم بالطاعةِ وإن كان عبداً حبشيًّا عَصُوا عليها بالنَّواجذِ فإنما المؤمنُ كالجمالِ الأَنيْفِ كلما قيَدَ انقَادَ) (٣)، ومن كمال النعمة والتوفيق من هُدي إلى تطبيق شريعة الإسلام في كل شؤون حياته سواء أفراد أو مجتمعات، ومن فضل الله علينا في بلاد الحرمين الشريفين المملكة العربية السعودية أنها الدولة الرائدة بين الدول الإسلامية في تطبيق الشريعة الإسلامية والالتزام بها في كافة المجالات والميادين،

(١) سورة النحل، الآية: (٨٩).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٣).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: السنة، باب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم (٤٣)، ص٦، الطبعة (١)، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ٣٢/١، الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.

طبّقاً للمادة السابعة من النظام الأساسي للحكم حيث تنص على أنه: "يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى، وسنة رسوله. وهما الحاكمان على هذا النظام وجميع أنظمة الدولة"<sup>(١)</sup>، وتعد الحِسبة من الفرائض الشرعية التي عنيت بها المملكة، ومن تطبيقاتها الحسبة الوقائية القائمة على أصول شرعية وهي سد الطرق الموصلة للمحذور<sup>(٢)</sup>، كقاعدة سد الذرائع، واعتبار المآلات، وغيرها من القواعد الشرعية، وحيث قامت المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا بأعمال عظيمة وتاريخية شهد لها القاضي والداني رأيت أهمية الكتابة في هذا المجال تحت عنوان: "الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا"

#### التعريف بمصطلحات البحث:

**الحسبة:** لكلمة الحسبة في اللغة عدة معان جاء ذكرها في كتب اللغة، ومن تلك المعاني: طلب الأجر لوجه الله<sup>(٣)</sup>، وحسن الكفاية والنظر<sup>(٤)</sup>، وفلان حَسَنُ الحِسبة بالأمر، إذا كان حَسَنَ التدبير<sup>(٥)</sup>.

ولعل المعنى الثاني والثالث هو مقصود الباحث ويتناسب مع عنوان البحث.

(١) النظام الأساسي للحكم، المادة السابعة.

(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٣١٥/١، الطبعة، (٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ.

(٣) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الماوردي، تحقيق: د. أحمد البغدادي، ص ٣١٥، الطبعة (١)، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩ هـ، والأحكام السلطانية، أبو يعلى الخنيلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص ٢٨٤، الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١ هـ.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، محمد الحسيني الزبيدي، تحقيق: علي هلال، ٢/٢٧٥، مادة: حسب، الطبعة (٢)، طبعة حكومة الكويت، ٢٠٠٤ م.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، ٢/٦٠، مادة: حسب، دار الفكر للطباعة والنشر، ١٣٩٩ هـ.



وأما الحسبة في التعريف الاصطلاحي، فلها أيضًا تعريفات عدة ومتنوعة سواء من العلماء المتقدمين أو المتأخرين، وهي في الغالب تدور حول أساس الحسبة وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن هذه التعريفات:

• ما جاء في كتاب الأحكام السلطانية للإمامين الماوردي والقاضي أبي يعلى الحنبلي رحمهما الله هي: "هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله"<sup>(١)</sup>.

• وقيل هي: "عبارة عن المنع عن منكر لحق الله، صيانة للممنوع عن مقارفة المنكر"<sup>(٢)</sup>.

• وقيل هي: "فاعلية المجتمع في الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله تطبيقًا للشرع الإسلامي"<sup>(٣)</sup>.

• رقابة إدارية تقوم بها الدولة لتحقيق المجتمع الإسلامي، بردهم إلى ما فيه صلاحهم وإبعادهم عما فيه ضررهم وفقًا لأحكام الشرع"<sup>(٤)</sup>.

ولعل التعريف الاصطلاحي الأخير هو الأقرب إلى مقصود الباحث من عنوان البحث.

(١) الأحكام السلطانية، أبو يعلى الماوردي، تحقيق: د. أحمد البغدادي، ص ٣١٥، الطبعة (١)، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ. والأحكام السلطانية، لأبي يعلى الحنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، ص ٢٨٤، الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، ص ٤١، دار الحديث، القاهرة.

(٣) أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال إمام، ص ١٦، الطبعة (١)، دار الهداية، ١٤٠٦هـ.

(٤) نظام الحسبة في الإسلام، عبدالعزيز المرشد، ص ١٥، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، بدون سنة الطبع.

**الوقائية:** لغة وقاه الله وَقِيًا ووقايةً وواقيةً: صانه (١) ومنها: حفظ الشيء عما يؤذيه ويضره، والتوقي: جعل الشيء وقاية مما يخاف (٢) قال تعالى (ما لهم من الله من واق) (٣).  
وأما الوقائية في الاصطلاح يمكن تعرف بأنها: إجراءات تهدف للوقاية مما نهى الله عنه من أقوال وأفعال لتحقيق المصالح ودرًا للمفاسد (٤).

**جائحة:** المراد بالجائحة الشدة والنازلة العظيمة التي تجتاح المال من سَنَةٍ أو فتنة (٥)، والجائحة في اصطلاح الفقهاء: ما أذهب الثمر أو بعضه من آفة سماوية (٦). وقيل: الجائحة تكون بالبرد يقع من السماء إذا عظم حجمه فكثرت ضرره، وتكون بالبرد المحرق أو الحرّ المفرط حتى يبطل الثمن (٧). وهذا المعنى يشير إلى الانتشار الواسع للجائحة وعدم القدرة على السيطرة عليها لعظم الأضرار المترتبة عليها.

**كورونا:** هي مجموعة كبيرة من الفيروسات التي يمكن أن تصيب الحيوانات والبشر على حدٍ سواء، حيث تسبب أمراض الجهاز التنفسي، سواء التي تكون خفيفة مثل نزلات البرد الشائعة، إلى الأمراض الأشد وخامة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية

(١) لسان العرب، ابن منظور، ٤٠١/١٥، الطبعة، (٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤوف المناوي، تحقيق: عبدالحميد حمدان، ص ٣٣٩، الطبعة (١)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ.

(٣) سورة الرعد، الآية: (٣٤).

(٤) تدابير الدولة للوقاية من الجريمة، منى سمير أبو عريبان، ص ١٢، "بحث ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٨هـ".

(٥) لسان العرب، ابن منظور، ٤٣١/٢.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى وآخرون، ص ١٤٥.

(٧) لسان العرب ابن منظور، ٤٣١/٢.

والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (السارس) ويسبب كورونا المكتشف مؤخراً مرض فيروس كورونا كوفيد - ١٩<sup>(١)</sup>.

### التعريف الإجرائي:

حسن النظر والتدبير في اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة العربية السعودية من آثار جائحة كورونا.

### أهداف البحث:

- ١- التعرف على أهم مصطلحات البحث.
- ٢- تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية.
- ٣- التعرف على مجالات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية تجاه الأمراض المعدية في ظل جائحة كورونا، وإجراءاتها.
- ٤- التعرف على المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا في المملكة العربية السعودية.

### تساؤلات البحث:

- ١- ما مفهوم الحسبة الوقائية؟
- ٢- ما مجالات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا؟
- ٣- ما إجراءات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا؟
- ٤- ما المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا؟

(١) انظر: موقع منظمة الصحة العالمية.

## الدراسات السابقة:

أولاً- بحث بعنوان: (المسؤولية الدعوية تجاه الأمراض المعدية كورونا أنموذجاً) إعداد د. رائد بن فؤاد باجوري، ١٤٤١هـ، وهو بحث صغير الحجم، حيث قام الباحث بتقسيم البحث إلى مبحثين الأول تناول فيه التعريف بمصطلحات البحث، وفي المبحث الثاني تناول أوجه المسؤولية الدعوية تجاه الأمراض المعدية مثل الحث على الالتجاء إلى الله والتعلق به سبحانه، وحسن الظن بالله، والاستغفار والتوبة، والأخذ بالتعليمات والإرشادات من قبل الجهات الصحية حال تفشي الأمراض والأوبئة.

## أوجه الاتفاق:

يتفق البحث مع الدراسة السابقة فيما يتعلق بالتعريف بمصطلح كورونا، حيث سيتم تناول ذلك عند التعريف بمصطلحات الدراسة فقط.

## أوجه الاختلاف:

أن البحث سيتناول الحديث عن الحسبة الوقائية تجاه الأمراض المعدية ومجالاتها في المملكة العربية السعودية مع بيان تطبيقات ذلك خلال جائحة كورونا التي غزت العالم في عام ٢٠٢٠م.

ثانياً- دراسة بعنوان: (تدابير الدولة للوقاية من الجريمة دراسة فقهية) إعداد: منى سمير أبو عريان<sup>(١)</sup>، حيث تناولت الباحثة تأصيل مصطلح التدابير الوقائية وتطبيقاتها في الشريعة الإسلامية، ثم تحدثت عن تدابير الدولة في الوقاية من الجريمة في المجال الاقتصادي، والاجتماعي، والأمني.

(١) بحث ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٨هـ.

## أوجه الاتفاق:

يتفق البحث مع الدراسة السابقة فيما يتعلق بتأصيل مصطلح الحسبة الوقائية، حيث تناولت الباحثة التدابير الوقائية وهذا المعنى يشمل الحسبة الوقائية.

## أوجه الاختلاف:

أن البحث سيتناول الحسبة الوقائية تجاه الأمراض المعدية حال وقوع الأزمة، بينما الدراسة السابقة تناولت الحديث عن التدابير الوقائية من الجريمة، ودور الدولة في ذلك في حال الرخاء وليس عند حصول الأزمة أو الكارثة. أيضًا الباحث سيتناول الحديث عن الأمراض المعدية والدراسة السابقة تناولت الحديث عن الجريمة.

## منهج البحث:

سيعتمد البحث على المنهج الاستقرائي وهو أحد المناهج المستخدمة في العلوم الشرعية وهو تتبع الجزئيات كلها أو بعضها للوصول إلى حكم عام يشملها جميعًا<sup>(١)</sup> وذلك عن طريق استقراء وتتبع ما ورد في الحسبة الوقائية تجاه الأمراض المعدية ومجالاتها في المملكة العربية السعودية، وتطبيقات ذلك على جائحة كورونا التي اجتاحت دول العالم في عام ٢٠٢٠م.

(١) ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبد الرحمن الميداني، ص ١٨٨، الطبعة (٣) دار

القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ.

## تقسيمات البحث:

التمهيد: تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا في الشريعة الإسلامية.

المبحث الأول: الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في المجال الشرعي والعلمي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الشرعي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال العلمي في ظل جائحة كورونا.

المبحث الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في المجال الصحي والاجتماعي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الصحي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الاجتماعي في ظل جائحة كورونا.

المبحث الثالث: الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في المجال الأمني والاقتصادي في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال التجاري في ظل جائحة كورونا.

المبحث الرابع: المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا.

المطلب الأول: المسؤولية الشرعية للأفراد تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في

ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: المسؤولية الشرعية للمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في

ظل جائحة كورونا.

الخاتمة وتشمل النتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

## التمهيد

### تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا

#### في الشريعة الإسلامية

للحديث عن تأصيل مفهوم الحسبة الوقائية يحسن بنا الإشارة إلى التعريف الإجرائي للحسبة الوقائية في هذا البحث حيث تم تعريفها بأنها: حسن النظر والتدبير في اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة العربية السعودية من آثار جائحة كورونا.

ولذا يظهر لنا من خلال التعريف اشتماله على مسألتين:

**المسألة الأولى:** حسن النظر والتدبير.

**المسألة الثانية:** اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة من آثار جائحة كورونا.

ولذا سأنطلق من خلال هاتين المسألتين لتأصيل مفهوم الحسبة الوقائية، حتى يظهر للقارئ الكريم العلاقة الوثيقة بين مفهوم الحسبة الوقائية والإجراءات التي قامت بها حكومة خادم الحرمين الشريفين حفظه الله لمواجهة جائحة كورونا.

**المسألة الأولى:** حسن النظر والتدبير.

وهذه المسألة تتعلق بتصرفات ولي الأمر على الرعية وفق المصلحة الشرعية التي تجلب المصالح لهم وتدرأ المفاسد عنهم، ولذا فالقاعدة الفقهية التي تتناسب مع هذا المعنى ما يلي:

**القاعدة الأولى:** "يتصرف الولاة بما هو أصح للمولى عليه، درءاً للضرر والفساد، وجلباً للنفع والرشاد"<sup>(١)</sup>.

(١) القواعد الكبرى، العز بن عبدالسلام، ١٥٨/٢، تحقيق: كمال نزيه وزميله، الطبعة، (١)، دار

القلم، دمشق، ١٤٢١هـ.

القاعدة الثانية: "كل من ولي ولاية الخلافة فما دونها إلى الوصية لا يحل له أن يتصرف إلا بجلب مصلحة أو درء مفسدة"<sup>(١)</sup>.

ومعنى القاعدتين أن تصرف كل من ولي من أمور المسلمين شيئاً، ولو كان يسيراً سواءً كانت ولاية عظمى، أو ولاية دون ذلك، يجب أن يكون تصرفه فيها مبنياً على المصلحة العامة، ومن أمثلة المصلحة العامة حسن النظر والتدبير في شؤون الرعية وقت الأزمات بما يعود عليهم بالنفع والصلاح، ولذا فإن من حسن النظر والتدبير في شؤون الناس في وقت الأزمات ومنها عند انتشار الأمراض والأوبئة كما هو حاصل هذه الأيام وضع الأنظمة والتعليمات والإرشادات للحفاظ على سلامة أفراد المجتمع ووقايتهم من الأمراض أو العدوى، وغيرها. وأصل هذه القاعد ودليلها:

١. قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾<sup>(٢)</sup>

ووجه الدلالة من الآية، أن الأصل في تصرفات الولاية ومقصودهم تجاه الرعية، منوط بالمصلحة فيجتهد ويبدل كل ما في وسعه حتى تصلح أحوالهم، وتستقيم منافعهم<sup>(٣)</sup> سواء تعلق ذلك بمصلحة الدين أو النفس أو العقل، أو العرض أو المال، ولن يتحقق ذلك إلا بجلب كل ما فيه نفعهم ودرء كل ما فيه مضرهم.

(١) الذخيرة، القرافي، تحقيق: محمد بوخبزة، ٤٣/١٠، الطبعة (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت،

١٩٩٤م.

(٢) سورة هود، الآية: (٨٨).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، ص ٨٠٢، الطبعة

(١) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.



٢. ولقوله ﷺ: (ما من أميرٍ يلي أمرَ المسلمين، ثمَّ لا يجهدُ لهم وينصَحُ، إلَّا لمَّ يَدْخُلْ معهم الجنَّةَ) (١).

ووجه الدلالة من الحديث التحذير من غش المسلمين من قبل من قلده الله تعالى شيئاً من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم وديناهم، وأن الواجب على من ولي شيئاً من أمور المسلمين عامّاً أو خاصّاً، أن ينصح لهم، ويحفظ حقوقهم، ويقيم العدل بينهم، ويسعى في تحقيق مصالحهم، ودرء المفساد عنهم (٢).

وعلاقة الحسبة الوقائية بالقاعدتين، أن من واجب الحاكم القيام على شؤون الرعية بما يحقق مصالحهم ويدفع عنهم ما يضرهم ويفسد أمورهم، في جميع الأوقات والأحوال ومن ذلك وقت الأزمات بأن يجتهد في ذلك قد الاستطاعة مع مراعاة حسن النظر والتدبير، ويدخل في ذلك: (٣)

١. أن يصرح الإمام للرعية ويُعلِّمُهُم بالأمر الذي يضرهم ستره وإخفاؤه عنهم؛ ليتأهبوا له، ويعدوا له العدة.

٢. وضع الأنظمة والسياسات ما تدعو إليه مصلحة المسلمين وحاجتهم.

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث رقم (٤٧٣١)، ص ٨٢١، الطبعة (١)، مكتبة دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٢) قاعدة التصرف على الرعية منوط بالمصلحة "دراسة تأصيلية تطبيقية فقهية"، د. ناصر الغامدي، ص ١٨١، بحث منشور في مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (٤٦) محرم ١٤٣٠هـ.

(٣) المرجع السابق، ص ١٨٧.

ولذا قامت المملكة العربية السعودية، بالتصريح لعموم المواطنين والمقيمين بخطورة فيروس كورونا وأهمية الحذر واتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة للوقاية منه، وكذلك تم تطبيق بعض الأنظمة والسياسات للمصلحة العامة.

**المسألة الثانية:** اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة من آثار جائحة كورونا.

وهذه المسألة تتعلق بالآليات والإجراءات الوقائية التي يسلكها ولي الأمر للإسهام في صيانة المجتمع من المفسد والمخاطر قبل وقوعها، أو تخفيفها وتحجيمها بعد وقوعها، ولذا فالقاعدة الفقهية التي تتناسب مع هذا المعنى قاعدة: (سد الذرائع) ومعناها: "كل عمل ظاهر الجواز يتوصل به إلى محذور"<sup>(١)</sup>، وقيل: هي "التوسل بما هو مصلحة إلى مفسدة"<sup>(٢)</sup>.

ومعنى القاعدة أن كل وسيلة مباحة مفضية إلى مفسدة غالبًا، ومفسدتها أرجح من مصلحتها يجب منعها<sup>(٣)</sup> قال شيخ الإسلام: "كل فعل أفضى إلى المحرم كثيرًا، كان سببًا للشر والفساد، فإذا لم يكن فيه مصلحة راجحة شرعية، وكانت مفسدته راجحة تُهي عنه"<sup>(٤)</sup>.

(١) أحكام القرآن، ابن العربي، عناية: محمد عطا، ٣٣١/٢، الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

(٢) الموافقات، الشاطبي، عناية: مشهور آل سلمان، ١٨٣/٥، الطبعة (١)، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٧هـ.

(٣) قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام ابن تيمية دراسة فقهية، عابد الثبيتي، ص ١٥٦، الطبعة (١)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٨هـ.

(٤) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٢٢٨/٣٢، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

وأصل هذه القاعدة ودليلها:

١. قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ

شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ (١).

ووجه الدلالة من الآية أن الله سبحانه وتعالى نهي آدم وزوجه عن القرب من الشجرة؛

سدًا لذريعة الأكل منها، قال ابن جزري (٢) رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَلَا

تَقْرَبَا﴾ " النهي عن القرب يقتضي النهي عن الأكل بطريق الأولى، وإنما نهي عن القرب

سدًا للذريعة فهذا أصل في سد الذرائع" (٣).

وقال الإمام الشوكاني (٤) رَحِمَهُ اللهُ: " النهي عن القرب فيه سدّ للذريعة وقطع

للسيلة" (٥).

١. وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ - وَأَهْوَى

النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ: (إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ، وَالْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا

يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرَضَهُ، وَمَنْ وَقَعَ

فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ

(١) سورة البقرة، الآية: (٣٥).

(٢) ت (٧٤١هـ).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزري، اعتنى به: محمد سالم هاشم، ٦٢/١، الطبعة (١)، دار الكتب

العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

(٤) ت (٥هـ).

(٥) تفسير فتح القدير، الإمام الشوكاني، ٧٢/١، الطبعة (١)، دار الخير للطباعة والنشر، بيروت،

١٤١٣هـ.

لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضَغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ(١).

وفي الحديث دلالة على مشروعية سد الذرائع، بالابتعاد عن مواطن الشبهات التي قد تفضي إلى الوقوع في المحرمات.

وقد أصدر مجمع الفقه الإسلامي قراره رقم ٩٦/٩/٩٥ بشأن سد الذرائع وكان مما نص عليه القرار: "سد الذرائع أصل من أصول الشريعة الإسلامية، وحقيقته: منع المباحات التي يتوصل بها إلى مفاسد أو محظورات"(٢).

ومن خلال هذه القاعدة وأدلتها يتبين لنا أن الإجراءات الوقائية داخل في قاعدة سد الذرائع وهذا ينسجم مع الإجراءات الوقائية التي اتخذتها الدولة لحماية المواطنين والمقيمين من جائحة كورونا، حيث تفوقت في الحفاظ على صحة المواطنين والمقيمين وسلامتهم من جائحة كورونا من خلال القيام بإجراءات وقائية استباقية وحازمة في شتى المجالات، ومن الأمثلة على الإجراءات الوقائية:

١. منع التجول.
٢. التباعد الاجتماعي.
٣. منع التجمعات العائلية وغير العائلية.
٤. تعليق صلاة الجمعة والجماعة في المساجد.
٥. تعليق الحضور لمقرات العمل الحكومية والأهلية.
٦. تعليق الدراسة في المدارس والجامعات ومعاهد التدريب.

(١) أخرجه البخاري، كتب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (٥٢)

(٢) الدورة التاسعة المنعقدة في أبوظبي ١-٦ ذي القعدة ١٤١٥ هـ، ونشر هذا القرار في مجلة المجمع الفقهي في عددها التاسع، ٥/٣.

## ٧. إغلاق الأسواق والمحلات التجارية.

وكل هذه الممارسات والمناشط مباحة في أصلها بل مشروعة، إلا أن المصلحة تقتضي المنع كإجراء احترازي وقائي للإسهام في منع انتشار فيروس كورونا، والحد من الآثار المترتبة على ذلك.

ومما يؤيد هذه الإجراءات الوقائية ما جاء في النظام الأساسي للحكم حيث تنص المادة الثانية والستون على أنه: " للملك إذا نشأ خطر يهدد سلامة المملكة، أو وحدة أراضيها، أو أمن شعبها ومصالحه، أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء مهامها، أن يتخذ من الإجراءات السريعة ما يكفل مواجهة هذا الخطر. وإذا رأى الملك أن يكون لهذه الإجراءات صفة الاستمرار فيتخذ بشأنها ما يلزم نظاماً"<sup>(١)</sup>.



(١) النظام الأساسي للحكم، المادة الثانية والستون.

## المبحث الأول

الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية  
في المجال الشرعي والعلمي في ظل جائحة كورونا  
المطلب الأول:

الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الشرعي في ظل جائحة كورونا:

تمهيد:

عندما نتحدث عن الحسبة الوقائية من الجانب الشرعي في المملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا، فإن ذلك يعني الحديث عن الموضوعات المتعلقة بالشرعية مثل الصلاة والزكاة والحج والعمرة وغير ذلك من القضايا الشرعية، ومرجع ذلك الجهات العليا في الدولة ومن أهمها هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، لأن ولي الأمر أسند إليها الفتوى في الأمور الخاصة والعامة، والنوازل الكبرى، حيث ساهمت هيئة كبار العلماء بإصدار الفتاوى الشرعية ضمن إجراءات الحسبة الوقائية لأفراد المجتمع في ظل جائحة كورونا بناء على النصوص الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات وغير ذلك، وقد جاء النص على ذلك في تنظيم هيئة كبار العلماء بأن تتولى الهيئة<sup>(١)</sup>:

١- إبداء الرأي فيما يحال إليها من ولي الأمر من أجل بحثه وتكوين الرأي المستند من الأدلة الشرعية فيه.

٢- التوصية في القضايا الدينية المتعلقة بتقرير أحكام عامة ليسترشد بها ولي الأمر وذلك بناءً على بحوث تجيء تهيئتها وإعدادها طبقاً لما نص عليه في هذا الأمر واللائحة المرفقة له<sup>(٢)</sup>.

(١) هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

(٢) تنظيم هيئة كبار العلماء المادة الثالثة.

كما جاء النص في لائحة العمل في هيئة كبار العلماء على آلية مناقشة الموضوعات التي تتعلق بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية والأنظمة العامة التي تحال للهيئة بأن تشرك في البحث معها واحداً أو أكثر من المتخصصين في تلك العلوم من غير أن يكون لهم حق التصويت<sup>(١)</sup>، ولذا فإن فتاوى هيئة كبار العلماء تصدر عن مجلس علمي يضم في عضويته نخبة من العلماء الراسخين في العلم، والمتخصصين في المجالات المتعددة والمتنوعة، وأهم القضايا الشرعية التي واجهت هيئة كبار العلماء تجاه جائحة كورونا تعليق الصلاة في المساجد وتعليق إقامة صلاة الجمعة والجماعة في المساجد. ولا شك أن هذه المسألة من المسائل الهامة والكبرى التي تحتاج إلى بذل الجهد والوسع في بيان الدليل الشرعي ومن ثم تنزيل تلك الأدلة على الواقع المعاصر، وفيما يلي سنتناول إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الشرعي ضمن الإجراءات الاحترازية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا:

**الفرع الأول: تعليق صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد.**

صلاة الجماعة من أكد الواجبات على الرجال حضراً وسفراً، لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكْعِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ووردت أحاديث كثيرة في بيان فضل صلاة الجماعة منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَدْلِ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً)<sup>(٤)</sup>، ولذا فضل صلاة الجمعة والجماعة عظيم لما لها من الفوائد الكثيرة والمنافع العظيمة على الفرد والمجتمع،

(١) انظر: لائحة العمل في هيئة كبار العلماء (الفقرة رقم ١٠).

(٢) سورة النساء، الآية: (١٠٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٤٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في

التخلف عنها وإنها فرض كفاية، حديث رقم، ٦٥٠.

ولكن من رحمة الله بعباده أنه لا يكلفهم إلا ما في وسعهم، فأباح سبحانه وتعالى التخلف عن الجمعة والجماعة عند حصول الخوف من المرض أو الضرر في النفس أو المال أو غير ذلك ومما يدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ سَمِعَ الْمُنَادِيَّ فَلَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ اتِّبَاعِهِ عُدْرًا - قَالُوا: وَمَا الْعُدْرُ؟ قَالَ: خَوْفٌ أَوْ مَرَضٌ - لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ الصَّلَاةُ الَّتِي صَلَّى) <sup>(١)</sup>، ونظرًا لما يعيشه العالم بسبب جائحة كورونا ذلك المرض الذي قرر الأطباء ضرره على الإنسان، وسرعة انتشاره بين الناس، وكثرة الوفيات فقد أصدرت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بيانًا اشتمل على جواز إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد ونص البيان ما يلي: <sup>(٢)</sup>

"الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فقد اطلعت هيئة كبار العلماء في دورتها الاستثنائية الخامسة والعشرين المنعقدة بمدينة الرياض يوم الثلاثاء بتاريخ ٢٢ / ٧ / ١٤٤١هـ على ما يتعلق بجائحة كورونا وسرعة انتشارها وكثرة الوفيات بها واطلعت على التقارير الطبية الموثقة المتعلقة بهذه الجائحة المشمولة بإيضاح معالي وزير الصحة لدى حضوره في هذه الجلسة التي أكدت على خطورتها المتمثلة في سرعة انتقال عدواها بين الناس بما يهدد أرواحهم وما بينه معاليه من أنه ما لم تكن هناك تدابير احترازية شاملة دون استثناء فإن الخطورة ستكون متضاعفة مبيّنًا أن التجمعات تعتبر السبب الرئيس في انتقال العدوى.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الصلاة، باب: التشديد في ترك الجماعة، حديث رقم (٥٥١)، ص ٩١، الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ١/١٦٤، الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.

(٢) قرار رقم (٢٤٧) في ٢٢ / ٧ / ١٤٤١هـ.



وقد استعرضت هيئة كبار العلماء النصوص الشرعية الدالة على وجوب حفظ النفس من ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وهاتان الآيتان تدلان على وجوب تجنب الأسباب المفضية إلى هلاك النفس، وقد دلت الأحاديث النبوية على وجوب الاحتراز في حال انتشار الوباء كقوله ﷺ: (لا يُوردَنَّ مُرَضٌّ عَلَى مُصِحِّ) <sup>(٣)</sup> وقوله ﷺ: (فِرٌّ مِنَ الْمَجْدُومِ فِرَارَكَ مِنَ الْأَسَدِ) <sup>(٤)</sup>، وقوله ﷺ: (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونَ بَارِضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بَارِضٌ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا) <sup>(٥)</sup>، وقد تقرر في قواعد الشريعة الغراء أنه: "لا ضرر ولا ضرار" <sup>(٦)</sup>. ومن القواعد المتفرعة عنها: "أن الضرر يدفع قدر الإمكان" <sup>(٧)</sup>.

وبناء على ما تقدم فإنه يسوغ شرعاً إيقاف صلاة الجمعة والجماعة لجميع الفروض في المساجد والاكْتفاء برفع الأذان، ويستثنى من ذلك الحرمان الشريفان، وتكون أبواب المساجد مغلقة مؤقتاً، وعندئذ فإن شعيرة الأذان ترفع في المساجد، ويقال في الأذان:

(١) سورة البقرة، الآية: (١٩٥).

(٢) سورة النساء، الآية: (٢٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا هامة، حديث رقم (٥٧٧١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الجذام، حديث رقم (٥٧٠٧).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: ما يُذكر في الطاعون، حديث رقم (٥٧٢٨).

(٦) القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، أ. د. صالح بن غانم السدلان، ص ٤٩٣، الطبعة (٢)،

دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٧) المرجع السابق، ص ٥٠٨.

صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ<sup>(١)</sup> لحديث بن عباس أنه قال لمؤذنه ذلك ورفعته إلى رسول الله ﷺ،  
وتصلى الجمعة ظهرًا أربع ركعات في البيوت.

ومن فضل الله تعالى أن من منعه العذر عن صلاة الجمعة والجماعة في المسجد فإن  
أجره تام لعموم قوله ﷺ: (إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ، أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا  
صَاحِحًا)<sup>(٢)</sup> هذا وتوصي هيئة كبار العلماء الجميع بالتقيد التام بما تصدره الجهات  
المختصة من الإجراءات الوقائية والاحترازية والتعاون معها في ذلك امتثالاً لقوله تعالى:  
﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(٣)</sup> والتقيد بهذه  
الإجراءات من التعاون على البر والتقوى، كما أنه من الأخذ بالأسباب التي أمرنا الشرع  
الحنيف بامتثالها بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى.

كما نوصي الجميع بتقوى الله عز وجل والإلحاح في الدعاء وكثرة الاستغفار، قال الله  
تعالى: ﴿وَيَقَوْمٌ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ  
مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> والقوة هنا تشمل:  
سعة الرزق، وبسط الأمن، وشمول العافية.

نسأل الله تعالى أن يرفع هذا الوباء عن عباده، وأن يجزي خادم الحرمين الشريفين  
وسمو ولي عهده الأمين وحكومتنا الرشيدة خيرًا لما يبدلونه من جهود مشكورة، وتدابير

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الصلاة في الرحال في المطر، حديث رقم (٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة،  
حديث رقم (٢٩٩٦).

(٣) سورة المائدة، الآية: (٢).

(٤) سورة هود، الآية: (٥٢).

وإجراءات ساهمت - بفضل الله عز وجل - في الحد من تأثير هذا الوباء المنتشر عبر العالم.

كما نسأله سبحانه أن يحفظ الجميع بحفظه: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾<sup>(١)</sup>

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أ.هـ.  
وبناءً على ذلك فقد أصدرت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد التعليمات لمنسوبي المساجد من الأئمة والمؤذنين والمراقبين بشأن تعليق صلاة الجمعة والجماعة في المساجد في المملكة إلى إشعارٍ آخر ضمن الاحترازمات الوقائية من جائحة كورونا، ويدخل ضمن ذلك تعليق صلاة التراويح وصلاة العيد في حال استمرار الجائحة.  
الفرع الثاني: الصلاة على الميت في المقبرة عوضاً عن المسجد وجواز صلاة أقارب الميت صلاة الغائب على ميتهم في بيوتهم.

الصلاة على الميت شرعها سبحانه وتعالى تكريماً لأرواح المسلمين الذين انتقلوا من دار العمل إلى دار الحساب، وهي شعيرة عظيمة من الله تعالى بها على عباده المؤمنين، فهي مظهر من مظاهر المحبة الإيمانية بين المسلمين، ففيها الدعاء من المسلم لأخيه المسلم، واتباع لجنائزته حتى يدفن،<sup>(٢)</sup> وقد جاء التأكيد على هذا المعنى في الحديث الصحيح (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَأَنْصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدِ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ)<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة يوسف، الآية: (٦٤).

(٢) انظر: أركان الإسلام، أ. د. عبدالله بن محمد الطيار، ص ٩٤، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم (٢١٦٢).

والصلاة على الميت فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين، لأنه الثابت من فعل النبي ﷺ وقوله (١).

ونظرًا لأهمية الأخذ بالإجراءات الاحترازية بسبب جائحة كورونا وجهت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بمنع إقامة صلاة الجنازة في المساجد وأن تقام في المقابر وبعدد محدود منذ بداية ظهور وباء كورونا في ظل الإجراءات الاحترازية الاستباقية التي عملت عليها الوزارة مواكبة لجهود الدولة لمنع انتشاره، (٢) وتماشياً مع الإجراءات الاحترازية الحالية، فقد أفتى سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية بجواز الصلاة على الميت بعد تجهيز وتكفينه في المقبرة، عوضاً عن المسجد، كما أنه يشرع لأقارب الميت بالصلاة على الجنازة صلاة الغائب، نظرًا لتعذر الحضور ولو تعددت البيوت لكثرة اقاربه حتى لا يحصل الاجتماع الذي قد يتسبب في انتشار وباء فيروس كورونا المستجد (٣).

### الفرع الثالث: إقامة صلاة العيد في البيوت.

صلاة العيد من شعائر الإسلام الظاهرة، ومعالم الدين العظام، التي شرعها الله لعباده، لبركتها وفضلها، ففيها يجتمع أهل الإسلام، ويتجلى فيها معاني التقوى والإيمان، ويظهر الناس فرحهم بإتمام شهر الصيام والقيام، فعلها رسول الله ﷺ وواظب عليها، وأمر بها، وأخرج لها النساء والصبيان، لحديث أم عطية رضي الله عنها قَالَتْ: (أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ نُخْرِجَهُنَّ

(١) انظر: وكالة الأنباء السعودية (واس) بتاريخ ٢٠/٨/١٤٤١هـ.

(٢) موقع وزارة الشؤون الإسلامية الرسمية الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٢/٨/١٤٤١هـ.

(٣) انظر: أركان الإسلام، أ. د. عبدالله بن محمد الطيار، ص ٩٤.

فِي الْفِطْرِ وَالْأَضْحَى: الْعَوَاتِقَ وَالْحَيْضَ وَذَوَاتِ الْخُدُورِ، فَأَمَّا الْحَيْضُ فَيَعْتَزَلْنَ الصَّلَاةَ، وَيَشْهَدْنَ الْحَيْرَ وَدَعْوَةَ الْمُسْلِمِينَ<sup>(١)</sup>.

أما حكم صلاة العيدين للعلماء فيها ثلاثة أقوال فقال بعض العلماء: إنها سنة، وقال بعض العلماء إنها فرض كفاية، وقال آخرون إنها فرض عين،<sup>(٢)</sup> وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم صلاة العيدين فأجابت اللجنة: "صلاة العيدين: الفطر والأضحى، كل منهما فرض كفاية، وقال بعض أهل العلم: أنهما فرض عين كالجمعة؛ فلا ينبغي للمؤمن تركها"<sup>(٣)</sup>.

وفي ظل الظروف الحالية التي تعيشها بلادنا المباركة، بسبب جائحة كورونا، فقد اختلف العلماء المعاصرين بشأن مشروعية أداءها في البيوت، وقد أفتى سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ بمشروعية أداء صلاة العيد في البيوت حيث يقول حفظ الله: "أما صلاة العيد إذا استمر الوضع القائم ولم تمكن إقامتها في المصليات والمساجد المخصصة لها فإنها تصلى في البيوت بدون خطبة بعدها، وسبق صدور فتوى من اللجنة الدائمة للفتوى جاء فيها: (ومن فاتته صلاة العيد وأحب قضاءها استُحب له ذلك فيصليها على صفتها من دون خطبة بعدها)<sup>(٤)</sup>، فإذا كان القضاء

(١) أخرجه البخاري، كتاب: العيدين، باب: اعتزال الحيض المصلى، حديث رقم (٩٨١)، وأخرجه مسلم واللفظ له، كتاب: صلاة العيدين، باب: إباحة خروج النساء في العيدين إلى المصلى، وشهود الخطبة مفارقات للرجال، حديث رقم (٨٩٠).

(٢) للاستزادة انظر: زاد المسلم من كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمهما الله، جمعه ونسقه: محمد بن رياض الأحمد، ص ٢٢٢، الطبعة (١)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية للإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ٢٨٤/٣، الطبعة (١)، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٦هـ.

(٤) للاطلاع على نص الفتوى: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية للإفتاء، جمع وترتيب: أحمد الدويش، ٣٠٥/٣.

مستحباً في حق من فاتته الصلاة مع الإمام الذي أدى صلاة العيد بالمسلمين، فمن باب أولى أن تكون إقامتها مشروعة في حق من لم تُقم صلاة العيد في بلدهم لأن في ذلك إقامة لتلك الشعيرة حسب الاستطاعة، والله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾<sup>(١)</sup>، وقال النبي ﷺ: (وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأَتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)<sup>(٢)</sup>. أ.هـ.<sup>(٣)</sup>

ومن خلال هذه الفتوى نجد أنها تتوافق مع إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الشرعي، التي اتخذتها المملكة للمحافظة على سلامة المواطنين والمقيمين من خطر العدوى بفيروس كورونا المستجد.

#### الفرع الرابع: تعليق العمرة والزيارة لمكة المكرمة والمدينة المنورة.

تعد العمرة من شعائر الإسلام الكبرى التي حث عليها الدين الحنيف ورتب على أداءها الأجر والثبوة، وتكفير الذنوب، فقد ورد في الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)<sup>(٤)</sup>. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: (تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ حَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ)<sup>(٥)</sup>، ومما يعظم شأن

(١) سورة التغابن، الآية: (١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: العيدين، باب: اعتزال الحيض المصلى، حديث رقم (٩٨١)، ص ١٥٨. أخرجه مسلم، كتاب: صلاة العيدين، باب: إباحتها خروج النساء في العيدين إلى المصلى، وشهود الخطبة مفارقات للرجال، حديث رقم (٨٩٠)، ص ٣٥٥. واللفظ له.

(٣) وكالة الأنباء السعودية (واس) بتاريخ ٢٤/٨/١٤٤١هـ.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: وجوب العمرة وفضلها، حديث رقم (١٧٧٣)، ص ٢٨٥، ورواه مسلم، كتاب: الحج، باب: فضل الحج والعمرة، حديث رقم (١٣٤٩)، ص ٥٦٩.

(٥) أخرجه النسائي، كتاب: مناسك الحج، باب: فضل المتابعة بين الحج والعمرة، حديث رقم (٢٦٣١)، ص ٣٦٥، الطبعة (١)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ. وصححه

العمرة في حياة المسلمين أن الصلاة في المسجد الحرام يعدل مائة ألف صلاة للحديث الذي رواه ابن الزبير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من صلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة)<sup>(١)</sup> قال ابن جاسر<sup>(٢)</sup> رحمه الله: "حسبنا ذلك فوجدنا صلاة واحدة عن ست وخمسين سنة وستة أشهر إلا يوماً واحداً، وحسبنا صلاة يوم وليلة فوجدناها عن مائتي سنة واثنين وثمانين سنة وستة أشهر إلا خمسة أيام، فحق لمثل هذا الحرم الشريف أن تشد إليه الرحال وتلف فيه أنفس الرجال فضلاً عن الأموال"<sup>(٣)</sup>. وغير ذلك من الفضائل التي ورد ذكرها في السنة النبوية، إلا أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح والحفاظ على صحة وأمن قاصدي الحرمين الشريفين من مقاصد الشريعة الإسلامية لذا فقد أصدرت وزارة الداخلية بياناً بشأن تعليق العمرة والزيارة مؤقتاً وفيما يلي نص البيان:

"صرح مصدر مسؤول بوزارة الداخلية، بأنه انطلاقاً من حرص حكومة المملكة على دعم الجهود العالمية والمنظمات الدولية وبالأخص منظمة الصحة العالمية لوقف انتشار فيروس كورونا الجديد (COVID-19) ومحاصرته والقضاء عليه، وامتداداً لقرارها القاضي

الألباني، صحيح سنن النسائي، ٢/٢٤٠، الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ. أخرج الترمذي، أبواب الحج، باب: ما جاء في ثواب الحج والعمرة، حديث رقم (٨١٠)، ص ٢٠٢، الطبعة (١)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم (١١٩٠)، أخرجه ابن ماجه واللفظ له، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب: ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي ﷺ، حديث رقم (١٤٠٤)، ص ٢٠١. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، ١/٤٢١.

(٢) ت (١٤٠١هـ).

(٣) مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، عبدالله بن جاسر، ١/٢٣٩، الطبعة (٢)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.

تعليق الدخول لأغراض العمرة وزيارة المسجد النبوي الشريف مؤقتًا من خارج المملكة، وقرارها تعليق الدخول بالتأشيرات السياحية للقادمين من الدول التي يشكل انتشار فيروس كورونا الجديد منها خطرًا، وتعليق استخدام المواطنين السعوديين ومواطني دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية بطاقة الهوية الوطنية للتنقل من وإلى المملكة، فقد تقرر بناءً على توصية اللجنة المعنية بمتابعة مستجدات الوضع لفيروس كورونا الجديد (COVID-19)، بإيقاف العمرة مؤقتًا للمواطنين والمقيمين في المملكة، على أن يتم مراجعة هذا القرار بشكل مستمر وإيقاف العمل به متى ما انتفت الأسباب التي دعت إليه.

ويأتي هذا القرار الوقائي ضمن التدابير الاحترازية التي دأبت حكومة المملكة على اتخاذها للحد من انتشار وباء فيروس كورونا (COVID-19) ومنع وصوله إلى الحرمين الشريفين اللذين يشهدان تدفقًا دائمًا وكثيفًا للحشود البشرية، مما يجعل من مسألة تأمين تلك الحشود أهمية قصوى.

كما يأتي اتساقًا مع الإجراءات الاحترازية التي تتخذها السلطات السعودية لمنع انتشار الفيروس في المملكة، واستكمالاً للجهود التي تم اتخاذها، والرامية إلى توفير أقصى درجات الحماية لسلامة المواطنين والمقيمين" أ.هـ<sup>(١)</sup>.

وجاء تأييد هيئة كبار العلماء لهذا القرار بأنه موفق وتقضي به المصلحة الشرعية الداعية للمحافظة على نفوس الناس ودينهم وعقولهم وأموالهم ونسلهم وجاء في بيان الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء: "إن هذه الإجراءات الاحترازية التي تراجع بشكل مستمر في ضوء المعطيات داخليًا وخارجيًا تتفق والقواعد الشرعية بدفع الضرر بعد وقوعه بطرق الوقاية الممكنة، ورفع الضرر بعد وقوعه بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره"<sup>(٢)</sup>.

(١) وكالة الأنباء السعودية (واس) ١٤٤١/٧/٩هـ.

(٢) المرجع السابق ١٤٤١/٧/٩هـ.



كما أكد مجمع الفقه الإسلامي الدولي في توصيات الندوة الفقهية الطبية الثانية لهذا العام<sup>(١)</sup> التي بعنوان: (فايروس كورونا المستجد (كوفيد١٩ - ١٩) وما يتعلق به من معالجات طبية وأحكام شرعية) ما يؤكد أهمية الأخذ بالتدابير الاحترازية من خلال تعليق العمرة والزيارة للحرمين الشريفين لمنع انتشار فايروس كورونا وجاء النص على ذلك في التوصية السابعة ونصها: "يؤكد الأطباء والمختصون أن التجمعات تؤدي إلى الإصابة بفايروس كورونا ولذلك لا بد من الأخذ بالأسباب، والابتعاد عن التجمعات بجميع أشكالها وصورها، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾<sup>(٢)</sup> ويشمل ذلك جواز إغلاق المساجد لصلاة الجمعة والجماعة وصلاة التراويح، وصلاة العيد، وتعليق أداء المسلمين للحج والعمرة، وتعليق الأعمال، وإيقاف وسائل النقل المختلفة، ومنع التجوال، وإغلاق المدارس والجامعات والأخذ بمبدأ التعليم عن بُعد وأماكن التجمع الأخرى، وغيرها من صور الإغلاق)<sup>(٣)</sup>.

(١) بتاريخ ٢٣ شعبان ١٤٤١هـ.

(٢) سورة النساء، الآية: (٧١).

(٣) موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي الرسمي الإلكتروني على شبكة الانترنت.

## المطلب الثاني:

## الحسبة الوقائية للمملكة في المجال العلمي في ظل جائحة كورونا:

عندما نتحدث عن جانب الحسبة الوقائية في الجانب العلمي خلال جائحة كورونا فإن مقصود الباحث الإجراءات الاحترازية التي عنيت بها المملكة للحفاظ على سلامة المواطنين والمقيمين من الأمراض والحد من انتشار داء كورونا، حيث إن الجانب العلمي يشمل كل ميادين التعليم والتدريب كالمدارس والجامعات والمعاهد الحكومية والأهلية وكذلك المساجد سواء الدروس العلمية أو حلقات تحفيظ القرآن الكريم، فإن هذه تدخل ضمن الجانب العلمي، ولاشك أن التعليم منزلته عالية وفضله عظيم لأنه يُعتبر الركن الأساس لقوة الأمة الذي تمتلكه اليوم، فبه تصنع الآلات، وتستخرج الثروات، وتستثمر الطاقات، وتزدهر الصناعات، ويزداد وعي المجتمع، وتستمر التنمية البشرية والصناعية، وبالتالي ازدهار المجتمع وتطوره، وحسبنا أن نذكر هنا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث الشريف قول الرسول ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا، يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)<sup>(٣)</sup> وقوله ﷺ: (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جُوفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ

(١) سورة الزمر، الآية: (٩).

(٢) سورة المجادلة، الآية: (١١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، حديث رقم (٧١)،

وأخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: النهي عن المسألة، حديث رقم (١٠٣٧).

وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ<sup>(١)</sup>.

ومع كل هذا الفضل والمكانة للعلم والتعلم، وعناية المملكة العربية السعودية بذلك إلا أن درء المفساد مقدم على جلب المصالح، وفيما يلي سنتناول جانبًا من الحسبة الوقائية في المجال العلمي كتدابير احترازية قامت بها حكومتنا الرشيدة للحفاظ على سلامة وصحة المواطنين والمقيمين من فايروس كورونا ومن ذلك:

### الفرع الأول: تعليق الدراسة في التعليم العام والجامعات والمعاهد الحكومية والأهلية.

حيث أعلنت وزارة التعليم أنه وفقًا للإجراءات الوقائية والاحترازية الموصى بها من قبل الجهات الصحية المختصة في المملكة العربية السعودية، وذلك في إطار جهودها الحثيثة للسيطرة على فيروس "كورونا" الجديد (COVID19) ومنع دخوله وانتشاره، وانطلاقًا من الحرص على حماية صحة الطلاب والطالبات والهيئة التعليمية والإدارية في التعليم العام والجامعي وضمان سلامتهم؛ فقد تقرر تعليق الدراسة مؤقتًا في جميع مناطق ومحافظات المملكة اعتبارًا من يوم الاثنين ١٤ / ٧ / ١٤٤١ هـ حتى إشعار آخر.

ويشمل القرار مدارس ومؤسسات التعليم العام والأهلي والجامعي والمؤسسة العامة للتدريب التقني والمهني الحكومية والأهلية.

ووجه معالي وزير التعليم بتفعيل المدارس الافتراضية والتعليم عن بُعد خلال فترة تعليق الدراسة، بما يضمن استمرار العملية التعليمية بفاعلية وجودة.. إلخ<sup>(٢)</sup>.

ومن خلال هذا الإعلان الذي أصدرته وزارة التعليم يظهر لنا جليًا عناية وزارة التعليم بسلامة وصحة الطلاب والهيئة التدريسية والإدارية، وهذا أحد مقاصد الشريعة وهو حفظ

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: العلم، باب: في فضل العلم، حديث رقم (٣٦٤١)، ص ٥٢٣، الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠ هـ. وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود، ٤٠٧/٣.

(٢) موقع وزارة التعليم الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت، وكالة الأنباء السعودية (واس) ١٤٤١/٧/١٣ هـ.

النفس البشرية، وهذا يدخل في باب الحسبة الوقائية في المجال العلمي حيث علّقت الوزارة حضور الطلاب إلى مقاعد الدراسة وكذلك الهيئة التدريسية والإدارية ولإيضاح أهمية جانب الحسبة الوقائية في المجال العلمي يظهر من خلال الإحصائيات التي توضح أعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في جميع مراحل الدراسة في التعليم العام والجامعي، ولا شك أن للإحصائيات أهمية كبيرة؛ لأنها تعد من الأدوات الأساسية لاتخاذ القرارات في شتى المجالات، وبالتالي تسهم في وضع الخطط الاستراتيجية للدول لمعرفة الاحتياجات والتحديات، ومن ثم وضع الحلول اللازمة لتجاوز المشكلات<sup>(١)</sup>، وعندما نوظف علم الإحصاء في القضايا الكبرى التي تواجه المجتمعات فإن القرارات تكون مبنية على رأي واضح ومدروس وبالتالي تكون اتخاذ القرارات مبكرة وبشكل تدريجي دون الوقوع في خسائر فادحة في القوة البشرية والمادية. وفيما يلي عرض توضيحي لأعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في جميع مراحل الدراسة في التعليم العام والجامعي:

أولاً: عدد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في التعليم العام (الحكومي والأهلي).

م	عدد الطلاب والطالبات	عدد المدرسين	عدد الإداريين
	٥٥٢٢٩٠٦	٤٧٥٩٠٣	١٠٥٦٦٦
المجموع	٦١٠٤٤٧٥		

(١) انظر: لماذا نهتم بالإحصائيات، د. عبدالله الرادادي، مقال في جريد الشرق الأوسط، الأثنين ١٣ رمضان ١٤٣٩هـ، العدد رقم (١٤٤٢٦).

ثانياً: عدد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في التعليم الجامعي (الحكومي والأهلي).

م	عدد الطلاب والطالبات	عدد المدرسين	عدد الإداريين
	١٦٢٠٤٩١	٨٥٤٠٩	٨٠١٦٢
المجموع	١٧٨٦٠٦٢		

وبذلك يصبح المجموع الكلي لأعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية في جميع مراحل الدراسة في التعليم العام والجامعي: (٧٨٩٠٥٣٧) سبعة ملايين وثمان مائة وتسعون ألف وخمسة مائة وسبعة وثلاثون فرداً<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذه الإحصائية ندرك أهمية الحسبة الوقائية في المجال التعليمي حيث يبلغ أعداد الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية ربع سكان المملكة العربية السعودية تقريباً، ولا شك أن حماية هذه النسبة من القوة البشرية يحتم اتخاذ القرارات المبكرة وبصفة عاجلة لتفادي خسائر فادحة في المجال التعليمي لا قدر الله، للحد من انتشار فايروس كورونا بين الطلاب والطالبات والهيئة التدريسية والإدارية، والذي سيكلف الدولة مبالغ طائلة لا قدر الله لمعالجة المصابين. ولكن بحمد الله وتوفيقه وبقيادة خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده الأمين صاحب السمو الملكي الأمير محمد بن سلمان، تم تدارك ذلك باتخاذ القرارات الحكيمة بتعليق الدراسة في جميع المراحل التعليمية في المملكة العربية السعودية، فالحمد لله أولاً وآخرًا.

(١) إحصائية وزارة التعليم لعام ١٤٣٨-١٤٣٩ هـ. انظر: موقع وزارة التعليم الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

## الفرع الثاني: تعليق الدروس العلمية، والمحاضرات وحلقات تحفيظ القرآن الكريم والدور النسائية.

لا يخفى مكانة المسجد في الإسلام ورسالته، وأنه من أبرز ميادين التعليم منذ عهد رسول الله ﷺ وعهد الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وعلى مر العصور إلى وقتنا الحاضر ولا زالت بيوت الله تعالى تمارس وظيفة التعليم والتربية والدعوة حتى تخرج فيها أبرز علماء الأمة بعد الصحابة والتابعين، وبقيّة القرون المفضلة من فقهاء وقضاة ودعاة إلى الله تعالى، الذين ملأوا الدنيا علمًا، وعمروها عملاً ودعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإن مما تتميز به بلاد الحرمين الشريفين ويدعو للفخر حلق القرآن الكريم المنتشرة في جميع مدن ومحافظات ومراكز وقرى المملكة التي انتشر خيرها، وعمّ نفعها<sup>(١)</sup>.

ونظرًا لانتشار حلق العلم ومدارس تحفيظ القرآن الكريم في أنحاء المملكة فقد قضت المصلحة إلى تعليق جميع المناشط العلمية من دروس ومحاضرات وحلق لتحفيظ القرآن الكريم للوقاية من جائحة كورونا وحفاظًا لمرتابيها من الأمراض والأوبئة، ولذا فقد أصدرت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد قرارًا بتعليق الدروس العلمية، والبرامج الدعوية، والمحاضرات، والدراسة في الدور النسائية، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم في جميع جوامع ومساجد المملكة اعتبارًا من يوم الإثنين الموافق ١٣ / ٧ / ١٤٤١ هـ<sup>(٢)</sup>.

يتضح لنا فيما سبق أهمية الحسبة الوقائية في المجال العلمي، حيث عنيت وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد بجانب الوقاية والأخذ بالاحترازمات الوقائية ويمكن توضيح هذه الأهمية من خلال عرض إحصائية تقريبية<sup>(٣)</sup> لأعداد الطلاب التابعين

(١) انظر: وظيفة المسجد في المجتمع، أ.د. زيد بن عبدالكريم الزيد، ص ٥١، الطبعة (١) دار العاصمة، الرياض، ١٤٢٢ هـ.

(٢) موقع وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

(٣) الكتاب الإحصائي للعام المالي ١٤٣٨-١٤٣٩ هـ. إصدار إدارة الإحصاء بوكالة التخطيط والتطوير بوزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ص ٣٢-٣٤.

للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والكادر التعليمي والإداري وأعداد الطالبات في الدور النسائية مع الكادر التعليمي والإداري وذلك على النحو التالي:

أولاً: الطلاب التابعون للجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والكادر التعليمي والإداري في المملكة.

م	عدد الطلاب	عدد المدرسين	عدد الموجهين	عدد الموظفين
	٣٧٨٣٦٧	٢٠٠٨٠	١٦٩٢	١٥٣٢١
المجموع	٤١٥٤٦٠			

ثانياً: الطالبات التابعات للدور النسائية لتحفيظ القرآن الكريم والكادر التعليمي والإداري في المملكة.

م	عدد الطالبات	عدد المدرسات	عدد الموجهات	عدد الموظفات
	٦٨١٨١٢	٢٩٠٩٣	١٧٨٥	١٩٩٩٦
المجموع	٧٣٢٦٨٦			

المجموع الكلي تقريباً لجميع منسوبي الجمعيات الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم والدور النسائية مع الكادر التعليمي والإداري: (١١٤٨١٤٦) مليون ومائة وأربع وثمانون ألف ومائة وستة وأربعون فرداً.

ومن خلال هذه الإحصائية التقريبية يظهر لنا جلياً أهمية تعليق الدروس العلمية والمحاضرات وحلقات تحفيظ القرآن الكريم، والدور النسائية لتحفيظ القرآن الكريم في جميع جوامع ومساجد المملكة عملاً بالتدابير الاحترازية.



## المبحث الثاني

الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية  
في المجال الصحي والاجتماعي في ظل جائحة كورونا  
المطلب الأول:

## الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الصحي في ظل جائحة كورونا:

المجال الصحي يعد أهم المجالات في جاب الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا لأن الموضوع يتعلق بالأمراض المعدية ووزارة الصحة في المملكة هي الجهة المختصة لمواجهة جائحة كورونا بالإضافة إلى مساندة القطاعات الحكومية الأخرى، وجهود وزارة الصحة في مكافحة فيروس كورونا كانت جهودًا جبارة بدءًا من الاستعداد لمواجهة الفايروس باتخاذ كافة الإجراءات الاحترازية، وإصدار النصائح والإرشادات الطبية للمواطنين والمقيمين والمسافرين، كما أصدرت الوزارة دليلًا صحيًا للتعامل مع الحالات المشتبهة، وتجهيز كافة الفحوص المخبرية لها، كما عملت على إعداد ملف متعدد الوسائط شامل كل المعلومات التي تتعلق بالفايروس، كما استخدمت الوزارة التقنيات الحديثة لتقديم الاستشارات الطبية المجانية على مدار الأربع وعشرين ساعة، وتوفير وصفات طبية إلكترونية للمرضى، وتوصيلها إلى منازلهم مجانًا لتجنبيهم من الحضور الشخصي إلى المستشفيات والمراكز الطبية<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى عقد مؤتمر صحفي كل يوم لاطلاع المجتمع السعودي على مستجدات فيروس كورونا بكل وضوح وشفافية، ومن خلال هذا المطلب سنتناول إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي في ظل جائحة كورونا بشيء من التفصيل.

(١) انظر: وزارة الصحة جهود تشكر، هاجر الدوسري، مقال في صحيفة الوطن أون لاين، ٢٤ فبراير ٢٠٢٠، وكالة الأنباء السعودية (واس) ٨ شعبان ١٤٤١هـ.



## الفرع الأول: العزل الصحي.

العزل في اللغة بفتح العين وسكون الزاي: هو التنحية، قال ابن فارس في مقاييس اللغة: العين والزاي واللام أصل صحيح يدل على تنحية وإمالة. تقول عَزَلُ الإنسانُ الشيءَ يعزله، إذا نَحَّاهُ في جانب، وهو بِمَعَزَلٍ وفي مَعَزِلٍ عن أصحابه، أي في ناحية عنهم (١). ويقال: عزل المرضى عن الأصحاء: أنزلهم في مكان منعزل اتقاء العدوى (٢).

أما العزل في الاصطلاح الطبي فصل الشخص المصاب أو المشتبه بإصابته بمرض معدٍ بطريقة تحول دون انتشار العدوى ويكون العزل إما في المستشفى، أو عزل منزلي (٣). بمعنى عزل المصابين بمرض معدٍ عن الأشخاص الأصحاء.

ولقد وضع الإسلام تعاليم واضحة لعزل المرضى المصابين بداءٍ معدٍ في البيوت أو المستشفيات، وعدم السماح لهم بالاختلاط بالآخرين، وعلى المريض أن يراعي مسؤولية الحفاظ على صحة الناس بعدم الاختلاط بهم والالتزام بالعزل الصحي، وقد أشار رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله: (لا يُورِدَنَّ مُرْضٌ عَلَى مُصِحِّ) (٤)، وطرق العدوى متعددة إما بواسطة التنفس كما في أمراض الجهاز التنفسي كالأنفلونزا والسل الرئوي، أو عن طريق الملامسة كالجذري والجذام، أو عن طريق المعاشرة الجنسية كما في الأمراض التناسلية كالإيدز والزهري والسيلان، وغيرها من الأمراض، لذا فإن العناية بعزل المصابين بالأمراض

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون ٣٠٧/٤، الطبعة (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٣٩٩هـ.

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص ٥٩٩.

(٣) دليل الحجر الصحي والإقامة المنزلية تحت المراقبة لمرض كورونا كوفيد ١٩، المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: لا هامة، حديث رقم (٥٧٧١).

المعدية<sup>(١)</sup> "ضرورة حتمية حثَّ عليها الإسلام ليصون الحياة، ويبقى على سلامتها، ويدفع عن الإنسان الأذى والمكروه، وما يعكر صفو الحياة ويعطلها"<sup>(٢)</sup>.

لذا فإن العزل الصحي من التدابير الاحترازية والوقائية الهامة فعلى المرضى جميعاً أن يُقدِّروا خطورة الحالة التي هم فيها، ولا يؤذوا الناس ويكونون سبباً في إصابة جماهير الناس من جراء الاختلاط بهم<sup>(٣)</sup> لأن ذلك داخل في الإفساد في الأرض، كما قال تعالى:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾<sup>(٤)</sup>.

ولذا فإن من إجراءات الحسبة الوقائية التي اتخذتها وزارة الصحة العزل الصحي للأفراد المصابين بفايروس كورونا وهيئت جميع الإمكانيات المادية والبشرية لمساعدة الأشخاص المصابين، كما خصصت عدد من المستشفيات لاستقبالهم وتوفير العناية الطبية اللازمة لهم.

### الفرع الثاني: الحجر الصحي.

الحجر في اللغة بفتح الحاء وسكون الجيم: هو المنع، قال ابن فارس في معيار اللغة: الحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد وهو المنع والإحاطة على الشيء..، فالْحَجْرُ حَجْرُ الإنسان، ويقال حَجَرُ الحاكم على السفينة حجراً، وذلك منعه إياه من التصرف في ماله.<sup>(٥)</sup>

(١) انظر: الصحة الوقائية في الإسلام، د. مروان القدومي، ص ١٩٨، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٢م. التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث، إعداد: إيمان بنت عبدالعزيز المبرد، بحث ماجستير مقدم لقسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ، ص ٦٦.

(٢) الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبدالله، ص ٨٤، الطبعة (١)، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، العراق، ١٤١٠هـ.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٨٤.

(٤) سورة الأعراف، الآية: (٥٦).

(٥) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون ١٣٨/٢، الطبعة (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٣٩٩هـ.

أما الحجر في الاصطلاح الطبي الحد من تحركات الأصحاء الذين اختلطوا بمن أصيب بمرضٍ سارٍ خلال فترة القابلية للعدوى (١).

وقد عرف المسلمون الحجر الصحي منذ عهد النبي ﷺ ففي الحديث الصحيح قال ﷺ (الطَّاعُونَ) (٢) رَجَزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ) (٣) وهذه أول إشارة إلى الحجر الصحي على مستوى الحياة البشرية في تاريخ الطب الوبائي، والحديث يفيد أن يبقوا الناس بتلك الأرض ولا يغادروها؛ حتى لا يكونوا ناقلين للمرض وموسعين انتشاره محدثين وباءً عامًا من جراء التنقل بين المدن والأقطار (٤).

ومن ذلك مرض الجذام (٥) وهو من الأمراض الفتاكة والخطيرة التي قال عنها رسول الله ﷺ: (فِرٌّ مِنَ الْمَجْذُومِ فِرَارٌ مِنَ الْأَسَدِ) (٦).

قال في كشف القناع: " ولا يجوز للجذماء، مخالطة الأصحاء عموماً، ولا مخالطة أحد معين صحيح إلا بإذنه، وعلى ولاة الأمور منعهم من مخالطة الأصحاء، بأن يسكنوا في مكان مفرد لهم ونحو ذلك (٧).

(١) الموسوعة الطبية الفقهية، د. أحمد محمد كنعان، ص ٧٠٤، الطبعة (١)، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٣) الطاعون: هو مرض معدٍ شديد الخطورة تسببه بكتيريا، وينتقل عن طريق البراغيث؛ حيث كان يعد من الأمراض الوبائية شديدة الانتشار، والذي أودى بحياة الملايين في السابق. موقع وزارة الصحة الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا أبو اليمان، حديث رقم (٣٤٧٣).

(٤) الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبدالله، ص ٧٨.

(٦) الجذام: علة تتأكل منها الأعضاء وتتساقط. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ص ١١٣.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الجذام، حديث رقم (٥٧٠٧).

(٧) كشف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، ١٢٦/٦، نشر دار الكتب العلمية.

وعلى سبيل الأخذ بوسائل الوقاية فقد تم تطبيق مبدأ الحجر الصحي الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٤٧ وتاريخ ١٤٣٣/٨/٧ هـ في ظل جائحة كورونا للأشخاص القادمين من خارج المملكة، وللأشخاص الذين خالطوا أشخاصاً أصيبوا بفيروس كورونا وهو يعد من الحسبة الوقائية في المجال الصحي، وللحجر الصحي إجراءات وتعليمات لا بد من الالتزام بها والذي يعيننا في هذا البحث الإجراءات الواجب اتخاذها أثناء الحجر الصحي وهي على النحو التالي: (١)

- ١- متابعة الحالة الصحية للأشخاص تحت الحجر مرتين يوميًا باستخدام النموذج المرفق
- ٢- التأكد من اتباع العاملين والاشخاص تحت الحجر للإجراءات الوقائية من غسل اليدين ولبس الكمامة الطبية.
- ٣- استخدام الأواني ذات الاستخدام الواحد للأكل والشرب.
- ٤- تطهير جميع الأسطح المكشوفة والأدوات التي يتم لمسها بشكل يومي بالمطهرات المعتمدة من وزارة الصحة ومن قبل أشخاص مدربين مع الحرص على ارتداء القفازات والكمامة التنفسية والرداء الطبي أثناء التنظيف.
- ٥- عند الحاجة لغسل ملابس الأشخاص تحت الحجر يتم استخدام أدوات الحماية الشخصية (القفازات والكمامة التنفسية والرداء الطبي) واستخدام الماء الدافئ والمنظفات لأطول وقت ممكن ثم القيام بتجفيفهما باستخدام مجفف الملابس.
- ٦- التأكد من تهوية غرفة الحجر الصحي بشكل جيد.
- ٧- التخلص الآمن من النفايات الطبية.

(١) دليل الحجر الصحي والإقامة المنزلية تحت المراقبة لمرض كورونا كوفيد ١٩، المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.

٨- يتم إبلاغ المشرف عن الحجر الطبي في حال وجود ارتفاع بدرجة الحرارة أو ظهور أي أعراض تنفسية للأشخاص تحت الحجر أو العاملين في منطقة الحجر ليتم التقييم الطبي وإكمال الإجراءات اللازمة.

## الفرع الثالث: منع التجول.

المقصود بمنع التجول هو منع الأشخاص غير المصابين ولم تظهر عليهم علامات الإصابة بفيروس كورونا من الخروج من منازلهم وهم عامة أفراد المجتمع، والهدف من ذلك هو حماية أفراد المجتمع من الإصابة أو مخالطة المصابين بفيروس كورونا لتحقيق مصلحة عظيمة وعامة وهو دفع الخطر عن المجتمع، وهذا من الاحترازمات المهمة، والتي تدخل في باب الحسبة الوقائية في الجانب الصحي، ونشير هنا إلى الأمر الملكي الصادر بشأن منع التجول الجزئي لعموم المواطنين والمقيمين في جميع مناطق المملكة العربية السعودية، بتاريخ ١٤٤١/٧/٢٧هـ وجاء في الأمر الملكي:

منع التجول للحد من انتشار فيروس كورونا الجديد ابتداءً من الساعة مساءً وحتى الساعة السادسة صباحاً لمدة (٢١) يوماً من مساء الإثنين ٢٨ رجب ١٤٤١هـ، الموافق ٢٣ مارس ٢٠٢٠م.

وقد تضمن الأمر الكريم للجهات المعنية حث المواطنين على البقاء في منازلهم خلال المدة القادمة وبخاصة فترة منع التجول، وعدم الخروج إلا في حالات الضرورة القصوى في الفترة التي لا يسري فيها المنع، إذ إن المحافظة على الصحة العامة باتت من أهم الواجبات على أبناء هذا الوطن ومن يقيم على أرضه، وعليهم أن يؤدوا واجبهم بالبقاء في منازلهم، وعدم تعريض أنفسهم وبلادهم لخطر تفشي هذه الجائحة<sup>(١)</sup>.

ولذا فإن حظر التجول بمثابة الإجراء الوقائي الصحي لكافة أفراد المجتمع للوقاية من جائحة كورونا.

(١) وكالة الأنباء السعودية (واس)، ٢٨ رجب ١٤٤١هـ.

## الفرع الرابع: فرض العقوبات <sup>(١)</sup> على الأشخاص المصابين في حال تعمد نقل العدوى إلى الآخرين.

من إجراءات الحسبة الوقائية في الجانب الصحي لمنع الإصابة بمرض كورونا فرض العقوبات على الأشخاص المصابين في حال تعمد نقل العدوى إلى الآخرين، وهذا الذي ينص عليه نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز)، حيث تنص المادة الثامنة عشرة من النظام أنه يحظر على المصاب في متلازمة العوز الوقائي مخالفة الإرشادات الوقائية التي تقررها الجهات الصحية، وعليه الالتزام بعدم تعمد نقل العدوى إلى غيره، وحيث ثبت علمياً أن فيروس كورونا سريع الانتشار وسريع العدوى، بل أوسع انتشاراً من متلازمة العوز الوقائي المناعي المكتسب (الإيدز)، فإن من يخالف نص المادة الثامنة عشرة الواردة في النظام يعرض صاحبه إلى العقوبة المغلظة وهي:

١- غرامة مالية لا تتجاوز مائة ألف ريال.

٢- أو السجن مدة لا تتجاوز خمس سنوات.

٣- أو بكلتا العقوبتين (الغرامة والسجن) <sup>(٢)</sup>.

ونلاحظ هنا التشديد في العقوبة المقدرة للمخالف؛ لأن مصلحة الجماعة منوطة بالعقوبة تشديداً وتخفيفاً، فإذا اقتضت مصلحة الجماعة التشديد شددت العقوبة، وإذا اقتضت المصلحة التخفيف خُففت العقوبة، لذا فهي تقاس بمقدار جسامة الجريمة،

(١) المقصود بالعقوبة: هي الألم الذي يلحق الإنسان مستحقاً على الجناية. الموسوعة الفقهية الكويتية، ٢٠٠٣/٢٦٩.

(٢) انظر: المادة الرابعة والعشرون من نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) وحقوقهم وواجباتهم.

والجريمة هنا هي نقل عدوى المرض للآخرين مما قد يتسبب في الوفاة لا قدر الله، وبذلك يكون الجزاء من جنس العمل<sup>(١)</sup>.

**الفرع الخامس: فرض العقوبات على الأشخاص المخالفين لتعليمات العزل أو الحجر الصحي.**

من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي، فرض العقوبات على الأشخاص المخالفين لتعليمات العزل أو الحجر الصحي؛ لأن العقوبة فيها منفعة للجماعة والفرد، وحماية المجتمع من الأخطار وذلك على النحو التالي:

- ١- غرامة مالية لا تزيد على مائتي ألف ريال.
- ٢- أو السجن لمدة لا تزيد عن سنتين.
- ٣- أو بكلتا العقوبتين<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر: المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، د. راوية بنت أحمد الظهار، ص ٦٥، ٧٦، الطبعة (١)، من منشورات جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٦هـ. المادة الرابعة والعشرون من نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) وحقوقهم وواجباتهم.

(٢) موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٢/٩/١٤٤١هـ.



## الفرع السادس: توعية المجتمع بالإرشادات الوقائية وإصدار الأدلة الإرشادية للتعامل مع جائحة كورونا.

### أ- التوعية:

كثفت وزارة الصحة جهودها التوعوية للمجتمع لبيان آلية التعامل مع فيروس كورونا المستجد، وأوضحت أهمية التقيد بالاحتياطات الوقائية ومن أهمها:

١. المتابعة على غسل اليدين بالماء والصابون لمدة ٢٠ ثانية.
٢. المتابعة على غسل اليدين بالماء والصابون لمدة ٢٠ ثانية.
٣. تغطية الفم، والأنف عند السعال والعطاس.
٤. ضرورة البقاء في المنزل، وتجنب الاختلاط بالآخرين.
٥. شرح أعراض الإصابة بالفيروس، ومن أبرزها: الحمى، والسعال، وضيق في التنفس.

٦. ضرورة التوجه إلى أقرب مركز صحي عندما تظهر أعراض الإصابة بالفيروس.
٧. تجنب الاتصال بالحيوانات (حية، أو ميتة)، أو المنتجات الحيوانية، أو التردد على أسواق تداول الحيوانات.

٨. تجنب الاتصال بأشخاص مصابين بأعراض تنفسية (١)

### ب- إصدار الأدلة الإرشادية الوقائية:

نشر المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها عبر حساباته في مواقع التواصل الاجتماعي، وموقعه الإلكتروني عددًا من الأدلة الإرشادية الوقائية الخاصة بفيروس (كورونا) الجديد، تتضمن الخطوات الواجب اتباعها عند السفر، وفي أماكن التجمعات،

(١) موقع وزارة الصحة الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

والمساجد، وأماكن العمل، وفي المدارس، والجامعات، وداخل المنازل ومن الأمثلة على ذلك ما يلي (١):

١. التدابير الوقائية من كورونا كوفيد-١٩ في المدارس.
٢. التدابير الوقائية من كورونا المستجد كوفيد-١٩ في الجامعات.
٣. دليل التعامل مع فيروس كورونا المستجد-١٩ للعاملين في القطاع الصحي.
٤. الدليل الإرشادي (الحجر الصحي - العزل الطبي).
٥. دليل الإجراءات الوقائية للعاملين في المنافذ.
٦. دليل التعامل مع حالات الوفاة لمصابين بفيروس كورونا المستجد.
٧. الدليل الإرشادي (إجلاء المواطنين من خارج المملكة).
٨. دليل التعامل مع حالات عدوى فايروس كوفيد-١٩.

**الفرع السابع: وضع إجراءات وقائية من فيروس كورونا للمجمعات والأسواق التجارية.**

ومن إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي، ألزمت وزارة الشؤون البلدية والقروية المجمعات والأسواق التجارية (٢) بعدد من الإجراءات الوقائية في سبيل الحد من انتشار فيروس كورونا ومن تلك الإجراءات: (٣)

١. تطبيق معايير النظافة والتطهير ولا تقتصر على توفير المعقمات.
٢. تطهير دورات المياه والحنفيات.
٣. تطهير مناطق ألعاب الأطفال.
٤. تطهير المصاعد الكهربائية والمداخل والمقابض.

(١) انظر: المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.  
 (٢) وهذه الإجراءات قبل الأمر بإغلاق المجمعات والأسواق التجارية.  
 (٣) الحساب الرسمي لأمانة منطقة الرياض على تويتر بتاريخ ١٠ مارس ٢٠٢٠م.

٥. تطهير عربات التسوق.
  ٦. التثقيف بالإجراءات الوقائية في الشاشات الداخلية والخارجية.
  ٧. توفير الصابون والمناشف الورقية.
  ٨. تطهير الأدوات المستخدمة والأسطح الملامسة.
- ويظهر لنا من خلال العرض السابق لإجراءات الحسبة الوقائية في المجال الصحي الجهود العظيمة والكبيرة التي بُذلت في المجال الصحي، لما تشتمل عليه من حسن إدارة للأزمة، وسرعة التنفيذ، وتقديم كامل الدعم المالي والبشري لاحتواء جائحة كورونا، والتعامل معها بكل مهنية وكفاءة.

## المطلب الثاني:

## الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الاجتماعي في ظل جائحة كورونا:

تُعد العلاقات الاجتماعية من الجوانب المهمة في حياة الناس، لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، فلا يمكن أن يعيش الإنسان وحيداً في هذه الحياة الدنيا بدون أن يتعرف على الآخرين أو يخالطهم، أو يعاشرهم لما في ذلك من المصالح الدينية والدينية، ولذا قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾<sup>(١)</sup> قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رحمته الله في تفسيره: "أي يخبر الله - تعالى - أنه خلق آدم من أصل واحد وجنس واحد، وكلهم من ذكر وأُنثى، ويرجعون جميعهم إلى آدم وحواء، ولكن الله - تعالى - بث منهما رجالاً كثيراً ونساءً، وفرّقهم، وجعلهم شعوباً وقبائل صغاراً وكباراً، وذلك لأجل أن يتعارفوا، فإنهم لو استقل كل واحد منهم بنفسه لم يحصل بذلك التعارف الذي يترتب عليه التناصر والتعاون والتوارث، والقيام بحقوق الأقارب، ولكن الله جعلهم شعوباً وقبائل، لأجل أن تحصل هذه الأمور وغيرها، مما يتوقف على التعارف ولحوق الأنساب"<sup>(٢)</sup>.

ولذا ترتب على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع المسلم عدد من الواجبات والحقوق التي يجب القيام بها على الوجه الأكمل كما حث عليها ديننا الحنيف وهذه الواجبات تبدأ من بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الآخرين، وغير ذلك من الحقوق، وفي الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله - ﷺ: (حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ: إِذَا لَقِيْتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَاجِبْهُ،

(١) سورة الحجرات، الآية: (١٣).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن السعدي، ص ٨٠٢، الطبعة (١)

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.

وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانصَحْهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِتَتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدَّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ<sup>(١)</sup> وفي الحديث يظهر عدد من الجوانب المهمة التي تربط المسلمين بعضهم ببعض وهي تمثل جملة من الحقوق الشرعية التي يجب القيام بها.

ومما يميز المجتمع السعودي بشكل عام التكافل الاجتماعي والترابط بين الأسر، والتواصل الدائم مع الآخرين مما يجعل التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع السعودي في غاية الأهمية كالزيارات بين الأقارب، وحضور المناسبات في الأعياد والأعراس، وغيرها من المناسبات، إلا أنه في ظل الظروف التي يعيشها العالم بسبب جائحة كورونا فقد اتخذ ولي الأمر عدد من الإجراءات الاحترازية للوقاية من انتشار فيروس كورونا وهذه الإجراءات تدخل في باب الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي وستتناول في هذا المطلب عدد من هذا الإجراءات.

### الفرع الأول: فرض التباعد الاجتماعي ومنع التجمعات بجميع صورها وأشكالها.

استمراراً للجهود التي تبذلها الدولة حرسها الله في تخفيف آثار فيروس كورونا ومنع انتشاره فقد تم فرض التباعد الاجتماعي ومنع التجمعات العامة بين الأسر والأقارب والعائلات للمصلحة العامة والأخذ بالاحترازمات الوقائية، ولذا فقد صدر بيان من وزارة الداخلية بهذا الشأن ونص البيان:

"صرح مصدر مسؤول في وزارة الداخلية بأنه وفقاً للإجراءات الوقائية والاحترازية التي أوصت بها الجهات الصحية المختصة في المملكة العربية السعودية، في إطار الجهود الحثيثة للسيطرة على فيروس كورونا الجديد(COVID19) ومنع انتشاره، وانطلاقاً من الحرص على حماية صحة المواطنين والمقيمين وضمان سلامتهم، فقد تقرر اعتباراً من يوم الجمعة ١٨ رجب ١٤٤١هـ الموافق ١٣ مارس ٢٠٢٠م، تعليق إقامة المناسبات في صالات

(١) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام، حديث رقم (٢١٦٢).

الأفراح أو الاستراحات أو قاعات المناسبات والفنادق، حيث تتولى إمارات المناطق متابعة تطبيق القرار.

وتدعو وزارة الداخلية الجميع إلى الالتزام بتنفيذ القرار حرصاً على حماية صحة المواطنين والمقيمين، والتزاماً بالإجراءات الوقائية الاحترازية الضرورية<sup>(١)</sup>.

وتعد هذه المرحلة الأولى من مراحل الإجراءات الوقائية في المجال الاجتماعي، حيث تلي هذه المرحلة مراحل أخرى للتأكيد على ضمان نجاح هذه الإجراءات لمنع التجمعات البشرية.

### الفرع الثاني: صدور لائحة الحد من التجمعات.

من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي إصدار لائحة الحد من التجمعات، التي تهدف إلى فرض التباعد الاجتماعي، ومنع التجمعات التي تمثل العامل الرئيس في انتشار الفيروس وبالتالي حصول العدوى المسببة لفيروس كورونا، ولا شك أن هذا من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي لأن الاجتماع واللقاء بالآخرين من أقوى صور العمل الاجتماعي بين الناس، كالزيارة، وحضور مناسبة وغير ذلك؛ ولمنع وقوع الضرر على أفراد المجتمع جاءت لائحة الحد من التجمعات<sup>(٢)</sup> وهي على النحو التالي:

أولاً: تهدف اللائحة إلى فرض التباعد الاجتماعي وتنظيم التجمعات البشرية التي تكون سبباً مباشراً لتفشي فيروس كورونا المستجد، والحد منها بما يضمن الحيلولة دون تفشي الفيروس وفقد السيطرة عليه واحتوائه.

(١) وكالة الأنباء السعودية (واس) بتاريخ ١٧/٧/١٤٤١هـ.

(٢) موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٤/٩/١٤٤١هـ.

ثانياً: يقصد بالتجمعات لأغراض تطبيق هذه اللائحة، أي تجمع لأكثر من أسرة واحدة، أو أي تجمع بحسب ما أشير إليه في البند (ثالثاً) من هذه اللائحة يتكون من (٥) أشخاص فأكثر في حيز واحد أو محدد ولا يربطهم علاقة سكنية واحدة.

ثالثاً: تُمنع التجمعات بكافة صورها وأشكالها وأماكن حدوثها، وتشمل ما يلي:

— التجمعات العائلية: (أي تجمع داخل المنازل أو الاستراحات أو المزارع لأكثر من أسرة).

— التجمعات غير العائلية: (أي تجمع داخل المنازل، أو الاستراحات أو المزارع أو المخيمات أو الشاليهات أو المناطق المفتوحة لأهل الحي الواحد أو غيره، ونحوها).

— التجمعات في المناسبات الاجتماعية: (مناسبات الأفراح، والعزاء، والحفلات، والندوات، والصالونات، ونحوها).

— التجمعات العمالية: (أي تجمع من فئة العمال داخل المنازل أو المباني التي تحت الإنشاء، أو الاستراحات أو المزارع ونحوها، خلاف مساكنهم).

. التجمعات في المحلات التجارية المصريح لها: (أي تجمع للمتسوقين أو العاملين داخل أو خارج المحل التجاري بما يتجاوز الأعداد المنصوص عليها في الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية).

رابعاً: يتولى ضبط التجمعات بجميع صورها وأشكالها وأماكن حدوثها سواءً داخل الأحياء أو المدن أو خارجها، وحدات أمنية تخصص لهذا الغرض، إضافة إلى الجهات المشرفة على منشآت القطاع الخاص.

خامساً: يُعد مخالفاً لأحكام هذه اللائحة أيضاً كل من حضر التجمع محل المخالفة أو دعا إليه أو تسبب فيه.

سادساً: تنشر الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية - وأي تحديث يجري عليها - والمخالفات المتعلقة بها والعقوبات المترتبة عليها في وسائل الإعلام الرسمية.

**سابعًا:** على جميع الأفراد والكيانات من القطاعين العام والخاص، التقيد التام بالتعليمات المعتمدة المتصلة باشتراطات السلامة الصحية وقواعد التباعد الاجتماعي ومنع التجمعات بجميع صورها وأشكالها وأماكن حدوثها.

**ثامنًا:** على كل من يعلم عن أي تجمع مخالف لأحكام هذه اللائحة، إبلاغ الجهة المختصة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني (٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء منطقة مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم (911).

ومن خلال عرض اللائحة السابقة يظهر لنا الإجراءات الوقائية في المجال الاجتماعي، والتي تؤكد أهمية منع التجمعات العائلية وغيرها لحماية أفراد المجتمع من جائحة كورونا.

**الفرع الثالث: اعتماد تصنيف المخالفات والعقوبات المقررة لمخالفة لائحة الحد من التجمعات.**

إضافة إلى ما سبق من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي، تم اعتماد تصنيف يتعلق بالمخالفات والعقوبات المترتبة على مخالفة لائحة الحد من التجمعات، ويعد هذا الإجراء وقائي اقتضته مصلحة الجماعة:<sup>(١)</sup>

١. التجمع العائلي داخل المنازل أو الاستراحات أو المزارع لأكثر من أسرة، ولا يربطهم علاقة سكنية واحدة، العقوبة (١٠,٠٠٠) ريال.
٢. التجمع غير العائلي داخل المنازل، أو الاستراحات أو المزارع أو المخيمات أو الشاليهات أو المناطق المفتوحة لأهل الحي الواحد أو غيره، ونحوها، العقوبة (١٥,٠٠٠) ريال.
٣. التجمع في مناسبات الأفراح، والعزاء، والحفلات، والندوات، والصالونات، ونحوها، العقوبة (٣٠,٠٠٠) ريال.

(١) موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت بتاريخ ١٤ / ٩ / ١٤٤١ هـ.



٤. أي تجمع من فئة العمال داخل المنازل أو المباني التي تحت الإنشاء، أو الاستراحات أو المزارع ونحوها، خلاف مساكنهم، العقوبة (٥٠,٠٠٠) ريال.

٥. أي تجمع للمتسوقين أو العاملين داخل أو خارج المحل التجاري بما يتجاوز الأعداد المنصوص عليها في الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية، العقوبة (٥,٠٠٠) ريال عن كل شخص زاد عن الأعداد المنصوص عليها بما لا يزيد عن (١٠٠,٠٠٠) ريال.

٦. تكرار أي من المخالفات المشار إليها في الفقرات من (١ — ٥) للمرة الأولى، مضاعفة العقوبة الموقعة في المرة الأولى مع إغلاق منشآت القطاع الخاص لمدة (٣) أشهر.

٧. تكرار أي من المخالفات المشار إليها في الفقرات من (١ - ٥) للمرة الثانية:  
أ- مضاعفة العقوبة الموقعة في المرة الثانية على منشآت القطاع الخاص مع إغلاقها لمدة ٦ أشهر.

ب- إحالة المسؤول للنيابة العامة.

كما أوضح المصدر أن حضور أي من التجمعات محل المخالفة، المشار إليها في الفقرات من (١ — ٥) أو الدعوة لها أو التسبب فيها، سيكون عقوبتها (٥,٠٠٠) ريال، وأن تكرارها (للمرة الأولى) سيضاعف المبلغ إلى (١٠,٠٠٠) ريال، وفي حال تكرارها (للمرة الثانية) سيتم إحالة المخالف للنيابة العامة.

ويظهر للقارئ الكريم التصنيفات الواردة في مخالفات التجمعات وعقوباتها بأنها حازمة ومشددة، والهدف من ذلك صيانة النفس البشرية من المخاطر والتهديدات، ومن أخطرها وباء كورونا المنتشر لذا اتخذت الدولة هذه الإجراءات الوقائية ضمن إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الاجتماعي للحماية من فيروس كورونا.



## المبحث الثالث

## الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية

## في المجال الأمني والتجاري في ظل جائحة كورونا

المطلب الأول: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا.

المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال التجاري في ظل جائحة كورونا.

## المطلب الأول:

## الحسبة الوقائية للمملكة في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا.

الأمن كلمة خفيفة على اللسان، عميقة في الوجدان، وهو مطلب الناس أجمعين، فالإنسان لا يستطيع أن يعيش مطمئنًا على نفسه ودينه وعرضه دون توفر الأمن، وقد قال المصطفى ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا<sup>(١)</sup> فِي سِرْبِهِ<sup>(٢)</sup> مُعَافٍ فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ<sup>(٣)</sup> لَهُ الدُّنْيَا)<sup>(٤)</sup>، والمراد من الحديث: المبالغة في حصول الأمن ولو في بيت تحت الأرض<sup>(٥)</sup>. فالنبي ﷺ جعل حياة الدنيا بالحصول على الأمور الواردة في

(١) آمناً: أي غي خائف من عدو. انظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، محمد عبد الرحمن

المباركفوري، ٩/٧، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

(٢) سريره: المشهور كسر السين أي في نفسه وقيل السرب الجماعة فالمعنى: في أهله وعياله وقيل:

بفتح السين أي: في مسلكه وطريقه، وقيل: بفتحتين أي في بيته. ينظر: تحفة الأحوذى بشرح

جامع الترمذي، المباركفوري، ٩/٧.

(٣) حيزت: ضمت وجمعت. ينظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، ٦/٦٨، الطبعة

(١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.

(٤) أخرجه الترمذي، أبواب الزهد، باب: في الوصف من حيزت له الدنيا، حديث رقم (٢٣٤٦)،

ص ٥٣٦، وحسنه الألباني، ينظر: تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ٩/٧.

(٥) تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، ١٠/٧.

الحديث وجعل في مقدمتها حصول الأمن، فبدونه لا يستلذ العيش، ولا يستطاب الغذاء، ولا يهنأ الإنسان بمجاثاته (١).

ومما يدل على أهمية الأمن دعاء أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام لمكة المكرمة بتوفر الأمن قبل توفر الرزق، قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمِّتْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ (٢).

قال الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله: لقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا أمن بدونها، وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة فلا يحتل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول وإذا اختل الثلاث الأخرى (٣).

ومن هنا نعلم أن ثبات الأمن وتأكيده، وتوفير الأمان وتعميمه هو المرتكز والأساس لكل عوامل البناء والتنمية، وتحقيق النهضة الشاملة وبدون ذلك يستوطن الخوف وتعم الفوضى ويشيع الضياع فتفقد الأمة أساس البناء وأسباب البقاء (٤)، وعندما تتأمل النصوص النبوية نجد أنها تحث على أهمية إشاعة الطمأنينة والأمن والسرور في قلوب الناس، وأنه من أحب الأعمال إلى الله فعن عبدالله ابن عمر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُم لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزْرٌ وَجَلٌّ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ

(١) ينظر: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، أمل محمد نور، ص ٢٧، بحث تكميلي مقدم لقسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧ هـ.

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٢٦).

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور، ١/٧١٥، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، د.ت.

(٤) أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن دراسة تأصيلية، عبدالعزيز الجوهر، ص ٧٣.

جوعًا ... الحديث<sup>(١)</sup> وإدخال السرور والأمان إلى نفوس الناس يتأكد في زمن الكوارث والأزمات وذلك بإشاعة الأمن والطمأنينة في نفوسهم، ونقل الأخبار الإيجابية الداعية للتفاؤل والأمل، حتى تقوى النفوس وتصبح صامدة أمام المشكلات بكل عزم وصر، وفي ظل جائحة كورونا يتأكد أهمية الأمن والتفاؤل، لأن الشعور بالأمن والتفاؤل يعكس آثارًا إيجابية على الصحة النفسية للإنسان، ومنها طمأنينة النفس وراحة القلب، والنظرة الإيجابية لكل محنة.

ومن هنا ندرك أهمية الحسبة الوقائية في المجال الأمني، حيث اتخذت الدولة إجراءات وقائية حازمة وقوية للحفاظ على أمن المجتمع في ظل جائحة كورونا وأبرز الجهات الحكومية التي لها دور كبير في مجال الحسبة الوقائية في المجال الأمني هي النيابة العامة، حيث سخرت جميع إمكاناتها وطاقاتها للتصدي لكل المخالفات والشائعات، واتخاذ كافة الإجراءات النظامية اللازمة تجاهها؛ لحماية المواطنين والمقيمين من كل ما من شأنه المساس بالأمن والنظام العام، وستتعرف على بعض هذه الإجراءات فيما يلي:

### الفرع الأول: منع إنتاج الصور ومقاطع الفيديو المخالفة لأمر منع التجول.

منع التجول في المملكة العربية السعودية صدر بأمر ملكي للحفاظ على سلامة المواطنين والمقيمين على أرض المملكة، ولذا فإن من الواجب على كافة أفراد المجتمع الالتزام بذلك وتطبيقه وفق ما جاء في بيان حظر التجول، إلا أنه وجد بعد الممارسات الخاطئة مثل التصوير أو إنتاج مقاطع الفيديو المخالفة لأمر منع التجول ونشرها والتي تعد من المخالفات الكبيرة التي قد تتسبب في الإخلال بالأمن أو التحريض عليه، ونظرًا لأهمية

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، تحقيق: طارق عوض الله وزميله، رقم الحديث (٦٠٢٦)، ١٣٩/٦، طبعة دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥هـ. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم (٩٠٦)، ٥٧٤/٢، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ.

المحافظة على الأمن واستتبابه فقد أصدرت النيابة العامة بياناً يمنع إنتاج الصور ومقاطع الفيديو المخالفة لأمر منع التجول وجاء في البيان:

"إنتاج صور أو مقاطع فيديو لمخالفات أمر منع التجول، أو التحريض عليه، ونشره عبر وسائل التقنية المعلوماتية، يُعد جريمة كبيرة موجبة للتوقيف ويُعاقب مرتكبها طبقاً للمادة السادسة من نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية بالسجن إلى ٥ سنوات وغرامة إلى ٣ ملايين ريال، دون أن تطال المساءلة للمُبلغين"<sup>(١)</sup>.

**الفرع الثاني: الأمر بالقبض على من ثبت مخالفته لأمر منع التجول من خلال التصوير أو نشر مقاطع الفيديو.**

من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني، القبض على الأشخاص الذين ثبت مخالفتهم أمر منع التجول، حيث "أفادت النيابة العامة أنه بناءً على ما تم رفعه من قبل وحدة الرصد في النيابة العامة بشأن تداول مقطع فيديو مصور عبر وسائل التواصل الاجتماعي، يتضمن محتواه قيام فتاة بإنتاج مقطع فيديو مصور فيه تحريض على مخالفة الأمر الملكي الصادر بحظر التجول. وبناءً على ما تقتضيه المصلحة العامة، فقد أصدرت النيابة العامة أمرها بتحريك الدعوى الجزائية العامة، استناداً إلى المادة (١٧) من نظام الإجراءات الجزائية، ومباشرة إجراءات الاستدلال طبقاً للمواد (٢٤، ٢٧، ٢٨) من ذات النظام، بعد القيام بإجراءات البحث والتحري والتحقق من صحة المقطع ونسبته لمن ظهرت به، والقبض على المعنية فيه واستكمال الموجب النظامي بحققها"<sup>(٢)</sup>.

(١) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) الموقع الإلكتروني الرسمي لجريدة الرياض على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٤ مارس ٢٠٢٠م.

### الفرع الثالث: حظر بث الشائعات ونشرها بين الناس، وعقوبة مشددة للمخالف.

يعد بث الشائعات وترويج الأخبار الكاذبة من الاعتداء والظلم للمجتمع، لأن فيها إثارة للبلبة وبث الذعر بين الناس بأخبار كاذبة، وهذا فيه خطر عظيم على أمن المجتمعات لأنه قد يترتب على ذلك ردة فعل عند البعض مما قد يتسبب في اختلال المنظومة الأمنية في المجتمع لذا فإن من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني يتطلب حظر الشائعات وتشديد العقوبة على المخالفين، وفي سياق التدابير الاحترازية للنيابة العامة لحفظ الأمن صرح مصدر مسؤول في النيابة العامة أنه بناءً على ما تم رفعه من قبل وحدة الرصد بشأن قيام أحد الأشخاص بإنتاج محتوى معلوماتي يتضمن شائعات وأخبار مجهولة المصدر عن فيروس كورونا المستجد كوفيد ١٩ ماسة بالنظام العام ونُشر تلك الشائعات عبر وسائط التواصل الاجتماعي، وعطفاً على ذلك صدر توجيه معالي النائب العام بالبحث والتحري عن المعني بالإجراء والقبض عليه واستكمال المقتضى النظامي بحقه، وتحليل الأدلة الرقمية والمعرفات المعلوماتية تم القبض عليه وانتهى التحقيق معه بتوجيه الاتهام له بإنتاج شائعات وأخبار مجهولة المصدر ماسة بالنظام العام متعلقة بفيروس كورونا وزعزعة الثقة في متانة ومناعة الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية المتخذة من قبل الجهات المختصة وأحيلت كامل أوراقه إلى محكمة المختصة والمطالبة بعقوبته بالسجن لمدة تصل خمس سنوات وغرامة تصل ثلاثة ملايين ريال ومصادرة الأجهزة المستخدمة في الجريمة ونشر الحكم بعد ثبوت الإدانة على نفقة المحكوم عليه، طبقاً للمادة السادسة من نظام مكافحة الجرائم المعلوماتية.

وأكد المصدر أن النطاق الشخصي للعقوبات المقررة لهذه الجريمة تطال كذلك كل من اشترك فيها بالاتفاق أو المساعدة أو التحريض والنطاق الموضوعي لها بذات العقوبة

يسري على كل من أنتج أو أعدَّ أو أرسل أو حَزَّن عن طريق الشبكة المعلوماتية أو أحد أجهزة الحاسب الآلي ما من شأنه المساس بالنظام العام<sup>(١)</sup>.

#### الفرع الرابع: توعية المجتمع بأهمية أخذ المعلومة من المصادر الرسمية لها.

ومن الإجراءات الوقائية في المجال الأمني توعية المجتمع بأهمية أخذ المعلومة من مصدرها الرسمي والتأكيد على ذلك؛ للبعد عن المعلومات الخاطئة، والأخبار الكاذبة، لاسيما أن جميع الجهات الحكومية لديها مواقع إلكترونية وحسابات في مواقع التواصل الاجتماعي، بالإضافة أن لكل جهة حكومية متحدث رسمي يناط به التصريح بالمعلومات والبيانات الرسمية الموثوقة، وتوضيح الصورة للناس والمعنيين في كل ما ينشر أو يقال في جميع المجالات المتعلقة بالجهة، لذا يمكن الاعتماد عليهم في أخذ المعلومة الصحيحة، لاسيما في أوقات الأزمات والكوارث لأن أي معلومة خاطئة تصل للجمهور في ظل الأزمات ربما تخلف آثارًا سلبية على الحياة العامة، والنظام العام، لذا وجهت النيابة العامة على حسابها الرسمي في تويتر رسالة للمجتمع تؤكد على أهمية أخذ المعلومة من المصادر الرسمية: "استقاء المعلومة من مصدرها الرسمي مطلب وطني يرسخ التوعية المجتمعية ويعزز الأمن المعلوماتي، فلا تكن شريكًا في إشاعة الأخبار مجهولة المصدر الماسة بالنظام العام عبر وسائل التواصل الاجتماعي التي من شأنها تصعيد مستوى الهلع لدى المجتمع؛ نأيًا بالنفس عن المساءلة الجزائية"<sup>(٢)</sup>.

وهذا من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني، للإسهام في صيانة أمن المجتمع من المنغصات، وخاصة خلال جائحة كورونا وحظر منع التجول، فالكثير من فئات المجتمع لا شك يقضي وقته بالساعات على الأجهزة الذكية، ويستقبل عبر منصات التواصل الاجتماعي كمًا هائلًا من الأخبار والمعلومات والإحصاءات وقد تكون مجهولة

(١) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٨ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٣ مارس ٢٠٢٠م.

المصدر، والنسبة العالية من مستخدمي الأجهزة الذكية للأسف يقوم مباشرة بتحويل هذه الرسائل قبل التأكد من صحتها ومصدرها، مما يسهم في نقل الأخبار المغلوطة وغير الصحيحة.

### الفرع الخامس: الأمر بالقبض على شخصين مارسا سلوكًا مضرًا بالصحة.

تقوم النيابة بجهود كبيرة في متابعة كل ما يتم تداوله على منصات التواصل الاجتماعي لرصد جميع السلوكيات الممنوعة، والمجربة شرعًا ونظامًا للحفاظ على أمن المجتمع، وصد كل ما من شأنه التأثير على الحياة العامة، والنظام العام، لذا قامت النيابة العامة بالقبض على شخصين قاما بشرب سائل تعقيم غير مخصص للتناول الإنساني أو الاستهلاك الآدمي وفيما يلي نص البيان الصادر من النيابة العامة بهذا الخصوص: " أكدت النيابة العامة أنه وفقًا لما تم رفعه من وحدة الرصد لديها بشأن قيام شخصين بشرب سائل تعقيم غير مخصص للتناول الإنساني أو الاستهلاك الآدمي وتصوير ذلك ونشره على وسائل التواصل الاجتماعي وتضليل المتلقي على أنه يقي من مرض كورونا، والترويج لذلك وكان كل منهما قد اقترف فعلته بشكل مستقل عن الآخر.

فصدر بشأنهما توجيه النيابة العامة إلى الجهة المختصة بالبحث والتحري عنهما والتعرف على هويتها والقبض عليهما على الفور وإحالتهما إلى النيابة العامة لاستكمال إجراءات التحقيق بحقهما وإحالتهما للمحكمة المختصة.

ويُعد ما قاما به من سلوك مادي محل تجريم شرعًا ونظامًا، لما ينطوي عليه من الجناية عمدًا على النفس وتعريضها للتهلكة، ومخاطبة غرائز الأطفال وإثارتها بما يزين لهم سلوكًا مضر بالصحة العامة، ونشر ما من شأنه المساس بالنظام العام، والمجرم طبقًا للمادة السادسة من نظام مكافحة جرائم المعلوماتية، والمقرر بشأنهما عقوبات صارمة من السجن



مدة تصل إلى خمس سنوات، وغرامة مالية تصل إلى ثلاثة ملايين ريال، فضلاً عن خرقهما لأحكام نظام حماية الطفل والعقوبات المترتبة على ذلك<sup>(١)</sup>.

ويظهر من خلال ما ورد في بيان النيابة العامة أن السلوك الذي قاما به الشخصين يمس بالنظام العام ولذا فإن من إجراءات الحسبة الوقائية معاقبة من يقوم بمثل تلك التصرفات لمنع أي تجاوزات أو مخالفات مستقبلاً في هذا المجال.

### الفرع السادس: حظر نشر الوثائق أو المعلومات السرية أو إفشاء أي منها.

الحفاظ على الأمن مسؤولية عظيمة يجب أن يدرك كل مواطن ومقيم أهمية ذلك والحذر من زعزعة الأمن بأي وسيلة كانت، ومن ذلك نشر الوثائق أو المعلومات السرية للدولة،<sup>(٢)</sup> لأن "للدولة الحق في حماية معلوماتها وصيانة أسرارها وإحاطة بياناتها بسياج منيع يحقق لها ولرعاياها الأمن المعلوماتي بصورة أولية والأمن بكافة أشكاله وصوره"<sup>(٣)</sup> لذا يجب أن يكون المجتمع على قدر المسؤولية ويمنعوا مثل هذه التصرفات المخالفة للأنظمة والتعليمات، لاسيما في أوقات الأزمات، ولذا وجهت النيابة العامة عبر حسابها الرسمي في تويتر حظر مثل هذه المخالفات كإجراء احترازي لمنع الوقوع فيها: "يُحظرُ نشرُ الوثائقِ أو المعلوماتِ السريةِ أو إفشاءِ أيِّ منهما، وتُعد من الجرائمِ الكبيرةِ الموجبة للتوقيف، وتتصلُّ بظرفٍ مُشددٍ إذا ارتُكبتِ ممن يَشغَلُ وظيفَةً ذاتَ طابعٍ سريِّ"<sup>(٤)</sup>

(١) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٩ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) وعرفت أسرار الدولة بأنها: "المسائل المتعلقة بجميع شؤون الدولة سواء كانت أمنية، أو تشريعية، أو قضائية، أو إدارية التي يجب الحفاظ عليها، وجعلها في طي الكتمان حماية للدولة، وكيانها، وسيادتها". جرائم انتهاك أسرار الدفاع عن البلاد، جابر المراغي، ص ٣٠، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨.

(٣) المسؤولية الجنائية في الإعلانات التجارية "دراسة تأصيلية مقارنة"، المستشار القانوني عبدالعزيز العبيد، ص ٢٤٢، الطبعة (٢)، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، ١٤٣٧هـ.

(٤) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٢ مايو ٢٠٢٠م.

وقد نصت المادة الخامسة من نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشائها مع عدم الإخلال بأي عقوبة أشد مقررة نظاماً، يعاقب بالسجن مدة لا تزيد على عشرين سنة أو بغرامة لا تزيد على مليون ريال أو بهما معاً، كل من:

١. نشر وثائق أو معلومات سرية أو أفشاها.
٢. دخل أو شرع في الدخول إلى أي مكان أو موقع غير مأذون له الدخول فيه؛ بقصد الحصول على وثائق أو معلومات سرية.
٣. حصل بأي وسيلة غير مشروعة على وثائق أو معلومات سرية.
٤. حاز أو علم - بحكم وظيفته - وثائق أو معلومات رسمية سرية فأفشاها أو أبلغها أو نشرها دون سبب مشروع مصرح به نظاماً.
٥. أتلف - عمدًا - وثائق سرية أو أساء استعمالها وهو يعلم أنها تتعلق بأمن الدولة أو بأي مصلحة عامة، وذلك بقصد الإضرار بمركز الدولة العسكري أو السياسي أو الدبلوماسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي.
٦. أخل بالمحافظة على سرية المعلومات والوثائق<sup>(١)</sup>.

كما نصت المادة السابعة من النظام أنه يراعى عند تطبيق العقوبة الواردة في المادة (الخامسة) من هذا النظام؛ التناسب بين الجريمة والعقوبة، مع مراعاة الظروف المخففة والمشددة للعقوبة، ويعد من الظروف المشددة ما يلي:

١. إذا ارتكبت الجريمة في زمن الحرب.
٢. إذا ارتكبت الجريمة لمصلحة دولة أجنبية، أو لأحد ممن يعملون لمصلحتها بأي صورة وعلى أي وجه وبأي وسيلة، سواء بطريق مباشر، أو غير مباشر.
٣. إذا كانت الوثيقة أو المعلومة مهمة وذات درجة سرية عالية.

(١) نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشائها المادة الخامسة.

٤. إذا كان الضرر الذي أصاب الدولة بسبب إفشاء الوثيقة أو المعلومة السرية جسيماً.

٥. إذا ارتكبت الجريمة بقصد الإضرار بالدولة.

٦. إذا ارتكبت الجريمة من يشغل وظيفة ذات طابع سري.

٧. إذا ارتكبت الجريمة من يشغل وظيفة عليا<sup>(١)</sup>.

ونلاحظ من خلال عرض المادتين الخامسة والسابعة من نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشاءها مدى خطورة الإقدام على مثل هذه التصرفات؛ لكونها تتعلق بالأمن الوطني، والنظام العام، للمملكة وسياساتها ومصالحها، لاسيما في الظروف غير الطبيعية كانتشار الأوبئة والأمراض في المجتمع، حيث تحرص الدولة على كتمان ما يصدر منها من قرارات وإجراءات يمكن أن يضر الإفشاء بها<sup>(٢)</sup> المصلحة العامة، ولهذا كان من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال الأمني في ظل جائحة كورونا التأكيد على حظر نشر الوثائق أو المعلومات السرية أو إفشاء أي منها.

(١) نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشاءها المادة السابعة.

(٢) انظر: الحماية الجنائية لأسرار المهنة، أحمد سلامة، ص ١١٠، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب

الجامعي، القاهرة، ١٩٨٨م.

## المطلب الثاني: الحسبة الوقائية للمملكة في المجال التجاري في ظل جائحة كورونا.

التجارة تعد من أهم الوسائل الضرورية في حياة الناس، لأنها المصدر الأساسي للحصول على السلع من المأكّل والمشرب والملبس والسكن، وكل ضروريات الحياة، كما تعد التجارة قديمة قدم الزمن لأنه لا يتصور أن يوجد تجمع بشري بدون نشاط تجاري يلي احتياجاتهم المختلفة، ولذا فالتجارة ضرورة من ضرورات الحياة والبقاء والتمتع بما أحل الله تعالى لعباده المؤمنين ولذا شرع الله تعالى البيع قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾<sup>(١)</sup> وفي الحديث الشريف قال ﷺ: (لأن يأخذ أحدكم حبله على ظهره فيأتي بحزمة من الحطب فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه)<sup>(٢)</sup>. وقال ﷺ: (الذهب بالذهب ووزناً بوزن، والفضة بالفضة ووزناً بوزن، والبر بالبر مثلاً بمثل، والشعير بالشعير مثلاً بمثل، والتمر بالتمر مثلاً بمثل، والملح بالملح مثلاً بمثل، ويبيع الذهب بالفضة كيف شئتم يداً بيد، والبر بالشعير كيف شئتم يداً بيد، والملح بالتمر كيف شئتم يداً بيد)<sup>(٣)</sup>.

ولذا فالتجارة تسهم في نماء المجتمعات وتطورها، وزيادة الناتج المحلي، وتقليل نسبة البطالة، وتعزز قدرة الدول العسكرية، والإنتاجية، والتكنولوجية، وكذلك الاكتفاء الذاتي من المواد الغذائية، وغير ذلك من المنافع والمكاسب، وتعد المملكة العربية السعودية من الدول التي تعنى بالجانب التجاري عناية كبرى لمكانتها الاقتصادية في العالم، ولكونها تتمتع بأنظمة متقدمة ومتطورة في القطاع التجاري إلا أنه في ظل جائحة كورونا التي عصفت

(١) سورة البقرة، الآية: (٢٧٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، حديث رقم (١٤٧١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة والمزارعة، باب: الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً، حديث رقم

(١٥٨٧).

بدول العالم فقد اتخذت المملكة عدد من إجراءات الحسبة الوقائية في الجانب التجاري في ظل جائحة كورونا وهذا ما سنتعرف عليه فيما يلي:

### الفرع الأول: إغلاق المجمعات التجارية وجميع الأنشطة داخلها.

تعتبر المجمعات التجارية في وقتنا الحاضر مقصد الكثير من الأسر والعائلات في المملكة لتغطيتها كافة الاحتياجات تحت سقف واحد، كالملابس والأحذية وأدوات التجميل والعطور، بالإضافة إلى المطاعم والمقاهي وألعاب التسلية والترفيه، بل أصبحت ملتقى للكثير من الأسر، وقضاء أوقات الفراغ والاستجمام، لما تتميز به تلك المجمعات التجارية من جمال التصميم، وروعة التنفيذ وتوفر جميع الخدمات الصحية والتقنية والأمنية، إلا أنه في ظل جائحة كورونا فقد اتخذت المملكة عدة إجراءات احترازية لمنع تفشي فيروس كورونا ومن ذلك المجال التجاري لذا أصدرت وزارة الشؤون البلدية والقروية قراراً "بإغلاق المجمعات التجارية وجميع الأنشطة داخلها بما فيها المطاعم وأماكن ألعاب الأطفال باستثناء محلات السوبر ماركت والصيدليات"<sup>(١)</sup> ويُعد هذا الإجراء من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري للحفاظ على صحة المتسوقين وسلامتهم.

### الفرع الثاني: التحذير من استغلال الأوضاع الراهنة لإدخال الغش التجاري على

#### السلع عالية الطلب.

الأصل في التجارة أن تقوم على الصدق والأمانة، وأن تخلوا من الغش والتدليس بجميع صورة وأشكاله، ولذا جاءت الشريعة بتحريم الغش والتحذير منه، "لأنه خديعة وخيانة، وضياح للأمانة، وفقد الثقة بين الناس، وكل كسب من الغش فإنه حرام، لا يزيد صاحبه إلا بعداً من الله"<sup>(٢)</sup> وقد تبت تحريمه بالكتاب والسنة والإجماع، أما الأدلة من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

(١) الحساب الرسمي لأمانة منطقة الرياض على تويتر بتاريخ ١٥ مارس ٢٠٢٠م.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد السلطان، ٢٥٥/٢٠،

الطبعة (١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

بِالْبَطْلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تَجَرَّةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ ﴿١﴾ ووجه الدلالة من الآية أن الله "ينهى عبادة المؤمنين أن يأكلوا أموالهم بينهم بالباطل، وهذا يشمل أكلها بالمغصوب والسرقات، وأخذها بالقمار والمكاسب الرديئة" (٢).

وفي السنة المطهرة ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ مرَّ على صرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: (مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَمَا يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي) (٣). وقال ﷺ: (الْبَيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكٌ لَّهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكُنْتَا مُحِقَّ بَرَكَةٍ بَيْنَهُمَا) (٤). ووجه الدلالة في الحديث حث الرسول ﷺ على الصدق والأمانة في المعاملات المالية من بيع وشراء، وأن هذا من الأسباب التي تؤدي إلى البركة والفوز بمرضاة الله، وفي المقابل نهى المصطفى ﷺ عن الكذب والخديعة وكنمان العيوب لأنها قد تؤدي إلى محق البركة وسخط الله (٥).

وقد أجمع العلماء على تحريم الغش بل عدَّه بعض العلماء كبيرة من الكبائر، قال ابن حجر الهيتمي (٦) رَحِمَهُ اللهُ: "فذلك أعني ما حكي من صور ذلك الغش التي يفعلها التجار، والعطارون، والبرازون، والصواغون، والصيافة، والحياكون، وسائر أرباب البضائع، والمتاجر، والحرف، والصنائع كله حرام شديد التحريم، موجب لصاحبه أنه فاسق غشاش،

(١) سورة النساء، الآية رقم (٢٩).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص ١٧٥.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من غشَّنا فليس منا)، حديث رقم (١٠٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: البيوع، باب: الصدق والبيان في البيع، حديث رقم (١٥٣٢).

(٥) الغش التجاري في النظام السعودي والفقهاء الإسلامي، فارس الحقباني، بحث تكميلي غير منشور مقدم للمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ. ص ٨٧.

(٦) ت (٩٧٣هـ).

خائن يأكل أموال الناس بالباطل، ويخادع الله ورسوله وما يخادع إلا نفسه، لأن عقاب ذلك ليس إلا عليه" (١).

وفي ظل جائحة كورونا فإنه للأسف الشديد يوجد بعض ضعاف النفوس من المستثمرين ممن يتقن الاستثمار في الظروف الصعبة والأزمات لجني أموالاً طائلة بالغش والتدليس واستغلال حاجة الناس ويطبق قاعدة (الأزمات تصنع الثروات)، وهذا منتشر في بلاد العالم ولذا فإن المملكة العربية السعودية تعي تمامًا مثل هذه الممارسات واتخذت التدابير الاحترازية للحد من ذلك حيث أصدرت النيابة العامة تحذيرًا للمستثمرين في جميع المجالات بأن "انتهاز قوة شرائية أو طلب متزايد أو حاجة سوقية تجاه منتجات معينة، لظرفٍ قائم أو متطلباتٍ وقتية، أو ضرورة استثنائية، واستغلال ذلك في إدخال الغش على هذه المنتجات جريمة تنهض تجاهها المساءلة الجزائية المشددة" (٢).

كما نصت المادة الثانية من نظام مكافحة الغش التجاري أنه يعد مخالفاً لأحكام هذا النظام كل من: (٣)

١. خدع- أو شرع في الخداع- بأي طريقة من الطرق في أحد الأمور الآتية:
  - أ- ذاتية المنتج، أو طبيعته، أو جنسه، أو نوعه، أو عناصره، أو صفاته الجوهرية.
  - ب- مصدر المنتج.
  - ت- قدر المنتج، سواء في الوزن، أو الكيل، أو المقاس، أو العدد، أو الطاقة، أو العيار.

٢. غش أو شرع في غش المنتج.

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، ١/٤٦٤، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.

(٢) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٧ مارس ٢٠٢٠م.

(٣) نظام مكافحة الغش التجاري المادة الثانية.



٣. باع منتجًا مغشوشًا، أو عرضه.
  ٤. حاز منتجًا مغشوشًا بقصد المتاجرة.
  ٥. صنع منتجات مخالفة للمواصفات القياسية المعتمدة، أو أنتجها أو حازها، أو باعها، أو عرضها.
  ٦. استعمل آنية، أو أوعية، أو أغلفة، أو عبوات، أو ملصقات، مخالفة للمواصفات القياسية المعتمدة، وذلك في تجهيز أو تحضير ما يكون معدًّا للبيع من المنتجات.
  ٧. عبأ منتجًا، أو حزمه، أو ربطه، أو وزعه، أو خزنه، أو نقله، بالمخالفة للمواصفات القياسية المعتمدة.
  ٨. استورد عبوات، أو أغلفة، أو مطبوعات تستعمل في الغش، أو صنعها، أو طبعها، أو حازها، أو باعها، أو عرضها.
  ٩. استورد منتجًا مغشوشًا.
- كما نصت المادة السادسة عشرة من النظام بأنه "يعاقب بغرامة لا تزيد على خمسمائة ألف ريال، أو السجن مدة لا تزيد على سنتين، أو بهما معًا، كل من ارتكب إحدى المخالفات المنصوص عليها في المادة (الثانية) من هذا النظام"<sup>(١)</sup>.
- وهذا الإجراءات من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري وهو التحذير من الغش في السلع وفرض العقوبات المشددة على المخالفين لضمان صحة المستهلك وسلامته.

(١) نظام مكافحة الغش التجاري المادة السادسة عشرة.



## الفرع الثالث: التحذير من استغلال الأوضاع الراهنة لاحتكار بعض أنواع السلع للتحكم في الأسعار.

الاحتكار هو حبس الطعام للغلاء<sup>(١)</sup> بحيث يعمد المَحْتَكِر إلى شراء ما يحتاج إليه الناس من الطعام فيحبسه عنهم ويريد إغلاءه عليهم<sup>(٢)</sup> وهو محرم في الإسلام للحديث الذي رواه سعيد بن المسيب عن رسول الله ﷺ: (لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ)<sup>(٣)</sup>، ولذا فإن جانب الحسبة الوقائية في المجال التجاري تتأكد في هذا المجال لدفع الظلم عن الناس، وحمائتهم من جشع التجار وفي هذا الصدد يقول ابن الأخوة القرشي -رحمه الله-: "وإذا رأى المحتسب أحداً قد احتكر من سائر الأقوات، وهو أن يشتري ذلك في وقت الغلاء، ويتربص ليزداد في ثمنه ألزمه بيعه إجباراً؛ لأن الاحتكار حرام"<sup>(٤)</sup> ولاشك أن الاحتكار ينجم عنه الغلاء في الأثمان بسبب قلة الإنتاج مما يلحق بالناس الشدة والعنت في معاشهم، وتظهر آثار الاحتكار بصورة مخيفة في وقت الأزمات، فإن الناس قد يصيبهم الخوف والهلع بسبب نقص الأرزاق، ولذا عالج الإسلام ظاهرة الاحتكار بعدة وسائل نجملها فيما يلي:<sup>(٥)</sup>

### ١. تحريم الاحتكار.

- (٢) التعريفات، للجرجاني، ص ٢٦.
- (٣) الحسبة في الإسلام، لابن تيمية، تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة، ص ٢٣، الطبعة (١)، نشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت، ١٤٠١هـ.
- (٤) أخرجه مسلم، كتاب: المساقاة والمزارعة، باب: تحريم الاحتكار في الأقوات، حديث رقم (١٦٠٥)، ص ٧٠٢.
- (٥) معالم القرية في طلب الحسبة، لابن الأخوة القرشي، ص ٧٤، الطبعة (بدون) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- (٦) انظر: الاحتكار وموقف التشريع الإسلامي منه دراسة مقارنة بين النظم الاقتصادية والإسلام، إعداد: موسى محمد الطيب، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠١-١٤٠٢، ص ٩٨.

٢. شجع الجلب (الاستيراد) والركبان الذين يأتون من أماكن قريبة وما ذلك إلا ليكثر العرض ويرخص السعر.

٣. منع تلقي السلع قبل نزولها السوق؛ خشية احتكارها من قبل المحتكرين وإلحاق الضرر بأهلها.

٤. منع بيع الحاضر (ساكن البلد) لأهل البادية لأن ذلك مظنة إلحاق الضرر بالناس.

٥. الإيجار على البيع لكل من بيده سلعة هو ليس بحاجة لها.

٦. التسعير حتى لا يكون هناك مجال لاستغلال الناس وإلحاق الضرر الغبن بهم<sup>(١)</sup>. ونظرًا للظروف التي يمر بها العالم بسبب جائحة كورونا، والحاجة إلى فرض موقف جاد من الدولة حتى لا يتضرر المجتمع باحتكار صنف أو أصناف من الأغذية أو الاحتياجات الطبية أو الصناعية أو الزراعية، فقد أصدرت النيابة العامة بيانًا تمنع فيه من ارتكاب أي تصرف قد يلحق الضرر بالأسعار، حيث نص البيان على أنه: "يُحظر على المنشآت التي تُمارس أعمالاً تجارية أو زراعية أو صناعية أو خدمية استغلال تداعيات وقتية أو أحداث عالمية أو مُعظيات استثنائية لأجل القيام بممارسات مفتعلة توجد انطباع غير صحيح ومضللًا وتوحي بعجز غير حقيقي بشأن السلع أو الخدمات لأجل التحكم في الأسعار"<sup>(٢)</sup> وهذا إجراء من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري في ظل جائحة

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: فإذا كان الناس يبيعون سلعهم على الوجه المعروف من غير ظلم منهم وقد ارتفع السعر إما لقلّة الشيء وإما لكثرة الخلق فهذا إلى الله، فالزام الخلق أن يبيعوا بقيمة بعينها إكراه بغير حق، وأما الثاني فمثل أن يمتنع أرباب السلع من بيعها مع ضرورة الناس إليها إلا بزيادة على القيمة المعروفة فهذا يجب عليهم بيعها بقيمة المثل، ولا معنى للتسعير إلا إلزامهم بقيمة المثل، فيجب أن يلتزموا بما ألزمهم الله به، الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، ص ٢٤.

(٢) الحساب الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ١٥ مارس ٢٠٢٠م.

كورونا، بالإضافة إلى تطبيق الأنظمة التي تحمي الأسواق من الاحتكار ومن ذلك نظام المنافسة الذي يهدف إلى حماية المنافسة العادلة وتشجيعها ومكافحة الممارسات الاحتكارية وتحجيمها ومن المواد التي تنص على منع الممارسات الاحتكارية المادة السادسة من النظام حيث تنص على أنه "يحظر على المنشأة أو المنشآت التي تتمتع بوضع مهيمن في السوق أو جزء مهم منه؛ إساءة استغلال هذا الوضع للإخلال بالمنافسة أو الحد منها، ومن ذلك ما يأتي:

١. بيع السلعة أو الخدمة بسعر أقل من التكلفة الإجمالية؛ لإخراج منشآت من السوق أو تعريضها لخسائر جسيمة، أو إعاقة دخول منشآت محتملة.
٢. تحديد أسعار أو شروط إعادة بيع السلع أو الخدمات، أو فرضها.
٣. تقليل الكميات المتاحة من المنتجات أو زيادتها؛ لأجل التحكم بالأسعار وافتعال وفرة أو عجز غير حقيقي.
٤. التمييز في التعامل بين المنشآت في العقود المتشابهة بالنسبة إلى أسعار السلع وبدل الخدمات أو شروط بيعها وشرائها.
٥. رفض التعامل مع منشأة أخرى دون سبب موضوعي، وذلك من أجل الحد من دخولها السوق.

٦. الاشتراط على منشأة الامتناع عن التعامل مع منشأة أخرى.
  ٧. تعليق بيع سلعة أو تقديم خدمة بشرط تحمل التزامات أو قبول سلع أو خدمات تكون بطبيعتها، أو بموجب الاستخدام التجاري، غير مرتبطة بالسلعة أو الخدمة محل التعاقد أو التعامل الأصلي<sup>(١)</sup>.
- ويعاقب كل من يخالف أي حكم من أحكام المادة أعلاه:

١. بغرامة لا تتجاوز (١٠%) من إجمالي قيمة المبيعات السنوية محل المخالفة، أو بما لا يتجاوز (عشرة ملايين) ريال عند استحالة تقدير المبيعات السنوية.

(١) نظام المنافسة، المادة السادسة.

٢. إن عاد المخالف لارتكاب مخالفته؛ فللجنة أن تضاعف الغرامة المحكوم بها في المرة الأولى، ويُعد المخالف عائدًا في حال ارتكاب المخالفة نفسها قبل مضي مدة (ثلاث) سنوات من تاريخ صدور القرار بالمخالفة الأولى.
٣. ينشر القرار الصادر بالمخالفات الواردة في هذه المادة على نفقة المخالف في صحيفة محلية تصدر في مقر إقامته، أو في أي وسيلة إعلامية أخرى مناسبة<sup>(١)</sup>.

### الفرع الرابع: تفعيل دور الرقابة الميدانية لمنع الاحتكار والمغالاة في الأسعار.

العمل الرقابي الميداني في المجال التجاري ضرورة ملحة للمجتمع؛ لضبط الأسعار ومنع الاحتكار، والحيلولة دون تعرض المستهلك للتدليس والغش التجاري، والتضليل والخداع بكافة صوره وأشكاله، وضمان سلامة وجودة السلع الاستهلاكية<sup>(٢)</sup> وهذا من إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري لدفع الضرر عن الناس، وأبرز الجهات الحكومية التي تقوم على هذا العمل وزارة التجارة حيث قدمت جهودًا كبيرة وعظيمة للحفاظ على استقرار أسعار الأسواق في المملكة والتأكد من توفر السلع الرمضانية، ومكافحة الاحتكار وغلاء الأسعار، وفيما يلي سوف أعرض نماذج من الجهود الرقابية لوزارة التجارة لمنع الاحتكار والمغالاة في الأسعار:

١. ضبط عمالة مخالفة تُخزّن ٥٤ طن من البصل داخل فلة سكنية لبيعه لاحقًا بأسعار مرتفعة<sup>(٣)</sup>.

(١) نظام المنافسة، المادة التاسعة عشرة.

(٢) انظر: الرقابة وحماية المستهلك، د. أسامة خيري، ص ٣٦-٣٧، الطبعة (١)، دار الراجحة للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٥م.

(٣) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر بتاريخ ١٨ مايو ٢٠٢٠م.

٢. فرع وزارة التجارة بالجوف ينفذ ٨٥٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(١)</sup>.
٣. فرع وزارة التجارة بالقصيم ينفذ ٢٠٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(٢)</sup>.
٤. فرع وزارة التجارة بالحدود الشمالية ينفذ ١٠٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(٣)</sup>.
٥. فرع وزارة التجارة بتبوك ينفذ ٩٥٣ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(٤)</sup>.
٦. فرع وزارة التجارة بجائل ينفذ ١٨٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(٥)</sup>.
٧. فرع وزارة التجارة بالمنطقة الشرقية ينفذ ٣٨٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(٦)</sup>.
٨. فرع وزارة التجارة بمكة المكرمة ينفذ ٢٥٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(٧)</sup>.
٩. فرع وزارة التجارة بمكة المكرمة من جولاته الرقابية يضبط مستودعاً لتخزين ٢٨٠ طنّاً من الأرز بغرض رفع سعره<sup>(٨)</sup>.
١٠. فرع وزارة التجارة بمكة المكرمة من جولاته الرقابية يضبط مستودعاً لتخزين ٢٨٠ طنّاً من الأرز بغرض رفع سعره<sup>(٩)</sup>.

(١) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٢) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٤) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٥) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٦) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٧) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٨) المرجع السابق، بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٠م.

(٩) المرجع السابق، بتاريخ ١٠ مايو ٢٠٢٠م.

١١. وزارة التجارة تستخدم نظامًا إلكترونيًا لرصد الأسعار بشكل مباشر، بأيدي المراقبين، في كافة مدن المملكة، ثم يتم تحليل الأسعار ومقارنتها مع جميع المناطق والدول المجاورة ومن ثم اتخاذ الإجراءات مباشرة<sup>(١)</sup>.
١٢. فرع وزارة التجارة بريدة من خلال جولاته الرقابية تم ضبط وافدين يقومون بتسويق الكمادات بأسعار مرتفعة، ويشترطون البيع بدون فواتير، حيث ضبط بحوزتهم أكثر من ٤٠ ألف كمادًا<sup>(٢)</sup>.
١٣. وزارة التجارة بالرياض تنفذ ٩٦٠٠ جولة للتحقق من وفرة السلع الرمضانية<sup>(٣)</sup>.
١٤. الفرق الرقابية بتبوك تقبض على عمالة تستغل الأزمة بتخزين ٤ آلاف صندوق طماطم خارج السوق؛ لبيعها بأسعار عالية<sup>(٤)</sup>.
١٥. المتحدث الرسمي لوزارة التجارة: ١٧٠ طن من الخضروات ضبطتها الفرق الرقابية، كان الهدف من إخفاؤها ببيعها بسعر أعلى، كما تم ضبط ١٩ مليون عبوة معقم وكمامة<sup>(٥)</sup>.
١٦. الفرق الرقابية برفحاء تقبض على عمالة قامت بتخزين ١٨٠٠ طبق بيض بغرض استغلال الأزمة وبيعها بسعر مرتفع<sup>(٦)</sup>.

(١) المرجع السابق بتاريخ ٣ مايو ٢٠٢٠م.

(٢) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر بتاريخ ١ مايو ٢٠٢٠م.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ٣٠ أبريل ٢٠٢٠م.

(٤) المرجع السابق، بتاريخ ٢٤ أبريل ٢٠٢٠م.

(٥) المرجع السابق، بتاريخ ٢٣ أبريل ٢٠٢٠م.

(٦) المرجع السابق، بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠٢٠م.

١٧. الفرق الرقابية برفحاء تقبض على عمالة قامت بتخزين ١٨٠٠ طبق بيض بغرض استغلال الأزمة وبيعها بسعر مرتفع (١).

١٨. فرع وزارة التجارة بتبوك تضبط شاحنة محملة بكميات كبيرة من الطماطم، تم إخفاؤها خارج موقع سوق تبوك للخضار؛ لبيعها بعد رفع سعرها (٢).

١٩. الفرق الرقابية بوزارة التجارة بالتعاون مع الحملة الأمنية المشتركة بالرياض تقبض على وافد قام بتخزين ٢٣٨ ألف كمائة لاستغلال الأزمة وبيعها بسعر مرتفع (٣).

٢٠. التجارة تضبط ٦ شاحنات محملة بكميات كبيرة من البصل تم إخفاؤها خارج موقع سوق الخضار لبيعها بعد رفع سعرها (٤).

ومن خلال هذا العرض لجهود وزارة التجارة لمكافحة الاحتكار والمغالاة في الأسعار خلال جائحة كورونا نلاحظ أن الاحتكار والمغالاة في الأسعار شملت أهم احتياجات المواطنين والمقيمين، وهي الفواكه والخضروات والكمادات والمعقمات والبيض، وأوضحت وزارة التجارة أنه تم تطبيق الإجراءات النظامية في حق المخالفين.

وهذه الإنجازات التي تحققت تمت بفضل الله تعالى ثم بفضل الجولات الرقابية الميدانية لوزارة التجارة وهي داخلة في إجراءات الحسبة الوقائية في المجال التجاري.



(٦) المرجع السابق، بتاريخ ٢٢ أبريل ٢٠٢٠م.

(٢) المرجع السابق، بتاريخ ١٣ أبريل ٢٠٢٠م.

(٣) الحساب الرسمي لوزارة التجارة على تويتر، بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠٢٠م.

(٤) المرجع السابق، بتاريخ ١٢ أبريل ٢٠٢٠م.

## المبحث الرابع

المسؤولية الشرعية للأفراد والمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية

للمملكة العربية السعودية في ظل جائحة كورونا

المطلب الأول:

المسؤولية الشرعية للأفراد تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في ظل جائحة

كورونا:

الفرع الأول: مسؤولية الفرد المكلف تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.

إن حفظ النفس البشرية من الكليات الخمس التي أمرت الشريعة بحفظها، وبحفظ الصحة تتحقق بقية الكليات الخمس، والحياة هبة من الله تبارك وتعالى، ونعمة عظيمة حيث يتهيأ الإنسان لعمارة الأرض والخلافة فيها، ويعيش لعبادة الله تعالى، والعمل على مرضاته، لذا فهو مكلف بمأمور بحفظ نفسه، مسؤول عنها محاسب على تقصيره فيها،<sup>(١)</sup> قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾<sup>(٢)</sup>، قال المفسرون: "السؤال عن الأمن والصحة"<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> ولذا فإن السؤال يوم القيامة سيكون للفرد عن نفسه أولاً قبل أي أحد غيره: ﴿وَكُلُّهُمْ عَائِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾<sup>(٥)</sup> وعن أبي بزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(١) انظر: التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث، إيمان بنت عبدالعزيز المبرد، مرجع سابق، ص ٣٧.

(٢) سورة التكاثر، الآية: (٨).

(٣) فتح القدير، الإمام الشوكاني، ٥/٥٧٧.

(٤) سورة طه، الآية: (١٥).

(٥) سورة مريم، الآية: (٩٥).



(لا تَزُولُ قَدَمًا عَبْدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ)<sup>(١)</sup>.

فالمسؤولية هنا من خلال الآيات والأحاديث نجد أن الإنسان مطالب بحفظ نفسه وجوارحه ومن أهم طرق حماية النفس حفظها من الآفات والأمراض، والبعد عما يضرها، وعندما نتحدث عن مسؤولية الفرد تجاه إجراءات الحسبة الوقائية من جائحة كورونا فإن الفرد مطالب شرعاً ونظماً بالالتزام بكل التدابير الاحترازية التي اتخذتها الدولة لصيانة نفسه من فيروس كورونا، ومن ذلك الالتزام بالطرق الصحية للوقاية من العدوى، والبعد عن الأماكن التي هي مظنة للإصابة بالفيروس كالتجمعات، ومخالطة الآخرين، كما يتأكد أهمية التباعد الاجتماعي، والمكوث في البيت، والالتزام بمنع التجول خلال هذه الفترة، لاسيما أن الدولة حرصها الله وفرت كل الاحتياجات، من الغذاء والعلاج والدواء والإرشادات الصحية والنفسية، حتى يبقى الشخص معفى في بدنه آمناً في سربه.

**الفرع الثاني: مسؤولية أولياء الأمور تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.**

الوالدان الأب والأم عليهم مسؤولية كبيرة وعظيمة تجاه أولادهم من الذكور والإناث، ومن تلك المسؤوليات التنشئة الصالحة، وحسن الرعاية، والحث على فضائل الأعمال والنهي عن ضدها، وغرس المبادئ الفاضلة، ومتى صلح الولد واستقام أمره ورشد كان خيره لنفسه ولوالديه ولجتمعه، قال ﷺ (أَلَا كَلُّكُمْ رَاعٍ وَكَلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، فَالِإِمَامُ الْأَعْظَمُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا ، وَوَلَدِهِ وَهِيَ

(٦) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب: في القيامة، حديث رقم (٢٤١٧)،

ص ٥٥٠-٥٥١. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ  
وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ<sup>(١)</sup>.

قال ابن حجر رحمته الله في الفتح: "الراعي هو الحافظ المؤمن الملتزم بسلام ما أؤتمن على حفظه، فهو مطالب بالعدل فيه والقيام بمصالحه"<sup>(٢)</sup>. ويدخل في ذلك رعاية الأولاد والحفاظة عليهم من الأمراض والأسقام والعدوى، فكما أنه مطالب بحماية نفسه كذلك مطالب بحماية من هم تحت مسؤوليته، وعندما نتحدث عن مسؤولية أولياء الأمور تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا تكون من خلال المساهمة في توعية أفراد الأسرة بالالتزام بالإرشادات الصحية التي تصدرها الجهات الصحية، والجهات الحكومية الأخرى، وقد جاء التأكيد على مسؤولية ولي الأمر بحماية من تحت ولايته في ظل الظروف الراهنة من خطر الإصابة أو العدوى من فيروس كورونا عبر حساب النيابة العامة في تويتر بأن "الطفل ومن في حكمه لا يعون بمخاطر عدم التقيد بتعليمات الوقاية، وتنعدق مسؤولية الالتزام بذلك والبقاء في المنزل وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى تجاه الأب أو من يقوم مقامه، ومخالفة ذلك يعرضك للمساءلة الجزائية وفقاً لنظامي الحماية من الإيذاء وحماية الطفل"<sup>(٣)</sup> ولذا فإن من أهم الإرشادات الوقائية للأطفال التي يتوجب على ولي أمره العناية بها:

١. تعليم الأطفال أهمية النظافة الشخصية.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاستقراض، باب: العبد راعٍ في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه، حديث رقم (٢٤٠٩).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١٤٠/١٣، الطبعة (١)، طباعة مكتبة الفيحاء بدمشق، نشر مكتبة دار السلام بالرياض، ١٤١٨هـ.

(٣) الموقع الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٠م.

٢. غسل اليدين بعد ملامسة الأسطح والأجسام الملوثة بالماء والصابون مدة ٢٠ ثانية.

٣. غسل اليدين بعد استخدام دورة المياه وقبل تناول الطعام.

٤. تغطية الفم، والأنف عند السعال والعطاس.

كما ينبغي على الآباء أن يكونوا على معرفة ودراية قدر الإمكان بطبيعة المرض وكيفية الوقاية منه ليتمكنوا من شرحها للأطفال بعبارات يسهل عليهم فهمها واستيعابها، وعلى الآباء عدم المبالغة في التخوف من أي خطر على صحتهم أو صحة أطفالهم وبث الطمأنينة في نفوسهم، ومنحهم الاهتمام والعناية والقرب منهم وخاصة في أوقات الأزمات، كما ينبغي إبراز الجهود العظيمة التي تبذلها الدولة لسلامة المواطنين والمقيمين من الأمراض والعدوى، وأهمية اتباع كامل الإرشادات والتعليمات التي تصدرها الجهات المختصة وأنها واجبة التنفيذ على الجميع، ومن أهم الإرشادات التي ينبغي التأكيد عليها وخاصة للأبناء البالغين أهمية الالتزام بحظر التجول، والبعد عن التجمعات، والتزام التباعد الاجتماعي، ومتابعة كل ما يصدر عن الجهات الرسمية عن كورونا والبعد عن الإشاعات والأخبار الكاذبة.

**الفرع الثالث: مسؤولية العلماء تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.**

العلماء هم أهل الحكمة والفقهاء في الدين، وأعرف الناس بما صح عن النبي ﷺ وما جاء عنه المتبعون لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والسلف الصالح على هدى وبصيرة<sup>(١)</sup>، وقد نوه الله تعالى بالعلماء، وبين الرسول ﷺ منزلتهم، فالعلماء هم أخشى الناس لله، فقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَحْشَى

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، للإمام ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ٦٨/١، الطبعة (٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ. أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، أ. د. ناصر العقل، ص ١٢، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤١٩هـ.

اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿١﴾ كما جعلهم الله مرجع الأمة ، وذلك بالرجوع إليهم في جميع الحوادث ، فقد ائتمنهم الله على وحيه وتنزيله ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَكَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ مِنْهُمْ وَلَا فُضِّلُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَ لَا تَتَّبِعُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٣) وجعلهم الله هم أحد صنفي ولاة الأمر الذين أمر الله بطاعتهم في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (٤) ، وولاية الأمور الواردة في الآية تشمل ولاة الأمور من الأمراء والحكام ، والعلماء وطلبة العلم ؛ فولاية أهل العلم في بيان شريعة الله ودعوة الناس إليها وولاية الأمراء في تنفيذ شريعة الله وإلزام الناس بها (٥) .

ومع شدة جائحة كورونا التي أشغلت الناس ، وملاأت أوقاتهم بالتفكير والخوف والسؤال ، نجد أن مسؤولية العلماء تتأكد في مثل هذه المحنة ، لأن العلماء الربانيون هم أمانة هذه الأمة عند الشدائد بعد الله ، ومصدر الطمأنينة ، ومبعث الأمل ، ولعل أوضح الأمثلة لذاكرة كل مسلم ما حصل للصحابة بعد بلوغهم خبر وفاة النبي ﷺ ، فمنهم من دهش ، ومنهم من أقعد ، ومنهم من أنكر موته ، واضطرب حالهم ، لكن الله تعالى استنقذ الأمة

(١) سورة فاطر ، الآية : (٢٨) .

(٢) سورة النحل ، الآية : (٤٣) .

(٣) سورة النساء ، الآية : (٨٣) .

(٤) سورة النساء ، الآية : (٥٩) .

(٥) العلم ، الشيخ محمد بن صالح العثيمين ، إعداد : فهد السليمان ، ص ١٩ ، الطبعة (١) ، دار الثريا ،

الرياض ، ١٤٢٠ هـ .

بموقف أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما قال مقولته المشهورة: (أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ) ثم تلى قول الله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإَيْنَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنِ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ﴾ (١)، تقول عائشة رضي الله عنها راوية الحديث: (وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهَا حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ ﷺ، فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ، فَمَا يُسْمَعُ بَشْرًا إِلَّا يَتْلُوهَا) (٢).

فهذا الموقف من أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- من أعظم المواقف، لأن النبي ﷺ بالنسبة لأبي بكر كل شيء، كان صاحب رسول الله، وموطن سره، ومبشراً، ومطمئناً، وصهراً، وقائداً، وهادياً ومع ذلك وفقه الله تعالى لهذا الصبر والثبات العظيمين، كما أن هذا الموقف يؤكد مكانة العلماء وأهميتهم في الأمة ومسؤوليتهم في أوقات الأزمات والحن، وأنهم من أسباب الثبات والعبور إلى بر الأمان؛ ولذا فإن الثغرة التي عليها العلماء لا يسدها غيرهم، وفيما يلي سأذكر بعض المجالات المهمة التي تؤكد مسؤولية العلماء تجاه إجراءات الحسبة الوقائية خلال جائحة كورونا :

١- توجيه الناس بأهمية السمع والطاعة لولي الأمر فيما يأمر به وينهى عنه للمصلحة العامة، وألا ينازع في ذلك، كتعليق الصلاة في المساجد، وتعليق الجمعة والجماعة، وأن ذلك مبني على فتوى صادرة من هيئة كبار العلماء.

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٤٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه،

حديث رقم (١٢٤٢).

٢- بيان الأحكام الشرعية التي ارتبطت بجائحة كورونا كتعليق الصلاة في المساجد، وتعليق الجمعة والجماعة، وبيان أحكام الصلاة في البيوت، وكذلك الأحكام المتعلقة بالصيام وصلاة التراويح وزكاة الفطر وصلاة العيد.

٣- ومن المسائل المهمة التي يجب الاعتناء بها من جهة العلماء أن لا يجعلوا الاختلاف بينهم في بعض المسائل والنوازل خاصة ما يتعلق بجائحة كورونا سبباً للتفرق وتشتيت القلوب، والقدح أو الطعن، بل الواجب السعي في معرفة الحق والاجتهاد في تنفيذه والعمل به والتعاون على ذلك، وأن يُجَبَّ أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، سواءً وافقه أو خالفه، وإذا ظهر من أحد من أهل العلم مخالفة بينة لدليل شرعي صريح، فإنه يجب نصحه وبيئته له الدليل الشرعي بأقرب الطرق، وأحسنها (١).

٤- حث الناس على الصبر والمصابرة في هذه الشدة، وأهمية اللجوء إلى خالقهم عن طريق الدعاء والضراعة إليه لكشف غمهم، ورفع البلاء عنهم.

٥- الرد على من يشكك أو يقلل من أهمية الإجراءات الاحترازية التي اتخذتها الدولة لمصلحة الوطن والمواطن، وأنه يجب على كل شخص يعيش على هذه الأرض الطيبة أن يكون نموذجاً في الإخلاص لوطنه، من خلال الالتزام بالأنظمة والتعليمات وعدم مخالفتها.

ومما يحسن ذكره هنا بيان جهود علمائنا حفظهم الله خلال جائحة كورونا، حيث قاموا بمسؤوليتهم تجاه الدين والوطن حق القيام، فعمدوا إلى تعويض خطب الجمعة على المنابر والمحاضرات في المساجد بالتواصل مع الناس عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة، والتطبيقات الإلكترونية، وبذلوا ما في وسعهم لبيان الأحكام الشرعية، وما يلزم العلم به للضرورة في ظل جائحة كورونا.

(١) انظر: رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين وذم التفرق والاختلاف، الشيخ عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالله آل مسلم، ص ٣٣-٣٦، الطبعة (١)، دار التوحيد للنشر والرياض،

## المطلب الثاني:

المسؤولية الشرعية للمجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية للمملكة في ظل جائحة كورونا.

### الفرع الأول: السمع والطاعة لولي الأمر.

دلت الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب طاعة ولي الأمر للمحافظة على اتفاق الكلمة واجتماع الأمة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَذُودُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١).

قال ابن حجر رحمته الله (٢) في بيان المقصود بأولي الأمر: "ورجح الإمام الشافعي (٣) رحمته الله الأول أي هم الأمراء... واحتج له: بأن قريباً كانوا لا يعرفون الإمارة، ولا ينقادون إلى أمير، فأمروا بالطاعة لمن ولي الأمر" (٤) وقال عليه السلام: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) (٥).

(١) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٢) ت (٨٥٢هـ).

(٣) ت (٢٠٤هـ).

(٤) فتح الباري، ابن حجر، عناية الشيخ محمد فؤاد عبدالباقى، ٢٥٤/٨، الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤١٨هـ.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الأحكام، باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، الحديث رقم (٧١٤٤)، وأخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، الحديث رقم (١٨٣٩).

وساق الإمام ابن حجر رحمته الله إجماع الفقهاء على وجوب طاعة ولي الأمر حيث يقول في الفتوح: "أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء<sup>(١)</sup>.. ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته"<sup>(٢)</sup>.

فالسمع والطاعة لولي الأمر لها شأنٌ عظيم في الإسلام، لأنها أعظم المناصب قدرًا، وأشرفها مكانة لما فيها من حفظ الدين، وإقامة الحدود، وتحصين الثغور، ورعاية لمصالح الأمة، والقيام بشؤون حياتهم الدينية والدنيوية، وتظهر أهمية وضرورة السمع والطاعة لولي الأمر في الأزمات والأوقات الحرجة، لأنها تعظم المسؤوليات، وتتضاعف التكاليف، وتتعدد الواجبات؛ ولذا فإنه تجب مناصرة ولي الأمر، والذب عنه، وعدم القدح فيه، والدعاء له، والوقف معه أمام كل من نازعه الأمر، وفي ظل جائحة كورونا قام ولاية الأمر بحفظهم الله ونوابهم بجهود عظيمة من الاحترازمات الوقائية والإجراءات الطارئة على جميع المستويات سواء الشرعية أو الصحية أو الأمنية أو التجارية، وكذلك على المستوى الداخلي أو الخارجي وكل ذلك للمحافظة على صحة المواطن والمقيم على أرض المملكة، ولذا يمكن أن نجمل مسؤولية المجتمع تجاه ولي الأمر فيما يلي:

١. الدعاء لولي الأمر بالتوفيق والتسديد في أقواله وأعماله وقراراته، وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّوهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ.. الحديث)<sup>(٣)</sup>

(١) الدهماء: الجماعة من الناس، لسان العرب، ابن منظور، ٢١١/١٢.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، ١٣/٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا، ونحو ذلك، حديث رقم (١٨٥٥).



والصلاة هنا بمعنى الدعاء، أي: تدعون لهم ويدعون لكم<sup>(١)</sup> وفي هذا السياق يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز -رحمه الله-: "ومن النصيحة الله ولعباده الدعاء لولاة أمور المسلمين وحكامهم بالتوفيق والهداية والصلاح في النية والعمل وأن يمنحهم الله البطانة الصالحة التي تعينهم على الخير وتذكرهم به. وهذا حق على كل مسلم في كل مكان في هذه البلاد وفي غيرها الدعوة لولاة الأمر بالتوفيق والهداية وحسن الاستقامة وصلاح البطانة وأن يعينهم الله على كل خير وأن يسدد خطاهم ويمنحهم التوفيق لما فيه صلاح العباد والبلاد"<sup>(٢)</sup>.

٢. الالتزام التام بكل التعليمات والتوجيهات التي صدرت عن ولي الأمر والجهات المختصة، وسائر الأنظمة التي فيها مصلحة المجتمع للوقاية من فيروس كورونا المستجد، وقد أكد سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز آل الشيخ على أهمية الالتزام بالتوجيهات والتعليمات حيث يقول سماحته: "في هذا الخصوص: " فالواجب على جميع المواطنين والمقيمين السمع والطاعة لتوجيهات ولاة الأمر وعدم المخالفة، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله ﷺ (مَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعُصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي)<sup>(٤)</sup> وكل شخص خالف الأنظمة التي أقرها ولي الأمر ولم يلتزم بتنفيذها كالتجول أثناء الحظر، أو تسبب في نقل الوباء إلى الآخرين متعمداً أو استخدم وسائل التواصل الاجتماعي

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٥٢٢/١٢، الطبعة (٥)، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٠هـ.

(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر، ٥٦/٦، الطبعة (١)، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٠هـ.

(٣) سورة النساء، الآية: (٥٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الإمام ويتقي به، حديث رقم (٢٩٥٧)، وأخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، حديث رقم (١٨٣٥).

للسخرية والتنقيص من جهود الجهات الأمنية والصحية أو التحريض بخرق الأنظمة فهو آثم" (١).

٣. **الدعم والمساندة** كل في مجاله واختصاصه، سواءً كان مسؤولاً أو غير مسؤول كل يقدم ما في وسعه واستطاعته، صغر أو كبر، لدعم الجهود المبذولة في مكافحة فيروس كورونا في جميع المجالات، فمثلاً في المجال الاقتصادي سمعنا عدد من شركات القطاع الخاص قامت بدعم صندوق الوقف الصحي بوزارة الصحة، وهذه مبادرة سامية تحسب للقطاعات المساهمة، وتشجع القطاعات الأخرى للإسهام بما يتيسر، ويمكن أن يكون الدعم في المجال الشرعي كالنصح والتوجيه للمجتمع بأهمية السمع والطاعة لولي الأمر وبيان الآثار الإيجابية عند الالتزام بالتعليمات والإرشادات الصحية، ويمكن أن يكون الدعم في المجال الاجتماعي للمتضررين من الحجر المنزلي، من خلال الدعم النفسي والمعنوي لتجاوز الأزمة الراهنة، وبيان بعض المهارات السلوكية للتخفيف من الضغوط النفسية، أو الاجتماعية.

(١) وكالة الأنباء السعودية واس، بتاريخ ٨/٨/١٤٤١هـ.

## الفرع الثاني: حظر تداول الشائعات.

الشائعة هي الخبر ينتشر ولا تُتَبَّط فيه <sup>(١)</sup> وعادة ما تكون أقوال وأحاديث وروايات يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها ودون التحقق من مصدرها، <sup>(٢)</sup> ويعتمد مدى انتشارها على شرطين أساسيين: <sup>(٣)</sup>

١. الأهمية: أهمية الموضوع التي تدور حوله الشائعة بالنسبة للمستمع أو القارئ أو المشاهد لوسائل الإعلام أو المتابع لوسائل التواصل الاجتماعي.
  ٢. الغموض: وهو غموض الموقف لدى الجمهور، وذلك لانعدام الأخبار الموثوقة بشأنها، أو اقتضابها أو تضاربها أو عدم الثقة أو عدم صياغتها بشكل واضح أو عدم المقدرة على فهمها من قبل الناس، أو وجود رقابة عليها.
- وهذا ما يحصل في غالب المجتمعات، أن الشائعات تشتمل على هذين العنصرين الأهمية والغموض، فإذا انعدم أحدهما أو كلاهما فإن الشائعة لا يلتفت إليها، وتفقد تأثيرها.

---

(١) المعجم الوسيط، ص ٥٠٣.

(٢) انظر: الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، محمد عبدالقادر حاتم، ص ١٨٠، الطبعة (٢)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩هـ، نقلاً عن بحث ماهية الشائعة: التطور التاريخي، د. علي الجني، ص ٢٣٢، بحث مقدم في ندوة أساليب مواجهة الشائعات، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.

(٣) الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار منوجهة نظر الصحفيين الأردنيين، إعداد: رضا صباح المفرجي، بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن، ص ٣٢.

وللشائعات أنواع، ولعل من أخطرها ما يتعلق بالأوبئة والأمراض وانتشارهما وخطورتهما وتخويف الناس منها، مما يثير البلبلة والفرع وترويع الأمنين في دورهم وبلدانهم (١).

ولذا فإن الإسلام عالج الشائعات، ووضع الحلول العملية التي تحول دون انتشارها وذلك من خلال التثبت والتبين قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن نُّصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾﴾ (٢) كما وجه ديننا الحنيف سؤال أهل الاختصاص والدراية والمعرفة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ (٣)، يقول الشيخ عبدالرحمن السعدي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم غير اللائق ، و أنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة و المصالح العامة ؛ ما يتعلق بسرور المؤمنين أو الخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا و لا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول و إلى أولي الأمر منهم ؛ أهل الرأي و العلم و العقل الذين يعرفون المصالح و ضدها. فإن رأوا في

(١) انظر: الإسلام والشائعات، د. ساعد الحارثي، ص ١٢، بحث مقدم في ندوة أساليب مواجهة الشائعات، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.  
 (٢) سورة الحجرات، الآية: (٦).  
 (٣) سورة النساء، الآية: (٨٣).

إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحززا من أعدائهم: فعلوا ذلك. فان رأوا ليس من المصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه" (١).

ولذا فإن بث الشائعات والانسياق وراءها خطر عظيم على أمن الأفراد والمجتمعات، وخاصة في الظروف الطارئة والأزمات، كحالنا في هذه الأيام في مواجهة جائحة كورونا، فإن الشائعات تكثر ويتم تداولها على نطاق واسع من فئات المجتمع، نظرًا لما تتميز به الشائعة الإلكترونية من سرعة الانتشار، وتفاعل الناس معها، وتأثيرها عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ومن أمثلة الشائعات التي قد تجر وبالأعلى على المجتمعات في ظل الأزمات، إشاعة نقص سلعة من السلع الرئيسية في الأسواق فيقوم الناس بالتهافت على الأسواق لشراء تلك السلعة بكميات كبيرة مما يتسبب في نقص في المعروض، وبالتالي ارتفاع كبير في الأسعار، ولولا تلك الشائعة لظلت الأسعار في وضعها الطبيعي، ولذا قامت أجهزة الدولة بمسؤوليتها أمام الشائعات، من خلال متابعة مصادرها ومحاسبة المتسبب في نشرها، ومن أهم الأجهزة الحكومية النيابة العامة، حيث أوضحت في حسابها الرسمي في تويتر خطورة مثل هذه الأعمال وأن عقوبتها من العقوبات المشددة، وجاء بيان ذلك عبر حسابها الرسمي في تويتر بأن: "إنتاج الشائعات التي من شأنها المساس بالنظام العام، أو إعدادها أو إرسالها عن طريق الشبكة المعلوماتية، جريمة يعاقب مرتكبها بالسجن مدة تصل خمس سنوات، وبغرامة تصل إلى ثلاثة ملايين ريال" (٢). ولذا يمكن أن نُجمل وسائل حظر تداول الشائعات من خلال الإجراءات التالية:

١. الإسهام في توعية المجتمع وخاصة المستهدف من خلال بيان أضرار الشائعات وخطورة تناقلها، والآثار المترتبة عليها، حتى نبني مجتمعًا صلبًا عصيًا أمام الشائعات لمنع تداول الشائعات ومنع انتشارها.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، ص ١٩٠.

(٢) الموقع الرسمي للنيابة العامة على تويتر بتاريخ ٣ مارس ٢٠٢٠م.

٢. أهمية التثبيت والتبيين عند تداول الشائعات في المجتمع، والوقف ضدها بالعقل والحكمة والمسؤولية.

٣. عدم الخوض في الشائعات وعدم نقلها للآخرين.

٤. رد الأمر إلى أهل الاختصاص؛ لتشخيص الشائعة ونفيها، وبيان الحقيقة وتأكيداتها.

٥. إحسان الظن في القائمين على مصالح المجتمع، والذب عن أعراضهم، وتعزيز ثقة الناس بهم.

### الفرع الثالث: تفعيل جانب الرقابة المجتمعية.

المقصود بالرقابة المجتمعية تعاون المواطنين والمقيمون بالإبلاغ عن المخالفات التي تحصل في المرافق العامة في المجتمع من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل أفراد المجتمع رعاية لمصالح الناس والحفاظ على المنافع وتنميتها، ودفع المضار وتقليلها، وهي واجبة على كل فرد من أفراد المجتمع كل على حسب استطاعته قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾<sup>(٢)</sup> ولذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا جمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون

(١) سورة آل عمران، الآية: (١١٠).

(٢) سورة المائدة، الآية: (٢).

بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للأمر بتلك المقاصد، وللناهي عن تلك المفسدات، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة أمر وناه) أ.هـ<sup>(١)</sup>.

ويتأكد جانب الرقابة المجتمعية في ظل الظروف الراهنة التي يعيشها مجتمعنا لمكافحة فيروس كورونا، حيث إن من المسؤوليات التي تقع على المجتمع التعاون على البر والتقوى ومن أبواب التعاون على البر مساندة جميع الجهات المسؤولة في الدولة للقيام بواجباتها تجاه مكافحة فيروس كورونا على أكمل وجه؛ حتى يتحقق للمجتمع السلامة وتجاوز مرحلة الخطر بأمان، ومن أوجه التعاون الإبلاغ عن كل مخالفة للأنظمة والتعليمات التي أصدرتها الجهات المختصة في جميع المجالات سواء في الجانب الأمني أو الصحي، أو التجاري، أو الاجتماعي أو الشرعي، أو غير ذلك، وقد أولت الجهات المختصة جانب الرقابة المجتمعية عناية خاصة من خلال حث أفراد المجتمع على القيام بالإبلاغ عن أي مخالفات، أو ممارسات تخالف الأنظمة والتعليمات عن طريق الوسائل المتاحة سواء بالاتصال، أو الكتابة، أو استعمال التطبيقات الإلكترونية وكل ذلك لتظافر الجهود والتعاون على منع المخالفات والتصدي لها، لاسيما في أزمة فيروس كورونا التي عصفت بجميع دول العالم.

وفيما يلي سأعرض عدد من التصريحات الحكومية التي تحث المجتمع على الإبلاغ عن المخالفات وهي تعد من الرقابة المجتمعية:

#### أولاً: وزارة الداخلية:

١. حذرت وزارة الداخلية من التجمعات العمالية سواءً داخل المنازل أو المباني التي تحت الإنشاء، أو الاستراحات، أو المزارع وبينت العقوبات المترتبة عليها، ثم أكد بيان وزارة الداخلية على الإبلاغ عن أي مخالفة وذلك النحو التالي: "على كل من يعلم عن أي تجمع مخالف إبلاغ الجهة المختصة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني

(١) الحسبة في الإسلام، شيخ الإسلام ابن تيمية، ص ٩.

(٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم (911)"<sup>(١)</sup>.

٢. كما حذرت وزارة الداخلية من أي تجمع للمتسوقين أو العاملين داخل أو خارج المحل التجاري بما يتجاوز الأعداد المنصوص عليها في الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية، كما أوضح البيان العقوبات المترتبة على المخالفة، وجاء في البيان الإبلاغ عن أي مخالفة وذلك النحو التالي: "على كل من يعلم عن أي تجمع مخالف إبلاغ الجهة المختصة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني (٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم (911)"<sup>(٢)</sup>.

٣. وفي بيان آخر حذرت وزارة الداخلية عن التجمعات العائلية داخل المنازل أو الاستراحات أو الشاليهات أو المزارع لأكثر من أسرة لا يربطهم علاقة سكنية واحدة، وبينت العقوبات المترتبة على ذلك، وحث البيان الإبلاغ عن أي مخالفة وذلك النحو التالي: "على كل من يعلم عن أي تجمع مخالف إبلاغ الجهة المختصة عن مكان حدوثه، وذلك على الرقم المجاني (٩٩٩) في جميع مناطق المملكة باستثناء مكة المكرمة، فيكون الإبلاغ على الرقم (911)"<sup>(٣)</sup>.

#### ثانيًا: وزارة التجارة:

١. حثت وزارة التجارة في تغريدة لها على حسابها في تويتر على أهمية الإبلاغ عن المخالفات وجاء فيها: " الإبلاغ عن المخالفات التجارية عبر القنوات الرسمية يُسرّع

(١) الموقع الرسمي لوزارة الداخلية على تويتر بتاريخ ٢١ مايو ٢٠٢٠م.

(٢) المرجع السابق، بتاريخ ١٩ مايو ٢٠٢٠م.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ١٧ مايو ٢٠٢٠م.



عمليات الضبط والإيقاع بالمخالفين ويحمي المستهلكين وذلك عن طريق الاتصال بالرقم (١٩٠٠) أو عن طريق تطبيق بلاغ، أو عن طريق قنوات التواصل الاجتماعي<sup>(١)</sup>.

٢. وفي تغريدة أخرى لوزارة التجارة تؤكد على أهمية الإبلاغ عن المخالفات وجاء في التغريدة: " وتحت وزارة التجارة عموم المستهلكين إلى الإبلاغ عن المخالفات من خلال تطبيق بلاغ، أو عبر مركز البلاغات على الرقم (١٩٠٠) أو الموقع الرسمي لوزارة التجارة على الإنترنت"<sup>(٢)</sup>.

٣. وفي تغريدة أخرى لوزارة التجارة دعوة للإبلاغ عن المخالفات حيث جاء فيها: " تدعو وزارة التجارة للإبلاغ عن مخالفات المغالاة في الأسعار عبر تطبيق (بلاغ تجاري) أو عبر مركز البلاغات على الرقم (١٩٠٠) أو الموقع الرسمي لوزارة التجارة على الإنترنت"<sup>(٣)</sup>.  
**ثالثاً: وزارة الشؤون البلدية والقروية:**

١. جاء في أخبار الوزارة على موقعها الرسمي على الإنترنت شكر للمواطنين والمقيمين بشأن مشاركتهم في الإبلاغ عن المخالفات وجاء في الخبر: " ثمنت وزارة الشؤون البلدية والقروية التزام المواطنين والمقيمين بتفعيل الرقابة المجتمعية، من خلال الإبلاغ عن أي تجاوزات أو مخالفات للتعليمات والاشتراطات الصحية التي أصدرتها للحد من انتشار فيروس كورونا، مشيرة إلى أنه تمت خلال الأسبوعين الماضيين معالجة أكثر من ٧٠ ألف بلاغ عبر خدمة.

وأشارت الوزارة إلى أهمية الرقابة المجتمعية في هذه المرحلة الحساسة كإجراء فعال لدعم الرقابة الميدانية من قبل المختصين في الأجهزة التنفيذية، والتي تأتي في إطار الإجراءات

(١) الموقع الرسمي لوزارة التجارة على تويتر بتاريخ ٢٢ إبريل ٢٠٢٠م.

(٢) المرجع السابق، تويتر بتاريخ ٢٢ مايو ٢٠٢٠م.

(٣) المرجع السابق، بتاريخ ٤ إبريل ٢٠٢٠، وكذلك بتاريخ ١٥ إبريل ٢٠٢٠م.

الاحترازية التي أقرتها حكومة خادم الحرمين الشريفين " يحفظه الله " للحد من انتشار فيروس كورونا الجديد كوفيد ١٩ والتقليل من عدد الإصابات" (١).

٢. وفي تصريح لمعالي وزير الشؤون البلدية والقروية الأستاذ ماجد الحقييل يبين فيه أهمية الرقابة المجتمعية حيث جاء فيه: " الرقابة تعتمد على عنصرين مهمين في كل دول العالم: الرقابة الأولى هي الجولات الرقابية والميدانية، ولكن في كل العالم يتم الاعتماد على الرقابة المجتمعية ... ومع وجود صوت المواطن والمقيم نحن أقوى، ونستطيع أن نصل إلى المشاكل، وإغلاقها في فترة بسيطة جداً" (٢).

٣. وفي تغريدة للوزارة على حسابها في تويتر تدعو فيها المواطن والمقيم بالإبلاغ عن المخالفات حيث جاء فيها: " عزيزي المواطن والمقيم ساهم معنا بالتصدي لجائحة كورونا من خلال الإبلاغ عن أي مخالفة تلاحظها بمحلات الأغذية والمطاعم وما في حكمها على رقم البلاغات (٩٤٠) (٣).

٤. كما دعت الوزارة في أحد الأخبار المنشورة على موقعها الرسمي على الإنترنت أهمية الإبلاغ عن محطات الوقود غير الملتزمة بتركيب شاشات عرض أسعار الوقود وجاء في الخبر: " وتهيب وزارة الشؤون البلدية والقروية بالجميع للإبلاغ عن المحطات المخالفة عبر مركز البلاغات البلدي (٩٤٠) (٤).

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا أهمية الرقابة المجتمعية للجهات الحكومية وعلاقتها بمسؤولية المجتمع تجاه إجراءات الحسبة الوقائية في ظل جائحة كورونا.

(١) موقع وزارة الشؤون البلدية والقروية الإلكتروني الرسمي على الإنترنت.

(٢) صحيفة سبق الإلكترونية بتاريخ ١٢ شعبان ١٤٤١ هـ.

(٣) الحساب الرسمي لوزارة الشؤون البلدية والقروية على تويتر بتاريخ أبريل ٢٠٢٠ م.

(٤) موقع وزارة الشؤون البلدية والقروية الإلكتروني الرسمي على الإنترنت.

## الخاتمة

الحمد لله على فضله وإحسانه الذي أعانني على إنجاز هذا البحث، وفيما يلي أعرض أهم النتائج والتوصيات:

### أولاً: النتائج:

١. تعدد تعريفات المفهوم اللغوي للحسبة، والأقرب منها إلى مقصود البحث أن الحسبة تعني حسن النظر والتدبير.
٢. تعددت تعريفات الحسبة في الاصطلاح، وهذا يرجع إلى مقصود كل باحث..
٣. تعريف الحسبة الوقائية في هذا البحث: "حسن النظر والتدبير في اتخاذ الإجراءات الوقائية لحفظ المواطنين والمقيمين في المملكة العربية السعودية من آثار جائحة كورونا".
٤. تعدد مجالات الحسبة الوقائية لمواجهة جائحة كورونا.
٥. بروز دور هيئة كبار العلماء في ظل جائحة كورونا وخاصة في المجال الشرعي، من خلال إصدار الفتاوى اللازمة لمواجهة وباء كورونا.
٦. ساهمت وزارة التعليم في إجراءات الحسبة الوقائية في المجال العلمي من خلال تعليق الدراسة في المدارس والجامعات والمعاهد الحكومية والأهلية لمنع انتشار فيروس كورونا.
٧. قامت وزارة الصحة بدور عظيم وكبير في المجال الصحي لمكافحة وباء كورونا من خلال عدة إجراءات متنوعة ومتعددة لتوعية المجتمع للوصول إلى أعلى مستوى من الحذر والحيطه من خطر وباء كورونا المستجد.
٨. كما قامت وزارة الشؤون البلدية والقروية بجهود كبيرة من خلال الرصد البيئي للمحلات والأسواق للتأكد من تطبيق وسائل السلامة الصحية والبيئية لتلك المحلات والأسواق، وإصدار عدد من التعليمات للوقاية من الإصابة بفيروس كورونا.

٩. قدمت وزارة الداخلية والنيابة العامة بدور جبار وعظيم في المجال الأمني من خلال التوجيه والتحذير من مخالفة الأنظمة، بالإضافة إلى الرصد والمتابعة لكل ما يخل بالأنظمة والتعليمات المتعلقة بجائحة كورونا بكل حزم، وإحالة المخالفين للجهات المختصة لتطبيق الأنظمة عليهم.

١٠. ساهمت وزارة التجارة بحماية المستهلك من آثار جائحة كورونا من خلال التصدي للتصرفات المخالفة للأنظمة الاقتصادية في المملكة وتكثيف الرقابة الميدانية في أسواق الجملة والتجزئة للتأكد من توفر السلع ومنع الغش التجاري بكل صوره وأشكاله.

١١. أهمية إسهام الأفراد والمجتمع في المسؤولية الشرعية تجاه إجراءات الحسبة الوقائية التي قامت بها الدولة، وتلخص في السمع والطاعة، ومحاربة الشائعات والالتزام الكامل بالأنظمة والتعليمات التي تصدرها الجهات المختصة للمحافظة على سلامة الجميع من وباء كورونا.

١٢. قدمت المملكة العربية السعودية نموذجاً عملياً راقياً إنسانياً لجميع دول العالم في عناية المملكة وقدرتها الفائقة والمهنية في إدارة الأزمة، وعنايتها الكبيرة بالمواطنين والمقيمين، وسرعة اتخاذ القرارات الجريئة مع الحزم في تطبيقها مما تحقق بذلك نجاحات مبهرة وعظيمة في مواجهة جائحة كورونا، ولذا ستظل المملكة في مقدمة الدول في القدرة على حسن الإدارة في أوقات الكوارث والأزمات.

## ثانياً: التوصيات:

١. يوصي الباحث بالإسهام في المزيد من البحوث والدراسات في جميع المجالات لدراسة جائحة كورونا من جميع الجوانب للخروج بنتائج وتوصيات يعود أثرها بالنفع والفائدة على المجتمع.
٢. يوصي الباحث بأهمية دراسة الرقابة المجتمعية وتطبيقاتها في ظل جائحة كورونا.
٣. يوصي الباحث بأهمية دراسة الرقابة الميدانية وآثارها على المجتمع.
٤. يقترح الباحث تخصيص جهة معينة تعنى بالبحوث العلمية، لرصد كل ما يُكتب أو يُؤلف في موضوع جائحة كورونا لتيسر الوصول إليه مستقبلاً من قبل الباحثين والمهتمين.
٥. يقترح الباحث رصد الجهود الرقابية للجهات الحكومية في مواجهة جائحة كورونا.
٦. يوصي الباحث بتنمية المهارات الشخصية في ظل الأزمات والظروف غير الطبيعية.

وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.



## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم
٢. أثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في تحقيق الأمن "دراسة تأصيلية"، عبدالعزيز الجوهري، بحث تكميلي مقدم لجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية في تخصص التشريع الجنائي الإسلامي، ١٤٢٨هـ.
٣. أثر العلماء في تحقيق رسالة المسجد، أ. د. ناصر بن عبدالكريم العقل، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالرياض، ١٤١٩هـ.
٤. الاحتكار وموقف التشريع الإسلامي منه دراسة مقارنة بين النظم الاقتصادية والإسلام، إعداد: موسى محمد الطيب، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠١-١٤٠٢هـ.
٥. الأحكام السلطانية، أبو يعلى الخنبلي، تحقيق: محمد حامد الفقي، رقم الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.
٦. الأحكام السلطانية، أبو يعلى الماوردي، تحقيق: د. أحمد البغدادي، رقم الطبعة (١)، دار ابن قتيبة، الكويت، ١٤٠٩هـ.
٧. أحكام القرآن، ابن العربي، عناية: محمد عطا، رقم الطبعة (٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
٨. أركان الإسلام، أ. د. عبدالله بن محمد الطيار، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٧هـ.
٩. الإسلام والشائعة، د. ساعد الحارثي، "بحث مقدم في ندوة أساليب مواجهة الشائعات"، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رقم الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.
١٠. أصول الحسبة في الإسلام "دراسة تأصيلية مقارنة"، د. محمد كمال إمام، رقم الطبعة (١)، دار الهداية، ١٤٠٦هـ.

١١. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة.
١٢. التحرير والتنوير، ابن عاشور التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، د.ت.
١٣. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، المباركفوري، نشر دار الكتب العلمية بيروت. د.ط، د.ت.
١٤. تدابير الدولة للوقاية من الجريمة، منى سمير أبو عريان، بحث ماجستير في الفقه المقارن من كلية الشريعة والقانون بالجامعة الإسلامية في غزة، ١٤٣٨ هـ.
١٥. التدابير الوقائية من الأمراض والكوارث، إيمان بنت عبدالعزيز المبرد، بحث ماجستير مقدم لقسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤٣٢-١٤٣٣ هـ.
١٦. التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزى، اعتنى به: محمد سالم هاشم، رقم الطبعة (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.
١٧. التعريفات، الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، رقم الطبعة (٣) بيروت، ١٤١٧ هـ.
١٨. تفسير فتح القدير، الإمام الشوكاني، رقم الطبعة (١)، دار الخير للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٣ هـ.
١٩. التوقيف على مهمات التعاريف، عبدالرؤف المناوي، تحقيق: عبدالحميد حمدان، رقم الطبعة (١)، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠ هـ.
٢٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رقم الطبعة (١) مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١ هـ.
٢١. جامع الترمذي إشراف ومراجعة الشيخ صالح آل الشيخ، رقم الطبعة (الأولى)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠ هـ.
٢٢. جامع الترمذي، رقم الطبعة (١)، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠ هـ.

٢٣. جرائم انتهاك أسرار الدفاع عن البلاد، جابر المراغي، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٨م.
٢٤. الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة، رقم الطبعة (١)، نشر وتوزيع دار الأرقم، الكويت، ١٤٠١هـ.
٢٥. الحماية الجنائية لأسرار المهنة، أحمد سلامة، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٨م.
٢٦. دليل الحجر الصحي والإقامة المنزلية تحت المراقبة لمرض كورونا كوفيد ١٩، المركز الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها بالمملكة العربية السعودية.
٢٧. الذخيرة، القرافي، تحقيق: محمد بوخبزة، رقم الطبعة (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٨. الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية، محمد عبدالقادر حاتم، رقم الطبعة (٢)، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٩هـ.
٢٩. رسالة في الحث على اجتماع كلمة المسلمين ودم التفرق والاختلاف، الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبدالله آل مسلم، رقم الطبعة (١)، دار التوحيد للنشر الرياض، ١٤٢٩هـ.
٣٠. الرقابة وحماية المستهلك، د. أسامة خيرى، رقم الطبعة (١)، دار الراية للنشر والتوزيع، عمّان، ٢٠١٥م.
٣١. زاد المسلم من كلام سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وفضيلة الشيخ محمد العثيمين رحمهما الله، جمعه ونسقه: محمد بن رياض الأحمد، رقم الطبعة (١)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٤هـ.
٣٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، الإمام ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبدالقادر الأرنؤوط، رقم الطبعة (٣)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.



٣٣. الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، طبعة المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣٤. سنن ابن ماجه، إشراف ومراجعة الشيخ صالح آل الشيخ، رقم الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٣٥. سنن أبي داود، رقم الطبعة (١)، دار السلام، الرياض، ١٤٢٠هـ.
٣٦. الشائعات في المواقع الإخبارية الأردنية وتأثيرها في نشر الأخبار من وجهة نظر الصحفيين الأردنيين، إعداد: رضا صباح المفرجي، بحث مكمل لمتطلبات درجة الماجستير في الإعلام، جامعة الشرق الأوسط، الأردن.
٣٧. شرح صحيح مسلم، النووي رقم الطبعة (٥)، دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٤٢٠هـ.
٣٨. الصحة الوقائية في الإسلام، د. مروان القدومي، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، العدد السادس والعشرون، ٢٠١٢م.
٣٩. صحيح سنن ابن ماجه، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رقم الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ.
٤٠. صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رقم الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.
٤١. صحيح سنن أبي داود، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، رقم الطبعة (١)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.
٤٢. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، د. عبد الرحمن الميداني، رقم الطبعة (٣) دار القلم، دمشق، ١٤٠٨هـ.
٤٣. الطب الوقائي في الإسلام، عمر محمود عبدالله، رقم الطبعة (١)، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، الموصل، العراق، ١٤١٠هـ.

- ٤٤ . الغش التجاري في النظام السعودي والفقہ الإسلامي، فارس الحقباني "بحث تكميلي غير منشور مقدم للمعهد العالي للقضاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ".
- ٤٥ . الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا وأخوه، رقم الطبعة (١)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- ٤٦ . فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر، رقم الطبعة (١)، طباعة مكتبة الفيحاء بدمشق، نشر مكتبة دار السلام بالرياض، ١٤١٨هـ.
- ٤٧ . فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي، رقم الطبعة (١)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ١٣٥٦هـ.
- ٤٨ . القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، أ.د. صالح بن غانم السدلان، رقم الطبعة (٢)، دار بلنسية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ٤٩ . كتاب العلم، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد السليمان، رقم الطبعة (١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ٥٠ . كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، نشر دار الكتب العلمية.
- ٥١ . لسان العرب، ابن منظور، رقم الطبعة، (٣)، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ٥٢ . ماهية الشائعة: التطور التاريخي، د.علي الجني، بحث مقدم في ندوة أساليب مواجهة الشائعات، من منشورات مركز الدراسات والبحوث، بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، رقم الطبعة (١)، الرياض، ١٤٢٢هـ.
- ٥٣ . مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.
- ٥٤ . مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن عثيمين، جمع وترتيب: فهد السلطان، رقم الطبعة (١)، دار الثريا، الرياض، ١٤٢٣هـ.

- ٥٥ . مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، جمع وترتيب: د. محمد الشويعر رقم الطبعة (١)، دار القاسم، الرياض، ١٤٢٠هـ.
- ٥٦ . مختار الصحاح، الإمام الرازي، ص ٥٤٧، مكتبة لبنان، بيروت.
- ٥٧ . المسؤولية الجنائية في الإعلانات التجارية دراسة تأصيلية مقارنة، المستشار القانوني. عبدالعزيز العبيد، رقم الطبعة (١)، مكتبة القانون والاقتصاد، الرياض، ١٤٣٧هـ.
- ٥٨ . معالم القرية في طلب الحسبة، ابن الأخوة القرشي، رقم الطبعة (بدون) الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- ٥٩ . المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، تحقيق: إبراهيم مصطفى وآخرين، رقم الطبعة (٢)، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، استانبول.
- ٦٠ . معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، رقم الطبعة (بدون)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ١٣٩٩هـ.
- ٦١ . مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، أمل محمد نور، بحث تكميلي مقدم لقسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.
- ٦٢ . مفيد الأنام ونور الظلام في تحرير الأحكام لحج بيت الله الحرام، عبدالله بن جاسر، رقم الطبعة (٢)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٨٩هـ.
- ٦٣ . المقاصد الشرعية للعقوبات في الإسلام، د. راوية بنت أحمد الظهار، رقم الطبعة (١)، من منشورات جائزة الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ١٤٢٦هـ.
- ٦٤ . مناهج المسلم، لأبي بكر الجزائري، رقم الطبعة (٦)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٩هـ.
- ٦٥ . الموافقات، الشاطبي، عناية: مشهور آل سلمان، رقم الطبعة (١)، دار ابن عфан للنشر والتوزيع، الخبر، ١٤١٧هـ.
- ٦٦ . الموسوعة الطبية الفقهية، د. أحمد محمد كنعان، رقم الطبعة (١)، دار النفائس، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٦٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، الناشر وزارة الأوقاف الكويتية، ١٩٨٣ م.  
 ٦٨. وظيفة المسجد في المجتمع، أ.د. زيد بن عبدالكريم الزيد، رقم الطبعة (١) دار  
 العاصمة، الرياض، ١٤٢٢ هـ.

#### الأنظمة:

١. النظام الأساسي للحكم.
٢. نظام الوقاية من متلازمة العوز المناعي المكتسب (الإيدز) وحقوقهم وواجباتهم.
٣. نظام المنافسة.
٤. نظام عقوبات نشر الوثائق والمعلومات السرية وإفشاءها
٥. نظام مكافحة الغش التجاري.

#### المقالات:

١. لماذا نهتم بالإحصائيات، للكاتب: د. عبدالله الراددي، مقال في جريد الشرق الأوسط، الأثنين ١٣ رمضان ١٤٣٩ هـ، العدد رقم (١٤٤٢٦).
٢. وزارة الصحة جهود تشكر، هاجر الدوسري، مقال في صحيفة الوطن أون لاين،  
 ٢٤ فبراير ٢٠٢٠ م.

## المواقع الإلكترونية:

١. موقع مجمع الفقه الإسلامي الدولي الرسمي الإلكتروني على شبكة الانترنت.
٢. موقع منظمة الصحة العالمية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
٣. موقع هيئة كبار العلماء الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
٤. موقع وزارة التعليم الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
٥. موقع وزارة الداخلية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
٦. موقع وزارة الشؤون البلدية والقروية الإلكتروني الرسمي على الإنترنت.
٧. موقع وزارة الصحة الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
٨. موقع النيابة العامة في حساب تويتر على شبكة الإنترنت.
٩. موقع وكالة الأنباء السعودية الرسمي على شبكة الإنترنت.
١٠. موقع صحيفة سبق الإلكترونية الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
١١. موقع صحيفة الوطن أون لاین الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.
١٢. موقع جريدة الرياض الرسمي الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

البحث رقم (٨)

## منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة

إعداد

د. علي بن يحيى جابر الفيافي

عضو هيئة التدريس بالبرامج المشتركة

جامعة الملك خالد

## المقدمة

الحمد لله المتفرد بالعلم التام، والحكمة الكاملة، والتدبير المتقن الدقيق لكل شؤون الحياة، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، المؤيد بالوحي المبين، وعلى آله وصحابته والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

ف نظرًا لما شاع في هذا الزمن من مخالفة منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاة، وما ترتب على ذلك من المآسي والمصائب التي فرقت الأمة، وشنت شملها، وأضعفت قوتها، ومكنت أعداءها المتربصين بها من النيل منها: تحت ضغط فتنة الثورة على الولاة والطعن فيهم!، والخروج عليهم!! بدعوى الظلم والاستبداد والفساد.. ونشطت بعض من الطوائف والأحزاب في الأمة!!، واشتعلت الحروب الطاحنة بينها!!، وأصبح كل حزب بما لديهم فرحون!، وازداد الظلم!، وعمت الفتنة وطمت!!، وانحرف الخارجون على الولاة والطاعنون فيهم عن المنهج الشرعي: في المسلك والوسيلة، والدعوة والاحتساب، وطريقة الإنكار، وأسلوب النصيحة المأمور بها شرعًا.

فلهذا وغيره مما عُلِمَ من خطر مخالفة المنهج الحق في مسألة التعامل مع ولاة أمور الأمة وقادتها، رأيت أن بيان المنهج الحق - منهج أهل السنة والجماعة - في التعامل مع الولاة، هو مطلب شرعي يجب أن يُرفع سنامه، ويُعلَى مقامه، ويُؤَسَسَ بنيانه على أصول الشريعة المحكّمة، وسيّر السلف الصالح المبرّمة، وليُعلم أنه يقوم على ضوابط شرعية، وآداب مرعية؛ لتنجو بذلك الأمة من فتن توالى، ومحن على أبنائها تتالت، وما ذاك إلا بثورات تقوم وتكرر في حقب وأزمنة مختلفة، وظروف متشابهة أو متباينة، وكلها أو أغلبها تخالف المنهج القويم، والمسلك الحكيم، وترفع شعار الطعن في الولاة بسبب أخطاء تقع، أو تقصير يحصل، أو تجاوز يظهر من الولاة هنا أو هناك.. وكل من سلك مسلك الثائرين فقد خالف منهج أهل السنة والجماعة، وتَنكَّبَ طريق الهدى والرشاد الذي سلكوه في التعامل مع الولاة وما يصدر منهم.

ومن المعلوم أن ما ينسب إلى الوالي قد يكون أمراً أو أموراً وقعت حقاً، أو وقع بعضها، إما بسبب منه، أو من غيره، فهو ومن معه ليسوا معصومين، وقد يكون في خطئه وما حصل منه متأولاً، أو متعمداً.. ولكن السؤال الأهم: هل كل ما سبق يبيح الطعن في الوالي وإثارة الناس عليه؟!، والخروج على المنهج الواضح الجلي الذي رسمه علماء الأمة الأجلاء جيلاً بعد جيل تقيُّداً بالنصوص الشرعية، واقتداءً بالسيرة المرضية لعلماء الأمة ودعاتها من السلف الصالح، ومن تبعهم واقتدى بهم إلى عصرنا الحاضر.

وقد يكون ما يُنسب إلى الوالي ويتهم به لم يحصل منه قط!، أو حصل والصواب معه، أو حصل وهو من باب السياسة الشرعية التي يراها، وقد لا يراها غيره.. إلى آخر ما يقع من الاختلاف في الأمور التي يُطعن بها على الولاية.

وفي كل ما سبق - وغيره - يبقى الطعن في الولاية منكرًا عظيمًا، وباب شر كبير، لا يفتحه على الأمة إلا من قلَّ فقهه، وطاش عقله، وسَقَمَ فهمه، وداخلته الأهواء المضلّة، فلم يأخذ بمحكمات النصوص، ولم يرجع إلى الراسخين في العلم ممن يزنون الأمور بميزان الشرع الحكيم، ويقدمون درء مفسدة الطعن في الولاية - أو الإنكار العلني عليهم - على مصلحة إنكار المنكر الذي وقعوا فيه.

ذلك أن الطعن في الولاية، وإثارة الناس عليهم، هي من المفاسد الكبرى التي تؤدي إلى سفك الدماء، وانتهاك الحرمات، وضعف شوكة الأمة، وتمكين الأعداء منها.. فهل هناك مفسدة على الدين والأمة أكبر من هذه؟!.

وحيث إن الطعن في الولاية، والخروج عليهم بهذا الحجم من الضرر والخطر، وذلك لا يكون إلا ممن خالف منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاية، ومن باب النصح لله، ولسوله، وللأئمة المسلمين وعامتهم، فقد استخرتُ الله عز وجل ورأيتُ أن أكتب بحثًا مختصرًا في بيان منهج أهل السنة في التعامل مع الولاية؛ ليكون دليلاً على المطلوب، وموفقياً بالمقصود إن شاء الله، وأسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد.



وقد قسّمته بعد هذه المقدمة إلى مدخل، وتمهيد، وستة مباحث تُبيّن منهج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الولاة، ثم خاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المدخل: في بيان مفهوم مفردات البحث.

المبحث التمهيدي: في بيان مميزات منهج أهل السنّة في التعامل مع الولاة.

وأما المباحث الأصيلة في هذا الموضوع، فهي على النحو الآتي:

المبحث الأول: توقيير الوالي وطاعته.

المبحث الثاني: الدعاء للوالي بالصلاح والسداد والمعافة.

المبحث الثالث: مناصحة الوالي سرّاً، وعدم التشهير به.

المبحث الرابع: موافقة الوالي وإعانتته على الخير، ومفارقتته في المنكرات.

المبحث الخامس: الصبر على ظلم الوالي وجوره.

المبحث السادس: الإنكار على الطاعن في الوالي، وبيان المفاصد المترتبة على ذلك.

الخاتمة، وفيها: أهم نتائج البحث، وتوصياته.

ثم فهارس البحث.

## مدخل: في بيان مفردات البحث:

يحسن الباحث أن يوضح مفهوم مفردات عنوان البحث؛ ليكون ذلك مدخلاً مساعداً على فهم المقصود، وهذه المفردات هي:

- مفهوم المنهج.
- مفهوم أهل السنة.
- مفهوم التعامل مع الولاة.

## أولاً: مفهوم المنهج:

المنهج في اللغة:

مصدر ميمي من نَهَجَ، يَنْهَجُ مَنْهَجًا، وَمِنْهَجًا وَمِنْهَاجًا، ويقال: طريقٌ نَهَجٌ بَيِّنٌ واضحٌ... وَأَنْهَجَ الطريقُ: وَضَحَ وَاسْتَبَانَ، وصار نَهَجًا واضحًا بَيِّنًا.

والمِنْهَاجُ: الطريقُ الواضِحُ. وَاسْتَنْهَجَ الطريقُ: صار نَهَجًا.

وقال العباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «... وَتَرَكُّمُ عَلَى مِحْجَةِ بَيِّنَةٍ، وَطَرِيقِ نَاهِجَةٍ»<sup>(١)</sup> أي: واضحة بَيِّنَةٍ.

وَنَهَجْتُ الطريقَ أَبْنَتُهُ وَأَوْضَحْتُهُ. وَفُلَانٌ يَسْتَنْهَجُ سَبِيلَ فُلَانٍ أَيْ: يَسْلُكُ مَسْلَكَهُ. وَالنَّهْجُ الطريقُ المُسْتَقِيمُ. وَنَهَجَ الأَمْرُ وَأَنْهَجَ لُغْتَانِ إِذَا وَضَحَ<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن فارس رحمته الله: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان:

الأوّل: النَّهْجُ: الطَّرِيقُ. وَنَهَجَ لِي الأَمْرُ: أَوْضَحَهُ. وَهُوَ مُسْتَقِيمُ الْمِنْهَاجِ، وَالْمِنْهَاجُ:

(١) المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ٤٣٣/٥، ط/٢، المجلس العلمي بالهند، ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: لسان العرب، مادة (ن ه ج)، ٣٨٣/٢.

الطَّرِيقَ أَيْضًا، وَالْجَمْعُ الْمَنَاهِجُ.

وَالْآخَرُ: الْإِنْقِطَاعُ، وَأَتَانَا فَلَانٌ يَنْهَجُ، إِذَا أَتَى مَبْهُورًا مَنْقَطِعَ النَّفْسِ. وَضَرِبْتَ فَلَانًا حَتَّى أَهْجَ، أَيْ سَقَطَ (١).

فِيكُونُ الْمَنَهْجُ فِي اللُّغَةِ لَهُ مَعْنِيَانِ مُتَبَايِنَانِ: الْأَوَّلُ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ. وَالثَّانِي: الْبُهِرُ وَالْإِنْقِطَاعُ. وَالْأَوَّلُ هُوَ الْمَقْصُودُ فِي هَذَا الْبَحْثِ.

فِيكُونُ مَعْنَى الْمَنَهْجِ فِي اللُّغَةِ: الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ، وَالْخَطَّةُ الْمَرْسُومَةُ، وَالطَّرِيقَةُ الْوَاضِحَةُ الْمَعْرُوفَةُ.

وَأَمَّا الْمَنَهْجُ فِي الْإِصْطِلَاحِ: فَأَقْرَبُ مَا يُمْكِنُ أَنْ يُعْرَفَ بِهِ فِي هَذَا الْبَحْثِ، أَنَّهُ: الْهَدْيُ الْمَتَّبَعُ، وَالسُّنَّةُ الْمَأْتُوْرَةُ، وَالطَّرِيقَةُ الْمَرْسُومَةُ الَّتِي انْتَهَجَهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْوَلَاةِ.

ثَانِيًا: مَفْهُومُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ:

مِصْطَلَحُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ أَحَدُ مَعْنِيَيْنِ:

الْأَوَّلُ: مَعْنَى عَامٍ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ الْمُنْتَسِبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ عِدا الرَّاغِبَةِ، فَيُقَالُ: هَذَا رَافِضِيٌّ وَهَذَا سَنِيٌّ، وَهَذَا إِصْطِلَاحُ الْعَامَّةِ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ رَحِمَهُ اللهُ: "فَجَمْهُورُ الْعَامَّةِ لَا تَعْرِفُ ضِدَّ السُّنِيِّ إِلَّا الرَّاغِبِيَّ، فَإِذَا قَالَ أَحَدُهُمْ: أَنَا سَنِيٌّ، فَإِنَّمَا مَعْنَاهُ لَسْتُ رَافِضِيًّا" (٢).

وَالثَّانِي: مَعْنَى خَاصٍّ، وَيُرَادُ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ الْمُحْضَةِ الْخَالِصَةِ مِنَ الْبِدْعِ، وَيُخْرَجُ بِهِ سَائِرُ الْمُخَالَفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ، كَالْخَوَارِجِ، وَالْجَهْمِيَّةِ، وَالْمَرْجِيَّةِ، وَالشَّيْعَةِ، وَغَيْرِهِمْ (٣)، وَهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُرَادُ؛ لِأَنَّ الْقِصْدَ هُوَ: تَعْرِيفُهُمْ بِمَا يُجَيِّزُهُمْ عَنِ

(١) معجم مقاييس اللغة، ٢٨٨/٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٣٥٦/٣.

(٣) انظر: تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، دراسة نقدية في ضوء عقيدة السلف، د. عفاف بنت حسن مختار،

٢١١-٢٢، ط/٣، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

غيرهم، فلا ينسب إليهم خارج عنهم، ولا يخرج منهم داخل فيهم<sup>(١)</sup>.

وقد تضافرت تعاريف العلماء لأهل السنة محققة المقصد المشار إليه آنفاً، فمن ذلك قول أبي محمد ابن حزم رحمته الله: "وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم الصحابة رضي الله عنهم وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن الجوزي رحمته الله: "أهل النقل والأثر المتبعين آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وآثار أصحابه هم أهل السنة؛ لأنهم على تلك الطريق التي لم يحدث فيها حادث، وإنما وقعت الحوادث والبدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه"<sup>(٣)</sup>.

وقد عرّف جلال الدين السيوطي<sup>(٤)</sup> أهل السنة بالتعريف السابق إما نقلاً له أو موافقة لابن الجوزي رحمهما الله في كتابه: (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع)<sup>(٥)</sup>.

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله فقد عرّف أهل السنة بالشعار الذين يتميزون به عن الفرق الأخرى المخالفة لهم، فقال رحمته الله: "وشعار هذه الفرق - المخالفة لأهل السنة - مفارقة الكتاب والسنة والإجماع. فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من

(١) انظر: موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، أ. د. إبراهيم الرحيلي، ١/ ٣٦.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي، ٢/ ٩٠، ط مكتبة الخانجي، القاهرة.

(٣) تلبس إبليس، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، ١٧، ١/ ط، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت: ١٤٢١هـ /

٢٠٠١م.

(٤) توفي عام ٩١١هـ، وابن حزم توفي عام ٤٥٦هـ.

(٥) انظر: الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ٨٨، تحقيق: د. ذيب

القحطاني، ط ١٤٠٩هـ.

أهل السنة والجماعة" (١).

وعرّفهم علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمته الله بقوله: "فأهل السنة المحضة السالمون من البدع الذين تمسكوا بما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وأصحابه من الأصول كلها، أصول التوحيد، والرسالة، والقدر، ومسائل الإيمان وغيرها. وغيرهم من خوارج، ومعتزلة، وجهمية، وقدرية، ورافضة، ومرجئة ومن تفرع عنهم، كلهم من أهل البدع الاعتقادية" (٢).

وما سبق يمكن تعريف أهل السنة والجماعة بالمعنى الخاص بأنهم: المتمسكون بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وما أجمع عليه علماء الأمة في العقائد والأقوال، والعبادات الباطنة والظاهرة، المتبعون للسلف الصالح من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان من أئمة الهدى المشهود لهم بالإمامة في الدين قولاً وعملاً، ويدخل فيهم العامة المقلدون لهم، دون من زُمي ببدعة، أو شُهر بلقب غير مرضي كالخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة، والجبرية، والمعتزلة، ونحوهم (٣).

ثالثاً: مفهوم التعامل مع الولاة:

التعامل مع الولاة يكون بإحدى طريقتين:

الأولى: الطريقة الشرعية، وهي طريقة السلف، وهي منهج أهل السنة والجماعة الذي ساروا عليه، وأثبتوه في كتب العقيدة تأكيداً على مدى فهمهم واعتنائهم بهذه المسألة

(١) مجموع الفتاوى، ٣/ ٣٤٦.

(٢) الفتاوى السعدية، عبدالرحمن ناصر السعدي، ص ٦٣، ط/٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

(٣) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام رضي الله عنهم، د. ناصر بن علي الشيخ، ١/ ٢٩، ط/١، مكتبة

الرشد، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.



الخطيرة جداً؛ لما يترتب على الإخلال بها من المفسد والمصائب.

والثانية: طريقة المبتدعة وأهل الأهواء: من الخوارج، والمعتزلة، والرافضة وغيرهم.

فالأولى: واجبة وجوباً مؤكداً، والثانية: محرمة تحريمًا مشددًا.

وأما معنى الولاية في اللغة: فجمع والي، من ولى الأمر... وولى الوالي البلد، وولى الرجل البيع ولايةً فيهما... وولاية الأمير عمل كذا، وولاية بيع الشيء. وتولى العمل تقلده... ووليت فلاناً أمر كذا وكذا إذا قلده وولايته.

ويقال: ولايةً وولايةً، فهو والٍ، والمفعول مولى.

وولى البلد: حكمه وتسلب عليه. وولى شئون البلاد رئيس شديد.

وولى الشيء أو ولى عليه: ملك أمره وقام به.

والولي ضد العدو، يقال: تولاه، وكل من ولى أمر واحد فهو وليه.

والمولى: المعتق، والمعتق، وابن العم، والناصر، والجار، والحليف. والولاء: ولاء المعتق. والمؤالاة ضد المعاداة.

قال ابن السكيت: (الولاية) بالكسر السلطان، و (الولاية) بالفتح والكسر الناصرة. وقال سيبويه: (الولاية) بالفتح المصدر وبالكسر الاسم<sup>(١)</sup>.

وبهذا يتضح أن المراد بالولاية في هذا البحث جمع والٍ، وهو: من يتولى شؤون الرعية، ويُدير أمورها، ممن تبتت له الولاية بطريق معتبر عند أهل السنة والجماعة.

وسواءً سمي: خليفة، أو حاكمًا، أو ملكًا، أو أميرًا، أو سلطانًا، أو رئيسًا.. فالعبرة بما يجب له من السمع والطاعة في المنشط والمكروه، وما يجب عليه من الاجتهاد، وحسن

(١) انظر: مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، مادة ( و ل ي )، ٣٤٥، ط٥، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م. ولسان العرب، ١٥ / ٤٠٦ - ٤١٥. ومعجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار، ٣ / ٢٤٩٥، ط١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

النظر في مصالح رعيته، بما يحقق لهم المصالح الدينية والدنيوية بقدر وسعه وطاقته.  
وبعد أن بينا مفهوم مفردات البحث، نُبيّن باختصار مميزات منهج أهل السنّة في  
التعامل مع الولاة؛ لعل الله أن يجعل في ذلك دعوة إلى الحق وبيانا له.

## المطلب التمهيدي

### مميزات منهج أهل السنة في التعامل مع الولاية

يتميز أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاية عن غيرهم من الفرق الأخرى، وما ذاك إلا لتمييز منهجهم عن مناهج أهل الأهواء والبدع بمميزات واضحة وجلية، ذلك أنه يقوم على أسس متينة، وبعيدة عن حظوظ النفس وأهوائها.. فمن تلك الأسس التي يقوم عليها:

١. الخضوع التام للنصوص والآثار والتمسك بها.
  ٢. الفهم الصحيح والدقيق لأحكام الشريعة ومقاصدها.
  ٣. وزن الأمور بميزان الشرع الحكيم طاعة لله تعالى، وتقيداً بنصوص الشرع.
  ٤. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند أهل السنة والجماعة له ضوابط وآداب، ويراعى فيه: درء المفسد، وتحقيق المصالح، وترتيب مراتبه، والقدرة، والنتيجة، والآثار المترتبة على الأمر والنهي.
- وهذه الأسس وغيرها جعلت منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاية يتميز بعدة مميزات من أهمها:

#### الميزة الأولى: الصدق:

وهذه ميزة عظيمة، فالصدق منجاة، والصدق يهدي إلى البر وإلى كل خير، ومن لازم الصدق في أقواله وأفعاله وتعاملاته كُتِبَ في السماء صديقاً كما قال ﷺ: ((إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون



صديقاً...)) وفي رواية مسلم: ((يُكْتَبُ صَدِيقًا)) (١).

والصدق يكون في البيعة، وفي الوفاء بها، وفي السمع والطاعة لولي الأمر في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وفي النصيحة الصادقة له والإخلاص في ذلك، وفي الصبر على الأثرة، وعلى الظلم والجور إذا وقع من الولي، وفي عدم منازعته الأمر ما لم يقع منه كفر بواح فيه من الله برهان، وفي الصحيح يقول ﷺ: ((ثَلَاثٌ لَا يَغْلُ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالطَّاعَةُ لِذَوِي الْأَمْرِ، وَالزُّرُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ)) (٢).

### الميزة الثانية: وضوح المنهج واتساقه مع أصول أهل السنة.

وهذه الميزة من أهم ما يتميز به منهج أهل السنة والجماعة في مسألة التعامل مع الولاة، فهو منهج واضح وصريح، ومرتكز على أصول أهل السنة والجماعة، ولا أدل على ذلك من كونه مسطرًا في كتب العقيدة والأصول (٣)، حيث يعدونه أصلاً من الأصول المقررة في كتب العقيدة، يدرسونه للأبناء، ويوصون به الأتباع، وينكرون على من خالفه كائنًا من كان؛ لأنهم يعتقدون وجوب العمل به، وحرمة مخالفته، يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "الأصل الثالث: أن من تمام الاجتماع السمع والطاعة لمن تأمر علينا

(١) أخرجه البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وما ينهى عن الكذب، ٢٥/٨، برقم (٦٠٩٤). ومسلم في باب: فيح الكذب وحسن الصدق، ٢٠١٢/٤، برقم (٢٦٠٧).

(٢) المستدرک علی الصحیحین، أبو عبد الله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ١/١٦٢، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٣) كشرح السنة للبرهاري، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، والعقيدة الطحاوية، لأبي جعفر الطحاوي، والعقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وستة الأصول لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وغيرهم، رحمة الله على الجميع.

ولو كان عبداً حبشياً.

فبين الله له هذا بياناً شائعاً كافياً بوجوه من أنواع البيان شرعاً وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به؟! " (١).

### الميزة الثالثة: الثبات:

فمنهج أهل السنّة والجماعة في التعامل مع الولاة هو منهج ثابت لا يتغير عبر الأزمان؛ فتجد أقوال السلف في الفتن المتعلقة بالخروج على الولاة، وطريقة الإنكار عليهم، وما يتعلق بذلك من مسائل، تجدها موافقة لأقوال علماء أهل السنة في العصور المختلفة، والأمصار المتباعدة دون أن يكون بين أولئك العلماء تواصل مباشر، أو اطلاع متزامن بما يحدث هنا أو هناك من تلك المسائل والقضايا.

كما تجد أقوال أهل السنة في العصور المتأخرة مطابقة لأقوال من سبقهم من أهل السنة في هذا الباب.

فالسلف اتبعوا النصوص والآثار، وفهموا المعاني والأخبار، والخلف اقتدوا بسلفهم، واتبعوا ولم يتدعوا، وعلموا أنه منهج قائم على النصوص والآثار التي تجتمع بها كلمة الأمة.

بينما الفرق المخالفة لأهل السنة تجد أقوالهم متضاربة، ومواقفهم متناقضة، أو متغيرة بين موقف وآخر، حتى أن الفرقة الواحدة تفتقر وتشظى إلى عدة فرق يُكفر بعضها بعضاً!!.. نسأل الله السلامة والعافية، والثبات على الحق.

### الميزة الرابعة: العدل:

فأهل السنّة كما يُبينون حقوق الولاة على الرعية، فهم أيضاً يبينون ويوضحون حقوق الرعية على الوالي، فلكل حقوق واجبة، وعليه واجبات واضحة، بل من بديع

(١) مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ٢٦٤/٦، ط/٢، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م.

فعلهم أنهم جعلوا حقوق الوالي عشرة، وواجباته - التي هي حقوق الرعية عليه - عشرة. فأما حقوق الوالي على الرعية: فالحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرًا وباطنًا، في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، إلا أن يكون معصية.

والثاني: بذل النصيحة له سرًا وعلانية<sup>(١)</sup>.

والثالث: القيام بنصرته باطنًا وظاهرًا ببذل الجهود في ذلك لما فيه نصر المسلمين وإقامة حرمة الدين، وكف أيدي المعتدين.

والرابع: أن يُعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره...

والخامس: إيقاظه عند غفلته، وإرشاده عند هفوته، شفقةً عليه، وحفظًا لدينه وعرضه، وصيانةً لما جعله الله إليه من الخطأ فيه.

والسادس: تحذيره من عدو يقصده بسوء، وحاسد يرومه بأذى، أو خارجي يُخاف عليه منه، ومن كل شيء يُخاف عليه منه على اختلاف أنواع ذلك وأجناسه، فإن ذلك من أكد حقوقه وأوجبها.

والسابع: إعلامه بسيرة عماله: الذين هو مطالب بهم، ومشغول الذمة بسببهم لينظر لنفسه في خلاص ذمته، وللأمة في مصالح ملكه ورعيته.

والثامن: إعانتته على ما تحمله من أعباء الأمة ومساعدته على ذلك بقدر الميكنة. والتاسع: رد القلوب النافرة عنه إليه، وجمع محبة الناس عليه؛ لما في ذلك من مصالح الأمة، وانتظام أمور الملة.

والعاشر: الذب عنه بالقول والفعل، وبالمال والنفس والأهل في الظاهر والباطن، والسر والعلانية. يقول ابن جماعة بعد أن أورد حقوق الوالي العشرة: "وإذا وفّت الرعية بهذه الحقوق العشرة الواجبة، وأحسنّت القيام بمجامعتها والمراعاة لموقعها، صفت القلوب،

(١) أي: أن يكون الناصح صادقًا ومخلصًا في سره وعلانيته، وليس المعنى: نصيحة الوالي علنًا، فإن نصيحة الوالي لا تكون إلا سرًا.

وأخلصت، واجتمعت الكلمة وانتصرت" (١). وأما حقوق الرعية على الوالي، فهي عشرة أيضاً، الأول: حماية بيضة الإسلام والذب عنها.

والثاني: حفظ الدين على أصوله المقررة، وقواعده المحررة.

والثالث: إقامة شعائر الإسلام... والرابع: فصل القضايا والأحكام...

والخامس: إقامة فرض الجهاد بنفسه، وبجيوشه أو سراياه وبعوثه...

والسادس: إقامة الحدود الشرعية على الشروط المرعية...

والسابع: جباية الزكوات والجزية من أهلها، وأموال الفيء والخراج، وصرف ذلك في

مصارفه الشرعية...

والثامن: النظر في أوقاف البر والقربان، وصرفها فيما هي له من الجهات، وعمارة

القناطر وتسهيل سبل الخيرات.

والتاسع: النظر في قسم الغنائم وتقسيمها، وصرف أخماسها إلى مستحقيها.

والعاشر: العدل في سلطانه، وسلوك موارده في جميع شأنه (٢).

فمنهج أهل السنة يقوم على بيان حقوق الوالي وواجباته، وحقوق الرعية وواجباتها؛

ليقوم كل طرف بما يجب عليه، فيتحقق العدل والنصر والتمكين، ويعم الاستقرار والرخاء،

وتسود المحبة والتراحم والتعاون بين الراعي والرعية.

### الميزة الخامسة: الوسطية:

الوسطية هي من أخص خصائص أهل السنة والجماعة في جميع أمور الدين وأحكامه

(١) انظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، ٦١-

٦٤، ط/ دار الثقافة، الدوحة: ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) انظر: تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ٦٤-٦٩.

(١)، وهي مما يتميزون به في باب التعامل مع الولاة، فهم وسط بين طائفتين: الأولى: طائفة تظلم الوالي وتعاديه، وتتهمه بكل فساد يقع، أو خلل يحصل، وترى أنه سبب الشر والفساد.

فهذه الطائفة تدين بالخروج على الوالي إذا حصل منه منكر، أو ظلم أو جور، أو أي أمر مما تعتقد هي أنه مخالف لأوامر الدين!، وترى ذلك واجباً شرعياً! وجهاداً مشروعاً في سبيل الله!!، وهؤلاء هم الخوارج والمعتزلة، ومن سلك منهجهم. فالخوارج يرون الخروج على ولاة الجور من أوجب الواجبات!، فيكفرون الوالي!، ويخلعون بيعته، ويخرجون عليه بالسيف!!، كما أنهم يُكفرون من لم يكفر الوالي إذا كفروه!!، فيسفكون الدماء!، ويستبيحون الحرمات!، ويشقون عصا الطاعة، ويفارقون جماعة المسلمين بسبب جهلهم وغلوهم!!.

بل إن هذه الطائفة تخرج على ولاة العدل كما تخرج على ولاة الجور!، فقد خرجوا على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وقتلوه مظلوماً محصوراً في بيته!!.

كما خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكفروه!!، وقتلوه غدرًا وظلمًا وهو خارج لصلاة الفجر!! (٢).

وأما المعتزلة فهم أيضاً يدينون بالخروج على الوالي الجائر ويوجبون قتاله، وقاتل المخالفين لهم في أصولهم، وقد جعلوا ذلك أصلاً من أصول معتقدتهم، ويُسمّونه الأمر

(١) انظر: وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكرم، ط/١، دار الراجعية للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م. وعقيدة أهل السنة والجماعة، مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ٧٢، ط ١ دار ابن الجوزي ١٤٣٩هـ.

(٢) وقد خرجوا على أئمة عدل آخرين، كأمرير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، انظر: الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري، تحقيق: خليل المنصور، ٢/٢٧٣-٢٧٤، ط، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م. وكذلك خرجوا على الملك العادل عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل كما وقع في معركة السبلة التاريخية، فرغم إكرامه لقادتهم، وعرضه عليهم أن تكون بينهم وبينه محكمة شرعية إلا أنهم لم يقبلوا بذلك!! وأصروا على القتال حتى هزمهم الله.

بالمعروف والنهي عن المنكر!!<sup>(١)</sup>.

يقول الأشعري رحمه الله تعالى حاكياً قولهم: "فقالت المعتزلة: إذا كنا جماعة، وكان الغالب عندنا أنا نكفي مخالفتنا، عقدنا للإمام ونهضنا فقتلنا السلطان وأزلناه، وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد، وفي قولنا في القدر وإلا قتلناهم، وأوجبوا على الناس الخروج على السلطان على الإمكان والقدرة إذا أمكنهم ذلك وقدروا عليه"<sup>(٢)</sup>.

والطائفة الثانية: هم المداهنون المتخاذلون، "الذين سكتوا عن ظلم الولاة، وتركوا نصحتهم، والإنكار عليهم، بل ربما زينوا لهم باطلهم، وسوّغوا لهم ظلمهم، وفسادهم، وربما أنكروا على من ينكر عليهم"<sup>(٣)</sup>. فهذه الطائفة لا تأمر بمعروف!، ولا تنهى عن منكر!، ولا تقيم لدين الله وزناً!، ولا ترفع بشرعه رأساً!، فهي طائفة مداهنة للوالي ومخادعة له!، لا يهتمهم إلا إشباع رغباتهم وشهواتهم بالتملق للولاة الظلمة!، والتقرب منهم!.

وأسوأ من هذه الطائفة وأخبث نفوساً، وأشدُّ ضرراً على الإسلام وأهله، الطوائف الباطنية الذين يُقدسون الأئمة! ويَدْعُونَ لهم العصمة!! كالرافضة والنصيرية والدروز، غير أن هؤلاء يجب أن لا يُحسبوا على أهل الإسلام، وإن ادعوا الإسلام كذباً وزوراً.

وأما أهل السنة والجماعة فقد هداهم الله لما اختلف فيه من الحق، فأوجبوا السمع والطاعة للوالي في غير معصية الله، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه وتعالى، ولكنهم لا ينزعون يداً من طاعة، ولا يُفَرِّقُونَ جماعة

(١) انظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، عواد بن عبدالله المعتق، ٢٧٣ - ٢٧٤، ط ٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

(٢) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، ٤٦٦، عنى بتصحيحه: هلموت ريتز، ط ٣، دار فرانز شتاينز، بمدينة فيسبادن، ألمانيا، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة، محمد الحمد، ٨٣-٨٤.

المسلمين، ويناصحون الولاة، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وينكرون على الولاة إذا وقعوا في المنكر وفق الضوابط الشرعية، والآداب المرعية دون إعلان أو تشهير. ومع أنهم يصبرون على الوالي إذا وقع منه جور أو ظلم، إلا أنهم لا يُؤَيِّتُونَ له الباطل، ولا يسوغون له أفعاله المخالفة للشرع، بل يناصحونه ويبيّنون له الواقع والحكم الشرعي نصحًا له، وشفقة عليه من تبعات فعله.

**الميزة السادسة: الحكمة في معالجة ما يصدر من الولاة** مما تميز به منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاة: الحكمة في معالجة ما يصدر من الولاة من الأخطاء والمنكرات، فقد تميز أهل السنة والجماعة بتوقير الوالي واحترامه وإجلاله، فإذا وقع منه أمر يحتاج إلى توجيه وتنبيه، أو نصح وإرشاد، أو وعظ وتذكير، لم يُشهرُوا به، ولم يجاهروا بالإنكار عليه، وإنما يجعلون ذلك لمن هو بنصحه أولى وأعرف، ممن يسمع الوالي قوله، ويثق بنصحه وصدقه وإخلاصه، فيتحقق المقصود بدون إثارة أو تشهير.

وإذا لم يقبل الوالي النصيحة فإنهم يرون أن ذمّة الناصح قد برئت، وأمر الوالي إلى الله تعالى، ولا يثيرون على الأمة فتنة أكبر من فتنة ما وقع فيه الوالي من المنكر.

وإذا كان الوالي غشومًا ظلومًا قد يقتل من ينصحه أو ينكر عليه!، فإنهم لا يوجبون على أحد أن يُعرض نفسه للهلاك بالتعرض له بالنصح والإنكار، ولكن لو قام بذلك أحد احتسابًا لله، ورجاءً لما عنده، وقتله الوالي فإنهم يشكرون له مقامه، ويعدّون فعله جهادًا، وقتله شهادة، كما قال عليه السلام عندما سأله رجل، أي الجهاد أفضل؟، فقال: ((كلمة حق عند سلطان جائر))<sup>(١)</sup>، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله قال: ((سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه، فقتله))<sup>(٢)</sup>، فأهل

(١) مسند الإمام أحمد، ١٢٦/٣١، برقم (١٨٨٣٠)، وقال المحقق: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم، ٢١٥/٣، برقم (٤٨٨٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الألباني في صحيح

التغريب والترهيب برقم (٢٣٠٨) وفي السلسلة الصحيحة برقم (٣٧٤).

السنة لا يجنبون عن قول كلمة الحق والصدع بها، ولكنهم حكيمن في تعاملهم، هدفهم: تحقيق المقصود، وحصول الثمرة المرجوة بما ينفع الأمة، ويزيل المنكر بالطريقة المشروعة؛ لأن نصيحة الوالي والإنكار عليه عبادة يجب أن يراد بها وجه الله تعالى، ونفع الأمة، والإصلاح في الأرض، فيجب أن تكون الطريقة مشروعة، والعمل وفق هدي السلف الصالح.

### وأهل السنة يرون أن الوالي أحد ثلاثة:

الأول: بر تقي عادل يخشى الله ويتقيه، ويعدل في الرعية ويشفق عليها، ويرفق بها. فهذا يدينون له بالسمع والطاعة، ويحبونه وينصرونه، ويقدمونه على أنفسهم في الدعاء بالصالح والثبات، والنصر والتمكين، والتوفيق والسداد.

والثاني: فاسق ظلوم، غشوم، مستأثر.

فهذا يناصحونه، وينكرون عليه بحسب الإمكان والقدرة سرًا، ويغضونه فعله، ويدعون الله في خواصهم بزوال شره، وكف أذاه، ومع هذا يُطاع فيما ليس معصية، ولا يرون الخروج عليه أبدًا، بل يدينون لله تعالى بالصبر، والدعاء، والتضرع.

والثالث: الوالي الكافر:

فهذا يرون وجوب خلعه، ولكنهم ينظرون في أمره وفق ضوابط وشروط:

أولها: يجب أن يكون كفره ظاهرًا واضحًا صريحًا، بواحا فيه من الله برهان<sup>(١)</sup>.

ثانيًا: أن يكون الدليل المستدل به على كفره دليلًا قطعياً لا خلاف فيه ولا تأويل.

ثالثًا: القدرة على إزالته وخلعه، وتنصيب وإل مسلم عدل عادل مكانه، دون أن يترتب على ذلك مفسد كبير كسفك الدماء، وانتهاك الحرمات ونحو ذلك، فإن لم

(١) كما في حديث عبادة بن الصامت في الصحيحين: «وألا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفرا بواحا، عندكم من الله فيه برهان»، وسيأتي تحريجه إن شاء الله.



يقدرُوا على ذلك، فإنهم لا يُلقون بالمسلمين في فتنة وشر، وإنما يصبرون، ويدعون الله في كف بأسه، وإزالة شره عن المسلمين (١).

وبعد هذا التمهيد في بيان مميزات منهج أهل السنة في هذا الباب، ننتقل إلى بيان وتوضيح منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة من خلال المباحث الآتية.

(١) انظر: المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ١٦. ومجموعة الرسائل الجارية، ٢٩.

## المبحث الأول

## توقير الوالي وطاعته

يجب على الرعية توقير الوالي وطاعته، واحترامه وتبجيله، وعدم سبّه أو انتقاصه أو الحط من قدره، وكل هذا واجب شرعاً، وفيه مصالح دينية ودنيوية؛ لأنه يورث مهابة الوالي في نفوس الرعية، فتتكف عن الشر والفساد، والبغي والعدوان نفوس أهل الشر والأذية<sup>(١)</sup>.

والشرع الحكيم أوجب توقير الوالي وطاعته؛ لما في ذلك من ضبط المصالح العامة ورعايتها، ولما يتحقق للناس من مصالح دنياهم وأخراهم، يقول سهل بن عبدالله التستري: "لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء؛ فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم"<sup>(٢)</sup>.

فتوقير الوالي وطاعته، ومعاملته بالاحترام والإجلال والإكرام، والتعبد لله بذلك ديانة هو مما قرره علماء الإسلام في أقوالهم المشهورة، ومصنفاتهم المنشورة، ليؤكدوا بذلك منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاية بما توجهه النصوص الشرعية، والتوجيهات النبوية الحافلة في هذا الباب، يقول العلامة ابن جماعة رحمته الله تعالى: "الحق الرابع: أن يعرف له عظيم حقه، وما يجب من تعظيم قدره، فيعامل بما يجب له من الاحترام والإكرام، وما جعل الله تعالى له من الإعظام، ولذلك كان العلماء الأعلام من أئمة الإسلام يعظمون حرمتهم، ويلبون دعوتهم مع زهدهم وورعهم وعدم

الطمع فيما لديهم، وما يفعله بعض المنتسبين إلى الزهد من قلة الأدب معهم، فليس

(١) انظر: فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة، د. خالد بن علي العنبري، ٢٠٢، ط دار المنهاج، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، ٢٦٠/٥، ط دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

من السنة (١).

وتوقير الوالي وطاعته مما يُرَسَّخُ هيبته في نفوس الرعية، والناس في هذا الزمن أحوج ما يكونون إلى مهابة الوالي وقوة سلطانه؛ لما يتحقق بذلك من ردع السفهاء، وحفظ الأمن، وسلامة البلاد والعباد من أفعال المتهورين والعابثين، يقول صاحب الدرّة الغراء في نصيحة السلاطين والقضاة والأمراء: "وسلطان هذا الزمان يجب أن يكون أوفى سياسة، وأتمَّ هيبة، لأن أناس هذا الزمان ليسوا كالمقدمين فإن زماننا هذا زمان السفهاء والأشقياء، وإذا كان السلطان - والعياذ بالله - بينهم ضعيفاً، أو كان غير ذي سياسة وهيبة، فلا شك أن ذلك يكون سبب خراب البلاد، وأن الخلل يعود على الدين والدنيا، ولم يكن لذلك السلطان في أعين الناس خطر، ولا يسمعون كلامه، ولا يطيعون أمره، ويكون الخلق عليه ساخطين" (٢). وهذا الكلام في القرن التاسع الهجري!، فكيف بزماننا هذا الذي تنتشر فيه الإثارة والإشاعة والفتنة في سويغات معدودة عبر وسائل التقنية، وشبكات التواصل الاجتماعي.

وتوقير الوالي وطاعته أوجه الشرع وأمر به من طريقين:

الأول: الأمر بطاعته وتوقيره واحترامه، والتأكيد على ذلك.

والثاني: النهي عن كل ما يُفضي إلى التفريط في توقيره واحترامه وإجلاله، من سبِّ، أو انتقاص، أو تأليب عليه، ونحو ذلك (٣).

وقد بيّن علماء الأمة الأجلاء المصالح العظيمة، والمقاصد الشرعية الحكيمة لما أمر به الشرع المطهر من توقير الولاة وطاعتهم وإجلالهم، والنهي عن ضد ذلك من السبِّ والانتقاص ونحوه، يقول الدكتور عبدالسلام بن برجس وفقه الله: "ومن تأمل النصوص

(١) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ٦٣.

(٢) الدرّة الغراء، محمود إبراهيم الخيري، ٢٢٣-٢٢٤، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض.

(٣) انظر: معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالسلام بن برجس، ٤١ وما بعدها، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

الواردة في هذا الباب: علم أن الشارع إنما أمر بتوقير الولاة وتعزيرهم، ونهى عن سبهم وانتقاصهم؛ لحكمة عظيمة، ومصلحة كبرى" (١)، ثم أورد ما ذكره الإمام القراني في كتابه: الذخيرة، حيث قال: "قاعدة: ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضب إلا بعظمة الأئمة في نفس الرعية، ومتى اختلفَ عليهم - أو أهينوا - تعذرت المصلحة... " (٢).

فطاعة الوالي وتعظيمه وتوقيره هو ما كان عليه سلف الأمة الصالح، وهو منهج واضح ومتبع عند أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً؛ لأنه المنهج الحق، فهم يتعاملون مع الوالي على وفق ما جاء في نصوص الشرع، فيدينون له بالسمع والطاعة في المنشط والمكروه، وفي العسر واليسر، وأثرة عليهم، ما لم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فإنهم يرون أنه لا سمع له ولا طاعة؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وإنما تكون الطاعة بالمعروف.. ولكنهم مع ذلك لا ينزعون يدًا من طاعة، ولا ينازعون الأمر أهله، ولا يرون أن الوالي يتحمل مسؤولية كل منكر وفساد، وإن كان - هو وأعوانه - يتحملون المسؤولية الكبرى، ولكن كل مسلم عليه واجب ومسؤولية يجب أن يقوم بها بحسب قدرته واستطاعته دون أن يثير فتنة، أو يقوم بعمل تكون مفسدته أكبر من مصلحة ما قام به (٣)، فأهل السنة يرون طاعة الوالي وتوقيره من حقوقه الواجبة على الرعية، يقول ابن جماعة رحمته الله تعالى: "أما حقوق السلطان العشرة: فالحق الأول: بذل الطاعة له ظاهرًا وباطنًا، في كل ما يأمر به أو ينهى عنه، إلا أن يكون معصية (٤).

وقال طاووس رحمته الله: "من السنة أن يوقر أربعة: العالم، وذو الشيبة، والسلطان،

(١) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالسلام بن برجس ٤٤.

(٢) الذخيرة، أحمد بن إدريس القراني، تحقيق: محمد حجي، ٢٣٤/١٣، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م. وكان القراني رحمه الله تعالى يقول: لا يتقدم الوالي في إمامة صلاة الجنازة ولا غيرها؛ لأن ذلك محلُّ بُغْثِهِ.

(٣) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، د. محمد الحمد، ٧٧.

(٤) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ٦١ - ٦٢.

والوالد" (١).

قال البغوي رحمه الله تعالى: "قلت: إذا اجتمع قوم، فالأمير أولاهم بالتقديم، ثم العالم، ثم أكبرهم سنًا..." (٢).

فطاعة الوالي المشتملة على التوقير والاحترام والتقدير هي أول حقوقه على الرعية وأكبرها، وأعظم الواجبات عليهم نحوه؛ "لأن الطاعة من أعظم الأسس والدعائم لانتظام أمور الدول والجماعات، وتحقيق أهدافها ومقاصدها الدينية والدنيوية" (٣)؛ وما لم يكن للوالي طاعة كاملة، وتوقير تام، وإجلال واحترام فلن تستقيم الأمور، كما قال الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه: "إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة..." (٤).

فطاعة الوالي واجبة بنصوص شرعية ثابتة وصحيحة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (سورة النساء: ٥٩)، وفي الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلوات الله عليه، أنه قال: ((علي المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة)) (٥). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلوات الله عليه: ((عليك السمع والطاعة في

(١) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ٤١/١٣، ط ٢ المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ١٤٠٣هـ.

(٢) المرجع السابق، ٤١/١٣، وتكملة كلامه: "ولا ينبغي للعالم أن يتقدم أباه وأخاه الأكبر؛ لما عليه من حق الوالد والأخ الأكبر". فما أجمل الأدب عندما يسود في المجتمع.

(٣) فقه السياسة الرعية، ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٤) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي، دراسة وتحقيق: فواز أحمد زمرلي، ١/١٢٧، ط ١، مؤسسة الريان، دار ابن حزم ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٩).

عسرك ويسرك، ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك))<sup>(١)</sup>.

وغير ذلك من النصوص الكثيرة، والتي سيرد بعضها في طيات هذا البحث. كما أن أهل السنة والجماعة ينكرون على من يتخذ من أخطاء الولاة سبيلاً للإثارة والإرجاف، وتغيير الناس عن توقير الوالي وطاعته، ويرون أن فعل ذلك هو عين المفسدة التي تؤدي إلى حصول الفتنة بين الناس؛ لأن إثارة النفوس على ولاة الأمر يحدث الشر والفتنة والفوضى، فيتمرد الناس على كلامهم وتوجيهاتهم فيحصل الشر والفساد. يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "فالله الله في فهم منهج السلف الصالح في التعامل مع السلطان، وألا يُتخذ من أخطاء السلطان سبيلاً لإثارة الناس، وإلى تغيير القلوب عن ولاة الأمور؛ فهذا عين المفسدة، وأحد الأسس التي تحصل بها الفتنة بين الناس... فالواجب أن ننظر ما سلك السلف تجاه ذوي السلطان، وأن يضبط الإنسان نفسه، وأن يعرف العواقب.

وَلْيُعَلِّمَ أَنْ مَنْ يَثُورُ إِنَّمَا يَخْدَمُ أَعْدَاءَ الْإِسْلَامِ، فَلَيْسَتْ الْعِبْرَةُ بِالثُّورَةِ وَلَا بِالْإِنْفِعَالِ، بَلِ الْعِبْرَةُ بِالْحِكْمَةِ...<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، في كتاب الإمارة، باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، برقم (١٨٣٦).

(٢) معاملة الحكام، ٤٤ - ٤٥، نقلاً عن: حقوق الراعي والرعية، مجموعة خطب الشيخ، ولم أجد النص في الضياع اللامع من الخطب الجوامع للشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله.

## المبحث الثاني

## الدعاء للوالي بالصلاح والسداد والمعافة

من منهج أهل السنة والجماعة الدعاء للولاة بالصلاح في أمورهم الخاصة والعامّة، والسداد في أقوالهم وأفعالهم، والاستقامة والمعافة، وبصلاح البطانة والحاشية والجلساء، ويرون أن الوالي أحق الناس بإخلاص الدعاء له؛ لأن صلاح الوالي وسداد أقواله وأفعاله مصلحة كبرى، يتعدى نفعها، ويعمُّ خيرها البلاد والعباد، فبصلاح الوالي تصلح الرعية، ويعم النفع والفائدة سائر ولايته.

والدعاء للوالي بالصلاح والسداد دليل على فقه الداعي وسلامة ديانته، واتباعه للسنة وطريق السلف الصالح، يقول الإمام البرهاري رحمته الله: "وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة - إن شاء الله-"<sup>(١)</sup>.

ثم يستشهد بقول الفضيل بن عياض رحمته الله: "لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان"<sup>(٢)</sup>.

قال ابن المبارك رحمته الله معلقاً: "يا معلم الخير من يجزي على هذا غيرك"، ومراده: الثناء على الفضيل، لأنه لم يُرد أن يخص نفسه بالدعوة المستجابة لو كانت له بل أراد أن يجعلها لمن يعم نفعه إذا صلح، وهو السلطان<sup>(٣)</sup>.

وقال البرهاري بعد أن أورد عبارة الفضيل: "فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر

(١) شرح السنة، الحسن بن علي البرهاري، تحقيق: د. محمد سعيد القحطاني، ٥١، ط/١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨هـ. وغاية المنة على شرح السنة، تحقيق: جمعة بن صالح، ٢٤٣-٢٤٤، ط/١، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع الهرم-المجيزة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

(٢) المرجع السابق، ٥١.

(٣) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. عبد الرزاق البدر، ١١، ط/٢، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، الرياض ١٤١٧هـ.

أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا؛ لأن جوهرهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين" (١).

وقال الإمام أحمد رحمته الله لابن الكلبي والمظفر رسولي الخليفة: "أرى طاعته في العسر واليسر، والمنشط والمكره والأثر، وإني لأدعو له بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار، والتأييد، وأرى له ذلك واجباً علي" (٢).

ويروى عنه نص عبارة الفضيل السابقة رحمهما الله (٣).

وقد بين أبو عثمان الصابوني عقيدة السلف أصحاب الحديث فيما يتعلق بالدعاء للوالة فقال رحمته الله: "ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق، والصلاح وبسط العدل في الرعية" (٤).

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله تعالى عندما ذكر منهج أهل السنة والجماعة وسبيلهم مع ولاة أمورهم قال: "... وينصحون لهم، ولا يدعون عليهم، بل يدعون لهم بالصلاح والمعافة..." (٥).

ولما سئل الشيخ ابن باز رحمته الله هل من مقتضى البيعة الدعاء لولي الأمر؟ أجاب بقوله: "من مقتضى البيعة النصح لولي الأمر، ومن النصح: الدعاء له بالتوفيق والهداية، وصلاح النية والعمل، وصلاح البطانة؛ لأن من أسباب صلاح الوالي ومن أسباب توفيق الله له: أن يكون له وزير صدق يعينه على الخير، ويذكره إذا نسي، ويعينه إذا ذكر، هذه

(١) شرح السنة، ٥١. وطبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، ٣٤/٢، ط دار المعرفة، بيروت.

(٢) السنة، أبو بكر الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، ٨٢-٨٣، ط/١، دار الراية، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٨٩م.

(٣) انظر: غاية المنة، ٢٤٥. والمعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٤.

(٤) اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، محمد الخميس، ١٤٤، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٩هـ.

(٥) قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاة الأمور، ٦.



من أسباب توفيق الله له" (١).

فالدعاء للولاة من منهج أهل السنة والجماعة، بل هو من السنة المتبعة المتلقاة عن السلف الصالح جيلاً بعد جيل، ولا يخالف في ذلك إلا أهل الضلال والجهل ممن لا يقيسون الأمور إلا بعقولهم القاصرة، وأهوائهم الضالة، وشهوات نفوسهم المريضة. وبعض الضلال والجهال ينكرون على الذين يدعون في خطبة الجمعة لولاة الأمور ويقولون: هذه مدهانة، هذا نفاق، هذا تزلف، وغير ذلك من العبارات، فيرد عليهم الشيخ صالح الفوزان حفظه الله مستنكراً هذا الفهم الضال فيقول: "سبحان الله! هذا مذهب أهل السنة والجماعة، بل من السنة الدعاء لولاة الأمور؛ لأنهم إذا صلحوا صلح الناس، فأنت تدعو لهم بالصلاح والهداية والخير، وإن كان عندهم شر، فهم ما داموا على الإسلام فعندهم خير... وما عندهم من المعاصي والفسق، فهذا إثمهم عليهم، ولكن عندهم خير أعظم، فيُدعى لهم بالاستقامة والصلاح فهذا مذهب أهل السنة والجماعة" (٢).

فهذا نزر يسير من أقوال أهل السنة يُبين منهجهم فيما يتعلق بالدعاء للوالي بالصلاح والسداد، والاستقامة والمعافة، والعدل في الرعية، وتيسير الأمور له؛ ليستطيع القيام بواجباته على أكمل وجه، وأقوالهم في هذه المسألة - وغيرها - مما يتعلق بالولاة متوافقة، وبعضها متطابقة، ومنهجهم واضح ومطرد، ومؤلفاتهم مليئة بالحض على ذلك والتأكيد عليه، تحقيقاً للمصلحة، وديانة وتعبداً بفعل ذلك.

وهم يزيدون على الدعاء للوالي، والحض عليه، وتعليم الناس ذلك، بالإنكار على من لا يدعو للوالي، فضلاً عن يدعو على الوالي!، فإنهم يبدعون ويرونه صاحب هوى، مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

وقد سئل علامة أهل السنة في هذا العصر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمته الله عن

(١) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٢.

(٢) غاية المنة على شرح السنة، ٢٤٥.

يمتنع عن الدعاء للوالي؟، فقال: "هذا من جهله وعدم بصيرته؛ لأن الدعاء لولي الأمر من أعظم القربات، ومن أفضل الطاعات، ومن النصيحة لله ولعباده... فالمؤمن يدعو للناس بالخير، والسلطان أولى من يُدعى له؛ لأن صلاحه صلاح للأمة، فالدعاء له من أعظم الدعاء، ومن أهم النصح: أن يُؤفَّق للحق وأن يعان عليه، وأن يصلح الله له البطانة، وأن يكفيه الله شرَّ نفسه، وشرَّ جلساء السوء، فالدعاء له بالتوفيق والهداية، وبصلاح القلب والعمل، وصلاح البطانة من أهم المهمات، ومن أفضل القربات" <sup>(١)</sup>، ثم استشهد بما يُروى عن الإمام أحمد والفضيل بن عياض مما أوردناه آنفًا.

ويقول الشيخ صالح الفوزان حفظه الله: "ولا يجوز الدعاء عليهم - الولاية -؛ لأن هذا خروج معنوي، مثل الخروج عليهم بالسلاح، وكونه دعا عليهم لأنه لا يرى ولايتهم، فالواجب الدعاء لهم بالهدى والصلاح، لا الدعاء عليهم، فهذا أصل من أصول أهل السنة والجماعة، فإذا رأيت أحدًا يدعو على ولاية الأمور فاعلم أنه ضالٌّ في عقيدته، وليس على منهج السلف... فالذين يدعون على ولاية أمور المسلمين ليسوا على مذهب أهل السنة والجماعة، وكذلك الذين لا يدعون لهم، وهذا علامة أن عندهم انحرافًا عن عقيدة أهل السنة والجماعة" <sup>(٢)</sup>.

ويقول: "أما مذهب أهل الضلال وأهل الجهل فيرون هذا - الدعاء لولاية الأمر - من المداهنة والتزلف، ولا يدعون لهم، بل يدعون عليهم!" <sup>(٣)</sup>.

(١) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٣ - ٢٤.

(٢) غاية المنة على شرح السنة، ٢٤٥.

(٣) المرجع السابق، ٢٤٦.

## المبحث الثالث

### مناصحة الوالي سرًا، وعدم التشهير به

كل من ولى من أمور المسلمين شيئًا وجب عليه الاهتمام والحرص والاجتهاد فيما وليه من أمور المسلمين التي سيُسأل عنها بين يدي الله عز وجل، ووجب له النصيحة على من يصل إليه، ويطلع على أفعاله، ويستطيع نصحه دون مضرّة أو مفسدة.

والولاة هم أحوج الناس إلى النصيحة الصادقة والخالصة والهادفة؛ لما يُلَوَّن من المهام الجسام، والمسائل العظام، وغني عن القول: أنهم غير معصومين، وأنهم بشر يصيبون ويخطئون، وتقع عليهم أحوال البشر من: الخطأ، والنسيان، والجهل ببعض المسائل، والهموم والأحزان وغيرها.

ولا يزال الولاة في حاجة إلى نصيحة المخلصين، وإرشاد المتقين، ونصيحتهم بالطريقة الشرعية وفق هدي السلف الصالح، ويجب على الناصح أن يتحلى بالإخلاص والتعقل، والرفق واللين، والتفنن في أسلوب النصيحة وطريقة عرضها؛ لتحصل النتيجة المرجوة بعون من الله وتيسير<sup>(١)</sup>.

ونصيحة الولاة لا يقوم بها كل أحد، وإنما تقع على عاتق العلماء الربانيين المتمكنين، وعلى أهل الحل والعقد من المقربين من الوالي، وكل من يرى أن الوالي يقبل منه، وتكون بالأسلوب الأنسب، والطريقة الأوفق، قبولاً ورفقاً وليناً، وبعداً عن الإخشان والتشديد، ولا يكون فيها إعلانٌ أو تشهير. فليس من منهج أهل السنة والجماعة نصيحة الولاة على أعواد المنابر، أو عبر الوسائل العامة، فإن ذلك مسلك خاطيء؛ لما يترتب عليه من الآثار السلبية على الدعوة والدعاة والمجتمع كله.

فالمسؤولية الكبرى، والواجب الأعظم في القيام بواجب النصيحة للوالي يقع على

(١) انظر: فقه السياسة الشرعية، ٢٠٥.

عائق علماء الأمة، ودعاتها المخلصين، وهو من أعظم حقوق ولاية أمور المسلمين على الرعية، ومن النصح الواجب لهم، الذي أمر به الإسلام وحث عليه<sup>(١)</sup>. فعن تميم الداري أن النبي ﷺ قال: ((الدين النصيحة)) قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»<sup>(٢)</sup>، والنصوص والآثار في هذا الباب كثيرة.

قال ابن بطال رحمته الله: "والنصيحة فرض يجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقي، والنصيحة لازمة على قدر الطاقة، إذا علم الناصح أنه يقبل نصحه ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه. وأما إن خشى الأذى فهو في سعة منها"<sup>(٣)</sup>.

وقال النووي رحمته الله مبيِّناً معنى النصيحة لولاية الأمور: "وأما النصيحة لأئمة المسلمين فمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتنبيههم وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يبلغهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب الناس لطاعتهم"<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو سليمان الخطَّابي رحمته الله: "ومن النصيحة لهم الصلاة خلفهم والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وترك الخروج بالسيف عليهم إذا ظهر منهم حيف أو سوء عشرة، وأن لا يُعْرَوا بالثناء الكاذب عليهم، وأن يُدعى لهم بالصلاح".

قال النووي رحمته الله: "وهذا كله على أن المراد بأئمة المسلمين: الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور، وحكاها أيضاً الخطَّابي"<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن مفلح رحمته الله: "ولا ينكر أحد على سلطانٍ إلا وعظماً له وتخويفاً، أو تحذيراً

(١) انظر: الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، ٦٥.

(٢) أخرجه مسلم، في باب: بيان أن الدين النصيحة، ٥٥.

(٣) شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطال القرطبي، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، ١/١٢٩، ط ٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ٢/٣٨، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

(٥) المرجع السابق، ٢/٣٨-٣٩.

من العاقبة في الدنيا والآخرة، فإنه يجب، ويحرم بغير ذلك. ذكره القاضي وغيره.

والمراد: ولم يخف منه بالتخويف والتحذير، وإلا سقط وكان حكم ذلك كغيره<sup>(١)</sup>.

وقال ابن الجوزي رحمته الله: "الجائز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين: التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو: يا ظالم، يا من لا يخاف الله، فإن كان ذلك يُجْرِكُ فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجوز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء. قال: والذي أراه المنع من ذلك... قال الإمام أحمد رحمته الله: لا يتعرض للسلطان فإن سيفه مسلول وعصاه"<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن النحاس رحمته الله: "ويختار الكلام مع السلطان في الخلوة على الكلام معه على رؤوس الأشهاد، بل يَوَدُّ لو كلمه سرًا، ونصحه خفية من غير ثالث لهما"<sup>(٣)</sup>. وما ذكره ابن النحاس رحمته الله هو المتقرر في نصيحة الولاة عند أهل السنة، قال الشوكاني رحمته الله: "ينبغي لمن ظهر له غلط الإمام في بعض المسائل أن ينصحه، ولا يظهر الشناعة عليه على رؤوس الأشهاد، بل - كما ورد في الحديث - يأخذ بيده ويخلو به ويبدل له النصيحة، ولا يُذِلُّ سلطان الله"<sup>(٤)</sup>.

فهذا هو السبيل الأرشد والمتبع في نصيحة الوالي والإنكار عليه، بأن تكون النصيحة سرًا، والإنكار سرًا، ويكون كل ذلك باللفظ عبارة، وأجمل إشارة، وتكون تلميحًا دون تصريح أو تجريح، فإن ذلك لم يشرعه الله في حق أطفى الطغاة، من قال: أنا ربكم الأعلى!!، وقال: ما علمت لكم من إله غيري!!، فقد قال لموسى وهارون عندما بعثتهما

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: إباد بن عبداللطيف القيسي، ١٧١، ط بيت الأفكار الدولية.

(٢) المرجع السابق، ١٧٢.

(٣) تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين، محيي الدين أبو زكريا النحاس، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، ٧٦، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م.

(٤) السيل الجرار، ٩٦٥، محمد علي الشوكاني، ط/١، دار ابن حزم.

إلى فرعون: ﴿ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ

﴿٤٤﴾، (سورة طه: ٤٣-٤٤). فأمرهما بلطف القول ولينه أثناء وعظهما ودعوتهما لفرعون؛ مع أنه طاغٍ متجبر!، كافر بالله منكر لعبوديته!، مدعٍ للألوهية!!، مصر على كفره وجحوده، واستعباده للخلق من دون الله!!.

وهذا الأسلوب القرآني الحكيم في مخاطبة المدعو، هو ما يجب أن يسلكه الدعاة والناصحون في مخاطبة المدعويين عمومًا، ومخاطبة الولاة خصوصًا؛ لما للولاة من المكانة والجاه، والسطوة والقدرة؛ ولما يُتوقع منهم من الأنفة والنفور وعدم القبول ممن لا يُحسن عرض النصيحة في قالب حسن جميل تقبله النفوس وتأنس به.

ومما يجب التنبيه عليه: "أنه ينبغي أن يراعى عند إرادة نصح ولاة أمور المسلمين من الملوك والرؤساء وغيرهم، الأوقات المناسبة، والأساليب الحسنة، فيذكرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، بأدب ولطف، ورفق ولين، وأن يراعى في ذلك مكاتبتهم في الأمة، وعلو قدرهم فيها، حتى لا تنتهك حرمتهم، ولا يُنتقص من قدرهم، فإن ذلك أحرى بالقبول، وحصول المقصود"<sup>(١)</sup>.

قال سفيان الثوري رحمته الله: "لا يأمر السلطان بالمعروف إلا رجل عالم بما يأمر وينهى، رقيق بما يأمر وينهى، عدل"<sup>(٢)</sup>.

وروى أبو محمد الخلال عن أسامة بن زيد رضي الله عنه مرفوعًا: "لا ينبغي لأحد أن يأمر بالمعروف حتى يكون فيه ثلاث خصال: عالما بما يأمر، عالما بما ينهى، رقيقًا فيما يأمر،

(١) الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، ٦٦.

(٢) شرح السنة، البغوي، ٥٤/١٠.

رفيقًا فيما ينهى" (١).

فهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في نصيحة الولاة، وهو وسط بين طائفتين ضالتين:

"إحداهما: الخوارج والمعتزلة الذين يرون الخروج على السلطان إذا فعل منكراً. والأخرى: الباطنية الذين أضفوا على حكامهم قداسة، حتى بلغوا بهم مرتبة العصمة" (٢). فأهل السنة يرون وجوب النصيحة للوالي، وإنكار المنكرات التي تقع من الولاة، ولكنهم يلتزمون بالضوابط الشرعية التي وردت في السنة المطهرة، وكان عليها السلف الصالح، "ومن أهم ذلك وأعظمه قدرًا أن ينصح ولاة الأمر سرًا فيما صدر عنهم من منكرات، ولا يكون ذلك على رؤوس المنابر، وفي مجامع الناس؛ لما ينجم عن ذلك - غالبًا - من تأليب العامة، وإثارة الرعاع، وإشعال الفتن" (٣).

يقول العلامة ابن باز رحمته الله: "ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة، وذكر ذلك على المنابر؛ لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع.

ولكن الطريقة المتبعة عند السلف: النصيحة فيما بينهم وبين السلطان، والكتابة إليه، أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يُوجَّهَ إلى الخير" (٤).

ولما وقعت الفتنة في عهد عثمان، قال بعض الناس لأسامة ابن زيد ألا تكلم عثمان وتناصحه فيما يقوله الناس من التهم التي يتهمونه بها؟، فأخبرهم أنه ينصح عثمان رضي الله عنه سرًا بينه وبينه، وأنه لا يجب أن يفتح باب فتنة بالمجاهرة بالإنكار على الوالي. ففي

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ١٨٨. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أبو يعلى الخنيلي تحقيق: محمد الأمين مصطفى، ١٠٨-١٠٩، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.

(٢) معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، ١١٠.

(٣) المرجع السابق، ١١١.

(٤) مجموع فتاوى الشيخ، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، ٨ / ٢١٠.

الصحيحين عن أبي وائل، قال: قيل لأسامة لو أتيت فلاناً - عثمان رضي الله عنه - فكلمته، قال: إنكم لترون أبي لا أكلمه إلا أسمعكم، إني أكلمه في السر دون أن أفتح باباً لا أكون أوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ"، هذا لفظ البخاري.

وفي رواية مسلم: فقال: أترون أبي لا أكلمه إلا أسمعكم؟، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه، ما دون أن أفتح أمراً لا أحب أن أكون أوَّلَ مَنْ فَتَحَهُ<sup>(١)</sup>.

قال القاضي عياض رحمته الله: "مراد أسامة أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير على الإمام؛ لما يخشى من عاقبة ذلك. بل يتلطف به وينصحه سرّاً، فذلك أجدر بالقبول"<sup>(٢)</sup>. وقال القرطبي رحمته الله: "يعني: أنه كان يجتنب كلامه بحضرة الناس، ويكلمه إذا خلا به، وهكذا يجب أن يعاتب الكبراء والرؤساء، يعظمون في الملأ إبقاءً لحرمتهم، وينصحون في الخلاء أداءً لما يجب من نصحتهم... وقوله: ((والله لقد كلمته فيما بيني وبينه)) يعني: أنه كلمه مشافهة، كلام لطف، لأنّه أتقى ما يكون عن المجاهرة بالإنكار والقيام على الأئمة؛ لعظيم ما يطرأ بسبب ذلك من الفتن والمفاسد"<sup>(٣)</sup>.

وقد بيّن العلماء الأجلاء خطورة الإنكار العلني على الولاة وما يترتب على ذلك من الفتن والمفاسد، وفي هذا يقول عدد من أئمة الدعوة السلفية<sup>(٤)</sup> رحمهم الله: "وأما ما قد يقع من ولاة الأمور من المعاصي والمخالفات، التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام، فالواجب فيها: مناصحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح،

(١) صحيح البخاري، باب: صفة النار وأنها مخلوقة، ٤/١٢١ برقم (٣٢٦٧). ومسلم في باب عقوبة من يأمر

بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله، ٤/٢٢٩٠، برقم (٢٩٨٩).

(٢) فتح الباري، أحمد بن حجر العسقلاني، ١٣/٥٢، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٣) المفهم، أبو العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميسسو وآخرون، ٦/٦١٩، ط/١، دار ابن كثير، والكلم الطيب، دمشق: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

(٤) وهم: الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ عُمر بن سليم، والشيخ عبدالله العنقري. انظر: معاملة الحكام، ١١٢-١١٣.



من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس" (١).

وقد بينوا أن من اعتقد أن الإنكار على الولاة علناً هو من إنكار المنكر الواجب على الناس إنكاره فقد وقع في غلط فاحش، وجهل ظاهر، فقالوا: "واعتماد أن ذلك من إنكار المنكر الواجب إنكاره على العباد، وهذا غلط فاحش، وجهل ظاهر، لا يعلم صاحبه ما يترتب عليه من المفاسد العظام في الدين والدنيا، كما يعرف ذلك من نور الله قلبه، وعرف طريقة السلف الصالح، وأئمة الدين" (٢).

ويقول الشيخ ابن باز رحمته الله: "ولما فتح الخوارج الجهال باب الشر في زمان عثمان رضي الله عنه، وأنكروا على عثمان علناً عظمت الفتنة والقتال والفساد الذي لا يزال الناس في آثاره إلى اليوم، حتى حصلت الفتنة بين علي ومعاوية، وقتل عثمان وعلي رضي الله عنه - ما بأسباب ذلك، وقتل جمع كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذُكر العيوب علناً، حتى أبغض الكثيرون من الناس ولياً أمرهم وقتلوه" (٣).

وعن عياض بن غنم رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يُبديه علانيةً - يعني: النصح -، ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبِل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه)) (٤).

"وهذا الحديث أصل في إخفاء نصيحة السلطان، وأن الناصح إذا قام بالنصح على

(١) الدرر السننية في الأجوبة النجدية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ١٢/١٢٠.

(٢) المرجع السابق، ١٢/١٢٠.

(٣) المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، ٢٦. ومجموع فتاوى ابن باز، ٨/٢١١.

(٤) مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ٤٩/٢٤، برقم (١٥٣٣٣)، ط/١، مؤسسة الرسالة،

١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م. وكتاب السنة لابن أبي عاصم، ٢/٥٢١، برقم (١٠٩٦)، تحقيق: محمد ناصر الدين

الألباني، ط/١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠ هـ. وقال الألباني: فالحديث صحيح بمجموع طرقه.

هذا الوجه، فقد برئ، وخلت ذمته من التبعة "(١)، وفيه فوائد ومسائل يجب أن يعقلها الدعاة والناصحون فيما يتعلق بنصيحة الوالي، منها:

أولاً: السرية التامة في مناصحة الوالي.

ثانياً: براءة ذمّة الداعية، أو المحتسب، أو الناصح إذا أدى النصيحة على الوجه الذي بيّنه الرسول ﷺ في هذا الحديث.

ثالثاً: من خالف التوجيه النبوي في طريقة نصح الولاة (٢)، فقد خالف هدي المصطفى ﷺ الذي وجّه به الأمة في هذه المسألة الخطيرة، وقد خالف علماء الأمة الذين تلقوا توجيه النبوي بالسمع والطاعة، والامتنال التام، والقبول الصادق له، ويبنوا خطورة مخالفة هذا المسلك الحكيم في نصح الوالي إذا حصل منه خطأ، أو منكر، أو ما شابه ذلك.

وبهذا نعلم أن مناصحة الوالي سرّاً، وعدم التشهير به من الحقوق الواجبة للوالي على رعيته، يقوم بها من هو لذلك أهل: ديانة وفقهًا ومكانة، يؤديها بالطريقة المثلى، والأسلوب الأنسب حالاً ومقالاً ومضموناً.

(١) مفهوم الخروج على ولي الأمر في ضوء الكتاب والسنة ومنهج الصحابة والأئمة، والرد على أهل الأهواء والفتنة، د. محمد بن غيث، مقالات شبكة بينونة للعلوم الشرعية، ١٠.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل الجارية في مسائل علمية وفق الكتاب والسنة النبوية، عبيد بن عبد الله الجباري، ٣٤، ط/١، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

## المبحث الرابع

### موافقة الوالي وإعانتة على الخير، ومفارقته في المنكرات

المقصود هنا بيان منهج أهل السنة في التعامل مع الوالي عندما يأمر بمعروف، وعندما يفعل منكراً، أو يأمر به.

فمنهج أهل السنّة والجماعة واضح، وقائم على النصوص الشرعية التي تأمر بطاعة الوالي ونصرتة في كل ما يأمر به مالم يأمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، إنما الطاعة في المعروف.. ولكنهم لا ينزعون يدًا من طاعة الوالي في المعروف، ولا يشقون عصا الطاعة، ولا يفارقون الجماعة، ولا يُؤلِّثون على الوالي، ولا يدعون عليه؛ وإنما يدعون الله له بالصلاح والهداية والتوفيق لكل خير، ويناصحونه فيما يرونه منكراً بقدر الوسع والطاقة بالأسلوب الأنسب، والطريقة المثلى دون إثارة أو تشهير.

فأهل السنّة والجماعة يوافقون الوالي ويتعاونون معه على البر والتقوى، وعلى فعل الخير وما فيه مصلحة للعباد والبلاد وإن كان ظالماً فاجراً؛ لأن هدفهم الوحيد تحصيل المنافع وتكميلها، وتعطيل المفساد وتقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير، وترغيبه فيه، ودعوته إليه بكل وسيلة ممكنة، فيشاركون الولاة الظلمة في كل ما فيه خير ونفع وفائدة للأمة، ويفارقونهم في الشر والظلم والمنكرات (١).

وأهل السنة يرون أن ما يصدر عن الوالي المسلم له ثلاث صُور (٢):

الأولى: أن يأمر بما هو طاعة لله تعالى ورسوله ﷺ فتجب طاعته في ذلك، وهي طاعة لله عز وجل ورسوله ﷺ، يقول ابن تيمية رحمته الله: "فبين - يعني: النبي ﷺ - أن أميره إنما تجب طاعته في المعروف الذي أمر الله به ورسوله لا في كل ما يأمر به" (٣).  
والصورة الثانية: أن يكون ما يأمر به الوالي من موارد النزاع ومسارح الاجتهاد،

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، مفهومها، خصائصها، خصائص أهلها، ٨٥.

(٢) انظر: مجموعة الرسائل الجابرية، ١٨ - ١٩.

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ٢/٢٣٤، ط.

٢، دار العاصمة، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

فتجب طاعته فيه طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ، وجمعاً للكلمة، فإذا عزم ولي الأمر على أمر معين فيه خلاف بين أهل العلم، والأدلة محتملة متساوية، فالواجب أن يطاع ولا ينازع جمعاً لكلمة أهل الإسلام الذين تحت ولايته.

الصورة الثالثة: أن يكون ما أمر به الوالي معصية لله تعالى!، فهذا لا يسمع له ولا طاعة، يقول إمام أهل السنة في هذا العصر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله: "فطاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله... والواجب طاعتهم في المعروف، أما إذا أمروا بمعصية الله، سواء كان الأمر أميراً، أو ملكاً، أو عالماً، أو رئيس جمهورية، أو غير ذلك، فلا طاعة له في ذلك، كما قال الرسول ﷺ: ((إنما الطاعة في المعروف))<sup>(١)</sup>. ولكن الواجب في هذه الحالة أمران:

**الأول:** بغض المعصية التي أمر بها الوالي وإنكارها بالقلب، وباللسان إن أمِنَ من مفسدة تترتب على الإنكار باللسان.

**والثاني:** ألا يُذاع خطأ الوالي، ولا يُشهر غلطُهُ، ولا يُشنع عليه في المالأ؛ لما يترتب على ذلك من المفساد والفتن في الدنيا والدين<sup>(٢)</sup>، بل يُدعى له بالصلاح والهداية، وأن يُتَوَرَّعَ اللهُ بصيرته، ويهدي قلبه، ويُصلح حاله، وأن يُريه الحق حقاً ويرزقه اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقه اجتنابه.

كما يُدعى له أن يرزقه الله البطانة الصالحة الناصحة، التي تعينه على الخير وتدله عليه، وتدركه إذا نسي، وتُنَبِّهُهُ إذا غفل.

وإذا توجهت القلوب إلى الله تعالى وتعلقت به، وأخلصت وابتهلت، فإنه لطيف

(١) بيان حقوق ولاية الأمور على الأمة، ٤، ط/٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٤ هـ. والحديث أخرجه البخاري في باب: السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ٦٣/٩، برقم (٧١٤٥)، ومسلم في باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ١٤٦٩/٣، برقم (١٨٤٠).

(٢) انظر: مجموعة الرسائل الجارية، ١٩.

بعباده يجيب دعوة من دعاه، لا سيما من كان مضطراً، ودعا لغيره بخير، والوالي أحق من دُعِيَ له بالخير والصالح والاستقامة.

وفي هذه الصورة لا بد أن يُحذَرَ ممن يُزَيَّنُ الخروج على الوالي بالكلام، ونشر المثالب والتشهير بأخطائه في المجالس!؛ "لأن هذا مسلك الخوارج القعدية الذين يُحرضون على ولاة الأمر في مواطن مختلفة... فهذا ليس مسلك أهل السنة والجماعة، بل هو مسلك الخوارج القعدية خاصة. وسمّوا قعدية؛ لأنهم قاعدون عن رفع السيف ويكتفون بالتحريض بالكلام" (١)، وهؤلاء وإن لم يدعوا إلى الخروج على الوالي؛ إلا أنهم قد يثيرون غيرهم ممن لا يقيس الأمور بميزان الشرع الحكيم، ولا يفقه ضوابط الاحتساب على المنكرات، ومراعاة المصالح والمفاسد المترتبة على إنكار المنكر.

قال ابن حجر رحمته الله: "والقعدية قوم من الخوارج كانوا يقولون بقولهم، ولا يرون الخروج بل يُزَيِّنونه" (٢).

وقال السخاوي رحمته الله عن القعدية: "فالقعدية قومٌ الخوارج كانوا يقولون بقولهم، ولا يرون بالخروج، بل يدعون إلى آرائهم، ويُزَيِّنون مع ذلك الخروج ويُحسِّنونه" (٣).

**وخلاصة الأمر:** أن الوالي إذا أمر بمعصية الله تعالى ودعا إلى ذلك، فإن ذلك فتنة لا يتصدى لها إلا علماء الشريعة الراسخون في العلم، فيناصحونه سراً، ويعظونه سراً، وينكرون عليه ما وقع فيه من منكر وفق الضوابط الشرعية، والآداب المرعية، مراعين في ذلك تحقيق المصالح، ودرء المفاسد، دون أن يثيروا في الأمة فتنة تجرُّ إلى مفسد أكبر.

وأقرب مثال في هذا المقام ما حدث في عصر الإمام أحمد، فقد أكره الوالي الناس على القول بخلق القرآن، وامتنح العلماء فمن أجاب إلى القول بخلق القرآن أطلق سراحه،

(١) مجموعة الرسائل الجابرية، ١٩-٢٠.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤٣٢/١.

(٣) فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي، ٣٣٢/١، ط ١ دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٣هـ.

ومن لم يجب إلى القول بخلق القرآن سجن وصُفِّد في الأغلال وعُذِّب!!، "وأهريق دماء جم غفير من العلماء بسبب ذلك، وفُرض القول بخلق القرآن الكريم على الأمة، وقُرِّرَ ذلك في كتابيب الصبيان إلى غير ذلك من الطامات والعظائم" (١).

فكان موقف الإمام أحمد بن حنبل رحمته الله موقف العالم الصابر المحتسب، فلم يتوان عن قول الحق، بل صدع به، وتحمَّل تبعات ذلك: من السجن، والتصفيد في الأغلال والضرب الشديد، والتهديد بالقتل!

وفي الوقت نفسه لم يُحَرِّض على ولي الأمر، ولم يأمر أتباعه بالخروج عليه، بل نهاهم عن ذلك، وحذَّره أشد التحذير من فتنة الخروج على الوالي، فعلى "الرغم من أنه ابتلي بتلك المحنة العظيمة - محنة القول بخلق القرآن - على يدي المأمون، فالمعتصم، فالوائق، إلا أنه لم يخرج عليهم بالسيف، ولا أذن لأحد بذلك" (٢) فقد قال حنبل رحمته الله: "اجتمع فقهاء بغداد في ولاية الواثق إلى أبي عبد الله، وقالوا له: إن الأمر قد تفاقم، وفشا - يعنون إظهار القول بخلق القرآن وغير ذلك - ولا نرضى بإمرته، ولا سلطانه، فناظرهم في ذلك، وقال: عليكم بالإنكار بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تشقوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، وانظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ، أو يُستراح من فاجر، وقال: ليس هذا بصواب، هذا خلاف الآثار" (٣).

فبالرغم مما كان يراه الإمام أحمد ويعلمه من ظلم الوالي، وإشهاره المنكر، وإكراهه الناس على فعله!، إلا أنه رجَّح "مصلحة الطاعة والجماعة، وحقق دماء المسلمين على

(١) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ١٠/٥٥٩، ط/١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. ومعاملة الحكام، ٨.

(٢) المذهب الحنبلي: دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ١/٣٦٥، ط/١، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية، ١٧١-١٧٢.

مصلحة المواجهة والخروج والثورة على الخليفة. وأن هذا الموقف إنما هو الالتزام بالوصية النبوية الغالية، والوقوف عند حدود ما دلت عليه الآثار، وما سنَّه رسول الله ﷺ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمناصحة للخلفاء ولغيرهم على الوجه المشروع" (١). فكان بموقفه هذا مثالاً للتقيد بالسنة في التعامل مع الوالي عند ما يأمر بمعصية، فلم ينزعه الهوى، ولم تستثره عاطفة الغيرة والإنكار، بل ثبت على السنة وصبر، فكان يأمر بطاعة وليّ الأمر، ويجمع العامة عليه، ويقف كالجبل الشامخ في وجه من أراد مخالفة المنهج النبوي، والسَّير السَّلفيَّة، انسياقاً وراء العواطف المجردة عن قيود الكتاب والسنة، أو المذاهب الثوريَّة الفاسدة (٢).

وقد سبق ذكر أقواله في السمع والطاعة للوالي في السر والعلانية، والمنشط والمكروه والدعاء له بالتوفيق والتسديد والتأييد في الليل والنهار.

(١) المذهب الحنبلي: دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، ١/٣٦٥.

(٢) انظر: موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، ١٠/٥٥٩.

## المبحث الخامس

## الصبر على ظلم الوالي وجوره

الولاية صنفان: ولاية عدل، وولاية جور:

فأما ولاية العدل: فهم مبشرون بالجنة، وبالرفق من الله عز وجل، وهم أكثر الناس أجرًا، وأعلاهم منزلة، وأرفعهم قدرًا. وهم أنفع الناس عملاً في مصالح العباد، وحفظاً لدينهم من عادية كل منحرف ضالٍ يبغي في الأرض الفساد.

بركة عدلهم تعم الرعية، خيرهم مأمول، وشهرهم مأمون، وراية عدلهم مرفوعة يأوي إليها كل ضعيف ومظلوم، ويراهها كل ظالم وباغٍ سيفاً عليه مسلول.

يقول العز بن عبدالسلام رحمته الله: "وأجر الإمام الأعظم أفضل من أجر المفتي والحاكم؛ لأن ما يجلبه من المصالح ويدراه من المفاسد أتم وأعم.. (١).

ثم يبين رحمته الله إجماع المسلمين على أن الوالي أعظم الناس أجرًا، وأجلهم قدرًا إذا عدل، فيقول: "وعلى الجملة فالعادل من الأئمة والولاة والحكام أعظم أجرًا من جميع الأنام بإجماع أهل الإسلام، لأنهم يقومون ب جلب كل صالح كامل، ودرء كل فاسد شامل. فإذا أمر الإمام ب جلب المصالح العامة ودرء المفاسد العامة، كان له أجر بحسب ما دعا إليه من المصالح العامة، وزجر عنه من المفاسد ولو كان ذلك بكلمة واحدة لأجر عليها بعدد متعلقاتها" (٢).

ويقول رحمته الله أيضا: "وأجمع المسلمون على أن الولايات من أفضل الطاعات، فإن الولاية المقسطين أعظم أجرًا وأجلُّ قدرًا من غيرهم، لكثرة ما يجري على أيديهم من إقامة

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف، ١/٤٢، ط

مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ١٤١٤ هـ.

(٢) المرجع السابق، ١/٤٣.



الحق ودرء الباطل، فإن أحدهم يقول الكلمة الواحدة فيدفع بها مائة ألف مظلمة فما دونها، أو يجلب بها مائة ألف مصلحة فما دونها، فيا له من كلام يسير وأجر كبير" (١).

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل...)) (٢)، فالإمام العادل أول المبشرين بهذه البشري العظيمة من الأصناف السبعة المذكور في الحديث، يقول ابن حجر رحمته الله: "والمراد به صاحب الولاية العظمى، ويلتحق به كل من ولي شيئاً من أمور المسلمين فعدل فيه... وأحسن ما فسر به العادل: أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه، من غير إفراط ولا تفريط، وقدمه في الذكر لعموم النفع به" (٣).

ويقول ابن رجب رحمته الله: "وأول السبعة: الإمام العادل: وهو أقرب الناس من الله يوم القيامة، وهو على منبر من نور على يمين الرحمن؛ وذلك جزاء لمخالفته الهوى، وصره عن تنفيذ ما تدعوه إليه شهواته وطمعه وغضبه، مع قدرته على بلوغ غرضه من ذلك؛ فإن الإمام العادل دعت الدنيا كلها إلى نفسها، فقال: إني أخاف الله رب العالمين. وهذا أنفع الخلق لعباد الله، فإنه إذا صلح صلحت الرعية كلها. وقد روي أنه ظل الله في الأرض؛ لأن الخلق كلهم يستظلون بظله، فإذا عدل فيهم أظله الله في ظله" (٤). وقد أخرج الإمام مسلم في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل،

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف، ١/٤٢٠.

(٢) أخرجه البخاري في باب: من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، ١/١٣٣، برقم (٦٦٠). ومسلم في باب: فضل إخفاء الصدقة، ٢/٧١٥، برقم (١٠٣١).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر ٢/١٤٤-١٤٥.

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن ابن شهاب الدين ابن رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله،

ط/٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢ هـ/٤/٥٩.

وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولّوا» (١)، "فالعدل واجب في كل شيء لكنه في حق ولاية الأمور أؤكد وأولى وأعظم؛ لأن الظلم إذا وقع من ولاية الأمور حصلت الفوضى والكرهات لهم حيث لم يعدلوا...)) (٢)، وقيام الوالي بالعدل في الرعية، والرفق بهم، ومراعاة مصالحهم هو حسنة كبرى لا يدانيه في ذلك أحد من الناس.

وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتُصَلُّونَ عليهم ويُصَلُّونَ عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم، قالوا: يا رسول الله أفلا ننازلكهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا يزعزع يداً من طاعة»)) (٣).

ففي هذا الحديث الثناء على أئمة العدل، وبيان مكانتهم عند الله، وعند الناس، وبيان أن خيرهم يتعدى نفعه، ويعم فضله، فتصلح الرعية، وتسود المحبة المتبادلة بين الراعي والرعية. وفيه بيان ضرر أئمة الظلم والجور، وما يتسببون به من الشر والفساد.

وفي الحديث بيان طريقة التعامل مع شرور الوالي وظلمه، والتأكيد على التفريق بين كُره المعصية، ونزع اليد من الطاعة ومنازلة الوالي والخروج عليه.

فكُره المعصية واجب على كل مسلم، فلا يجوز لمسلم الرضا بالمعصية أو قبولها؛ لأن من فعلها أو أمر بها حاكم، أو عالم، أو أمير، أو كبير، أو غيره.

وأما نزع اليد من الطاعة ومنازلة الوالي والخروج عليه فحرام تحريماً مشدداً؛ ما لم يقع منه كفر بواح لا خلاف فيه، برهان من الله صريح وواضح.

يقول القرطبي رحمته الله في شرح الحديث: "أي: تدعون لهم في المعونة على القيام بالحق

(١) صحيح مسلم، ١٤٥٨/٣، رقم (١٨٢٧).

(٢) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، ٧٠٥/١، ط دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.

(٣) كتاب الإمارة، باب: خيار الأئمة وشرارهم، ١٤٨٢/٣، رقم (١٨٥٥).

والعدل، ويدعون لكم في الهداية والإرشاد وإعانتكم على الخير، وكل فريق يُحب الآخر لما بينهم من المواصلة، والتراحم، والشفقة، والقيام بالحقوق كما كان ذلك في زمن الخلفاء الأربعة، وفي زمان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، ونقيض ذلك في الشرار لترك كل فريق منهما القيام بما يجب عليه من الحقوق للآخر؛ ولاتباع الأهواء، والجور والبخل والإساءة، فينشأ عن ذلك التباغض والتلاعن، وسائر المفاسد" (١).

ويقول الشيخ محمد بن عثيمين رضي الله عنه: "يعني ولاة الأمور سواء أكان الإمام الكبير في البلد، وهو السلطان الأعلى أم كان من دونه.

هؤلاء الأئمة الذين هم ولاة أمورنا ينقسمون إلى قسمين: قسم نحبهم ويحبوننا..؛ لأنهم يقومون بما أوجب الله عليهم من النصيحة لمن ولأئهم الله عليه... فهؤلاء الأئمة الذين قاموا بما يجب عليهم محبوبون لدى رعيتهم... تدعون لهم ويدعون لكم. تدعون لهم بأن يهديهم الله ويصلح بطانتهم، ويوفقهم للعدل إلى غير ذلك من الدعاء الذي يُدعى به للسلطان، وهم يدعون لكم: اللهم أصلح رعيتنا، اللهم اجعلهم قائمين بأمرك وما أشبه ذلك.

أما شرار الأئمة: فهم ((الذين تبغضونهم ويبغضونكم)) تكرهونهم؛ لأنهم لم يقوموا بما يجب عليهم من النصيحة للرعية، وإعطاء الحقوق إلى أهلها، وإذا فعلوا ذلك فإن الناس يبغضونهم، فتحصل البغضاء من هؤلاء وهؤلاء؛ تحصل البغضاء من الرعية للرعاة؛ لأنهم لم يقوموا بواجبهم، ثم تحصل البغضاء من الرعاة للرعية؛ لأن الرعية إذا أبغضت الوالي تمرت عليه وكرهته، ولم تطع أوامره ولم تتجنب ما نهى عنه، وحينئذ ((تلعنونهم ويلعنونكم)) والعياذ بالله؛ يعني يسبونكم وتسبونهم، أو يدعون عليكم باللعنة وتدعون عليهم

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٤/٦٥.

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: ((ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع)) قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: « لا، ما صلوا»، وفي رواية: "إنه يُستعمل عليكم أمراء، فَتَعْرِفُونُ وَتُنْكِرُونَ، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع»، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلوا»، أي من كره بقلبه وأنكر بقلبه)) (٢).

قال القرطبي رحمته الله: "قوله: ((ستكون أمراء فتعرفون وتُنْكِرُونَ))؛ أي: يعمل الأمراء أعمالاً منها ما تعرفون كونه معروفًا، ومنها ما تعرفون كونه منكراً فتتكرونه.

وقوله: ((فمن عرف برئ))؛ أي: من عرف المنكر وكرهه بقلبه، بدليل الرواية الأخرى، فَتَقْيِدُ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى؛ يعني: أَنَّ مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ بَرَأَ - أي تبرأ من فعل المنكر ومن فاعله. وقوله: ((ومن أنكر فقد سلم))؛ أي بقلبه، بدليل تقييده بذلك في الرواية الأخرى، أي: اعتقد الإنكار بقلبه وجزم عليه بحيث لو تمكن من إظهار الإنكار لأنكره، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ سَلِمَ من مؤاخذة الله تعالى على الإقرار على المنكر... وقوله: ((ولكن من رضي وتابع))؛ أي: من رضي المنكر وتابع عليه، هو المؤاخذ والمعاقب عليه وإن لم يفعله" (٣).

إذن: الصنف الثاني من الولاة هم: ولاة الجور والظلم، فما هو واجب الرعية في

التعامل معهم؟

الجواب بدقيق العبارة، وواضح الكلام، ودليل الشرع نصاً صريحاً، وتطبيقاً عملياً من

(١) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين، ٦٤٧/٣ - ٦٤٨.

(٢) أخرجه مسلم في باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع، وترك قتالهم ما صلوا، ١٤٨١/٣، برقم (١٨٥٤).

(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ٦٤/٤.

سلف الأمة الصالح، وعلمائها الأتقياء، أهل العلم الراسخ، والفهم العميق، والديانة الصادقة، والبصيرة النافذة، هو: الصبر على ظلم الوالي وجوره، مع مناصحته سرًا، والإنكار عليه بالطرق الحكيمة ممن هو لذلك أهلٌ ولديه قدرة نفسية وعلمية، وأمينٌ المفسدة والضرر والأذى على نفسه، وعلى غيره.

وهذا القول هو ما تؤيده دلائل الشريعة ومقاصدها، والأحاديث غير ما سبق كثيرة في هذا المعنى، فعن جنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض، فقلنا: حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به، سمعته من رسول الله ﷺ، فقال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا: ((أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله))، قال: "إلا أن تروا كفرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان)) (١).

وقال ﷺ: ((إنكم سترون بعدي أثره وأمورًا تنكرونها)) قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟، قال: "أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم)) (٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: "وكان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد.

وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث. ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة

(١) أخرجه البخاري في باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها»، برقم (٧٠٥٥)، ومسلم في باب: وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في باب: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها» برقم (٧٠٥٢).

وترك قتالهم" (١).

وعن أبي الحارث قال: "سألت أبا عبد الله - أحمد بن حنبل - في أمر كان حدث ببغداد، وهم قوم بالخروج، فقلت: "يا أبا عبد الله ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم؟، فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: سبحان الله، الدماء، الدماء، لا أرى ذلك، ولا أمر به، الصبر على ما نحن فيه خير من الفتنة، يُسْفِكُ فِيهَا الدَّمَاءَ، وَيُسْتَبَاحُ فِيهَا الْأَمْوَالُ، وَيُتْبَهَكُ فِيهَا الْمُحَارِمُ، أما علمت ما كان الناس فيه؟، يعني أيام الفتنة، قلت: والناس اليوم، أليس هم في فتنة يا أبا عبد الله؟. قال: وإن كان فإنما هي فتنة خاصة، فإذا وقع السيف عمت الفتنة، وانقطعت السبل، الصبر على هذا، ويسلم لك دينك خير لك. ورأيتهُ يُنْكَرُ الْخُرُوجَ عَلَى الْأُمَّةِ، وَقَالَ: الدَّمَاءُ، لَا أَرَى ذَلِكَ، وَلَا أَمْرَ بِهِ" (٢).

وقد سبق ذكر كلامه ﷺ تعالى، وموقفه الواضح في منع وإنكار الخروج على الوالي مهما حصل منه من الظلم والجور في المبحث السابق، وسيأتي معنا في المبحث الآتي بعض الأقوال التي تُبَيِّنُ أَنَّ مَفْسِدَةَ الْخُرُوجِ عَلَى الْإِمَامِ الْجَائِرِ أَعْظَمُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَيِّ مَصْلَحَةٍ تُرْجَى فِي الْخُرُوجِ عَلَيْهِ.

ومما يجب على الأمة مع الصبر على ظلم الوالي وجوره: الإنكار القلبي، والتمسك بالدين، والثبات على الحق، والابتهاال إلى الله عز وجل ودعائه: أن يصلح الراعي والرعية، وأن يبدل الحال إلى الأفضل، وأن يتهموا أنفسهم بالتقصير في جنب الله تعالى، وأن يُجَدِّدُوا التَّوْبَةَ، وَيُكْثِرُوا مِنَ الْاسْتِغْفَارِ، وَالتَّضَرُّعِ إِلَى اللَّهِ بِكَشْفِ الْبَلَاءِ، وَيُذَكِّرُوا النَّاسَ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الروم: ٤١]، يقول الشوكاني

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ٤/ ٢٢٩ - ٥٣٠، ط/١، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م.

(٢) السنة، أبو بكر الخلال، ١/ ١٣٢.

ﷺ: "والظاهر من الآية ظهور ما يصح إطلاق اسم الفساد عليه، سواء كان راجعاً إلى أفعال بني آدم من معاصيهم، واقترافهم السيئات، وتقاطعهم، وتظالمهم، وتقاتلهم، أو راجعاً إلى ما هو من جهة الله سبحانه وتعالى بسبب ذنوبهم: كالحقحط، وكثرة الخوف، والموتان، ونقصان الذرائع، ونقصان الثمار... والباء في ﴿يَمَا كَسَبَتْ﴾: للسببية، وما: إما موصولة أو مصدرية لِيُذِيقَهُمْ بعض الذي عملوا (اللام) متعلقة بظَهَرَ، وهي لام العلة، أي: لِيُذِيقَهُمْ عقاب بعض عملهم، أو جزاء بعض عملهم، لعلهم يرجعون عما هم فيه من المعاصي، ويتوبون إلى الله" (١)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَأُكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى: ٣٠]. يقول ابن جرير ﷺ: "يقول تعالى ذكره: وما يصيبكم أيها الناس من مصيبة في الدنيا في أنفسكم وأهلكم وأموالكم ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ يقول: فإنما يصيبكم ذلك عقوبة من الله لكم بما اجترتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم، ويعفو لكم ربكم عن كثير من إجرامكم، فلا يعاقبكم بها" (٢).

ويقول السعدي ﷺ: "يخبر تعالى أنه ما أصاب العباد من مصيبة في أبدانهم وأموالهم وأولادهم، وفيما يحبون ويكون عزيزاً عليهم، إلا بسبب ما قدمته أيديهم من السيئات، وأن ما يعفو الله عنه أكثر، فإن الله لا يظلم العباد، ولكن أنفسهم يظلمون" (٣). وكان الحسن البصري ﷺ يقول: "إن الحجاج عذاب الله، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم، ولكن عليكم بالاستكانة والتضرع، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٧٦] (٤).

(١) فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ٢٦٣/٤، ط/١، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق: ١٤١٤هـ.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٥٣٨/٢١، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ٧٥٩، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

(٤) منهاج السنة، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٥٢٩/٤.

## المبحث السادس

## الإنكار على الطاعن في الوالي، وبيان المفاسد المترتبة على ذلك

من منهج أهل السنة والجماعة الإنكار على الطاعنين في الولاية، بل يعدّون الطاعن في الولاية من الخوارج، سواءً كان ذلك بالقول، وهو الطعن في الوالي، والتحريض والإثارة عليه، وإساءة الظن به.

أو بالفعل، كالقتال، والمظاهرات، والثورات!، والتفجيرات!!، وهذا أعنف الخروج وأشدّه ضرراً، وأعظمه فتنة، وأخطره آثاراً ومفاسد على المجتمع والأمة عامة.

أو بالاعتقاد، فلو اعتقد أنه يجوز الخروج على الوالي، أو يجب الخروج عليه بسبب ما وقع فيه الوالي من المعاصي والمنكرات التي هي دون الكفر المخرج من الملة، فمن اعتقد ذلك في نفسه ولو لم يُشهر القول والفعل، فإن أهل السنة يعدّونه على مذهب ومعتقد الخوارج.

فمذهب الخوارج يبدأ بالطعن في الولاية، ويتسلسل في مراحل شديدة الخطورة على الدين، والفرد، والمجتمع كله، وهي:

أولاً: تكفير المسلمين، فهم يكفرون الوالي بالمعصية!، ثم يرون الخروج عليه!؛ لأنه أصبح كافراً في معتقدهم!، ثم يكفرون من لم يوافقهم في تكفيره!!.

ثانياً: الخروج عن طاعة الوالي ومنابدته بالسيف!!.

ثالثاً: استباحة دماء المسلمين بعد تكفيرهم!!.

فالطاعن في الولاية لا يخرج بالسيف إلا بعد أن يخرج بالكلام والمعتقد الذي انطوى عليه قلبه!، يقول الشيخ صالح الفوزان عن مذهب الخوارج: "حتى لو اعتقد بقلبه وما



تكلم وما عمل شيئاً، صار خارجياً في عقيدته ورأيه الذي ما أفصح عنه<sup>(١)</sup>. وقد سئل فضيلته: هل الخروج على الأئمة يكون بالسيف فقط؟، أم يدخل في ذلك الطعن فيهم، وتحريض الناس على منابذتهم والتظاهر ضدّهم؟.

فأجاب: "الخروج على الأئمة يكون بالسيف وهذا أشد الخروج، ويكون بالكلام، بسبهم وشتمهم والكلام فيهم في المجالس وعلى المنابر، هذا يهيج الناس، ويحثهم على الخروج على ولي الأمر، وينقص قدر الولاة عندهم، فالكلام فيه خروج... وكذلك إذا سبّه - أي: سبّ الوالي - هذا مذهب الخوارج، هم الذين يسبّون الأئمة ويتكلمون فيهم، ويهيجون الناس عليهم، هذا مذهب الخوارج<sup>(٢)</sup>."

فأهل السنّة والجماعة يشددون في الإنكار على من يطعن في الولاة، أو يخرج عليهم، ولا يبررون فعله مهما كان خطأ الوالي وظلمه، فقد أورد الآجري رحمته الله تعالى الأثر الذي رواه سويد بن غفلة عن عمر رضي الله عنه قال: ((لا أدري لعلك أن تُخَلَّفَ بعدي فأطع الإمام، وإن أُمِّرَ عليك عبد حبشي مجدع، وإن ظلمك فاصبر، وإن حرمك فاصبر، وإن دعاك إلى أمر ينقصك في دنياك فقل: سمعاً وطاعة، دمي دون ديني))، ثم قال مفسراً المعنى: "يحتمل والله أعلم أن نقول: من أُمِّرَ عليك من عربي أو غيره، أسود أو أبيض أو عجمي، فأطعه فيما ليس لله فيه معصية، وإن حرمك حقاً لك، أو ضربك ظلماً لك، أو انتهك عرضك، أو أخذ مالك، فلا يحملك ذلك على أن تخرج عليه بسيفك حتى تقتله، ولا تخرج مع خارجي يقاتله، ولا تحرض غيرك على الخروج عليه، ولكن اصبر عليه"<sup>(٣)</sup>.

فأثر عمر رضي الله عنه، وتوضيح الآجري رحمته الله، وما سبق ذكره من كلام العلامة صالح

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملّقة، أ. د. صالح الفوزان، الجمع والإعداد: محمد بن فهد الحصين، ٩/١، ط/٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

(٢) الإجابات المهمة في المشاكل الملّقة، أ. د. صالح الفوزان، الجمع والإعداد: محمد بن فهد الحصين ٣١/١.

(٣) الشريعة، محمد بن الحسين الآجري، تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميحي، ١/٣٨١، ط/٢، دار الوطن، الرياض ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. وقد بيّن رحمه الله في تنمة كلامه: أنه لا يجوز طاعة الوالي في معصية الله، ولو هدد بقتل

الفوزان حفظه الله - وغيره من العلماء -، ما هو إلا دليل واضح على منهج أهل السنة والجماعة في الإنكار على الطاعنين في الولاية، فضلاً عما يرى الخروج ويُعلنه ويدعو إليه!.

ويمكننا أن نُعرف الطعن في هذا المقام بأنه: القول المسيء لمقام الوالي، والمثير للفتنة والبلبلة في المجتمع سواءً كان ذلك بنشر العيوب والمثالب وتضخيمها، أو بإثارة الناس وتأليبهم على عدم السمع والطاعة له، بدعوى الإهمال والتقصير منه، أو الجور والظلم، والاستئثار، والاستبداد، وغير ذلك مما يُطعن به في الولاية.

ولا يخفى أن الأقوال تتحول إلى أفعال في الغالب، فالطعن بالقول يُسبب إثارة الناس، ومع تصاعد الإثارة وانتشار عدم الثقة بالوالي، وإساءة الظن به، تكون النتائج وخيمة على الأمة والمجتمع، فقد يصل الأمر إلى:

- نزع اليد من الطاعة.

- ومفارقة الجماعة.

- والعصيان والتمرد والخروج على الوالي.

وينتج عن ذلك إذا حدث - لا قدر الله - مفاسد كبرى، منها:

سفك الدماء، وقتل الأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم، وانتهاك الحرمات، وتدمير مقدرات الأمة وحضارتها، وضعف شوكتها، وطمع الأعداء فيها، وتمكّنهم منها؛ لأن الأعداء يتربصون بالأمة ضعفاً، أو فتنة تصيبها، أو اقتتالاً يُعوز الأطراف المتقاتلة إلى طلب النصر والدعم منهم!!؛ لِيُنْقِذُوا خَطَطَهُم المرسومة، وليحققوا آمالهم المكتومة، ويثبّثوا سموم أفكارهم المذكية لنار الفتنة، والمطيلة لأمدها، والمبقية لسوء الظن والفهم لدى

من لا يفعل ما أمر به من المنكر والحرام، فيقول المسلم: «دمي دون ديني»، أي: أصبُرُ على القتل، ولا أفعل ما حرّم الله تعالى.

الطرفين، وخاصة في هذا الزمن الذي أصبح التدخل في شؤون الأمة من قبل أعدائها يُفرض عليها فرضًا باسم حقوق الإنسان!، وباسم المنظمات الدولية!، وقرارات مجلس الأمن!!... دون أن يكون للأطراف المتنازعة أدنى قدرة على الرفض أو الرد، أو عدم القبول لما يقرره أعداء الأمة الأقوياء الذين يصنعون الأحداث ويؤججونها، ثم يستثمرونها.. وإن وقعت فتنة في الأمة دون أن يصنعها الأعداء فإنهم يُذكون نارها، ويؤججها بوصلتها، ويلعبون على متناقضات الأطراف لينهكوا كلا الطرفين؛ ليتحقق لهم بذلك التسليم والاستسلام لفرض إرادة أعداء الأمة عليها دون أي إمكانية للمقاومة، وما قصة ملك الروم مع معاوية أيام الفتنة مع علي رضي الله عنهما عنا ببعيد، فقد استغل ملك الروم ذلك الخلاف الذي وقع بينهما، وطمع في ضم بعض الأراضي التي كان معاوية قد فتحها.

يقول ابن كثير رحمته الله: "وطمع في معاوية ملك الروم بعد أن كان قد أخشاه وأذله، وقهر جنده ودحاهم، فلما رأى ملك الروم اشتغال معاوية بحرب عليّ تدانى إلى بعض البلاد في جنود عظيمة وطمع فيه، فكتب معاوية إليه: والله لئن لم تنته وترجع إلى بلادك يا لعين لأصطليحنّ أنا وابن عمي عليك، ولأخرجنك من جميع بلادك، ولأصيّقنّ عليك الأرض بما رحبت. فعند ذلك خاف ملك الروم وانكف، وبعث يطلب الهدنة"<sup>(١)</sup>.

ولا شك أن الأعداء في هذا الزمن أشدّ حرصًا، وأكثر طمعًا في السيطرة على الأمة، ونهب ثرواتها، وإضعاف قوتها، لا سيما بعد أن أصبح العالم كأنه قرية واحدة، يمكن السيطرة عليه، والتحكم فيه: من خلف البحار والمحيطات عبر القنوات وشبكات التواصل، وأنظمة السيطرة والتحكم، وإن احتاج الأمر إلى تحريك الأساطيل، وأسراب الطائرات، واستخدام أفتك الأسلحة، وأضخم القوات برًا وبحرًا وجوًا، فلن تتردد القوى

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٨/ ١٢٨.

الكبرى المؤثّبة من الانقراض على أي فريسة يحين يومها!!.

فاطعن في الولاة والخروج عليهم لا يأتي بخير أبداً، وإنما يأتي بالشر والفتنة والافتتال، وقد عُلم ذلك بالآثار الثابتة، والأقوال المؤثّقة، والأحداث المؤلّمة التي مرت بها الأمة في تاريخها قديماً وحديثاً من مقتل الخليفة الثالث عثمان، ثم الخليفة الرابع علي رضي الله عنهما إلى عصرنا هذا، الذي رأينا فيه من مفاسد الثورات والخروج على الولاة، وأهوال المصائب المترتبة على ذلك ما لا يمكن وصفه ولا تسطيره!، كما لا يمكن تدارك أضراره وآثاره على مستوى الأقطار والأمصار كل قطر على حدة، أو على مستوى الأمة كافة!!، ولا يمكن المقارنة بين الحال قبل الثورات وبعدها مهما كان فساد الحاكم الذي قامت عليه الثورة!!، فإن الثورة والخروج على الوالي لا ينتج عنه إلا المفاسد العظيمة! التي لا يعلم مداها قدرًا وزمانًا ومالاً إلا الله عز وجل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يُبين منهج أهل السنّة في مسألة الخروج على الوالي: "ويعلمون أن الله تعالى بعث محمداً صلّى الله عليه وآله بصلاح العباد في المعاش والمعاد، وأنه أمر بالصالح ونهى عن الفساد، فإذا كان الفعل فيه صلاح وفساد رجحوا الراجح منهما، فإذا كان صلاحه أكثر من فساده رجحوا فعله، وإن كان فساده أكثر من صلاحه رجحوا تركه. فإن الله تعالى بعث رسوله صلّى الله عليه وآله بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها. فإذا تولى خليفة من الخلفاء... فإما أن يقال: يجب منعه من الولاية وقتاله حتى يُؤلّى غيره كما يفعله من يرى السيف، فهذا رأي فاسد، فإن مفسدة هذا أعظم من مصلحته (١).

ويقول رحمه الله: "ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلّى الله عليه وآله; لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل

(١) منهاج السنة النبوية، شيخ الإسلام ابن تيمية، ٤ / ٢٢٧ - ٥٢٨.

بظلمهم بدون قتال ولا فتنة... ولعلّه لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته" (١).

وقد أجمع علماء الأمة وعقلاؤها على أن مفسدة الطعن في الوالي والخروج عليه أعظم من مصلحة ذلك، إذا قيل إن في ذلك مصلحة ما!.

يقول ابن القيم رحمته الله: "النبي صلوات الله عليه شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر... (٢)".

إلى أن يقول رحمته الله: "ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر على منكر؛ فطلّب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه... ولهذا لم يأذن - النبي صلوات الله عليه - في الإنكار على الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه" (٣). "وقلّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تَوَلَّدَ على فعله من الشرر أعظم مما تَوَلَّدَ من الخير... وغاية هؤلاء إما أن يَغْلِبُوا وإما أن يُعْلَبُوا، ثم يزول ملكهم فلا يكون لهم عاقبة... فلا أقاموا دِينًا ولا أَبْقَوْا دُنْيَا" (٤).

ويقول أبو جعفر الطحاوي الحنفي رحمته الله تعالى، وهو يُبين ما يعتقده أهل السنة في التعامل مع الولاة وإن حصل منهم جور أو ظلم: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله

(١) المرجع السابق، ٣/٣٩١.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، ٣/١٢، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤١١هـ/١٩٩١م.

(٣) المرجع السابق، ٣/١٢.

(٤) منهاج السنة، ٤/٥٢٨.

عز وجل فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة" (١).  
وقد عَلِمَ كل من له بصيرة يرى بها الأمور على حقيقتها أن الطعن في الولاية، والثورة عليهم، لا يقوم بها ولا يُوجَّهها إلا أصحاب الأهواء والأطماع الدنيوية، ممن يخالفون منهج أهل السنّة والجماعة في طريقة التعامل مع الولاية بأصنافهم المختلفة.  
فالطعن في الوالي المسلم والخروج عليه ليس إنكار منكر بطريقة مشروعة، بل هو إثارة فتنة، وفتح باب شر عظيم على المسلمين، وهو منكر أكبر من المنكر الذي يقع من الوالي.

فما يترتب على إنكار المنكر له أربع درجات:  
الأولى: أن يزول المنكر، ويخلفه ضده من المعروف والخير والصلاح.  
والثانية: أن يَقِلَّ المنكر وإن لم يَزُلْ بجملته.  
والثالثة: أن يخلفه منكر مثله.  
والرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه؛ أي: منكر أكبر، وفساد أعظم مما كان.  
يقول ابن القيم رحمته الله: "فالدرجتان الأولىان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة" (٢). فالطعن في الوالي والخروج عليه تكون نتيجته منكر أكبر وفساد أعظم، فيكون محرماً تحريمًا مشدداً.  
فهل يَعْقِلُ هذا من يطعنون في ولاية أمور المسلمين؟!، ويثيرون الفتن في المجتمعات الإسلامية!!؟

وهل يعتقدون أنهم سيقومون دولة الإسلام على جماجم الموحدين!!، وبإثارة الفتنة بين ظهرائي المسلمين، وفي عقر دارهم!!؟  
سبحانك ربنا هذا بهتان عظيم، وجهل كبير، وضلال مبين.

(١) شرح العقيدة الطحاوية، علي بن أبي العز الحنفي، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط، ٥٨٣-٥٨٥، ط/٣، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، ١٢/٣.

## الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده على جزيل فضله، وعظيم تيسيره، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وإمامًا للمتقين، وقدوة للعاملين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد، ففي ختام هذا البحث أود أن أذكر أهم النتائج والتوصيات التي أسأل الله أن ينفع بها.

أولاً: أهم النتائج:

١. المقصود بالمنهج في البحث، هو: الهدْيُ المَتَّبَعُ، والسُنَّةُ المَأثُورَةُ، والطريقة المرسومة التي انتهجها السلف الصالح في التعامل مع الولاية.
٢. التعامل مع الولاية يكون بإحدى طريقتين: الأولى: الطريقة الشرعية، وهي طريقة السلف، وهي منهج أهل السنة والجماعة الذي ساروا عليه... والثانية: طريقة المبتدعة وأهل الأهواء... فالأولى: واجبة وجوبًا مؤكدًا، والثانية: محرمة تحريمًا مشددًا.
٣. المقصود بالوالي في هذا البحث هو: من يتولَّى شؤون الرعية، ويُدبِّرُ أمورها، ممن تُبَيَّنَتْ له الولاية بطريق معتبر عند أهل السنة والجماعة.
٤. يتميز أهل السنة والجماعة في التعامل مع الولاية عن غيرهم من الفرق الأخرى، وما ذاك إلا لتميز منهجهم عن مناهج أهل الأهواء والبدع بمميزات واضحة وجلية، من أهمها: الصدق، والوضوح، والثبات، والعدل، والوسطية، والحكمة في معالجة ما يصدر من الولاية.
٥. يجب على الرعية توقيير الوالي وطاعته، واحترامه وتبجيله، وعدم سبِّه أو انتقاصه أو الخط من قدره، وكل هذا واجب شرعًا، وفيه مصالح دينية ودنيوية... فطاعة الوالي وتعظيمه وتوقييره هو ما كان عليه سلف الأمة الصالح، وهو منهج واضح ومتبع عند أهل السنة والجماعة قديمًا وحديثًا؛ لأنه المنهج الحق، فهم يتعاملون مع الوالي

على وفق ما جاء في نصوص الشرع.

٦. من منهج أهل السنة والجماعة الدعاء للولاية بالصلاح في أمورهم الخاصة والعامة، والسداد في أقوالهم وأفعالهم، والاستقامة والمعافاة، وبصلاح البطانة والحاشية والجلساء، ويرون أن الوالي أحق الناس بإخلاص الدعاء له؛ لأن صلاح الوالي وسداد أقواله وأفعاله مصلحة كبرى، يتعدى نفعها، ويعم خيرها البلاد والعباد، فبصلاح الوالي تصلح الرعية، ويعم النفع والفائدة سائر ولايته. وهم يزيدون على الدعاء للوالي، والحض عليه، وتعليم الناس ذلك، بالإنكار على من لا يدعو للوالي، فضلاً عما يدعو على الوالي!، فإنهم يبدعون ويرونه صاحب هوى، مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة.

٧. الولاية هم أحوج الناس إلى النصيحة الصادقة والخالصة والهادفة؛ لما يُلَوَّن من المهام الجسام، والمسائل العظام... ونصيحة الولاية لا يقوم بها كل أحد، وإنما تقع على عاتق العلماء الربانيين المتمكنين، وعلى أهل الحل والعقد من المقربين من الوالي، وكل من يرى أن الوالي يقبل منه، وتكون بالأسلوب الأنسب، والطريقة الأوفق، قبولاً ورفقاً وليناً، وبعداً عن الإخشان والتشديد، ولا يكون فيها إعلاناً أو تشهير.

٨. ليس من منهج أهل السنة والجماعة نصيحة الولاية على أعواد المنابر، أو عبر الوسائل العامة، فإن ذلك مسلك خاطئ؛ لما يترتب عليه من الآثار السلبية على الدعوة والدعاة والمجتمع كله.

٩. السبيل الأرشد والمتبع في نصيحة الوالي والإنكار عليه، أن تكون النصيحة سرّاً، والإنكار سرّاً، ويكون كل ذلك باللفظ عبارة، وأجمل إشارة، وتكون تلميحاً دون تصريح أو تجريح، فإن ذلك لم يشرعه الله في حق أطعى الطغاة من قال: أنا ربكم الأعلى!، وقال: ما علمتُ لكم من إله غيري!!.

١٠. أهل السنّة والجماعة يوافقون الوالي ويتعاونون معه على البر والتقوى، وعلى فعل



الخير وما فيه مصلحة للعباد والبلاد وإن كان ظالماً فاجراً؛ لأن هدفهم الوحيد تحصيل المنافع وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، فلا يمتنعون من إعانة الظالم على الخير، وترغيبه فيه، ودعوته إليه بكل وسيلة ممكنة، فيشاركون الولاة الظلمة في كل ما فيه خير ونفع وفائدة للأمة، ويفارقونهم في الشر والظلم والمنكرات.

١١. أهل السنة يوجبون طاعة الوالي إذا أمرَ بِأمرٍ فيه طاعة لله ورسوله، ويرون ذلك طاعة لله، وكذلك إذا أمرَ بِأمرٍ فيه خلاف بين أهل العلم فيرون طاعته.. أما إذا أمر بمعصية فيرون أنه لا سمع له ولا طاعة؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ولكنهم لا ينزعون يداً من طاعة، ويطيعونه فيما سوى ذلك مما ليس بمعصية لله تعالى.

١٢. الولاة صنفان: ولاة عدل تجب طاعتهم وحبهم ونصرتهم، والدعاء لهم والثناء عليهم. وولاة جور، تجب طاعتهم أيضاً في غير معصية الله، والصبر على جورهم؛ لما في الخروج عليهم من المفاسد العظيمة التي هي أكبر بكثير من مفاسد جورهم وظلمهم، ويُدعى لهم بالصلاح والهداية، وقد يُغضون لما فيهم من الجور والظلم، وفعل المنكرات، وقد يدعو المسلم في خاصته بزوال شرهم وظلمهم، ولكن لا يجوز الخروج عليهم ومنابتهم بالسيف أبداً.

١٣. يجب على الأمة مع الصبر على ظلم الوالي وجوره: الإنكار القلبي، والتمسك بالدين، والثبات على الحق، والابتهاال إلى الله عز وجل ودعائه: أن يصلح الراعي والرعية، وأن يبدل الحال إلى الأفضل، وأن يتهموا أنفسهم بالتقصير في جنب الله تعالى، وأن يُجِدِّدُوا التوبة، ويُكثِرُوا من الاستغفار، والتضرع إلى الله تعالى بكشف البلاء.

١٤. من منهج أهل السنة والجماعة الإنكار على الطاعنين في الولاة، بل يعدّون الطاعن في الولاة من الخوارج، سواءً كان ذلك بالقول، أو بالفعل، أو بالاعتقاد... فهم يشددون في الإنكار على من يطعن في الولاة، أو يخرج عليهم، ولا يبررون فعله

مهما كان خطأ الوالي وظلمه.

١٥. الطعن في الولاية تكون له نتائج وخيمة على الأمة والمجتمع، فقد يصل الأمر إلى:  
نزع اليد من الطاعة، ومفارقة الجماعة، والعصيان والتمرد والخروج على الوالي.
١٦. من أعظم المفاسد المترتبة على الطعن في الولاية والخروج عليهم: سفك الدماء، وقتل الأبرياء من النساء والأطفال وغيرهم، وانتهاك الحرمات، وتدمير مقدرات الأمة وحضارتها، وضعف شوكتها، وطمع الأعداء فيها، وتمكّنهم منها... والأعداء في هذا الزمن أشدّاء حرصاً، وأكثر طمعاً في السيطرة على الأمة، ونهب ثرواتها، وإضعاف قوتها، لا سيما بعد أن أصبح العالم كأنه قرية واحدة، يمكن السيطرة عليه، والتحكم فيه.
١٧. الطعن في الولاية والخروج عليهم لا يأتي بخير أبداً، وإنما يأتي بالشر والفتنة والافتتال، وقد عُلِمَ ذلك بالآثار الثابتة، والأقوال المؤثّقة، والأحداث المؤلّمة التي مرت بها الأمة في تاريخها قديماً وحديثاً.
١٨. قد عُلِمَ كل من له بصيرة يرى بها الأمور على حقيقتها أن الطعن في الولاية، والثورة عليهم، لا يقوم بها ولا يؤججها إلا أصحاب الأهواء والأطماع الدنيوية، ممن يخالفون منهج أهل السنّة والجماعة في طريقة التعامل مع الولاية بأصنافهم المختلفة. فالطعن في الوالي المسلم والخروج عليه ليس إنكار منكر بطريقة مشروعة، بل هو إثارة فتنة، وفتح باب شر عظيم على المسلمين، وهو منكر أكبر من المنكر الذي يقع من الوالي؛ لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة، فيكون محرماً تحريماً مشدداً.

## ثانياً: التوصيات:

١. فأوصي نفسي وإخواني المسلمين بتقوى الله تعالى، والتمسك بمنهج السلف الصالح، أهل السنّة والجماعة، ومن دعته نفسه لما يخالف منهجهم فعليه أن يتهم نفسه، وأن يسأل الله الثبات على الحق.

٢. أوصي ولاة أمور المسلمين بتقوى وطاعته وخشيته في السر والعلن، وأن يحكّموا شرع الله عز وجل ويتمسكوا بدينه بقدر الوسع والإمكان؛ لينالوا بذلك خَيْرِي الدنيا والآخرة، ففي الدنيا قد جعلهم الله أعلى الناس مكانة وقدرًا، وفي الآخرة ليكونوا تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، على منابر من نور على يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين جلّ في علاه.

وختامًا: أسأل الله بمَنِّه وكرمه أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وموافقًا لسنة نبيه الأمين، وأن يجعله متقبلاً ومباركًا ونافعًا لي ولجميع المسلمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

## فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الإجابات المهمة في المشاكل الملّمة، الشيخ صالح الفوزان، الجمع والإعداد: محمد بن فهد الحصين، ط/٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٣. الآداب الشرعية والمنح المرعية، محمد بن مفلح المقدسي، تحقيق: إياد بن عبداللطيف بن إبراهيم القيسي، ط بيت الأفكار الدولية.
٤. الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية، الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل، خرج نصوصه وأحاديثه، خالد بن قاسم الرّادي، ط/١، دار السلف للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ.
٥. الأصول الستة، للشيخ محمد بن عبد الوهاب، قام بالصف والفهرسة أبو أيوب السليمان، ١٤٢٧هـ.
٦. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، أ. د. محمد الخميس، ط/١، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض ١٤١٩هـ.
٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد السلام، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م.
٨. الإمامة والسياسة، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق: خليل المنصور، ط دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
٩. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. ذيب القحطاني، ط ١٤٠٩هـ.
١٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي يعلى الحنبلي تحقيق: محمد الأمين

- مصطفى، ط مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
١١. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
١٢. بيان حقوق ولاة الأمور على الأمة بالأدلة من الكتاب والسنة وبيان ما يترتب على الإخلال بذلك، الشيخ عبد العزيز بن باز، ط/٢، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٢٤هـ.
١٣. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، ط دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٤. تلبيس إبليس، جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، ط/١، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
١٥. تناقض أهل الأهواء والبدع في العقيدة، دراسة نقدية في ضوء عقيدة السلف، د. عفاف حسن مختار، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
١٦. تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين وتحذير السالكون من أفعال الجاهلين، يحيى الدين أبو زكريا النحاس، تحقيق: عماد الدين عباس سعيد، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
١٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي تحقيق: أ. د. عبد الرحمن بن معلا اللويحي، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٨. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط/١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
١٩. الجامع المسند الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، ط/١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
٢٠. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر القرطبي، دراسة وتحقيق: فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الريان، دار ابن حزم ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
٢١. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام سمير البخاري، ط

- دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣ م.
٢٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن وآخرون، ط ٢، دار العاصمة، الرياض ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩ م.
٢٣. الدرّة الغراء، محمود إبراهيم الخيري، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض.
٢٤. الدرر السنّية في الأجوبة النجدية، لمجموعة من العلماء، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط ٦، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦ م.
٢٥. الذخيرة، أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: محمد حجي، ط دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤ م.
٢٦. السنّة، أبو بكر الخلال، تحقيق: د. عطية الزهراني، ط ١، دار الراية، الرياض ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩ م.
٢٧. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، ط ١، دار ابن حزم.
٢٨. شرح السنّة، الحسن بن علي البرهاري، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، ط ١، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٨ هـ.
٢٩. شرح السنّة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط ٢ المكتب الإسلامي دمشق، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
٣٠. شرح رياض الصالحين، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ط دار الوطن للنشر، الرياض، ١٤٢٦ هـ.
٣١. شرح العقيدة الطحاوية، صدر الدين محمد بن أبي العز الحنفي، تحقيق: مجموعة من العلماء، ٣٧٩، ط ١، دار السلام للطباعة والنشر التوزيع ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥ م.
٣٢. شرح صحيح البخاري، علي بن خلف بن بطل القرطي، تحقيق: ياسر بن

- إبراهيم، ط ٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م.
٣٣. الشريعة، محمد بن الحسين الأجرئي تحقيق: د. عبد الله بن عمر الدميحي، ط/٢، دار الوطن، الرياض ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م.
٣٤. طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط دار المعرفة، بيروت.
٣٥. عقيدة أهل السنة والجماعة، مفهوما، خصائصها، خصائص أهلها، د. محمد بن إبراهيم الحمد، ط/١، دار ابن الجوزي ١٤٣٩ هـ.
٣٦. عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام ﷺ، د. ناصر بن علي الشيخ، ط/١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م.
٣٧. غاية المنة على شرح السنة، تحقيق: جمعة بن صالح، ط/١، شركة مكتبة ألفا للتجارة والتوزيع الهرم- الجيزة، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.
٣٨. الفتاوى السعدية، عبدالرحمن السعدي، ط/٢، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.
٣٩. فتح الباري، أحمد بن حجر العسقلاني، ط دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
٤٠. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن ابن شهاب الدين ابن رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله، ط/٢، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢ هـ.
٤١. فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، ط/١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق: ١٤١٤ هـ.
٤٢. فتح المغيث شرح ألفية الحديث، شمس الدين السخاوي، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت: ١٤٠٣ هـ.
٤٣. الفصل في الملل والأهواء والنحل، للعلامة علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ط مكتبة الخانجي، القاهرة.
٤٤. فقه السياسة الشرعية في ضوء القرآن والسنة وأقوال سلف الأمة، د. خالد بن علي

- العنبري ط دار المنهاج، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
٤٥. قاعدة مختصرة في وجوب طاعة الله ورسوله وولاية الأمور، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: أ. د. عبد الرزاق البدر، ط/٢، جهاز الإرشاد والتوجيه بالحرس الوطني، الرياض ١٤١٧هـ.
٤٦. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، عز الدين بن عبد السلام، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف، ط مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤ هـ.
٤٧. كتاب السنة لابن أبي عاصم، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني ط ١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٤٨. لسان العرب، محمد بن منظور، ٣١٤/١، ط/١، دار صادر، بيروت.
٤٩. مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز، أشرف على جمعه وطبعه: د. محمد بن سعد الشويعر.
٥٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
٥١. مجموعة الرسائل الجابرية في مسائل علمية وفق الكتاب والسنة النبوية، عبيد بن عبدالله الجابري، ط/١، دار الميراث النبوي للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.
٥٢. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط ٥، المكتبة العصرية، بيروت: ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
٥٣. المذهب الحنبلي: دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته، أ. د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط/١، مؤسسة الرسالة ناشرون، ١٤٢٣ هـ.
٥٤. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
٥٥. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط/١، مؤسسة الرسالة،



١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٥٦. المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج، تحقيق: فؤاد عبدالباقي، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٥٧. المصنف، عبد الرزاق الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط/٢، المجلس العلمي بالهند، ١٤٠٣هـ.

٥٨. معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة، د. عبدالسلام بن برجس العبد الكريم، ط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة الكويت.

٥٩. المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، عوَّاد بن عبدالله المعتق، ط ٤، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

٦٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار، ط/١، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.

٦١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٦٢. المعلوم من واجب العلاقة بين الحاكم والمحكوم، أسئلة أجاب عليها العلامة عبدالعزيز بن بار، ط مؤسسة الشيخ الخيرية.

٦٣. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميستو وآخرون، ط/١، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق: ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

٦٤. مفهوم الخروج على ولي الأمر في ضوء الكتاب والسنة ومنهج الصحابة والأئمة، والرد على أهل الأهواء والفتنة، د. محمد بن غيث، مقالات شبكة بينونة للعلوم الشرعية.

٦٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبو الحسن الأشعري، عني بتصحيحه: هلموت ريتز، ط/٣، دار فرانز شتايز بمدينة فيسبادن، ألمانيا: ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.

٦٦. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: أ. د. محمد رشاد سالم، ط/١، جامعة

- الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض: ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٦٧. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للإمام النووي، ط/٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ١٣٩٢هـ.
٦٨. موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، محمد بن عبد الرحمن المغراوي، ط/١، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
٦٩. موقف أهل السنة والجماعة من أهل الأهواء والبدع، د. إبراهيم الرحيلي، ط/١، مكتبة العلوم والحكم المدينة، ودار العلوم والحكم سوريا، ١٤٣١هـ.
٧٠. وسطية أهل السنة بين الفرق، محمد باكريم، ط/١، دار الراية للنشر والتوزيع: ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

## فهرس الموضوعات

الصفحة	الباحث	الموضوع
٧		قواعد النشر
٩		مقدمة العدد
١١	د. علي بن محمد عبدالله الطالب الأمين الشنقيطي	١ / الوظيفة الدعوية للمصلحين من المتأخرين وأهميتهم في تجديد الدعوة ونشرها "الدعوة الإصلاحية في الجزيرة العربية نموذجاً"
٧٥	د. عبدالله بن صالح بن عبدالله العبود	٢ / اهتمام مؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - رحمه الله - بالدعوة إلى الله تعالى من خلال خطبه وكلماته
١٣٩	د. عبير بنت خالد بن محمد الشلهوب	٣ / مفهوم الإيجابية ومسؤولية الداعي إلى الله تجاه تعزيزها في الشخصية السعودية على ضوء رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠م
١٧٢	د. خديجة بنت عبدالله بن محمد البشر	٤ / الإرجاف ودور الدعاة في مواجهته
٢٠٨	د. عبدالعزيز بن محمد بن عبدالرحمن الحمدان	٥ / جهود المملكة العربية السعودية الدعوية في بعض المراكز الإسلامية (بريطانيا، مدريد، برلين)
٢٥٥	الأمر / د. عبدالعزيز بن عبد الرحمن بن عبدالعزیز آل سعود	٦ / مفهوم الخلافة وتوظيفه عند جماعة الإخوان المسلمين "دراسة تحليلية"
٣٣٢	د. خالد بن عبدالله بن ناصر الخميس	٧ / الحسبة الوقائية للمملكة العربية السعودية تجاه جائحة كورونا
٤٣٧	د. علي بن يحيى جابر الفيفي	٨ / منهج أهل السنة في التعامل مع الولاة
٥٠٦		فهرس الموضوعات



الجمعية السعودية للدراسات الدعوية

Saudi association for da'wah studies

## الرؤية :

أن تكون الجمعية رائدة في خدمة الدعوة الإسلامية، من خلال تطوير الأفراد والمؤسسات العاملة في مجال تخصص الجمعية.

## الرسالة :

تقديم برامج علمية واستشارية وتدريبية عالية الجودة للمتخصصين والمهتمين بالدعوة الإسلامية، أفراداً كانوا أو مؤسسات.

## الأهداف :

- تهدف الجمعية السعودية للدراسات الدعوية إلى ما يلي :-
- تنمية الفكر العلمي في مجال الدراسات الدعوية والعمل على تطويره وتنشيطه.
- تحقيق التواصل العلمي لأعضاء الجمعية.
- تقديم المشورة العلمية في مجال الدراسات الدعوية.
- تطوير الأداء العلمي والمهني لأعضاء الجمعية.
- تيسير تبادل الإنتاج العلمي، والأفكار العلمية في مجال الدراسات الدعوية بين الهيئات والمؤسسات المهنية داخل المملكة وخارجها.

الرياض - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - المعهد العالمي للدعوة والاحتراب

صندوق البريد: ٤٨٤٧ الرمز البريدي: ١١٤١٢ هاتف ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٦ / ٠٠٩٦٦-١١-٢٥٨٥٠٩٣

البريد الإلكتروني: baserah@imamu.edu.sa